تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آى القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٣

حققه وخرج أحاديثه
محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠



تفسير الطبري

الجزء الثالث عشر

فيه

تفسير سورة الأعراف

من ١٠١ – ٢٠٦

وتفسير سورة الأنفال

من ١ – ٤٧

والآثار من : ١٤٩٠١ – ١٦١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده لا شريك له ، يحيي ويميتُ وهو على كُلّ شيء قدير . الحمدُ لله الذى أسْلم له ما فى السَّموات والأرضِ طوعاً وكرهاً ، وكُلُّهم آتيه يومَ القيامة عبداً . أحمدُه حَمْدَ عارفٍ بنعمائِه ، راضٍ بقضائه ، صابرٍ على بلائه .

وصلّى الله على محمد رسول الله إلى عِباده ، وخِيرَتِه من خلقه ، أرسله بالهُدَى ودين الحقّ ، فبلّغَ عن ربِّه رسالته ، وبيّنَ لهُمْ عن سُنَّته ، وتركَهُم على مَحَجَّةٍ بيضاءَ ، من أبصرها اهتدى ونَجَا ، ومن عَمِيَ عنها ضَلَّ وهَلَكَ .

* * *

وبعدُ ، ففى الساعة السادسة من صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣٧٧ (١٤ يونيه سنة ١٩٥٨) ، قضى الله قضاءه بالحقِّ ، فألحق بالرفيق الأعلى أخى وشقِيق السيد أحمد محمد شاكر ، مودَّعاً بالدُّعاء ، محفوفاً بالثناء . جاءه الأَجل فَشقّ إليه الطريق ، وأمَاط عنه حِياطة الشفيق ، ونَضا عنه طبَّ كُلِّ طبيب ، فقبضَ مَلَكُ الموتِ وديعتَه فى الأرضِ ، ثم استودعَ مَسامعنا من ذكره اسماً باقياً ، ومَحا عن الأبْصار من شخصه رسماً فانياً . فالحمدُ لله بارئ النَّسَمِ بما شاء ، ومُصَرِّفِها فيما شاء ، وقابِضِها حيثُ شاء .

اللهُمَّ هذا عَبْدُكَ وابن عبدك ، نشأ فى المأمور به من طاعتك ، ومات على الحقِّ فى عبادتك ، وعاش ما بينَهما مجاهدًا فى سبيل دينك ، ناطقاً بالحقِّ فى مرضاتك ، ذابًّا بقلمه ولسانه عن كتابك وسنة رسولك .

اللهمَّ تقبَّل عمله ، واغفرْ زَلَّته ، غير خَالٍ من عَفْوكَ ، ولا محرومٍ من إكرامك . اللهم أسْبِـغْ عليه الواسعَ من فضلك ، والمأمولَ من إحسانك . اللَّهُمَّ أتمم عليه نعمتَك بالرضى ، وآنس وحشته فى قبرِه بالرحمةِ ، واجعَلْ جودَكَ بِلَالاً لَهُ من ظَمَأِ البِلَى ، ورضوانَك نوراً لَهُ فى ظَلامِ الثَّرَى .

اللَّهُمَّ هذا أخى وشقيق ، فإن أبكه فغيرَ جازعٍ من قضائك ، ولا نافرٍ من القدر الجارى على عبادك ، بل أبكيه مستكيناً لابتلائك ، سائلاً له المأمول من غفرانك . اللهُمَّ واجعل بكائى عليه ماحياً لكُلِّ مساءةٍ نالتهُ منّى ، وتَوْبةً من كُلِّ هَفْوةٍ نزغَ بها الشَّيْطان بينَه و بينى .

اللهُمَّ ارحمه ، اللهمَّ ارحمه ، اللهمَّ ارحمه ، لا إلٰه إلّا أنتَ ، بالرحمة أنشأتنَا من التراب ، و بالرحمةِ رَدَدْتنَا إلى التراب ، و بالرحمة نَؤوب إليك يومَ الحسابِ ، فارحمنا وارحمْه ، إنك أنت وَليُّنَا فى الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين

اللَّهُمَّ هذا عَبْدُكَ وابن عبدك ، فأنزله وأنزل الصالحين من آبائه وذرِّيته وأهلِه منازل المقرَّبينَ من أهلِ طاعتك ، بيدك المُلْك ، إنّك على كُلِّ شيء قدير ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذه القرى التي ذكرت لك ، يا محمد ، أمرَها وأمر أهلها = يعني : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب = « نقص عليك من أنبائها » ، فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها ، وما كان من أمرهم وأمر رُسل الله التي أرسلت إليهم ،[1] لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذّب رسل الله ، فيرتدعوا عن تكذيبك ، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته = « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات » ، يقول : ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها ، = « رسلهم بالبينات » ، يعني بالحجج البينات[2] = « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ».

8/9

* * *

[ثم] اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.[3]

فقال بعضهم : معناه : فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كرهوا من قبل ذلك ،[4] وذلك يوم أخذ ميثاقهم

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ١٢ : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « النبأ » فيما سلف ١٢ : ٢٨٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

(٤) في المطبوعة : « بما كذبوا قبل ذلك » ، وفي المخطوطة : « بما يحدثوا قبل ذلك » ، واستظهرت أن يكون الصواب ما أثبت ، لقوله في الأثر الذي استدل به « فآمنوا كرها » .

حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » ، قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل ، بما سبق فى علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صُلب آدم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » ، قال : كان فى علمه يوم أقرُّوا له بالميثاق .

١٤٩٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ، ويدعوا علمَ ما أخفى الله عليهم ، [1] فإن علمه نافذٌ فيما كان وفيما يكون ، وفى ذلك قال : « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، قال : نفذ علمه فيهم ، أيُّهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى زمان آدم . وتصديق ذلك حيث قال لنوح : ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، [سورة هود : ٤٨] ، وقال فى ذلك : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٢٨] ، وفى ذلك قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ، [سورة الإسراء : ١٥] ،

(١) فى المخطوطة : « ولولا علم ما أخفى الله عليهم » ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة .

وفى ذلك قال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ، [سورة النساء : ١٦٥] ، ولا حجة لأحد على الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « فما كانوا » ، لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ، « ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » هلاكهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « بما كذبوا من قبل » ، قال : كقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب ، القولُ الذى ذكرناه عن أبىّ بن كعب والربيع . وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به ، فلن يؤمن أبداً . وقد كان سبق فى علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التى قص نبأهم فى هذه السورة ، أنه لا يؤمن أبداً ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون فى سابق علمه ، قبل مجىء الرسل عند مجيئهم إليهم .

* * *

ولو قيل : تأويله : فما كان هؤلاء الذين وَرِثوا الأرض ، يا محمد ، من مشركى قومك من بعد أهلها ، الذين كانوا بها من عاد وثمود ، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده = كان وجهاً ومذهباً ، غير أنى لا أعلم قائلاً قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن .

* * *

وأما الذى قاله مجاهد من أن معناه : لو ردّوا ما كانوا ليؤمنوا = فتأويلٌ

٩/٩ لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا من خبر عن الرسول صحيح . وإذ كان ذلك كذلك ، فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل .

* * *

وأما قوله : «كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين» ، فإنه يقول تعالى ذكره : كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التى قصصنا عليك نبأهم ، يا محمد ، فى هذه السورة ، حتى جاءهم بأسُ الله فهلكوا به = « كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً من قومك .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التى أهلكناها واقتصصنا عليك، يا محمد، نبأها=« من عهد»، يقول : من وفاء بما وصيناهم به ، من توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وهجر عبادة الأوثان والأصنام .

* * *

و « العهد » ، هو الوصية ، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

= « وإن وجدنا أكثرهم » ، يقول : وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم ، تاركين عهده ووصيته .

* * *

(١) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٢ : ٥٧٩، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١ : ٤١٠ ، ٢/٥٥٧ : ٣/٢٧٩ : ٢٠ – ٢٤ ، ٦/٣٤٩ : ٥٢٦ .

وقد بينا معنى « الفسق » ، قبل .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : « وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، قال : القرون الماضية .

١٤٩٠٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ، الآية، قال : القرون الماضية . و « عهده »، الذى أخذه من بنى آدم فى ظهر آدم ولم يفوا به .

١٤٩٠٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ، قال : فى الميثاق الذى أخذه فى ظهر آدم عليه السلام .

١٤٩٠٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به .

* * *

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٢ : ١٩٥، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، موسى بن عمران .

* * *

و « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « من بعدهم »، هى كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التى ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع .

* * *

= « بآياتنا » يقول : بحججنا وأدلتنا[١] = «إلى فرعون وملئه »، يعنى : إلى جماعة فرعون من الرجال[٢] = « فظلموا بها » ، يقول : فكفروا بها .

* * *

و « الهاء والألف » اللتان فى قوله : « بها » عائدتان على « الآيات » .

* * *

ومعنى ذلك : فظلموا بآياتنا التى بعثنا بها موسى إليهم = وإنما جاز أن يقال : « فظلموا بها ، » بمعنى : كفروا بها ، لأن الظلم وَضْعُ الشيء فى غير موضعه .

* * *

وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه، بما أغنى عن إعادته .[٣]

* * *

والكفر بآيات الله ، وضع لها فى غير موضعها ، وصرف لها إلى غير وجهها الذى عُنيت به = « فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » ، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر ، يا محمد ، بعين قلبك، كيف كان عاقبة

---

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف فى فهارس اللغة (أيى) .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ١٢ : ٥٦٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

هؤلاء الذين أفسدوا فى الأرض ؟ [1] = يعنى فرعون وملأه ، إذ ظلموا بآيات الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام ، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعاً فى البحر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقال موسى لفرعون : يا فرعون إنىّ رسول من رب العالمين.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١٠٦)

١٠/٩

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق » .

فقرأه جماعة من قرأة المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ ﴾ ، بإرسال « الياء » من « على » ، وترك تشديدها ، بمعنى : أنا حقيقٌ بأن لاأقول على الله إلاالحق = فوجهوا معنى « على » إلى معنى « الباء » كما يقال : « رميت بالقوس » و « على القوس » = و « جئت على حال حسنة » و « بحال حسنة » . [2]

---

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الفساد » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ تعليق : ٢، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف ١١ : ٣١٧ ، تعليق : ١، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٦ .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فمعناه : حريص على أن لا أقول ، أو : فحق أن لا أقول .[١]

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة : ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَلاَّ أَقُولَ ﴾ ، بمعنى : واجب عليَّ أن لا أقول ، وحق على أن لا أقول .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب فى فى قراءته الصوابَ .

* * *

وقوله : « قد جئتكم ببينة من ربكم » ، يقول : قال موسى لفرعون وملئه : قد جئتكم ببرهان من ربكم ، يشهدُ ، أيها القوم ، على صحة ما أقول ، [٢] وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياى إليكم رَسولاً ، فأرسل يا فرعون معى بنى إسرائيل . فقال له فرعون : « إن كنت جئت بآية » ، يقول : بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول [٣] = « فأت بها إن كنت من الصادقين » .

* * *

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٤ ، وكان فى المطبوعة هنا : « حريص على أن لا أقول إلا بحق » ، وفى المخطوطة : « حريص على أن لا أقول بحق لا أقول » ، وكلتاهما خطأ ، والصواب من مجاز القرآن ، فهو نص كلامه .

(٢) انظر تفسير « البنية » فيما سلف ١٠ : ٢٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨) ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فألقى موسى عصاه = « فإذا هى ثعبان مبين » ، يعنى حية = « مبين » ، يقول : تتبين لمن يراها أنها حية .[1]

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : تحولت حية عظيمة . وقال غيره : مثل المدينة .

١٤٩١٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا هى ثعبان مبين » ، يقول : فإذا هى حية كاد يَتَسوَّره = يعنى : كاد يَثِبُ عليه .[2]

١٤٩١١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا هى ثعبان مبين » ، و « الثعبان » ، الذكر من الحيات ، فاتحةً فاها ، واضعة لحيها الأسفل فى الأرض ، والأعلى على سور القصر ،[3] ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه . فلما رآها ذُعِر منها ، ووثب فأحدث ، ولم يكن

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٢) فى المطبوعة : « كادت » بالتأنيث فى الموضعين وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحية » ذكر وأنثى .

(٣) « اللحى » (بفتح اللام وسكون الحاء) ، وهما « لحيان » : وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لحى .

يُحْدِث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى ، خذها وأنا مؤمن بك ، وأرسل معك بنى إسرائيل ! فأخذها موسى فعادت عصًا .

١٤٩١٢ — حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : ألقى العصا فصارت حية ، فوضعت فُقْماً لها أسفل القبة ، وفُقْماً لها أعلى القبة[1] = قال عبد الكريم ، قال إبراهيم : وأشار سفيان بإصبعه الإبهام والسبابة هكذا : شِبْه الطاق[2] = فلما أرادت أن تأخذه قال فرعون : يا موسى ، خذها ! فأخذها موسى بيده ، فعادت عصا كما كانت أول مرة .

١٤٩١٣ — حدثنا العباس بن الوليد قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة ، فاغرةً فاها ، مسرعة إلى فرعون . فلما رأى فرعون أنها قاصدةٌ إليه ، اقتحم عن سريره ،[3] فاستغاث بموسى أن يكفَّها عنه ، ففعل .

١٤٩١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثعبان مبين » ، قال : الحية الذكر .

١٤٩١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما دخل موسى على فرعون ، قال له فرعون :[4] أعرفك ؟ قال : نعم ! قال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ ؟ [سورة الشعراء : ١٨] . قال : فرد إليه موسى الذى ردَّ ،

١١/٩

(١) « الفقم » (بضم فسكون) ، هو « اللحى » الذى فسرته قبل ، وهما « فقمان » .
(٢) « الطاق » ، هو عقد البناء ، وهو ما عطف من الأبنية كأنه القوس .
(٣) « اقتحم عن سريره » ، رمى بنفسه وسقط عن سريره .
(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال له موسى : أعرفك » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه من تفسير ابن كثير ٣ : ٥٢٧ .

فقال فرعون : خذوه ! فبادره موسى فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ، فحملت على الناس فانهزموا ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً ، قتل بعضُهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيتَ .

١٤٩١٦ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ ، [سورة طه : ٢٠] ، [1] قال : ما بين لَحْيَيها أربعون ذراعاً .

١٤٩١٧ ــ حدثنا وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : الحية الذكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ونزَع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » ، فإنه يقول : وأخرج يده ، فإذا هى بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس . [2]

* * *

وكان موسى ، فيما ذكرنا ، آدمَ ، فجعل الله تحوُّل يده بيضاء من غير برص ، له آية ، وعلى صدق قوله : « إنى رسول من رب العالمين » ، حجة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩١٨ ــ حدثنا العباس قال ، أخبرنا يزيد قال ، حدثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء = يعنى : من غير برص = ثم أعادها إلى كمّه ، فعادت إلى لونها الأول .

١٤٩١٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فألقى عصاه فإذا هى حية تسعى » ، ليس هذا فى شىء من التلاوة ، والتلاوة ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « نزع » فيما سلف ١٢ : ٤٣٧ .

معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « بيضاء للناظرين » ، يقول : من غير برص

١٤٩٢٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » ، قال : نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص .

١٤٩٢١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٢٢ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونزع يده » ، أخرجها من جيبه = « فإذا هى بيضاء للناظرين » .

١٤٩٢٣ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ونزع يده » ، قال : نزع يده من جيبه = « فإذا هى بيضاء للناظرين » ، وكان موسى رجلاً آدم ، فأخرج يده فإذا هى بيضاء ، أشد بياضاً من اللبن = « من غير سوء » ، قال : من غير برص ، آيةً لفرعون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم[1] = « إن هذا » ، يعنون موسى صلوات الله عليه = « لساحر

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ١٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عليم » ، يعنون أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم ، حتى يخيل إليهم العصا حية ، والآدم أبيض ، والشيء بخلاف ما هو به .

* * *

ومنه قيل : « سَحر المطرُ الأرضَ » ، إذا جادها ، فقطع نباتها من أصوله ، وقلب الأرض ظهرًا لبطن ، « فهو يَسْحَرُها سَحْرًا » ، و « الأرض مسحورة » ، إذا أصابها ذلك . [1] فشبه « سحر الساحر » بذلك ، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به ، [2] ومنه قول ذي الرمة في صفة السراب :

وَسَاحِرَةِ العُيُونِ مِنَ المَوَامِي ... تَرَقَّصُ فِي نَوَاشِرِهَا الأُرُومُ [3]

* * *

وقوله : « عليم » ، يقول : ساحر عليم بالسحر [4] = « يريد أن يخرجكم من

---

(١) هذا البيان عن معنى « سحر المطر الأرض » ، جيد جداً ، مبين عن معنى الكلمة ، وهو أوضح مما جاء في كتب اللغة ، فليقيد هذا هناك .

(٢) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ٢ : ٤٣٦-٤٤٢/١١ : ٢٦٥ .

(٣) ديوانه : ٥٩١ ، واللسان (أرم) ، بهذه الرواية ، أما رواية الديوان فهي :

وَسَاحِرَةِ السَّرَابِ مِنَ المَوَامِي ... تَرَقَّصُ فِي عَسَاقِلِهَا الأُرُومُ

تَمُوتُ قَطَا الفَلَاةِ بِهَا أُوَامًا ... وَيَهْلِكُ فِي جَوَانِبِهَا النَّسِيمُ

بِهَا غُدُرٌ ، وَلَيْسَ بِهَا بِلَالٌ ... وَأَشْبَاحٌ تَحُولُ وَلَا تَرِيمُ

وهذا شعر غاية ! ، والرواية التي هنا هي رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن . ورواية أبي عمرو ابن العلاء : « في نواشرها » . وكان في المطبوعة : « نواشزها » بالزاي ، وهي في المخطوطة غير منقوطة .

و « الموامي » جمع موماة ، وهي المفازة الواسعة الملساء ، لا ماء بها ولا أنيس . و « العساقل » جمع « عسقلة » ، و « العساقيل » جمع « عسقول » ، وهي قطع السراب التي تلمع وتتريع لعين الناظر . و « الأروم » جمع « إرم » ، وهي الأعلام ، وقيل : هي قبور عاد وإرم . ورواية ديوانه « وساجرة » بالجيم ، أي مملوءة من السراب . يصف السراب وهو يترجرج ، فترى الحجارة والأعلام ترتفع فيه وتنخفض ، وهو يتحرك بها .

وأما رواية أبي جعفر « ترقص في نواشرها » ، فلم أجد له تفسيراً عند أحد من شراح الشعر ، أو في كتب اللغة . وظني أنه يعني به السراب كما قال « في عساقلها » ، وأنها من « نشر الشيء » بسطه ومده ، وعنى به ما يمتد من السراب وينبسط .

(٤) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

١٢/٩ أرضكم » ، أرض مصر ، معشر القبط السحرة[١] = ، وقال فرعون للملأ : « فماذا تأمرون » ، يقول : فأى شيء تأمرون أن نفعل فى أمره؟ بأى شيء تشيرون فيه ؟

* * *

وقيل : « فماذا تأمرون » ، والخبر بذلك عن فرعون ، ولم يذكر فرعون ، وقلما يجىء مثل ذلك فى الكلام ، وذلك نظير قوله : ﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، [سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢] . فقيل : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، من قول يوسف ، ولم يذكر يوسف ، ومن ذلك أن يقول : « قلت لزيد قم ، فإنى قائم » ، وهو يريد : « فقال زيد إنّى قائم » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الملأ من قوم فرعون لفرعون : أرجئه ، أى : أخِّره .

* * *

وقال بعضهم : معناه : احبس .

* * *

و « الإرجاء » ، فى كلام العرب التأخير . يقال منه « أرجيت هذا الأمر » ،

---

(١) هكذا فى المخطوطة مضبوطة بشدة على السين : « السحرة » ، ولو قرئت « بسحره » ، لكان صواباً جيداً .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٧

و« أرجأته » ، إذا أخرته . ومنه قول الله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٥١] ، تؤخر ، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس ، يقولون : « أرجأت هذا الأمر » ، وترك الهمز من لغة تميم وأسد ، يقولون : « أرجيته » .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة وبعض العراقيين : ﴿ أَرْجِهِ ﴾ بغير الهمز ، وبجرّ « الهاء » .

* * *

وقرأه بعض قرأة الكوفيين : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ بترك الهمز وتسكين « الهاء » ، على لغة من يقف على الهاء فى المكنىّ فى الوصل ،(٢) إذا تحرك ما قبلها ، كما قال الراجز :(٣)

أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا ... يُقْسِمُ لاَ يُصْلِحُ إِلَّا أَفْسَدَا

فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهْ غَدَا(٤)

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث ، فيقولون : « هذه طلحهْ قد أقبلت » ، كما قال الراجز :(٥)

لَمَّا رأى أنْ لاَ دَعَهْ وَلاَ شِبَعْ ... مَالَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَاضْطَجَعْ(٦)

* * *

(١) تفصيل اللغات ونسبتها إلى قبائلها ، ليس فى شيء من معاجم اللغة ، فهى زيادة تقيد فى مكانها هناك .

(٢) « المكنى » ، الضمير .

(٣) هو دويد بن زيد بن نهد القضاعى ، وهو أحد المعمرين .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٢٨ ، والمعمرين : ٢٠ ، وأمالى الشريف ١ : ١٣٧ ، والشعر والشعراء : ٥١ ، والمؤتلف والمختلف : ١١٤ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٧٤ ؛ وغيرها كثير ، وهو من قديم الشعر ، كما قال ابن سلام . ورواية هذه الأبيات تختلف اختلافاً كبيراً فى المراجع جميعاً ، كما أشرت إليه فى شرح طبقات ابن سلام .

وكان فى المطبوعة « ألحى على الدهر » ، و« فقسمه لا نصلح » ، وهذا خطأ فاسد صوابه فى المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء .

(٥) يقال هو : منظور بن حبة الأسدى .

(٦) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ ، إصلاح المنطق : ١٠٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٦٧ ،

وقرأه بعض البصريين : ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ بالهمز وضم « الهاء » ، على لغة من ذكرت من قيس .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، أشهرها وأفصحها فى كلام العرب ، وذلك ترك الهمز وجرُّ « الهاء » ، وإن كانت الأخرى جائزة ، غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أرجه » .

فقال بعضهم : معناه : أخره .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٤ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « أرجه وأخاه » ، قال : أخّره .

* * *

وقال آخرون : معناه : احبسه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٥ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أرجه وأخاه » ، أى : احبسه وأخاه .

* * *

وشرح شواهد الشافية : ٢٧٤ - ٢٧٦ ، ٤٨٠ ، يصف ظبياً ، يقول قبله :

يَارُبَّ أَبَّازٍ مِنَ العُفْرِ صَدَعْ تَقَبَّضَ الذِّئْبُ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعْ

قال التبريزى فى شرحها : « يصف ظبياً . والأباز : الذى يقفز . والعفر من الظباء : التى تعلو ألوانها حمرة . وتقبض : أى أنه جمع قوائمه ليثبت على الظبى . لما رأى أن لا دعه ، يعنى الذئب ، لما رأى أنه لا يشبع من الظبى ولا يدركه ، وأنه قد تعب فى طلبه . مال إلى أرطاة فاضطجع عندها . والأرطى : ضرب من شجر الرمل ، واحدته أرطاة . والحقف : المعوج من الرمل » .

وأما قوله : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، يقول : من يحشرُ السحرة فيجمعهم إليك .[1]

* * *

وقيل : هم الشُّرَط .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٦ — حدثنى عباس بن أبى طالب قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن ابن عباس : «وأرسل فى المدائن حاشرين» ، قال : الشرط .

١٤٩٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن إبراهيم ابن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط.

١٤٩٢٨ — قال حدثنا حميد ، عن قيس ، عن السدى : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط

١٤٩٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط .

١٤٩٣٠ — حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط .

* * *

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ١٢ : ١١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون ، أن يرسل فى المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم .

* * *

= وفى الكلام محذوف ، اكتفى بدلالة الظاهر من إظهاره ، وهو : فأرسل فى المدائن حاشرين ، يحشرون السحرة .

* * *

= « فجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرًا » ، يقول : إن لنا لثواباً على غلبتنا موسى عندك [1] = « إن كنا » ، يا فرعون ، « نحن الغالبين » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٣١ — حدثنا العباس قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « فأرسل فى المدائن حاشرين » ، فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بما يعملُ هذا الساحر ؟[2] قالوا : يعمل بالحيات . قالوا : والله ما فى الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا ، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم : أنتم قرابتى وحامّتى ، [3] وأنا صانع إليكم كل شىء أحببتم .

١٤٩٣٢ — حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ،

---

(١) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٢) فى المطبوعة : « بم يعمل » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٣) فى المطبوعة : « وحاميتى » ، والصواب من المخطوطة . و « الحامة » و « الحميم » خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته .

حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال فرعون : لا نغالبه = يعنى موسى = إلا بمن هو منه ، فأعدّ علماء من بنى إسرائيل ، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها : « الفرما » ، يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكِتاب فى الكتّاب . قال : فعلموهم سحراً كثيراً . قال : وواعد موسى فرعون موعداً ، فلما كان فى ذلك الموعد ، بعث فرعون فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم ، فقال له : ماذا صنعت ؟ قال : قد علمتهم من السحر سحراً لا يطيقه سحر أهل الأرض ، إلا أن يكون أمرًا من السماء ، فإنه لا طاقة لهم به ، فأما سحر أهل الأرض، فإنه لن يغلبهم . فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون : أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ؟ قال : نعم ، وإنكم إذاً لمن المقربين .[1]

١٤٩٣٣ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين » ، فحشروا عليه السحرة = « فلما جاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجرًا إنْ كنا نحن الغالبين » ، يقول : عطية تعطينا = « إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم لمن المقربين » .

١٤٩٣٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق : « أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم »، أى كاثره بالسحرة ، لعلك أن تجد فى السحرة من يأتى بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم .[2] وبعث فرعون فى مملكته ، فلم يترك فى سلطانه ساحراً إلا أتى به . فذكر لى ، والله أعلم ، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر . فلما اجتمعوا إليه ، أمرهم أمره ، وقال لهم : قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقرّبتكم على أهل مملكتى !

---

(١) هكذا جاءت فى المخطوطة ، كما كتبتها ، لم يذكر لفظ الآية كما هو فى التلاوة .

(٢) فى المطبوعة : « من سلطانه »، وكان فى المخطوطة : « من سلطان وبعث فرعون » ، أسقط من الكلام ما أثبته من تاريخ الطبرى ١ : ٢١٠ .

قالوا : وإن لنا ذلك إن غلبناه ؟ قال : نعم ! .[١]

١٤٩٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة قال : السحرة كانوا سبعين = قال أبو جعفر : أحسبه أنا قال : ألفاً .[٢]

١٤٩٣٦ — قال حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن ابن المنذر قال : كان السحرة ثمانين ألفاً .

١٤٩٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن خيثمة ، عن أبي سودة ، عن كعب قال : كان سحرة فرعون اثني عشر ألفاً .

* * *

١٤/٩ القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة ، إذ قالوا له : إن لنا عندك ثواباً إن نحن غلبنا موسى ؟ قال : نعم ، لكم ذلك ، وإنكم لممن أقرِّبه وأُدْنيه مني = « قالوا يا موسى » ، يقول : قالت السحرة لموسى : يا موسى ، اختر أن تلقي عصاك ، أو نلقي نحن عصينا .

ولذلك أدخلت « أن » مع « إما » ، في الكلام ، لأنها في موضع أمر بالاختيار . ف « أن » إذاً في موضع نصب لما وصفت من المعنى ، لأن معنى الكلام : اختر أن تلقي أنت ، أو نلقي نحن ، والكلام مع « إما » إذا كان على وجه الأمر ، فلا بد

(١) الأثر : ١٤٩٣٤ — هذا جزء من خبر طويل رواه أبو جعفر ؛ بإسناده هذا في تاريخه ١ : ٢١٠ .

(٢) يعني « سبعين ألفاً » .

من أن يكون فيه « أن » ، كقولك للرجل : « إما أن تمضى ، وإما أن تقعد » ، بمعنى الأمر : امض أو اقعد . فإذا كان على وجه الخبر ، لم يكن فيه « أن » كقوله: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾. [سورة التوبة : ١٠٦] .وهذا هو الذى يسمى « التخيير »[1]= وكذلك كل ما كان على وجه الخبر ، و « إما » فى جميع ذلك مكسورة .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة : ألقوا ما أنتم ملقون ! فألقت السحرة ما معهم، فلما ألقوا ذلك =« سحروا أعين الناس »،خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخُدَع أنها تسعى[3]= « واسترهبوهم » ، يقول : واسترهبوا الناس بما سحروا فى أعينهم، حتى خافوا من العصىّ والحبال ، ظنًّا منهم أنها حيات = « وجاؤوا » ، كما قال الله ، = « بسحر عظيم » ، بتخييل عظيم كبير من التخييل والخداع .[3] وذلك كالذى : —

١٤٩٣٨ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط عن السدى قال : قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ! فألقوا حبالهم وعصيهم !

---

(١) قوله : « وهذا الذى يسمى التخيير » ، هو الحكم الأول فى دخول « أن » مع « إما » ، أما الذى يجىء على وجه الخبر نحو : « إما يعذبهم ، وإما يتوب عليهم » ، فهم يسمونه « الإبهام » . وكان حق أبى جعفر أن يقدم قوله : « وهذا الذى يسمى التخيير » قبل قوله : « فإذا كان على وجه الخبر » ، لرفع الشبهة عن كلامه .

(٢) انظر معانى القرآن ١ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وهو فصل جيد جداً .

(٣) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا = «فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم»، يقول : فرّقوهم،[(١)] فأوجس في نفسه خيفةً موسى .

١٤٩٣٩ — حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ألقوا حبالاً غلاظاً طوالاً وخشباً طوالاً . قال : فأقبلت يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى .

١٤٩٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه . وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ في مجالسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة : ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾، [سورة طه : ٦٥، ٦٦] .[(٢)] فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال،[(٣)] قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضاً = ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾، [سورة طه : ٦٧]، وقال : والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات ! وما تعدو عصايَ هذه ![(٤)] أو كما حدّث نفسه .[(٥)]

١٤٩٤١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي قال، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعينَ ألف حبل، وسبعين ألف عصاً، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

---

(١) «فرقوهم» (بتشديد الراء)، أدخلوا عليهم الفرق (بفتح الفاء والراء)، وهو الفزع .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة، وقف ولم يتم الآية، فكان فيهما : «فإذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا . . .»، والصواب ما جاء في التاريخ، كما أثبته .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : «كأمثال الحبال» بالحاء، والصواب من التاريخ .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : «وما تعدو هذه» بإسقاط «عصاى»، أثبتها من التاريخ .

(٥) الأثر : ١٤٩٤٠ — وهو جزء من أثر طويل رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٢١٠، ٢١١، وهو تابع للأثر السالف رقم : ١٤٩٣٤، وبينهما فصل من كلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها فإذا هى تلقم وتبتلع ما يسحرون كذباً وباطلاً .

* * *

يقال منه : « لقفت الشىء فأنا ألقفه لَقْفاً ، ولَقَفَاناً » .(١)

* * *

= وذلك كالذى : —

١٤٩٤٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وأوحينا إلى موسى أن ألق أعصاك » ، فألقى موسى عصاه ، فتحولت حية ، فأكلت سحرهم كله .

١٤٩٤٣ — حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال . حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فألقى عصاه فإذا هى حية تلقف ما يأفكون = لا تمر بشىء من حبالهم وخُشُبهم التى ألقوها إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمرٌ من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرُّوا سجَّداً وقالوا : آمنا بربِّ العالمين * رب موسى وهرون .(٢)

١٤٩٤٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أوحى الله إلى موسى : لا تخف ، وألق ما فى يمينك تلقف ما يأفكون . فألقى عصاه ، فأكلت كل حية لهم . فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا : آمنا بربالعالمين ، رب موسى وهرون .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٠ .

(٢) هذا تضمين آية « سورة طه » : ٧٠ .

١٤٩٤٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أوحى الله إليه : أنْ ألق ما فى يمينك ! فألقى عصاه من يده ، فاستعرَضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حيات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها ، حية حية ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوه . ثم أخذها موسى ، فإذا هى عصاه فى يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً قالوا : « آمنا برب العالمين رب موسى وهرون . لو كان هذا سحراً ما غلبنا » ! [١]

١٤٩٤٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى قال ، حدثنا القاسم بن أبى بزة قال : أوحى الله إليه : أن ألق عصاك ! فألقى عصاه ، فإذا هى ثعبان فاغرٌ فاه ، فابتلع حبالهم وعصيهم . فألقى السحرة عند ذلك سجّداً ، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ أهلهما . [٢]

* * *

١٤٩٤٧ — [٣] حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يأفكون » ، قال : يكذبون.

١٤٩٤٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فإذا هى تلقف ما يأفكون » ، قال : يكذبون .

١٤٩٤٩ — حدثنا إبراهيم بن المستمر قال ، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا قرة بن خالد السدوسى ، عن الحسن : « تلقف ما يأفكون » ، قال : حبالهم وعصيهم ، تسترطها استراطاً . [٤]

* * *

(١) الأثر : ١٤٩٤٥ — هو جزء من خبر أبى جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٠ ، ٢١١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٤٩٤٠ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وثواب أهلها » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) أخشى أن يكون سقط قبل هذه الآثار تفسير « الإفك » بمعنى الكذب ، ولذلك فصلتها عن الآثار التى قبلها .

(٤) الأثر : ١٤٩٤٩ — « إبراهيم بن المستمر الهذلى الناجى العروق » ، ثقة . روى عن أبيه « المستمر » ، وعن حيان بن هلال ، وأبى داود الطيالسى ، وأبى عاصم النبيل ، وغيرهم . روى عنه الأربعة ،

القول فى تأويل قوله ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره فى أمر موسى ، وأنه لله رسول يدعو إلى الحق = « وبطل ما كانوا يعملون » ، من إفك السحر وكذبه ومخايله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فوقع الحق » ، قال : ظهر .

١٤٩٥١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسمعيل ابن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد فى قوله : « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » ، قال : ظهر الحق ، وذهب الإفك الذى كانوا يعملون .

١٤٩٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « فوقع الحق » ، قال : ظهر الحق .

١٤٩٥٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فوقع الحق » ، ظهر موسى .

* * *

وابن خزيمة . وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١ / ١ / ١٤٠ .

و « عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى » مضى برقم : ٥٤٥٨ ، ٨٣٣٢ .

و « سرط الطعام » ، و « استرطه » ، إذا ازدرده ، وابتلعه ابتلاعاً سهلا سريعاً لا غصة فيه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فغلب موسى فرعون وجموعه =«هنالك» ، عند ذلك=«وانقلبوا صاغرين» ، يقول : وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين.[١]

* * *

يقال منه : « صغِرَ الرجل يصْغَر صَغَرًا وصُغْرًا وصَغارًا » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وألقى السحرة عند ما عاينوا من عظيم قدرة الله ، ساقطين على وجوههم سجَّداً لربهم ،[٣] يقولون : « آمنا برب العالمين » ، يقولون : صدقنا بما جاءنا به موسى ، وأنّ الذى علينا عبادته ، هو الذى يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء ، وغير ذلك ،[٤] ويدبر ذلك كله = « رب موسى وهرون » ، لا فرعون ، كالذى :—

١٦/٩

١٤٩٥٤ — حدثنى عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما رأت السحرة ما رأت ، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر ، فخروا سجداً ،[٥] وقالوا : « آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون » .

* * *

(١) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ / ٧ : ٤١٤ / ١٠ : ١٧٠ .
(٢) انظر تفسير « صغر » فيما سلف ١٢ : ٩٦ ، ٣٣٠ .
(٣) انظر تفسير « سجد » فيما سلف من فهارس اللغة (سجد) .
(٤) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .
(٥) فى المطبوعة : « خروا » بغير فاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله = يعنى صدّقوا رسوله موسى عليه السلام، لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه : « آمنتم به »، يقول : أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته = « قبل أن آذن لكم »، بالإيمان به = « إن هذا »، يقول : تصديقكم إياه ، وإقراركم بنبوّته = « لمكر مكرتموه فى المدينة »، يقول : لخدعة خدعتم بها من فى مدينتنا ،[1] لتخرجوهم منها = « فسوف تعلمون » ، ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابى إياكم على صنيعكم هذا .

* * *

وكان مكرهم ذلك، فيما :—

١٤٩٥٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى حديث ذكره ، عن أبى مالك = وعلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : التقى موسى وأميرُ السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى ، وتشهد أنّ ماجئت به حق ؟ قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتنى لأومنن بك ، ولأشهدن أنك حق ! وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : « إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة » ، إذ التقيتما لتتظاهرا فتخرجا منها أهلها .[2]

* * *

(١) انظر « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ : ٥٩٧ .

(٢) الأثر : ١٤٩٥٥ — هذا جزء من خبر طويل ، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى : « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف »، وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين فى القَطْع ، فمخالفته فى ذلك بينهما هو « القطع من خلاف ».[1]

* * *

ويقال : إن أوّل من سن هذا القطع فرعون = « ثم لأصلبنكم أجمعين »، وإنما قال هذا فرعون ، لما رأى من خذلان الله إياه ، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له .

١٤٩٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى ، وحبويه الرازى ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين »، قال: أوّل من صلّب ، وأول من قطع الأيدى والأرجل من خلاف ، فرعون .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « القطع من خلاف » فيما سلف ١٠ : ٢٦٨ .

(٢) الأثر : ١٤٩٥٦ — « حبوية الرازى » ، هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، « أبو يزيد » ، مضى برقم : ١٤٣٦٥ ، ١٤٥٥٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٢٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال السحرة مجيبة لفرعون ، إذ توعَّدهم بقطع الأيدى والأرجل من خلاف ، والصلب : « إنا إلى ربّنا منقلبون » ، يعنى بالانقلاب إلى الله ، الرجوع إليه والمصير [١] = وقوله : « وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا » ، يقول ما تنكر منا ، يا فرعون ، وما تجد علينا ، إلا من أجل أن آمنا ، أى صدقنا [٢] = « بآيات ربنا » ، يقول : بحجج ربّنا وأعلامه وأدلته التى لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد ، سوى الله الذى له ملك السموات والأرض. [٣] ثم فزعوا إلى الله بمسألته الصبرَ على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا : « ربنا أفرغ علينا صبراً » ، يعنون بقولهم : « أفرغ » ، أنزل علينا حَبْساً يحبسنا عن الكفر بك ، [٤] عند تعذيب فرعون إيانا = « وتوفنا مسلمين » ، يقول : واقبضنا إليك على الإسلام دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، لا على الشرك بك . [٥]

١٤٩٥٧ — فحدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف » ، فقتلهم ١٧/٩

---

(١) انظر تفسير « الانقلاب » فيما سلف ص : ٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « نقم » فيما سلف ١٠ : ٤٣٣ .
(٣) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
(٤) انظر تفسير « أفرغ علينا صبراً » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .
وتفسير = « الصبر » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « توفاه » فيما سلف ١٢ : ٤١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وصلبهم ، كما قال عبد الله بن عباس ، حين قالوا : « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين » . قال : كانوا فى أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

١٤٩٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن عبدالعزيز ابن رفيع ، عن عبيد بن عمير قال : كانت السحرة أول النهار سحرة ، وآخر النهار شهداء .

١٤٩٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وألقى السحرة ساجدين » ، قال : ذكر لنا أنهم كانوا فى أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

١٤٩٦٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » ، قال : كانوا أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون[١] : أتدع موسى وقومه من بنى إسرائيل[٢] = «ليفسدوا فى الأرض» ، يقول : كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر[٣] = «ويذرك وآلهتك» ،

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ١٢ : ١٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ص : ١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

يقول : « ويذرك » ، ويدع خِدْمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك .

* * *

وفى قوله : « ويذرك وآلهتك » ، وجهان من التأويل .

أحدهما : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وقد تركاك وترك عبادتك وعبادة آلهتك = وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل ، كان النصبُ فى قوله : « ويذرك » ، على الصرف ، [1] لا على العطف به على قوله : « ليفسدوا » .

والثانى : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وليذرك وآلهتك = كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين . وإذا وجِّه الكلام إلى هذا الوجه ، كان نصب « ويذرك » على العطف على « ليفسدوا » .

* * *

قال أبو جعفر : والوجه الأول أولى الوجهين بالصواب ، وهو أن يكون نصب « ويذرك » على الصرف ، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء .

* * *

وبعدُ ، فإن فى قراءة أبىّ بن كعب الذى :ـ

١٤٩٦١ ــ حدثنا به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : فى حرف أبى بن كعب : ﴿ وَقَدْ تَرَكُوكَ أَنْ يَعْبُدُوكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ . [2]

* * *

= دلالةً واضحةً على أن نصب ذلك على الصرف .

* * *

وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ ، عطفاً بقوله : « ويذرك » على قوله : « أتذر موسى » .

---

(١) « الصرف » ، مضى تفسيره فى ٧ : ٢٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩١ .

(٢) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩١ .

=كأنه وجَّه تأويله إلى: أتذر موسى وقومه، ويذرك وآلهتك ، ليفسدوا فى الأرض .

وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وهو يذرك وآلهتك = فيكون « يذرك » مرفوعاً بابتداء الكلام والسلامة من الحوادث .(١)

* * *

وأما قوله : « وآلهتك » ، فإن قرأة الأمصار على فتح « الألف » منها ومدِّها ، بمعنى : وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها .

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال : كان له بقرة يعبدها .

* * *

وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها :﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ بكسر الألف بمعنى : ويذرك وعبودتك .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا نرى القراءة بغيرها ، هى القراءة التى عليها قرأة الأمصار ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

* * *

* ذكر من قال : كان فرعون يعبد آلهة = على قراءة من قرأ : « ويذرك وآلهتك » .

١٤٩٦٢ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويذرك وآلهتك » ، وآلهته ، فيما زعم ابن عباس ، كانت البقر ،

---

(١) فى المطبوعة ، حذف قوله : « والسلامة من الحوادث » ، كأنه لم يفهمها ، وإنما أراد سلامته من العوامل التى ترفعه أو تنصبه أو تجره . وفى المخطوطة : « إلى ابتداء الكلام » ، وفى المطبوعة : « على ابتدا الكلام » ، والأجود ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وفيه تفسير « الإلاهة » ، وخبرا ابن عباس ومجاهد بإسنادهما ، وسيأتى برقم : ١٤٩٦٦ – ١٤٩٧١ .

كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عِجْلاً ، بقرة .

١٤٩٦٣ — حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان ، عن عمرو ، عن الحسن قال : كان لفرعون جمانة معلقة فى نحره ، يعبدها ويسجد لها .

١٨/٩

١٤٩٦٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا أبان بن خالد قال ، سمعت الحسن يقول : بلغنى أن فرعون كان يعبدُ إلهاً فى السر ، وقرأ : « ويذرك وآلهتك » .

١٤٩٦٥ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو عاصم ، عن أبى بكر ، عن الحسن قال : كان لفرعون إله يعبده فى السر .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : ويذرك وعبادتك ، على قراءة من قرأ: ﴿وَإِلَاهَتَكَ﴾.

١٤٩٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن ابن عباس: ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾، قال: إنما كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد .(١)

١٤٩٦٧ — . . . قال ، حدثنا أبى، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس: أنه قرأ، ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾ ، قال : وعبادتك ، ويقول : إنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد .(٢)

١٤٩٦٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٤٩٦٦ — « محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب» تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٨٩٢ ، ٢٨٩٢ م .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « محمد بن عمرو ، عن الحسن » ، وهو خطأ . وقد مضى الخبر على الصواب بهذا الإسناد فيما سلف رقم : ١٤٣ ، وسيأتى على الصواب برقم : ١٩٤٧١ .

(٢) الأثر : ١٤٩٦٧ — « نافع بن عمر » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة « عن نافع ، عن ابن عمر » ، وهو خطأ ، والصواب كما مضى برقم : ١٤٢

معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَيذَرَكَ وَإلاَهَتَكَ﴾، قال: يترك عبادتك.

١٤٩٦٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَإلاَهَتَكَ﴾، يقول: وعبادتك.

١٤٩٧٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَيذَرَكَ وَإلاَهَتَكَ﴾، قال: عبادتك.

١٤٩٧١ — حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال، حدثنا سفيان، عن عمرو ابن دينار، عن محمد بن عمرو بن حسن، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإلاَهَتَكَ﴾، وقال: إنما كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد.[1]

* * *

وقد زعم بعضهم أن من قرأ: ﴿وَإلاَهَتَكَ﴾، إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ: ﴿وآلِهَتَكَ﴾، غير أنه أنَّث وهو يريد إلهاً واحداً، كأنه يريد: ويذرك وإلاهك = ثم أنث «الإله» فقال: «وإلاهتك».

* * *

وذكر بعض البصريين أن أعرابيًّا سئل عن «الإلاهة»، فقال: «هى عَلَمة»، يريد: علماً، فأنث «العلم»، فكأنه شيء نصب للعبادة يعبد. وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي:[2]

تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ قَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلاَهَةَ أَنْ تَؤُوبَا[3]

---

(١) الأثر: ١٤٩٧١ — «محمد بن عمرو بن حسن بن علي بن أبي طالب»، انظر التعليق على رقم: ١٤٩٦٦.

(٢) في المخطوطة: «وقد قال عتيبة بن شهاب اليربوعي»، وهو خطأ لا شك فيه، وفي المطبوعة: «وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي»، وهو صواب من تغيير ناشر المطبوعة الأولى، وقد أثبت حق النسب، جامعاً بين ما في المخطوطة والمطبوعة.

ويقال هي «آمنة بنت عتيبة»، ويقال اسمها «مية»، وهي «أم البنين». ويقال: هو لنائحة عتيبة.

(٣) بلاغات النساء: ١٨٩، معجم ما استعجم: ١١٥٦، معجم البلدان «اللعباء»،

يعني بـ « الإلاهة » ، في هذا الموضع ، الشمس .

* * *

وكأنَّ هذا المتأوِّل هذا التأويل ، وجّه « الإلاهة » ، إذ أدخلت فيها هاء التأنيث ، وهو يريد واحد « الآلهة » ، إلى نحو إدخالهم « الهاء » في « وِلْدَتي » و « كوكبتي » و « مَاءتي » ،[1] وهو « أهلة ذاك » ، وكما قال الراجز :[2]

يَا مُضَرُ الْحَمْرَاء أَنْتِ أُسْرَتِي وَأَنْتِ مَلْجَاتِي وَأَنْتِ ظَهْرَتِي[3]

يريد : ظهري .

* * *

وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرآ ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال ، مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا إليه من معنى ذلك .

* * *

وقوله : « قال سنقتل أبناءهم » ، يقول : قال فرعون : سنقتل أبناهم الذكور من أولاد بني إسرائيل = « ونستحيي نساءهم » ، يقول : ونستبقي إناثهم[4] = « وإنا

اللسان (لعب) (أله) ، وغيرها كثير . قالت ترثي أباها ، وقتل يوم خو ، قتلته بنو أسد ، وبعد البيت :

عَلَى مِثْلِ ابنِ مَيَّةَ ، فَانْعَيَاهُ يَشُــقُّ نَوَاعِمُ البَشَرِ الجُيُوبَا
وَكَانَ أَبِي عُتَيْبَةُ شَـمَّرِيًّا وَلاَ تَلْقَاهُ يَدَّخِرُ النَّصِيبَا
ضَرُوبًا بِاليَدَيْنِ إذَا اشْمَعَلَّتْ عَوَانُ الحَرْبِ ، لاَ وَرِعًا هَيُوبَا

و « اللعباء » بين الربذة ، وأرض بني سليم ، وهي لفزارة ، ويقال غير ذلك . و « قصرا » ، أي عشيا . وفي المطبوعة : « عصرا » ، وهي إحدى روايات البيت ، وأثبت ما في المخطوطة .

(١) في المطبوعة : « أماتي » وهو خطأ ، صوابه ما في المخطوطة .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) قوله : « ملجاتي » بتسهيل الهمزة ، وأصله « ملجأتي » ، وألحق التاء أيضاً في هذا بقولهم : « ملجأ » فالحرفان جميعاً شاهد على ما قاله أبو جعفر .

(٤) انظر تفسير « الاستحياء » فيما سلف ٢ : ٤١ - ٤٨ .

فوقهم قاهرون »، يقول : وإنا عالون عليهم بالقهر ، يعني بقهر الملك والسلطان.[(١)]

* * *

وقد بينا أن كل شيء عالٍ بقهر وغلبة على شيء ، فإن العرب تقول : « هو فوقه ».[(٢)]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: « قال موسى لقومه » ، من بني إسرائيل ، لما قال فرعون للملأ من قومه : « سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستحيي نساءهم » = « استعينوا بالله »، على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم = « واصبروا »، على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون . وكان قد تبع موسى من بني إسرائيل على ما : — ١٩/٩

١٤٩٧٢ — حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: لما آمنت السحرة ، اتبع موسى ستمئة ألف من بني إسرائيل .

* * *

وقوله : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده »، يقول : إن الأرض لله، لعل الله أن يورثكم = إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد = أرضَ فرعون وقومه، بأن يهلكهم

(١) انظر تفسير « القهر » فيما سلف ١١ : ٢٨٤ ، ٤٠٨

(٢) انظر تفسير « فوق » فيما سلف ١١ : ٢٨٤ ، وفهارس اللغة « فوق »

ويستخلفكم فيها ، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده = « والعاقبة للمتقين » ، يقول : والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه ، فخافه باجتناب معاصيه ، وأدَّى فرائضه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى ، حين قال لهم : « استعينوا بالله واصبروا » = « أوذينا » ، بقتل أبنائنا = « من قبل أن تأتينا » ، يقول : من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا ، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظلَّه زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا .[2]

* * *

وقوله : « ومن بعد ما جئتنا » ، يقول : ومن بعد ما جئتنا برسالة الله ، لأن فرعون لما غلبت سَحرَته ، وقال للملأ من قومه ما قال ، أراد تجديدَ العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم .

* * *

وقيل : إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك ، حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون ، وقد تراءى الجمعان ، فقالوا له : « يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا » ، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا = « ومن بعد ما جئتنا » ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا .

* * *

---

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف : ص ١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤١ — ٤٨ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « من قبل أن تأتينا » ، من قبل إرسال الله إياك وبعده .

١٤٩٧٣ م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٧٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رَدِفهم ،[١] قالوا : « إنا لمدركون » ، وقالوا : « أوذينا من قبل أن تأتينا » ، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا = « ومن بعد ما جئتنا » ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا = إنا لمدركون .[٢]

١٤٩٧٥ — حدثنى عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سار موسى ببنى إسرائيل حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا فإذا هم برَهَج دوابِّ فرعون ، فقالوا : « يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا » ، هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون بمن معه ! قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » .

* * *

وقوله : « قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم » ، يقول جل ثناؤه : قال موسى

---

(١) « ردفهم » : تبعهم .

(٢) الأثر : ١٤٩٧٤ — هو جزء من خبر طويل فرقه أبو جعفر فى مواضع من تفسيره ، ورواه فى تاريخه ١ : ٢١٤ .

لقومه : لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه[1] = « ويستخلفكم » ، يقول : يجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم ، لا تخافونهم ولا أحداً من الناس غيرهم[2] = « فينظر كيف تعملون » ، يقول : فيرى ربكم ما تعملون بعدهم ، من مسارعتكم فى طاعته ، وتثاقلكم عنها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ماهم عليه من الضلالة= « بالسنين » ، يقول : بالجُدوب سنة بعد سنة ، والقحوط .

* * *

يقال منه : « أسْنَتَ القوم » ، إذا أجدبوا .

* * *

« ونقص من الثمرات » ، يقول : واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل = « لعلهم يذكرون » ، يقول : عظة لهم ، وتذكيراً لهم ، لينزجروا عن ضلالتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة .[3]

٢٠/٩

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ،

---

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ١٠ : ٤٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . ثم انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٥ .

= وتفسير « الإهلاك » فيما سلف من فهارس اللغة (هلك)

(٢) انظر تفسير « الاستخلاف » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ .

(٣) انظر تفسير « التذكرة » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر)

عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ، قال : سني الجوع .

١٤٩٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « بالسنين » ، الجائحة = « ونقص من الثمرات » ، دون ذلك .

١٤٩٧٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٧٩ — حدثني القاسم بن دينار قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحق ، عن رجاء بن حيوة فى قوله : « ونقص من الثمرات » ، قال : حيث لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة واحدة .[1]

١٤٩٨٠ — حدثني ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل، عن أبي إسحق، عن رجاء بن حيوة، عن كعب قال : يأتي على الناس زمانٌ لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة.

١٤٩٨١ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن رجاء بن حيوة : « ونقص من الثمرات » ، قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة .

١٤٩٨٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين» ، أخذهم الله بالسنين ، بالجوع ، عاماً فعاماً = « ونقص من الثمرات » ، فأما « السنين » ، فكان ذلك فى باديتهم وأهل مواشيهم = وأما « بنقص من الثمرات » ، فكان ذلك فى أمصارهم وقراهم .

* * *

(١) الأثر : ١٤٩٧٩ — «القاسم بن دينار»، منسوب إلى جده، وهو «القاسم بن زكريا بن دينار القرشي» ، أبو محمد الطحان . روى عن وكيع ، وعبيد الله بن موسى ، وعلي بن فادم ، وأبي داود الحفري . روى عنه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأبو حاتم ، وغيرهم . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ١١٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ، ورأوا ما يحبون فى دنياهم[1]= « قالوا لنا هذه » ، نحن أولى بها = « وإن تصبهم سيئة » ، يعنى جدوب وقحوط وبلاء[2] = « يطيروا بموسى ومن معه » ، يقول : يتشاءموا بهم ، ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية ، مذ جاءنا موسى عليه السلام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٨٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فإذا جاءتهم الحسنة » ، العافية والرخاء = « قالوا لنا هذه » ، نحن أحق بها = « وإن تصبهم سيئة » ، بلاء وعقوبة = « يطيروا » ، يتشاءموا بموسى .

١٤٩٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٩٨٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » ، قالوا : ما أصابنا هذا إلاّ بك ياموسى وبمن معك ، ما رأينا شرًّا ولا أصابنا حتى رأيناك ! وقوله : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه » ، قال : الحسنة

---

(١) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٢) انظر تفسير « السيئة » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

ما يحبُّون . وإذا كان ما يكرهون قالوا : ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا ! قال[قوم صالح : ﴿ أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ فقال الله :﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٤٧].[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَآئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم = وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر = « إلا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، أن ذلك كذلك ، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيَّرون بموسى ومن معه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٨٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ألا إنما طائرهم عند الله » ، يقول : مصائبهم عند الله . قال الله : « ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

٢١/٩ ١٤٩٨٧ ــ حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ألا إنما طائرهم عند الله » ، قال : الأمر من قبل الله .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « إنما طائركم » ، بزيادة « إنما » ، وهو خطأ ، تلك آية أخرى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : يا موسى ، مهما تأتنا به من علامة ودلالة = « لتسحرنا » ، يقول : لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون = « فما نحن لك بمؤمنين » ، يقول : فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « السحر » ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وكان ابن زيد يقول فى معنى « مهما تأتنا به من آية » ، ما : —

١٤٩٨٨ — حدثنى يونس قال ، [أخبرنا ابن وهب قال] ، قال ابن زيد فى قوله : « مهما تأتنا به من آية » ، قال : إن ما تأتنا به من آية = وهذه فيها زيادة « ما » .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الطوفان » .

فقال بعضهم : هو الماء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ص : ٢٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٤٩٨٨ — الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٤٩٨٥ ، وإنما هذا سهو من الناسخ .

١٤٩٨٩ — حدثني ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما جاء موسى بالآيات ، كان أوّل الآيات الطوفان ، فأرسل الله عليهم السماء .[١]

١٤٩٩٠ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل ، عن أبي مالك قال : « الطوفان » ، الماء .

١٤٩٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « الطوفان » ، الماء .

١٤٩٩٢ — . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « الطوفان » ، الغرق .

١٤٩٩٣ — حدثني محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الطوفان » ، الماء ،و« الطاعون » ، على كل حال .[٢]

١٤٩٩٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الطوفان » ، الموت على كل حال .

١٤٩٩٥ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « الطوفان » ، الماء .

* * *

وقال آخرون : بل هو الموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٩٦ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا يحيى بن يمان قال ،

---

(١) الأثر : ١٤٩٨٩ — « حبويه » ، « أبو يزيد » هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، مضى برقم : ١٤٣٦٥ ، ١٤٥٥٠ ، ١٤٩٥٦ ، وكان فى المطبوعة : « حبويه الرازى » ، وهو صواب ، إلا أنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغيرها ، وكان فيها : « حبوبه أبو مزيد » ، والصواب ما أثبت .

(٢) لعل صواب العبارة « والطاعون ، الموت على كل حال » .

حدثنا المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطوفان الموتُ.(١)

١٤٩٩٧ — حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: سألت عطاء: ما الطوفان؟ قال: الموت.(٢)

١٤٩٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عطاء، عمن حدثه، عن مجاهد قال: «الطوفان»، الموت.

١٤٩٩٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن عبد الله بن كثير: «فأرسلنا عليهم الطوفان»، قال الموت = قال ابن جريج وسألت عطاء عن «الطوفان»، قال: الموت = قال ابن جريج: وقال مجاهد: الموتُ على كل حال.

١٥٠٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن رجل، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الطوفان الموت.(٣)

---

(١) الأثر: ١٤٩٩٦ — «المنهال بن خليفة العجلي»، «أبو قدامة»، متكلم فيه. ضعفه ابن معين، والنسائي، والحاكم. وقال البخاري: «صالح، فيه نظر»، وقال في موضع آخر: «حديثه منكر»، وقال ابن حبان: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير». مترجم في التهذيب، والكبير ٤ / ٢ / ١٢، وابن أبي حاتم ٤ / ١ / ٣٥٧، وميزان الاعتدال ٣: ٢٠٤.

و«الحجاج» هو «الحجاج بن أرطاة»، مضى مراراً.

و«الحكم بن ميناء الأنصاري»، تابعي ثقة. مترجم في التهذيب، والكبير ١ / ٢ / ٣٤٠، وابن أبي حاتم ١ / ٢ / ١٢٧.

وهذا الخبر، رواه ابن كثير في تفسيره ٣: ٥٣٦، عن هذا الموضع ثم قال: «وكذا رواه ابن مردويه، من حديث يحيى بن يمان به، وهو حديث غريب». قلت: بل هو ضعيف لضعف «المنهال بن خليفة» وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ١٠٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وانظر الأثر التالي رقم: ١٥٠٠٠

(٢) الأثر: ١٤٩٩٧ — «عباس بن محمد»، هو «عباس بن محمد بن حاتم الدوري» شيخ الطبري، مضى برقم: ٧٧٠١.

(٣) الأثر: ١٥٠٠٠ — هذا إسناد آخر للخبر رقم: ١٤٩٩٦، إلا أنه أبهم الراوي عن عائشة، وبينه هناك، وهو «الحكم بن ميناء». وقد مضى تخريج هذا الخبر، وبيان ضعفه.

وقال آخرون : بل ذلك كان أمرًا من الله طاف بهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال : أمرُ الله ، الطوفان ، ثم قرأ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [سورة القلم : ١٩].

* * *

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، [١] يزعم أن « الطوفان » من السيل : البُعَاق والدُّباش، وهو الشديد. [٢]= ومن الموت ، المبَالغ الذَّريع السريع . [٣]

* * *

وقال بعضهم : هو كثرة المطر والريح .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفيين يقول : « الطوفان » مصدر مثل « الرجحان » و « النقصان » ، لا يجمع .

* * *

وكان بعض نحويي البصرة يقول : هو جمع ، واحدها في القياس «الطوفانة». [٤]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس ، على ما رواه عنه أبو ظبيان [٥] : أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول ٢٢/٩

---

(١) هو أبو عبيدة ، في مجاز القرآن ١ : ٢٢٦ .

(٢) « البعاق » (بضم الباء) : هو المطر الكثير الغزير الذي يتبعق بالماء تبعقاً ، أي يسيل به سيلا كثيفاً . و « سيل دباش » (بضم الدال) عظيم ، يجرف كل شيء جرفاً .

(٣) في المخطوطة : « المتابع » ، وفي مجاز القرآن : « المبالغ » ، والذي في المطبوعة « المتتابع » فآثرت نص أبي عبيدة .

(٤) هو الأخفش ، قال ابن سيدة : « الأخفش ثقة ، وإذا حكى الثقة شيئاً لزم قبوله » .

(٥) يعني الخبر رقم : ١٥٠٠١ .

القائل : « طاف بهم أمر الله يطوف طُوفَاناً » ، كما يقال : « نقص هذا الشيء ينقُص نُقْصَاناً » .

وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد = وجاز أن يكون الموتَ الذريعَ. ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى «طوفاناً» ، قول حُسَيل بن عُرْفطة[1] :

غَيَّرَ الجِدَّةُ مِنْ آيَاتِهَا خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرْ[2]

ويروى :

«خُرُقُ الرِّيحِ بِطُوفَانِ المَطَرْ»

وقول الراعى :

تُضْحِي إِذَا العِيسُ أَدْرَكْنَا نَكَائِثَهَا خَرْقَاءَ يَعْتَادُهَا الطُّوفَانُ والزُّؤُدُ[3]

وقول أبى النجم :

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن عرفطة » ، وهو خطأ ، وقال أبو حاتم « حسين بن عرفطة » ، هو خطأ . انظر نوادر أبى زيد ٧٥ ، ٧٧ ، وهو « حسيل بن عرفطة الأسدى » شاعر جاهلى .

(٢) نوادر أبى زيد : ٧٧ ، الوساطة : ٣٢٩ ، اللسان (طوف) ، وقبله

لَمْ يَكُ ٱلحَقُّ عَلَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرْ

قال أبو حاتم « بالسرر » بفتح السين والراء . و « الخرق » : القطع من الريح ، واحدتها « خرقة » . و « طوفان المطر » ، كثرته . وروى الأصمعى « خرق » (يعنى بضم الخاء والراء) . هذا نص ما فى نوادر أبى زيد .

و « خرق » (بضمتين) جمع « خريق » ، وهى الريح الشديدة الهبوب التى تخترق المواضع .

(٣) اللسان (نكث) (زأد) ، ولعلها من شعره الذى مدح به عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان (انظر خزانة الأدب ٣ : ٢٨٨)

و « النكائث » جمع « نكيثة » ، وهى جهد قوة النفس . يقال : « فلان شديد النكيثة » ، أى النفس . ويقال : « بلغت نكيثته » (بالبناء للمجهول) أى : جهد نفسه . و « بلغ فلان نكيثة بعيره » ، أى : أقصى مجهوده فى السير .

قَدْ مَدَّ طُوفَانٌ فَبَثَّ مَدَدَا شَهْرًا شَآبِيبَ وَشَهْرًا بَرَدَا[1]

* * *

وأما « القُمَّل » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه .

فقال بعضهم : هو السوس الذى يخرج من الحنطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « القمّل » ، هو السوس الذى يخرج من الحنطة .

١٥٠٠٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل : هو الدَّبَى ، وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال « القمّل » ، الدبى .

١٥٠٠٥ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : الدبى ، القمّل .

١٥٠٠٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « القمل » ، هو الدَّبَى .

و « الزؤد » (بضم الهمزة وسكونها) : الفزع والخوف . و « خرقاء » من صفة الناقة . وهى التى لا تتعهد مواضع قوائمها من نشاطها . يصفها بالحدة كأنها مجنونة ، إذا كلت العيس ، بقيت قوتها وفضل نشاطها .

(١) لم أجده فى مكان آخر . و « الشآبيب » . جمع « شؤبوب » ، وهى الدفعة من المطر . ويقال : « لا يقال للمطر شآبيب ، إلا وفيه برد » .

١٥٠٠٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : « القمّل » ، الدبىَ .

١٥٠٠٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة قال : « القمَّل » ، هي الدَّبىَ ، وهي أولاد الجراد .

١٥٠٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « القمل » ، الدبى .

١٥٠١٠ — . . . . قال حدثنا يحيى بن آدم، عن قيس، عمن ذكره، عن عكرمة قال : « القمل » ، بناتُ الجراد .

١٥٠١١ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « القمل » ، الدبىّ .

* * *

وقال آخرون : بل « القمل » ، البراغيثُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠١٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل » ، قال : زعم بعض الناس في القمل أنَّها البراغيث .

* * *

وقال بعضهم : هي دوابُّ سُودٌ صغار .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠١٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر قال ، سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا : « القمّل » ، دوابّ سود صغار .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم[١]: أن « القُمَّل » عند العرب الحَمْنان = و « الحمنان » ضرب من القِرْدان، واحدتها « حَمْنانة »، فوق القَمقامة.[٢]

و « القُمَّل » جمع، واحدتها، « قملة »، وهى دابة تشبه القَمْل تأكلها الإبل فيما بلغنى، وهى التى عناها الأعشى فى قوله :[٣]

قَوْمٌ تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤُهُمْ وَسَلَاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا[٤]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٢٦ .

(٢) « القمقامة » ، صغار القردان (جمع قراد) وهو أول ما يكون صغيراً ، لايكاد يرى من صغره ، وهو أيضاً ضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر

(٣) فى المطبوعة : « الأعمش » ، وهو خطأ فى الطباعة .

(٤) ديوانه : ١٥٤ ، واللسان (قمل) . من قصيدته التى قالها لكسرى حين أراد من بنى ضبيعة (رهط الأعشى) رهائن، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد ، فأخذ كسرى قيس بن مسعود ، ومن وجد من بكر ، فجعل يحبسهم ، فقال له الأعشى :

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى ، إِذَا مَا جَاءَهُ عَنِّى مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا

آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا رُهُنًا ، فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

حَتَّى يُفِيدَكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ، وَيَرْهَنَكَ السِّمَاكُ الفَرْقَدَا

يقول : من يبلغ عنى كسرى تغضبه،رسائل تأتيه من كل مكان : أننا آلينا أن لا نعطيه من أبنائنا رهائن ، يتولى إفسادهم كما أفسد رجالا من قبل ، ولن ينال منا ذلك حتى تعطيه نجوم السماء رهائن من صواحباتها . ثم قال له :

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادٌ دَارَهَا تَكْرِيتَ ، تَمْنَعُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

قَوْمًا يُعَالِجُ . . . .

جَعَلَ الإِلٰهُ طَعَامَنَا فى مَالِنَا رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

يقول : لسنا كإياد التى آتتك الرهائن فانها نزلت تكريت تنظر ما يحصد من الزرع من سنة إلى سنة ، فهم حراثون ، قد قملوا ، فقام أبناؤهم يعالجون القمل ، ويجرون السلاسل ليشدوها على الأجران ، ويجهدون فى تغليق أبوابها . أما نحن ، فالله قد جعل إبلنا رزقنا ، ضمنت لنا من ألبانها طعاماً لا ينفد ، ونزعنا عن أعناقنا ربقة عبودية القرى والأمصار ، إلى حرية البادية ، نغدو فيها ونروح ، ليس لك علينا سلطان . وهذا من شعر أحرار العرب .

وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئاً، فإن يكن جمعاً، فواحده « قامل »، مثل « ساجد » و« راكع »، [1] وإن يكن اسماً على معنى جمع ، [2] فواحدته « قملة » .

* * *

• ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحلوث هذه الآيات ، والسبب الذى من أجله أحدثها الله فيهم . ٩/٢٣

١٥٠١٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى فرعون قال له : أرسل معى بنى إسرائيل ! فأبى عليه ، فأرسل الله عليهم الطوفان = وهو المطر = فصبّ عليهم منه شيئاً ، فخافوا أن يكون عذاباً ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربّك أن يكشف عنا المطر ، فنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل! [3] فدعا ربه، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فأنبت لهم فى تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ . فقالوا : هذا ما كنا نتمنّى ، فأرسل الله عليهم الجراد فسلّطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره فى الكلأ عرفوا أنه لا يُبقى الزرع . فقالوا : يا موسى ، ادْع لنا ربك فيكشف عنا الجرادَ فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ! فدعا ربه ، فكشف

و « الأجد » (بضمتين) : القوى الموثق . يقال : « ناقة أجد » ، قوية وثيقة التركيب . و « ناقة مؤجدة القرى » ، مثله . ويقال : « الحمد لله الذى آجدنى بعد ضعف » ، أى : قوانى . و « المؤصد » من « أوصد الباب » أغلقه وأطبقه ، فهو « موصد » و « مؤصد » بالهمز ، ومثله قوله تعالى ذكره : « إنها عليهم مؤصدة » بالهمز ، أى مطبقة .

(١) فى المطبوعة : « فإن لم يكن جمعاً » ، بزيادة « لم » ، وهى مفسدة للكلام ، والصواب من المخطوطة .

(٢) لم أجد هذا فى معانى القرآن للفراء ، فى هذا الموضع من تفسير الآية . انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٣ ، بل قال للفراء هناك : « القمل ، وهو الدبى الذى لا أجنحة له » ، ولم يزد .

(٣) فى المطبوعة : « ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل » ، غير ما فى المخطوطة ، ولم يكتب نص آية « سورة الأعراف » : ١٣٤ . وكان فى المخطوطة ما أثبته ، إلا أنه كتب : « لئن كشف عنا المطر فنؤمن لك » ، وصواب الجملة ما أثبت إن شاء الله .

عنهم الجرادَ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل! فدَاسُوا وأحرزُوا فى البيوت، [١] فقالوا: قد أحرزْنَا! فأرسل الله عليهم القُمَّل = وهو السُّوس الذى يخرج منه = فكان الرجل يخرج عشرة أجرِبةٍ إلى الرحى، فلا يردّ منها ثلاثة أقفِزة. فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا القمَّل، فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل! فدعا ربَّه فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل. فبينا هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضِفْدَع فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا! فقال: وما عسى أن يكون كيدُ هذا! فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذَقْنه فى الضفادع، ويهمُّ أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه. فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل! [فكشف عنهم فلم يؤمنوا]، [٢] فأرسل الله عليهم الدم، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار، أوما كان فى أوعيتهم، وجدُوه دماً عَبِيطاً. [٣] فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدَّم، وليس لنا شراب! فقال: إنه قد سحركم! فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيئاً من الماءِ إلا وجدناه دماً عبيطاً؟ فأتوه فقالوا: يا موسى، ادعُ لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل! فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل.

١٥٠١٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد، عن يعقوب القمى، عن جعفر، عن ابن عباس قال: لما خافوا الغرق، قال فرعون: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنّا هذا المطر، فنؤمن لك = ثم ذكر نحو حديث ابن حميد، عن يعقوب. [٤]

---

(١) «داس الناس الحب» درسوه. و «أحرز الشىء»: ضمه وحفظه، وصانه عن الأخذ.

(٢) ما بين القوسين، ليس فى المخطوطة، وفى المخطوطة عند هذا الموضع، حرف (ط) بين «إسرائيل» و «فأرسل» و (ط) أخرى فى الهامش، دلالة على الخطأ. والذى فى المطبوعة صواب إن شاء الله.

(٣) «الدم العبيط»، هو الطرى.

(٤) الأثر: ١٥٠١٥ — «حبويه»، «أبو يزيد»، هو «إسحاق بن إسماعيل البرازى»،

١٥٠١٦ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : ثم إن الله أرسل عليهم = يعنى على قوم فرعون = الطوفان، وهو المطر، فغرق كل شيء لهم، فقالوا : يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنّا ونحن نؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل! فكشفه الله عنهم، (١) ونبتت به زروعهم، فقالوا : ما يسرّنا أنا لم نمطر! فبعث الله عليهم الجراد، فأكل حروثهم، فسألوا موسى أن يدعو ربّه، فيكشفه، ويؤمنوا به . فدعا فكشفه، وقد بقى من زروعهم بقيّة، فقالوا : لم تؤمنون، وقد بقى من زروعنا بقية تكفينا ؟ فبعث الله عليهم الدَّبى = وهو القمل = فلحس الأرض كلها، (٢) وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضُّه، وكان لأحدهم الطعام فيمتلئ دَبًى، حتى إن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجصّ، نيزلّقُها حتى لا يرتقى فوقها شيء، (٣) يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دَبًى، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدبى = وهو «الرِّجْز» الذى ذكر الله فى القرآن أنه وقع عليهم = فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشف عنهم ويؤمنوا به، فلما كُشف عنهم، أبوا أن يؤمنوا . فأرسل الله عليهم الدَّم، فكان الإسرائيلى يأتى هو والقِبْطى يستقيان من ماء واحد، فيخرج ماءُ هذا القبطى دماً، ويخرج للإسرائيلى ماءً . فلما اشتدّ ذلك عليهم، سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به، فكشف ذلك، فأبوا أن يؤمنوا، وذلك حين يقولُ الله: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (٤) [سورة الزخرف : ٥٠]. ٢٤/٩

مضى برقم : ١٤٣٦٥، ١٤٥٥٠، ١٤٩٥٦، ١٤٩٨٩، وكان فى المطبوعة هنا «حبوبة الرازى»، والصواب من المخطوطة، ومن تحقيق ذلك فيما سلف من الأرقام التى ذكرتها .

(١) فى المطبوعة : «فكشف الله عنهم»، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٢) «لحس الجراد النبات»، إذا أكله ولم يبق منه شيئاً، ومنه قيل لسنوات القحط الشداد : «اللواحس»، لأنها تلحس كل شيء .

(٣) «زلق البناء أو المكان يزلقه تزليقاً»، إذا ملسه حتى لا يثبت عليه شيء .

(٤) الأثر : ١٥٠١٦ — هو جزء من خبر طويل رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١١، ٢١٢

١٥٠١٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر، عن قتادة : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال : أرسل الله عليهم الماءَ حتى قاموا فيه قياماً، ثم كشف عنهم فلم يؤمنوا ، [1] وأخصبت بلادهم خصباً لم تخصب مثله ، فأرسل الله عليه الجرادَ فأكله إلاّ قليلاً ، فلم يؤمنوا أيضاً . فأرسل الله القمّل = وهى الدَّبى ، وهى أولاد الجراد = فأكلت ما بقى من زروعهم ، فلم يؤمنوا . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فدخلت عليهم بيوتهم ، ووقعت فى آنيتهم وفُرُشهم ، فلم يؤمنوا. ثم أرسل الله عليهم الدمَ ، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوَّل ذلك الماء دماً ، قال الله : « آيات مفصلات» .

١٥٠١٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان » حتى بلغ « مجرمين » ، قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياماً ، فدعوا موسى ، فدعا ربّه فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يحضر بهم . ثم أنبتت أرضهم ، ثم أرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم وثمارهم . ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرٍّ ما يحضر بهم . فأرسل الله عليهم القمل ، هذا الدبى الذى رأيتم ، فأكل ما أبقى الجراد من حُروثهم ، فلحسه . فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشفه عنهم. ثم عادوا بشر ما يحضر بهم . ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم. فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشف عنهم . ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلا دماً أحمر ، حتى لقد ذُكر أنّ عدو الله فرعون ، كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطى والإسرائيلى ، فيكون مما يلى الإسرائيلى ماءً ، ومما يلى القبطى دماً . فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فى تسع آياتٍ :

---

(١) فى المخطوطة : «ثم كشف عنهم فلم ينتفعوا » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لقوله فى الأخرى : « فلم يؤمنوا أيضاً » .

السنين ونقص من الثمرات ، وأراهم يدَ موسى عليه السلام وعصاه .

١٥٠١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، وهو المطر ، حتى خافوا الهلاك ، فأتوا موسى فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنّا المطر ، [إنا نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربّه فكشف عنهم المطر].[1] فأنبت الله به حرثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحبُّ أنا لم نُمطر بترك ديننا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الجراد ، فأسرعَ فى فسادِ ثمارهم وزروعهم ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك [أن يكشف عنا الجراد ، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل!].[2] فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، وكان قد بقى من زرعهم ومعاشهم بقايا ، فقالوا ، قد بقى لنا ما هو كافينا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل = وهو الدَّبى = فتتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسُّوا بالهلاك ، قالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدَّبى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ! فدعا ربه فكشف عنهم الدَّبى ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ، ولا مرسلين معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأ بيوتهم منها ، ولقُوا منها أذًى شديداً لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، أنها كانت تثبُ فى قدورهم ، فتفسد عليهم طعامهم ، وتطفىء نيرانهم . قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاءً وأذًى ، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل ! فدعا ربه ، فكشف عنهم الضفادع ، فقالوا: لا نؤمن لك ، ولا نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الدَّم ، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم ، ولا يشربون إلا الدم ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنّا الدم ، فإنا سنؤمن لك ،

---

(١) فى المخطوطة ، أسقط ما بين القوسين ، وإثباته حق الكلام .

(٢) ما بين القوسين ، ليس فى المخطوطة .

٩/ ٢٥ ونرسل معاك بنى إسرائيل ! فدعا ربه ، فكشف عنهم الدم ، فقالوا : يا موسى ، لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فكانت آيات مفصَّلات بعضها على إثر بعض ، ليكون لله عليهم الحجة ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليمّ .

١٥٠٢٠ — حدثنى عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أرسل على قوم فرعون الآيات : الجراد ، والقمَّل ، والضفادع ، والدم ، آياتٌ مفصّلات . قال : فكان الرجل من بنى إسرائيل يركبُ مع الرجل من قوم فرعون فى السّفينة ، فيغترف الإسرائيلى ماءً ، ويغترف الفرعونى دماً . قال : وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب ، فيكثر عليه القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر . فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله إلى موسى :أنْ أَسْرِ بعبادِى إنكم متَّبعون .

١٥٠٢١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أتى موسى فرعون بالرسالة ، أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بنى إسرائيل ، فاستكبر ، قال : لن أرسل معك بنى إسرائيل ! [1] فأرسل الله عليهم الطوفان = وهو الماء = أمطر عليهم السماء ، حتى كادوا يهلكون ، وامتنع منهم كل شيء ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنّا هذا لنؤمننّ لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! فدعا الله فكشف عنهم المطر ، فأنبت الله لهم حُروثهم ، وأحيي بذلك المطر كلّ شيء من بلادهم ، فقالوا : والله ما نحبّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ، ولقد كان خيراً لنا ، فلن نرسل معك بنى إسرائيل ، ولن نؤمن لك يا موسى ! فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم ، وأسرع الجراد فى فسادِها ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فإنا مؤمنون لك ، ومرسلون معك بنى إسرائيل !

---

(١) فى المطبوعة : « لن نرسل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فكشف الله عنهم الجراد . وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقيَّة ، فقالوا : قد لنا بَقي من حروثنا ما كان كافيَنا ، فما نحن بتاركي ديننا ، ولن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم القمّل = و« القمّل » ، الدبى ، وهو الجراد الذى ليست له أجنحة = فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم ، فكان القمّل أشدَّ عليهم من الجراد ، فلم يستطيعوا للقمل حيلةً ، وجزعوا من ذلك . وأتوا موسى فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فإنه لم يبق لنا شيئاً ، قد أكل ما بقي من حروثنا ! ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! فكشف الله عنهم القمل ، فنكثوا ، وقالوا : لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فامتلأت منها البيوتُ ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع ، فلقوا منها شيئاً لم يلقوه فيما مضى ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربّك لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! قال : فكشف الله عنهم ، فلم يفعلوا ، فأنزل الله : « فلمَّا كشفنا عنهم الرجز إلى أجلهم بالغوه إذا هم ينكثون » ، إلى « وكانوا عنها غافلين » .

١٥٠٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا الحسن بن واقد ، عن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برِّية ، فلما أرسلها الله على آل فرعون ، سمعت وأطاعت ، فجعلت تغرق أنفسها فى القُدُور وهى تغلى ، وفى التنانير وهى تفور ، فأثابها الله بحسن طاعتها بَرْدَ الماء .

١٥٠٢٣ — حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فرجع عدوّ الله = يعنى فرعون ، حين آمنت السحرة = مغلوباً مغلولاً ، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادىَ فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم ، آيات مفصلات ، فأرسل الطوفان = وهو الماء = ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرون على أن

يحرُثوا ولا يعملوا شيئاً، حتى جُهِدوا جوعاً . فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى ، ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! ٢٦/٩ فدعا موسى ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفُوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر ، فيما بلغنى ، حتى إنْ كان ليأكل مساميرَ الأبواب من الحديد ، حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا . فأرسل الله عليهم القمّل، فذكر لى أنّ موسى أمر أن يمشى إلى كثيب حتى يضربه بعصاه . فمضى إلى كثيبٍ أهيل عظيم ،[١] فضربه بها، فانثالَ عليهم قمّلاً ،[٢] حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار . فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحدٌ ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلاّ وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه . فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دماً ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء ، إلا عاد دماً عبيطاً .[٣]

١٥٠٢٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن محمد بن كعب القرظى : أنه حُدِّث : أن المرأة من آل فرعون كانت تأتى المرأةَ من بنى إسرائيل حين جَهدهم العطش ، فتقول : اسقينى من مائك ! فتغرف لها من جرّتها أو تصبّ لها من قربتها، فيعود فى الإناء دماً، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه فى فيك ، ثم مُجّيه فى فىَّ فتأخذ فى فيها ماءً، فإذا مجته فى فيها صار دماً ، فمكثوا فى ذلك سبعةَ أيام .[٤]

(١) «كثيب أهيل» (على وزن أفعل) : منهال لا يثبت رمله حتى يسقط .
(٢) «انثال التراب انثيالا» : انصب انصباباً من كل وجه .
(٣) الأثر : ١٥٠٢٣ — هذا الخبر رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٥ .
(٤) الأثر : ١٥٠٢٤ — هذا الخبر رواه أبو جعفر فى تاريخه مطولا ١ : ٢١٥ ، ٢١٦ .

١٥٠٢٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الجراد يأكل زروعهم ونباتهم، والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم، والدم يكون فى بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم .

= قال ، حدثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : لما سال النِّيلُ دماً، فكان الإسرائيلي يستقى ماء طيِّباً ، ويستقى الفرعونى دماً . ويشتركان فى إناء واحد ، فيكون ما يلى الإسرائيلى ماءً طيِّباً ، وما يلى الفرعونى دماً .

١٥٠٢٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر قال، حدثني سعيد بن جبير : أن موسى لمَّا عالج فرعون بالآيات الأربع : العصا ، واليد ، ونقص من الثمرات ، والسنين = قال : يارب ، إن عبدك هذا قد علا فى الأرض وَعتَا فى الأرض، وبغى علىَّ وعلا عليك ، وعالى بقومه، ربِّ خذ عبدك بعُقوبة تجعلها له ولقومه نِقْمةً، وتجعلها لقومى عظةً، ولمن بعدى آيةً فى الأمم الباقية ! فبعث الله عليهم الطوفان = وهو الماء = وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض، فامتلأت بيوت القبط ماءً حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم، من جَلَس منهم غرق ،[1] ولم يدخل فى بيوت بنى إسرائيل قطرة . فجعلت القبط تنادى موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لتؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! قال : فواثقوا موسى ميثاقاً أخذَ عليهم به عهودهم . وكان الماء أخذهم يوم السبت، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر . فدعا موسى ربه ، فرفع عنهم الماء، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء، فأقاموا شهراً فى عافية، ثم جحدوا وقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا ، وخصباً لبلادنا ، ما نحب أنه لم يكن .

= قال : وقد قال قائل لابن عباس : إنى سألت ابن عمر عن الطوفان، فقال : ما أدرى، موتاً كان أو ماء! فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر «سورة العنكبوت»، حين

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «من حبس» ، والصواب ما أثبت .

ذكر الله قوم نوح فقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[سورة العنكبوت : ١٤] .
أرأيت لو ماتوا ، إلى مَنْ جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟
= قال فقال موسى : يارب إن عبادك قد نقضُوا عهدك ، وأخلفوا وعدى ،
٢٧/٩ رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومى عظة، ولمن بعدهم آية فى الأمم الباقية !
قال : فبعث الله عليهم الجراد ، فلم يدع لهم ورقةً ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلا أكله،[1] حتى لم يُبْقِ جَنًى،[2] حتى إذا أفنى الخضر كلها ، أكل الخشب ، حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت . وابتلى الجراد بالجوع ، فجعل لا يشبع ، غير أنه لا يدخل بيوتَ بنى إسرائيل ، فعجُّوا وصاحُوا إلى موسى ،[3] فقالوا : يا موسى ، هذه المرّة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ! فأعطوه عهدَ الله وميثاقه ، فدعا لهم ربّه ، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، ثم أقاموا شهراً فى عافية، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم ولأعمالهم أعمال السَّوْء . قال : فقال موسى : يا رب ، عبادُك ، قد نقضوا عهدى، وأخلفوا موعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلُها لهم نقمة، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فأرسل الله عليهم القمَّل = قال أبو بكر : سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان : كان إلى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى « عين شمس »،[4] فمشى موسى إلى ذلك الكثيب ، فضربه بعصاه ضربةً صارَ قمّلاً تدبّ إليهم = وهى دوابّ سود صغار. فدبّ إليهم القمّل، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفارَ عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودَهم كأنه الجدرىّ عليهم، فصرخوا وصاحوا إلى موسى : إنا نتوب ولا نعود ،

---

(١) فى المطبوعة : « إلا أكلها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .
(٢) « الجنى » الثمر كله .
(٣) « عج يعج عجا » : رفع صوته وصاح بالدعاء والاستغاثة .
(٤) « الكثيب الأعفر » : هو هنا الأحمر .

فادع لنا ربك ! فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت . فأقاموا شهراً فى عافية ، ثم عادوا وقالوا : ما كنّا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر مِنّا اليوم ، جعل الرَّمل دوابّ ! وعزّة فرعون لا نصدّقه أبداً ولا نتبعه ! فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم ، فدعا موسى عليهم فقال : يارب إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع ، فتكون عليه رُكاماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشق الآخر ، ويفتح فاه لأكْلته ، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجيناً إلا تسدَّحَت فيه ،[1] ولا يطبخ قِدْراً إلا امتلأت ضفادع ، فعذّبوا بها أشد العذاب ، فشكوا إلى موسى عليه السلام وقالوا : هذه المرة نتوب ولا نعود ! فأخذ عهدهم وميثاقهم . ثم دعا ربه فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت . فأقاموا شهراً فى عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم وقالوا : قد تبيَّن لكم سحره ، يجعل التراب دوابَّ ، ويجىء بالضفادع فى غير ماء ! فآذوا موسى عليه السلام ، فقال موسى : يا رب إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فابتلاهم الله بالدم ، فأفسد عليهم معايشهم ، فكان الإسرائيلى والقبطىّ يأتيان النيل فيستقيان ، فيخرج للإسرائيلىّ ماءً ، ويخرج للقبطى دمًا . ويقومان إلى الحُبِّ فيه الماءُ ،[2] فيخرج للإسرائيلى فى إنائه ماءً ، وللقبطى دمًا .

١٥٠٢٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد

(١) فى المطبوعة : « تشدخت » بالشين والخاء ، ولا معنى لها هنا ، وهى من المخطوطة غير منقوطة ، وكأن هذا صواب قراءتها . يقال : « سدح الشىء » إذا بسطه على الأرض أو أضجعه . و « انسدح الرجل » استلقى وفرج رجليه . وقوله « تسدح » (بتشديد الدال) ، قياس عربى صحيح .

(٢) « الحب » (بضم الحاء) : الجرة الضخمة يكون فيها الماء .

قال ، سمعت مجاهداً فى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان »، قال : الموت = « والجراد» قال : الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم = « والقمل » ، هو الدّبى ، سلطه الله عليهم بعد الجراد = قال : « والضفادع » ، تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم .[١]

* * *

وقال بعضهم : « الدم » ، الذى أرسله الله عليهم ، كان رُعافاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٢٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أحمد بن خالد قال ، حدثنا يحيى بن أبى بكير قال ، حدثنا زهير قال ، قال زيد بن أسلم : أما « القمل » فالقمل = وأما « الدم » ، فسلط الله عليهم الرُّعاف .[٢]

* * *

وأما قوله : « آيات مفصلات »، فإن معناه: علامات ودلالات على صحّة نبوّة موسى ،[٣] وحقيقة ما دعاهم إليه[٤] = «مفصلات»، قد فصل بينها، فجعل بعضها يتلو بعضاً ، وبعضها فى إثر بعض .[٥] ٢٨/٩

* * *

(١) الأثر : ١٥٠٢٧ — « أبو سعد المدنى » ، وكان فى المخطوطة ، والمطبوعة : « ابن سعد » ، وهو خطأ ، وهو إسناد مر مراراً ، أقربه رقم : ١٤٩١٦ .

(٢) الأثر : ١٥٠٢٨ — « أحمد بن خالد » ، كأنه « أحمد بن خالد بن موسى الوهبى » ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١ / ١ / ٤٩

و « يحيى بن أبى بكير الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٧٥٤٤ ، و « زهير » ، هو : « زهير بن محمد التميمى » ، مضى برقم : ٥٢٣٠ ، ٦٦٢٨ .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما من فهارس اللغة (أيى)

(٤) فى المطبوعة : « وحقية » مكان « وحقيقة » ، فعل بها كما فعل بكل أخواتها من قبل . انظر ما سلف ١٢ : ٢٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) وانظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١٢ : ٤٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : فكانت آيات مفصلات بعضها فى إثر بعض، ليكون لله الحجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليمّ .

١٥٠٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « آيات مفصلات » ، قال : يتبع بعضها بعضاً ، ليكون لله عليهم الحجة ، فينتقم منهم بعد ذلك . وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترفع عنهم شهراً ، قال الله عز وجل : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليمّ » الآية .

١٥٠٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « آيات مفصلات » ، أى : آية بعد آية ، يتبع بعضُها بعضاً .(١)

* * *

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى « المفصلات » ، ما :—

١٥٠٣٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى « آيات مفصلات » ، قال : معلومات .

* * *

(١) الأثر : ١٥٠٣١ — هو قطعة من الأثر السالف رقم : ١٥٠٢٣ ، أسقطها أبو جعفر من صلب الكلام ، وأفردها ههنا . وأما فى التاريخ ١ : ٢١٥ ، فقد ساق الخبر متصلا ، وفيه هذه الجملة من التفسير .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج ، عن الإيمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما دعاهم إليه ، وتعظموا على الله وعتوا عليه[1]= « وكانوا قوماً مجرمين » ، يقول : كانوا قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق ، عتوًّا وتمرّداً .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولما وقع عليهم الرجز » ، ولما نزل بهم عذاب الله ، وحلّ بهم سخطه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك « الرجز » الذى أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم .

فقال بعضهم : كان ذلك طاعوناً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٣٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : وأمر موسى قومه من بنى إسرائيل = وذلك

(١) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك :
(٢) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف ١٢ : ٢٠٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بعد ما جاء قوم فرعونَ بالآيات الخمس: الطوفان وما ذكر الله فى هذه الآية ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل = فقال : ليذبح كل رجل منكم كبشاً ، ثم ليخضب كفّه فى دمه ، ثم ليضرب به على بابه ! فقالت القبط لبنى إسرائيل : لم تعالجُون هذا الدمَ على أبوابكم ؟ [1] فقالوا : إن الله يرسل عليكم عذاباً ، فنسلم وتهلكون . فقالت القبط : فما يعرفكم الله إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبيّنا! فأصبحوا وقد طُعِن من قوم فرعون سبعون ألفاً، فأمسوا وهم لا يتدافنون. فقال فرعون عند ذلك : « ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفتَ عنا الرجز » ، وهو الطاعون ، « لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل » . فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فكان أوفاهم كلّهم فرعون، فقال لموسى : اذهب ببنى إسرائيل حيث شئت .

١٥٠٣٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حبويه الرازى وأبوداود الحفرى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير = قال حبويه ، عن ابن عباس = « لئن كشفت عنا الرجز » ، قال : الطاعون .

* * *

وقال آخرون : هو العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٣٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الرجز » ، العذاب .

١٥٠٣٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبوحذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٠٣٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما كشفنا عنهم الرجز » ، أى العذاب .

١٥٠٣٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ،

(١) فى المطبوعة : « لم تجعلون » ، وفى المخطوطة كما أثبتها . سيئة الكتابة ، ومعناها قريب من الصواب إن شاء الله .

حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولما وقع عليهم الرجز » ، يقول : العذاب .

١٥٠٣٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولما وقع عليهم الرجز » ، قال ، « الرجز » ، العذاب الذي سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك ، وكلّ ذلك يعاهدونه ثم ينكثون .

٢٩/٩

* * *

وقد بينا معنى « الرجز » فيما مضى من كتابنا هذا ، بشواهده المغنية عن إعادتها .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز = وهو العذاب والسخط من الله عليهم = فزعوا إلى موسى بمسألته ربّه كشفَ ذلك عنهم . وجائز أن يكون ذلك « الرجز » كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأن كل ذلك كان عذاباً عليهم = وجائز أن يكون ذلك « الرجز » كان طاعوناً ، ولم يخبرنا الله أيّ ذلك كان ، ولا صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيّ ذلك كان، خبرٌ ، فنسلم له . فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه : « ولما وقع عليهم الرجز » ، ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل، وهو : لمّا حل بهم عذاب الله وسخطه .

* * *

= « قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك » ، يقول : بما أوصاك وأمرك به .

* * *

وقد بينا معنى : « العهد » ، فيما مضى .[2]

* * *

= « لئن كشفت عنا الرجز » ، يقول : لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن

---

(١) انظر تفسير « الرجز » فيما سلف ٢ : ١١٦ — ١١٨/١٢ : ٥٢١ .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ص: ١٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فيه[١] = « لنؤمننّ لك » ، يقول : لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ، ولنقرّنّ به لك = « ولنرسلن معك بنى إسرائيل » ، يقول : ولنخلّين معك بنى إسرائيل ، فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه فأجابه ، فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم = « إلى أجل هم بالغوه » ، ليستوفوا عذابَ أيامهم التى جعلها الله لهم من الحياة أجلاً ، إلى وقت هلاكهم[٢] = « إذا هم ينكثون » ، يقول : إذا هم ينقضون عهودَهم التى عاهدوا ربَّهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضلالهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٠ - حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إلى أجل هم بالغوه » ، قال : عدد مسمًّى لهم من أيامهم .

١٥٠٤١ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٠٤٢ - حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ،

---

(١) انظر تفسير « الكشف » فيما سلف ١١ : ٣٥٤ .

(٢) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ١٢ : ٤٠٥ ، تعليق : ٢ ، والمرجع هناك .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » ، قال : ما أعطوا من العهود ، وهو حين يقول الله : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ، وهو الجوع = « ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما نكثوا عهودهم = « انتقمنا منهم » يقول : انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم ، (١) وذلك عذابه = « فأغرقناهم فى اليمّ » ، وهو البحر ، كما قال ذو الرمة :

دَاوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا ... يَمٌّ تَرَاطَنُ فِى حَافَاتِهِ الرُّومُ (٢)

(١) انظر تفسير « الانتقام » فيما سلف ١١ : ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) ديوانه : ٥٧٦ ، من قصيدة باذخة ، وهذا البيت منها فى صفه فلاة مخوفة ، يقول قبله :

بَيْنَ الرَّجَا والرَّجَا من جَنْبِ وَاصِيَةٍ ... يَهْمَاءَ ، خَابِطُهَا بِالخَوْفِ مَكْعُومُ

لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ فِى حَافَاتِهَا زَجَلٌ ... كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ

هَنَّا ، وَهَنَّا ، وَمِنْ هَنَّا ، لَهُنَّ بِهَا ... ذَاتَ الشَّمَائِلِ وَالأَيْمَانِ هَيْنُومُ

دَوِّيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ . . . .

« الرجا » الناحية . و « الواصية » ، فلاة تتصل بفلاة مخوفة أخرى ، كأن بعضها يوصى بعضاً بالأهوال . و « خابطها » السارى فيها لا يكاد يهتدى . « يهماء » ، مبهمة لايكاد المرء يهتدى فيها . و « مكعوم » مشدود الفم ، لا يطيق أن ينطق من الرعب . و « زجل الجن » ، صوتها وعزيفها . و « العيشوم » نبت له خشخشة إذا هبت عليه الريح . و « الهينوم » ، الهينمة ، وهو صوت تسمعه ولا تفهمه . يقول : تأتيه هذه الأصوات من يمين وشمال . و « الدوية » و « الداوية » ، الفلاة التى يسمع فيها دوى الصوت ، لبعد أطرافها . وهذا شعر فاخر .

وكما قال الراجز :[1]

* كَبَاذِخِ الْيَمِّ سَقَاهُ الْيَمُّ *[2]

* * *

= « بأنهم كذبوا بآياتنا » ، يقول : فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهوها[3] = « وكانوا عنها غافلين » ، يقول : وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم ، غافلين قبل حلولها بهم أنّها بهم حالّةٌ .

* * *

و « الهاء والألف » في قوله : « عنها » ، كناية من ذكر « النقمة » .

فلو قال قائل : هي كناية من ذكر « الآيات » ، ووجّه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين = فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم عنها إذْ لم يقبلوها ، كان مذهباً .

* * *

يقال من « الغفلة » ، « غفل الرجل عن كذا يغفُل عنه غَفْلة وغُفُولاً وغَفَلاً ».[4]

* * *

---

(١) هو العجاج .

(٢) ديوانه : ٦٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٢٧ ، من أرجوزة ذكر فيها مسعود بن عمرو العتكي الأزدي ، وما أصابه وقومه من تميم رهط العجاج . فقال يذكر تميما وخزيمة ، وقيس عيلان ، حين اجتمعت كتائبهم وجيوشهم :

وَأَصْحَرُوا حِينَ اسْتَجَمَّ الجَمُّ بِذِي عُبَابٍ بَحْرُهُ غِطَمُّ

كَبَاذِخِ اليَمِّ سَقَاهُ اليَمُّ لَهُ نَوَاحٍ وَلَهُ أُسْطُمُّ

وكان في المطبوعة : « كمادح اليم » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وقوله : « كباذخ اليم » ، يعني موج البحر ، « سقاه اليم » ، أي : أمده اليم ، فهو لا يزال في علو وارتفاع . و « الغطم » ، البحر الكثير الماء الملتطم الموج . و « أسطم البحر » ، مجتمعه ووسطه ، حيث يضرب بعضه بعضاً من كثرته .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي)

(٤) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٣١٦ / ٣ : ١٢٧ ، ١٨٤ / ٩ : ١٦٢ ولم يبين فيما سلف هذا البيان الذي جاء به هنا .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٧)

٢٠/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويستخدمونهم تسخيراً واستعباداً من بنى إسرائيل[1]= « مشارق الأرض » ، الشأم ، وذلك ما يلى الشرق منها = « ومغاربها التى باركنا فيها » ، يقول : التى جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها .[2]

وإنما قال جل ثناؤه : « وأورثنا » ، لأنه أورث ذلك بنى إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى قوله : « مشارق الأرض ومغاربها »، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن فرات القزاز ، عن الحسن فى قوله : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها » ، قال : الشأم .

١٥٠٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز قال ، سمعت الحسن يقول ، فذكر نحوه .

١٥٠٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن فرات

---

(١) انظر تفسير « الاستضعاف » فيما سلف ١٢ : ٥٤٢.

(٢) انظر تفسير « البركة » فيما سلف من فهارس اللغة (برك)

القزاز ، عن الحسن ، « الأرض التي باركنا فيها » ، قال : الشأم .

١٥٠٤٦ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض الأرض ومغاربها التي باركنا فيها » ، هي أرض الشأم .

١٥٠٤٧ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله : « مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها »، قال : التي بارك فيها ، الشأم .

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن « مشارق الأرض ومغاربَها »، نصب على المحلّ ، بمعنى : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها = وأن قوله : « وأورثنا » إنما وقع على قوله : « التي باركنا فيها » .[1]

وذلك قولٌ لا معنى له ، لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غيرُ فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز والأمر كذلك أن يقال : الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

فإن قال قائل : فإن معناه : في مشارق أرض مصر ومغاربها = فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير .

* * *

وأما قوله : « وتمت كلمة ربك الحسنى »، فإنه يقول : وَفَى وعدُ الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه على ما وعدهم ، من تمكينهم في الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعون= « وكلمته الحسنى » قوله جل ثناؤه : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ

---

(١) يعني بالوقوع ، أنه تعدى إليه ، فهو له مفعول به .

فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة القصص : ٥ ، ٦] .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل » ، قال : ظهرَ قوم موسى على فرعون ، و « تمكين الله لهم فى الأرض » ، ما ورّثهم منها . (١)

١٥٠٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

وأما قوله : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه » ، فإنه يقول : وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العِمارات والمزارع = « وما كانوا يعرشون » ، يقول : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، وأخرجناهم من ذلك كله ، وخرّبنا جميع ذلك .

* * *

وقد بينا معنى « التعريش » ، فيما مضى بشواهده . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما كانوا يعرشون » ، يقول : يبنون .

---

(١) فى المطبوعة : « ظهور قوم موسى . . . » ثم : « وما ورثهم منها » بزيادة الواو ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو مستقيم غاية الاستقامة .

(٢) انظر تفسير « التعريش » فيما سلف ١٢ : ١٥٦ .

١٥٠٥١ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «يعرشون»، يبنون البيوت والمساكن ما بلغت، وكان عنبهم غير معرَّش.[1]

٢١/٩

١٥٠٥٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء = سوى عاصم ابن أبي النجود، فإنه قرأه بضمِّها.

* * *

قال أبو جعفر: وهما لغتان مشهورتان في العرب يقال: «عَرَش يعرِش ويعرُش».

فإذ كان ذلك كذلك، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب، لاتّفاق معنَيَي ذلك،[2] وأنهما معروفان من كلام العرب. وكذلك تفعل العرب في «فَعَل»، إذا ردّته إلى الاستقبال تضمُّ العين منه أحياناً وتكسره أحياناً. غير أن أحبَّ القراءتين إليّ كسر «الراء»، لشهرتها في العامة، وكثرة القرأة بها، وأنها أصحُّ اللغتين.

* * *

(١) في المطبوعة: «غير معروش»، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: «معنى ذلك» بالإفراد، وأثبت ما في المخطوطة بالتثنية.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببنى إسرائيل البحر بعد الآيات التى أريناهوها ، والعبر التى عاينوها على يدى نبىّ الله موسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ، ولم تعظهم تلك العبر والبينات ! حتى قالوا= مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكُرَ معها البهائم ، إذ مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، يقول: يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله [1] =«اجعل لنا» يا موسى «إلهاً» ، يقول: مثالاً نعبده وصنما نتخذُه إلهاً ، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها . ولا تنبغى العبادة لشىء سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم ، أيها القوم ، قوم تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشىء سوى الله الذى له ملك السموات والأرض .

* * *

وذكر عن ابن جريج فى ذلك ما :—

١٥٠٥٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج : « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ، قال ابن جريج : «على أصنام لهم » ، قال : تماثيل بقر . فلما كان عجل السامرىّ شبِّه لهم أنه من تلك البقر ، فذلك كان أوّل شأن العجل : « قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » .

* * *

(١) انظر تفسير « العكوف » فيما سلف ٣ : ٤١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
و « المثل » (بضمتين) جمع « مثال » (بكسر الميم) ، وهو الصورة ، مثل « التمثال » .

وقيل : إن القوم الذين كانوا عكوفاً على أصنام لهم الذين ، ذكرهم الله فى هذه الآية ، قوم كانوا من لَخْم .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا بشر بن عمر قال ، حدثنا العباس بن المفضل ، عن أبى العوّام ، عن قتادة : « فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ، قال : على لخم.(١)

* * *

وقيل : إنهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم .

وقـــد : —

١٥٠٥٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن أبا واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فمررنا بِسِدْرة ،(٢) قلت : يانبى الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذاتُ أنواط = وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها(٣) = فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم .(٤)

١٥٠٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٥٠٥٤ — « بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهرانى الأزدى » ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٣٣٧٥ .

و « العباس بن المفضل » ، هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وأرجح أنه « العباس بن الفضل الأنصارى الواقفى » ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ /١/ ٢١٢ ، وهو متروك الحديث .

و « أبو العوام » ، هو « عمران بن داور القطان » ، مضى برقم : ٧٥٠٣ .

(٢) « السدرة » ، وواحدتها « سدرة » ، هو شجر النبق .

(٣) « ناط الشىء ينوطه نوطا» ، علقه . و « الأنواط » ما يعلق على الهودج أو غيره ، وهى المعاليق .

(٤) الأثر : ١٥٠٥٥ — خبر أبى واقد الليثى ، فى « ذات أنواط » ، رواه أبو جعفر من أربع طرق ، هذا أولها ، وهو خبر مرسل ، لأن الزهرى لم يسنده . وسيأتى تخريجه فى الذى يليه .

معمر ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فمررنا بسدرة ، فقلنا ، يا نبى الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط ، فذكر نحوه .(١)

١٥٠٥٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحوه .(٢)

١٥٠٥٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا ابن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى سنان بن أبى سنان الديلى ، عن أبى واقد الليثى : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : « ذات أنواط » ، قال : فمررنا بسدرة خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط . قال : قلتم ، والذى نفسى بيده، ما قال قوم موسى : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون »، إنها السنن، لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم .(٣)

٣٢/٩

* * *

(١) الأثر : ١٥٠٥٦ – « سنان بن أبى سنان = الديلى أو الدؤلى = الجدرى» ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٦٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٥٢ .
وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٢١٨ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، بنحوه .

(٢) الأثر : ١٥٠٥٧ – رواه ابن إسحق فى سيرته ٤ : ٨٤ ، عن « أبى واقد الليثى ، الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر » ، وفى المطبوعة الحلبية « أن الحارث بن مالك » ، بزيادة « أن » ، وهى زيادة فاسدة ، ليست فى سائر النسخ .

(٣) الأثر : ١٥٠٥٨– « ابن صالح »: هو « عبد الله بن صالح الجهنى المصرى » ، « أبو صالح »، كاتب الليث بن سعد . وأسقط فى المطبوعة والمخطوطة [حدثنى المثنى قال] ،وأبو جعفر لم يدرك أبا صالح ، وإنما يروى عنه عن طريق « المثنى » ، كما سلف فى إسناده الدائر فى التفسير ، وأقربه : ١٥٠٥٠ : «حدثنا المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح » . وقد رواه البخارى كما سترى عن أبى صالح

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بنى إسرائيل . يقول تعالى ذكره : قال لهم موسى : إن هؤلاء العُكوف على هذه الأصنام ، الله مُهْلِكٌ ما هم فيه من العمل ، ومفسده ومخسرهم فيه ، بإثابته إياهم عليه العذاب المهين = « وباطل ما كانوا يعملون » ، من عبادتهم إياها ، فمضمحلٌ ، لأنه غير نافعهم عند مجىء أمر الله وحلوله بساحتهم ،[١] ولا مدافع عنهم بأسَ الله إذا نزل بهم ، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم فى القيامة ، فهو فى معنى ما لم يكن .[٢]

* * *

مباشرة ، فلذلك ثبت أنه قد سقط من الإسناد : [حدثنى المثنى] فزدتها ، لذلك . وانظر مثل هذا الإسناد فيما سلف : ٢٣٥٠ .

و « الليث » هو « الليث بن سعد » الإمام .

و « عقيل » ، هو « عقيل بن خالد الأيلى » ، مضى برقم : ١٩ ، ٢٣٥٠ ، ثقة ثبت حجة .

وهذا الخبر رواه أحمد من طريق حجاج ، عن ليث بن سعد ، بنحوه ، ورواه البخارى مختصراً فى تاريخه ٢/٢/١٦٤ قال : « وقال لنا أبو صالح حدثنى الليث ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى سنان بن أبى سنان الدؤلى ، ثم الجدرى ، عن أبى واقد الليثى ، سمع النبى صلى الله عليه وسلم : لتركبن سنن من قبلكم » .

وزاد أحمد طريقاً أخرى فى مسنده لخبر أبى واقد ، طريق مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن سنان ابن أبى سنان (المسند رقم ٥ : ٢١٨) .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١٩١ من طريق إبراهيم بن سعد الزهرى ، [عن الزهرى] ، عن سنان بن أبى سنان ، نحوه . وفى المسند إسقاط [الزهرى] .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١١٤ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

و « السنن » (بفتحتين) : نهج الطريق .

(١) فى المطبوعة : « غير نافع » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الباطل » فيما سلف من فهارس اللغة (بطل) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل = حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد = قالا جميعاً ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن هؤلاء متبرما هم فيه » ، يقول : مهلك ما هم فيه .

١٥٠٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه »، يقول : خُسْران .

١٥٠٦١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » ، قال : هذا كله واحد كهيئة : « غفور رحيم » ، « عفوّ غفور » . قال : والعرب تقول : « إنه البائس لمُتَبَّرٌ » ، و« إنه البائس لَمُخَسَّرٌ » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه : أسِوَى الله ألتمسكم إلهاً ، وأجعل لكم معبوداً تعبدونه ، [١] والله الذى هو خالقكم فضلكم على عالمى دهركم وزمانكم ؟[٢] يقول : أفأبغيكم معبوداً لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه ، وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ؟ إن هذا منكم لجهل !

* * *

(١) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٢ : ٥٥٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم : واذكروا = مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر ، وبعد النعم التى سلفت منى إليكم ، والأيادى التى تقدمت= فعلكم ما فعلتم = « إذ أنجيناكم من آل فرعون » ، وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته فى الكفر بالله من قومه[١]= « يسومونكم سوء العذاب » ، يقول : إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه .[٢]

* * *

وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه .[٣]

* * *

= « يقتلون أبناءكم » ، الذكورَ من أولادهم =«ويستحيون نساءكم » ، يقول : يستبقون إناثهم[٤] = « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، يقول : وفى سومهم إياكم سوء العذاب ، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة .[٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الآل » فيما سلف ٢ : ٣٧/٣ : ٢٢٢ ، تعليق ٦/٣ : ٣٢٦/٨ : ٤٨٠

(٢) انظر تفسير « السوم » فيما سلف ٢ : ٤٠ .

(٣) انظر ما سلف ٢ : ٤٠ ، ٤١ .

(٤) انظر تفسير « الاستحياء » فيما سلف ٢ : ٤١ — ٤٨/ ١٣ : ٤١ .

(٥) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ١٢ : ٢٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وكان فى المطبوعة : « وتعمد عظيم » ، ولا معنى له ، والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف فى تفسير نظيرة هذه الآية ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، فنه استظهرت الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة.[1]

وقيل إنها ثلاثون ليلة من ذى القعدة .

=« وأتممناها بعشر »، يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة.

* * *

وقيل : إن العشر التى أتمها به أربعين ، عشر ذى الحجة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٦٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » ، قال : ذو القعدة ، وعشر ذى الحجة . ٩/ ٢٣

١٥٠٦٣ — . . . . قال، حدثنا جرير ، عن ليث ،عن مجاهد: « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر »، قال : ذو القعدة ، وعشر ذى الحجة . فى ذلك اختلفوا .[2]

١٥٠٦٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة »،هو ذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، فذلك قوله : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

١٥٠٦٥ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، زعم حضرمىٌّ أن الثلاثين التى كان واعدَ موسى ربه ، كانت

---

(١) انظر تفسير « المواعدة » فيما سلف ٢ : ٥٨ — ٦٠ ، فى نظيرة هذه الآية .

(٢) الأثر : ١٥٠٦٣ — وضعت النقط ، لأنه اختصار أراد به أن صدر الإسناد هو صدر الإسناد الذى قبله ، وقد مضى مثل ذلك مراراً ولم أشر إليه ، فآثرت منذ الآن ، أن أضع النقط تنبيهاً على ذلك ، فهو رواية سفيان بن وكيع ، عن جرير ، كما مضى مراراً مثل هذا الإسناد .

ذا القعدة، والعشرَ من ذى الحجة التى تمم الله بها الأربعين .

١٥٠٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » ، قال : ذو القعدة = « وأتممناها بعشر » ، قال : عشر ذى الحجة = قال ابن جريج : قال ابن عباس مثله .

١٥٠٦٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » ، قال : ذو القعدة ، والعشر الأوَل من ذى الحجة .

١٥٠٦٨ — .... قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن مسروق : « وأتممناها بعشر » ، قال : عشر الأضحى .

* * *

وأما قوله : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » ، فإنه يعنى : فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة ، وبلغها ، [1] كما :—

١٥٠٦٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « فتم ميقات ربه » ، قال : فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لما مضى لموعد ربه قال لأخيه هرون : « اخلفنى فى قومى » ، يقول : كن خليفتى فيهم إلى أن أرجع .

* * *

(١) انظر تفسير « التمام » فيما سلف ٣ : ١٧ ، ١٨ / ٤ : ٧ / ١٢ : ٦٢ .
= وتفسير « الميقات » فيما سلف ٣ : ٥٥٣ — ٥٥٥ .

يقال منه : « خَلَفه يَخْلُفه خِلافة » .[١]

* * *

= « وأصلح » ، يقول: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته، كما :—

١٥٠٧٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : « وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح » ، وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعْبد .

* * *

وقوله : « ولا تتبع سبيل المفسدين » ، يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض، بمعصيتهم ربهم ، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم .[٢]

* * *

وكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون، ونجّى منه بني إسرائيل، فيما قال أهل العلم ، كما : —

١٥٠٧١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني الحجاج ، عن ابن جريج قوله : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » ، الآية، قال يقول : إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور ، لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرّق آل فرعون ، وخلص إلى الأرض الطيبة ، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى ، وأمره ربه أن يلقاه ، فلما أراد لقاء ربه ، استخلف هرون على قومه ، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ، ميعاداً من قِبَله ، من غير أمر ربه ولا ميعاده . فتوجه ليلقى ربه ، فلما تمت ثلاثون ليلة ، قال عدو الله السامريّ : ليس يأتيكم موسى ، وما يصلحكم إلاّ إله تعبدونه ! فناشدهم هرون وقال : لا تفعلوا ، انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ! فقالوا : نعم ! فلما أصبحوا

---

(١) انظر تفسير «الخلافة» فيما سلف ١٢ : ٥٤٠، ٥٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « اتبع » و « الفساد » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) (فسد) .

من غد ولم يروا موسى ، عاد السامرى لمثل قوله بالأمس . قال : وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذى جعله نبيهم عشرًا ،[1]فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، فعاد هرون فناشدهم إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضاً ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ! ثم عاد السامرى الثالثة لمثل قوله لهم ، وعاد هرون فناشدهم أن ينتظروا ، فلما لم يروا . . . .

. . . .

. . . .[2]

١٥٠٧٢ — قال القاسم ، قال الحسين ، حدثنى حجاج قال ، حدثنى أبو بكر بن عبد الله الهذلىّ قال : قام السامرى إلى هرون حين انطلق موسى فقال : يا نبى الله ، إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليًّا كثيراً من زينتهم ، وإن الجند الذين معك قد أسرعوا فى الحلى يبيعونه وينفقونه ،[3] وإنما كان عارية من آل فرعون ، فليسوا بأحياء فنردّها عليهم ، ولا ندرى لعل أخاك نبىّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأى ، إما يقرّبها قرباناً فتأكلها النار ، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء ! فقال له هرون : نِعْمَ ما رأيت وما قلت ! فأمر منادياً فنادى : من كان عنده شيء من حلىّ آل فرعون فليأتنا به ! فأتوه به ، فقال هرون : يا سامرى ، أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة ! فقبضها السامرى ، وكان عدو الله الخبيث صائغاً ، فصاغ منه عجلاً جسداً ، ثم قذف فى جوفه تُرْبة من القبضة التى قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه فى البحر ، فجعل

٣٤/٩

---

(١) فى المطبوعة : « بينهم عشرا » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صوابها .

(٢) الأثر ١٥٠٧١ — هذا خبر لم يتم كما ترى ، ولم أجده فى مكان آخر . وسبب ذلك أن قوله « فلما لم يروه » هو فى المخطوطة فى آخر الصفحة اليسرى ، ثم بدأ بعدها : « قال القاسم » ، فظاهر أن الناسخ عجل ، فأسقط من الخبر تمامه ، لما قلب الصفحة ، وبدأ الخبر التالى بعده .

(٣) فى المطبوعة : « وإن الذين معك » ، حذف « الجند » ، لأنها غير منقوطة ، فلم يحسن قراءتها .

يخور ، ولم يخر إلا مرة واحدة ، وقال لبنى إسرائيل : إنما تخلف موسى بعد الثلاثين الليلة يلتمس هذا ! ﴿ هذا إلٰهُكُمْ و إلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾[سورة طه : ٨٨]. يقول : إن موسى عليه السلام نسى ربّه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما جاء موسى للوقت الذى وعدنا أن يلقانا فيه[١] = « وكلمه ربه » ، وناجاه = « قال » موسى لربه = « أرنى أنظر إليك » ، قال الله له مجيباً : « لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل » .

* * *

وكان سبب مسألة موسى ربه النظرَ إليه ، ما :—

١٥٠٧٣ — حدثنى به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه ، أحب أن ينظر إليه = قال : « رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » ، فحُفَّ حول الجبل [بملائكة] ،[٢] وحُفَّ حول الملائكة بنار ، وحُفَّ حول النار بملائكة ، وحُفَّ حول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل .

١٥٠٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن

---

(١) انظر تفسير « الميقات » فيما سلف قريباً ص : ٨٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) هذه الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥٢] ، قال : حدثنى من لقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرَّبه الربّ حتى سمع صَرِيف القلم،[1] فقال عند ذلك من الشوق إليه : « رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل » .

١٥٠٧٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر الهذلى قال : لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله ، اشتاق إلى النظر إليه فقال : ربّ أرنى أنظر إليك ! قال : لن ترانى ، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلىّ فى الدنيا ، من نظر إلىّ مات ! قال : إلهى ، سمعت منطقك ، واشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ ، أحب إلىّ من أن أعيش ولا أراك ! قال : فانظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى .

١٥٠٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أرنى أنظر إليك » : قال : أعطنى .

١٥٠٧٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استخلف موسى هرون على بنى إسرائيل وقال : إنى متعجل إلى ربى ، فاخلفنى فى قومى ولا تتبع سبيل المفسدين . فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيّه شوقاً إليه ، وأقام هرون فى بنى إسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به . فلما كلم الله موسى ، طمع فى رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال الله لموسى : إنك لن ترانى ، « ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » الآية . قال ابن إسحق : فهذا ما وصل إلينا فى كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه ، وأهل الكتاب يزعمونَ وأهلُ التوراة : أنْ قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ، ومراجعة لم تأتنا فى كتاب الله ، والله أعلم .

= قال ابن إسحق : عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب، أنهم

---

(١) « صريف القلم والباب والناب » ، ونحوها : وهو مثل «الصرير» ، وهو صوت ممتد حاد .

يجدون فى تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه ، أنه كان من كلامه إياه حين طمع فى رؤيته ، وطلب ذلك منه ، وردّ عليه ربه منه ما ردّ : أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه ، وصام للقاء ربه . فلما أتى طورسيناء ، ودنا الله له فى الغمام فكلّمه ، سبحه وحمّده وكبره وقدّسه ، مع تضرع وبكاء حزين ، ثم أخذ فى مِدْحته فقال : ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله ! من عظمتك أنه لم يكن شىء من قبلك ، فأنت الواحد القهار ، كأن عرشك تحت عظمتك ناراً توقد لك ، وجعلت سرادقاً [من نور] من دونه سرادق من نور ، (١) فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك ! جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمئة عام . فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك ! وإذا أردت شيئاً تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الأرض ، وجنودك الذين فى البحر ، بعثت الروح من عندك لا يراها شىء من خلقك ، إلاّ أنت إن شئت ، (٢) فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك ، فبلغوا من أردت من عبادك . (٣) وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك ، فقد أنعمت علىّ وأعظمت علىّ فى الفضل ، وأحسنت إلىّ كلّ الإحسان ! عظمتنى فى أمم الأرض ، وعظمتنى عند ملائكتك ، وأسمعتنى صوتك ، وبذلت لى كلامك ، وآتيتنى حكمتك ، فإن أعدّ نعماك لا أحصيها ، وإن أُرِد شكرك لا أستطيعه . (٤) دعوتك ، ربّ ، على

---

(١) الزيادة بين القوسين مما يقتضيه السياق .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « بعثت الريح » ، ولا أشك أن الصواب ما أثبت ، ويعنى بذلك ما قال الله سبحانه فى « سورة غافر » : ١٥ :

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

(٣) فى المطبوعة : « لما أردت من عبادك » ، وفى المخطوطة : « ما أردت » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « وإن أردت شكرك لا أستطيعها » ، وفى المخطوطة : « وإن أرد شكرك لا أستطيعها » ، والصواب ما أثبت .

فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة ، فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى ! ودعوتك حين أجزتُ البحر ، (١) فأغرقت عدوك وعدوّى . وسألتك الماء لى ولأمتى ، فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر ، فمنه أرويتنى وأمتى . وسألتك لأمتى طعاماً لم يأكله أحد كان قبلهم ، فأمرتنى أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب ، فناديتك من شرقى أمتى فأعطيتهم المن من مشرق لنفسى ، (٢) وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر . واشتكيت الحر فناديتك ، فظللت عليهم بالغمام . فما أطيق نعماك على أن أعدّها ولا أحصيها ، وإن أردت شكرها لا أستطيعه . (٣)فجئتك اليوم راغباً طالباً سائلاً متضرعاً ، لتعطينى ما منعت غيرى . أطلب إليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان ، أن ترينى أنظر إليك ، فإنى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شىء من خلقك ! قال له رب العزة : ألا ترى يا ابن عمران ما تقول ؟ (٤)تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ! لا يرانى أحد فيحيى ، [ليس فى السموات معمرى ، فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتى وليس فى الأرض معمرى ، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندى] . (٥) فلستُ فى مكان واحد ، فأتجلى لعين تنظر إلىّ . قال موسى : يا رب ، أن أراك وأموت ، أحب إلىّ من أن لا أراك وأحيى . قال له رب العزة : يا ابن عمران ، تكلمتَ بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لا يرانى أحد فيحيى ! قال : رب تمم على نعماك ، وتمم علىّ فضلك ، وتمم علىّ إحسانك ، بهذا الذى سألتك ، (٦) ليس لى أن أراك

(١) فى المطبوعة : « جزت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « مشرق لنفسى » ، وهذه جملة مضطربة لا أدرى ما صوابها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا أستطيعها » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فلا ترى » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) هذه العبارة التى بين القوسين ، لم أدر ما هى ، قد جاءت فى المخطوطة هكذا : « فى السماء معمرى . . . » ، وسائر الجملة كما فى المطبوعة . وأنا فى شك من ألفاظها ، ولم أستطع أن أهتدى إلى تحريفها ، فوضعتها بين القوسين . والخبر كله مضطرب اللفظ ، ولم أجده فى مكان آخر . فلذلك تركته كما هو ، إلا أن يكون خطأ ظاهراً .

(٦) فى المطبوعة : « هذا الذى سألتك » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وكذلك كانت فى المطبوعة فى الجملة التالية .

فأقبض، ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبي. قال له: يا ابن عمران، لن يراني أحد فيحيي! قال موسى: رب تمم عليّ نعماك، وتمم عليّ فضلك، وتمم على إحسانك بهذا الذى سألتك، فأموت على إثر ذلك، [1] أحب إلى من الحياة! فقال الرحمن المترحِّم على خلقه: قد طلبت يا موسى [وحب]، لأعطينَّك سؤلك، [2] إن استطعت أن تنظر إلىّ، فاذهب فاتخذ لوحين، ثم انظر إلى الحجر الأكبر فى رأس الجبل، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا ابن عمران. ثم انظر فإنى أهبط إليك وجنودى من قليل وكثير، ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل، فجلس على الحجر، فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا فقال: ضعى أكتافك حول الجبل. فسمعت ما قال الرب، ففعلت أمره. ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلى الجبل ٣٦/٩ الذى يلى موسى، أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرُّوا بموسى، فاعترضوا عليه، فمروا به طيران النُّغَر، [3] تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، فقال موسى بن عمران عليه السلام: رب، إنى كنت عن هذا غنيًّا، ما ترى عيناى شيئاً، قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفِّف على ملائكة ربى! ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية: أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه! فهبطوا أمثال الأسد لهم لَجَبٌ بالتسبيح والتقديس، [4] ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع، فاقشعرّت كل شعرة فى رأسه وجلده، ثم قال: ندمت على مسألتى إياك، فهل ينجيني من مكانى الذى أنا فيه شىء؟

---

(١) فى المطبوعة: «هذا الذى سألتك. ليس لى أن أراك، فأموت»، زادها قياساً على السالف قبلها، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) هذه الكلمة بين القوسين، هكذا هى فى المخطوطة، ولا أدرى ما قراءتها. وأما فى المطبوعة، فقد حذفها، وغير ما بعدها وكتب: «وأعطيتك». مكان «لأعطينك»

(٣) «النغر» (بضم ففتح): ضرب من الطير حمر المناقير وأصول الأحناك، يقال: هو البلبل عند أهل المدينة.

(٤) «اللجب» (بفتحتين): ارتفاع الأصوات واختلاطها.

فقال له كبير الملائكة ورأسهم[1] : يا موسى ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ! ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة : أن اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ! فأقبلوا أمثال النسور لهم قَصْفٌ ورَجْفٌ ولجبٌ شديد، [2]وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس ، كلجَب الجيش العظيم ، كلهب النار .[3]ففزع موسى وأسِيَتْ نفسه،وساء ظنه، [4]وأيِسَ من الحياة، فقال له كبير الملائكة ورأسهم : مكانك يا ابن عمران ، حتى ترى ما لا تصبر عليه ! ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة : أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران ! فأقبلوا وهبطوا عليه ، لا يشبههم شيء من الذين مرُّوا به قبلهم ، ألوانهم كلهب النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس ، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم . فاصطكّت ركبتاه، وأرعد قلبه ، واشتد بكاؤه ، فقال كبير الملائكة ورأسهم : يا ابن عمران ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثيرٍ ما رأيت ! ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة : أن هبطوا فاعترضوا على موسى ! فهبطوا عليه سبعةَ ألوان، فلم يستطع موسى أن يُتبعهم طرفه، ولم ير مثلهم ، ولم يسمع مثل أصواتهم ، وامتلأ جوفه خوفاً ، واشتد حزنه وكثر بكاؤه ، فقال له كبير الملائكة ورأسهم : يا ابن عمران ، مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ! ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة : أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران، واعترضوا

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « خير الملائكة » ، وكأن الصواب « كبير الملائكة » ، كما أثبتها ، وقد جاءت « خير الملائكة » في جميع المواضع الآتية ، إلا الأخير منها فقد كتبت على الصواب : « كبير » .

(٢) في المطبوعة : « نخف » ، وفي المخطوطة : « دصف » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « القصف » و « القصيف » صوت الرعد وما أشبهه .

(٣) في المطبوعة : « أو كلهب » بزيادة « أو » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « وأيست نفسه ، وأساء ظنه » ، وأثبت ما في المخطوطة وهو الصواب . يقال : « أسيت نفسه » أي : حزنت . وانظر تفسير «ساء ظنه » فيما سلف ٣ : ٥٨٥ ، تعليق : ١ ، ومعناه : خامرته الظنون السيئة .

عليه ! فهبطوا عليه، في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم : « سبوح قدوس ، رب العزة أبداً لا يموت »، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول: « رب اذكرني ولا تنس عبدك، لا أدري أأنفلتُ مما أنا فيه أم لا، إن خرجت أحرقت ، وإن مكثت مت » ! فقال له كبير الملائكة ورئيسهم[1]: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلىء جوفك ، وينخلع قلبك ، ويشتد بكاؤك ، فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران ! وكان جبل موسى جبلاً عظيماً ، فأمر الله أن يحمل عرشه ، ثم قال : مرُّوا بي على عبدي ليراني ، فقليل من كثيرٍ ما رأى ! فانفرج الجبل من عظمة الرب ، وغشَّى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً، فارتجّ الجبل فاندكّ وكل شجرة كانت فيه ، وخرّ العبد الضعيفُ موسى بن عمران صعقاً على وجهه ، ليس معه روحه ، فأرسل الله الحياة برحمته ، فتغشاه الروح برحمته ،[2] وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة ،[3] لئلا يحترق موسى . فأقامه الروح ، مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع . قال : فقام موسى يسبح الله ويقول : آمنت أنك ربي ، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيى ، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه ، فما أعظمك ربّ، وأعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك ، لا تستنكف من ذلك ، ولا يعدل لك شيء ، ولا يقوم لك شيء ، رب تبت إليك ، الحمد لله الذي لا شريك له ، ما أعظمك وأجلّك ربَّ العالمين ! ٣٧/٩

* * *

(١) انظر التعليق السالف ص : ٩٥ ، تعليق : ١ .

(٢) في المطبوعة أسقط « الروح » من الجملة .

(٣) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « كالمعدة » ، ولا أدري أيصح هذا أم لا ؟

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما اطّلع الرب للجبل ، جعل الله الجبل دكًّا ، أى : مستوياً بالأرض = « وخر موسى صعقاً » ، أى : مغشيًّا عليه .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٧٨ — حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العنقزى قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال : ما تجلى منه إلاّ قدر الخنصر = « جعله دكًّا » ، قال : تراباً = « وخر موسى صعقاً » ، قال : مغشيًّا عليه .

١٥٠٧٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال : زعم السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكًّا وخر موسى صعقاً ، فلم يزل صعقاً ما شاء الله .

١٥٠٨٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وخر موسى صعقاً » ، قال : مغشيًّا عليه .

١٥٠٨١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال : انقعر بعضه على بعض = « وخر موسى صعقاً » ، أى : ميتاً .

١٥٠٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وخر موسى صعقاً » ، أى : ميتاً .

---

(١) انظر تفسير « الصعقة » فيما سلف ٢ : ٨٣ ، ٨٤ / ٩ : ٣٥٩ .

١٥٠٨٣ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « دكًّا » ، قال : دك بعضه بعضاً .

١٥٠٨٤ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قال: سمعت سفيان يقول فى قوله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال: ساخ الجبل فى الأرض ، حتى وقع فى البحر فهو يذهب معه .

١٥٠٨٥ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين ، عن حجاج ، عن أبى بكر الهذلى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، انقعر فدخل تحت الأرض، فلا يظهر إلى يوم القيامة .

١٥٠٨٦ ـ حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ، حدثنا قرة بن عيسى قال ، حدثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما تجلى ربه للجبل ، أشار بإصبعه ، فجعله دكًّا = وأرانا أبو إسمعيل بإصبعه السبابة .[١]

١٥٠٨٧ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنى الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا »، قال هكذا بإصبعه ،[٢] =ووضع النبى صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر= فساخ الجبل .[٣]

---

(١) الأثر : ١٥٠٨٦ ـ « أحمد بن سهيل الواسطى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة .
و « قرة بن عيسى » ، لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .
وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره نقلا عن هذا الموضع ، ولم يزد على أن قال : « هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم » .

(٢) « قال » هنا بمعنى : أشار .

(٣) الأثر : ١٥٠٨٧ ـ « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » ، مضى مراراً .
و«ثابت» هو « ثابت بن أسلم البنانى » ، ثقة ، روى له الجماعة : مضى برقم : ٢٩٤٢ ، ٧٠٣٠ .
وهو إسناد رجاله ثقات .

١٥٠٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا هدبة بن خالد قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا »، قال : وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل = فقال حميد لثابت : تقول هذا ؟ قال : فرفع ثابت يده فضرب صدر حُمَيْد، وقال: يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس، وأنا أكتمه ! [1]

١٥٠٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخرَّ موسى صعقاً »، وذلك أن الجبل حين كُشِف الغطاء ورأى النور ، صارَ مثل دكٍّ من الدكَّات. [2]

وهذا الخبر رواه الترمذى فى تفسير الآية ، من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٤٦ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ولكنه كتب إسناده هكذا : « حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس » ثم قال : « هكذا وقع فى هذه الرواية : حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن ليث ، عن أنس » وليس ذلك كما نقل ، فان الثابت فى المخطوطة والمطبوعة ، « حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ، ليس فيها « ليث » ، فلا أدرى كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ، ولا من أين ؟ .

وانظر تخريج الأثر التالى .

(١) الأثر : ١٥٠٨٨ – هو مطول الأثر السالف . وقد رواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ثم قال : « وهكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا أبو المثنى ، معاذ ابن معاذ العنبرى ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك » ثم ذكر الخبر بنحوه . ثم قال : « وهكذا رواه الترمذى فى تفسير هذه الآية ، عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق ، عن معاذ بن معاذ » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٠ ، من طريق عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، وعن طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ، بنحو حديث هدبة بن خالد ، عن حماد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ، ووافقه الذهبى .

وقال ابن كثير : « وهذا إسناد صحيح له علة فيه » . بعد أن ذكر خبر أبى جعفر .

و « حميد » المذكور فى هذا الخبر ، هو « حميد الطويل » .

(٢) لعل صواب من « الدكاوات » ، كما سيأتى فى ص : ١٠١ ، تعليق : ١ .

١٥٠٩٠ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه » ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً = « فلما تجلى ربه للجبل » ، فنظر إلى الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبل يندك على أوله.[1] فلما رأى موسى ما يصنع الجبل ، خرّ صعقاً . ٣٨/٩

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : ﴿ دَكًّا ﴾ .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : « دكًّا » ، مقصوراً بالتنوين بمعنى : « دكّ الله الجبل دكًّا » أى : فتته ، واعتباراً بقول الله : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ ، [سورة الفجر : ٢١] . وقوله : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة الحاقة : ١٤] ، واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد :[2]

يَدُكُّ أَرْكَانَ الجِبَالِ هَزَمُهْ تَخْطِرُ بِالبِيضِ الرِّقَاقِ بُهَمُهْ[3]

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ ، بالمد وترك الجر والتنوين ، مثل

---

(١) هكذا فى المطبوعة : وفى المخطوطة : « على أداه » أيضاً ، ولكن بشدة على اللام ، فكأنها تقرأ : « على أذله » ، وهى أوضح معنى من التى فى المطبوعة . يعنى أنه ذل أشد ذل فاندك .

(٢) حميد ، هو حميد الأرقط .

(٣) لم أجد البيتين فى مكان ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٤١ ، أبيات من رجز ، كأن هذا الذى هنا من تمامها .

وكان فى المطبوعة هنا : « هدمه » ، والصواب ما أثبت ، والمخطوطة غير منقوطة ، وكأنها هناك راء مهملة لا دال . و « الهزم » » (بفتحتين) و « الهزيم » هو صوت الرعد الذى يشبه التكسر ، ومثله قول رؤبة فى صفة جيش لجب :

* يُرْجِفُ أَنْضَادَ الجِبَالِ هَزَمُهْ *

و « تخطر » أى تمشى متمايلة ، تهز سيوفها معجبة مدلة بقوتها وبأسها و « البهم » جمع « بهمة » (بضم فسكون) : وهو الفارس الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى له ، ولا من أن يدخل عليه مقاتله من شدة بأسه ويقظته . و « البيض الرقاق » : السيوف الرقيقة من حسن صقلها .

« حمراء » ، و« سوداء » . وكان ممن يقرأه كذلك ، عكرمة ، ويقول فيه ما :—

١٥٠٩١ — حدثني به أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عباد بن عباد ، عن يزيد بن حازم ، عن عكرمة قال : « دكَّاء من الدكَّاوات» . وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صَحراء تراباً .[1]

* * *

واختلف أهل العربية فى معناه إذا قرئ كذلك .

فقال بعض نحويى البصرة: العرب تقول: « ناقة دكَّاء»، ليس لها سنام . وقال: « الجبل » مذكر ، فلا يشبه أن يكون منه ، إلا أن يكون جعله : « مثل دكاء »، حذف «مثل»، وأجراه مجرى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٢].

* * *

وكان بعض نحويى الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضاً دكاء ، ثم حذفت « الأرض » ، وأقيمت « الدكاء » مقامها ، إذْ أدَّت عنها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى، قراءةُ من قرأ : ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاء ﴾، بالمد وترك الجر ، لدلالة الخبر الذى رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته . وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فساخ الجبل » ،[2] ولم يقل : « فتفتت » ولا « تحول تراباً » . ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ، ظهرَ وجهُ الأرض، فصار بمنزلة الناقة التى قد ذهب سنامها، وصارت

---

(١) الأثر : ١٥٠٩١ — « عباد بن عباد بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى » ، ثقة، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ /١/٨٢ .

و « يزيد بن حازم بن زيد الأزدى الجهضمى » ، وثقه أحمد وابن معين ، وهو أخو « جرير ابن حازم » ، أكبر منه . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٢٥ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٥٧ .

وقوله : « دكاء من الدكاوات » ، « الدكاوات » جمع « دكاء » ، وهى الرابية من الطين ليست غليظة ، وأجروه مجرى الأسماء ، لغلبته ، كقولهم : « ليس فى الخضراوات صدقة » .

وكان فى المطبوعة : « صار صخرة تراباً » ، وفى المخطوطة : « صار صحرا ترابا » ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) يعنى فى الأثرين رقم : ١٥٠٨٧ ، ١٥٠٨٨ .

دكاء بلا سنام . وأما إذا دك بعضه ، فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يَسُوخ .

وأما « الدكاء» فإنها خَلَفٌ من « الأرض »، فلذلك أنثت،[1] على ما قد بينت .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : فلما تجلى ربه للجبل ساخ ، فجعل مكانه أرضاً دكاء .

* * *

وقد بينا معنى « الصعق » بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته ، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التى خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم = « قال سبحانك »، تنزيهاً لك، يا رب، وتبرئةً أن يراك أحد فى الدنيا،[3] ثم يعيش = « تبت إليك »، من مسألتى إياك ما سألتك من الرؤية = « وأنا أول المؤمنين »، بك من قومى ، أن لا يراك فى الدنيا أحد إلا هلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٠٩٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن أبى

---

(١) فى المطبوعة : « فلذلك أنت » ، وفى المخطوطة : « فلذلك أتيت » ، وصواب ذلك ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الصعق » فيما سلف ٢ : ٨٣ ، ٨٤ / ٩ : ٣٥٩ .

(٣) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١٢ : ١٠، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين » ، قال : كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

١٥٠٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : لما رأى موسى ذلك وأفاق ، عرف أنه قد سأل أمرًا لا ينبغى له ، فقال : « سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين » ، قال أبو العالية : عنى : إنى أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحدٌ قبل يوم القيامة .

١٥٠٩٤ — حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، قال سفيان ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وخر موسى صعقاً » ، فمرّت به الملائكة وقد صعق، فقالت : يا ابن النساء الحيَّض، لقد سألت ربك أمرًا عظيماً ! فلما أفاق قال : سبحانك لا إله إلا أنت تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين ! قال : أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحدٌ من خلقك = يعنى : فى الدنيا .

١٥٠٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين» ، يقول : أنا أوّل من يؤمن أنه لا يراك شىء من خلقك . ٣٩/٩

١٥٠٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « سبحانك تبت إليك » ، قال : من مسألتى الرؤية .

١٥٠٩٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « قال سبحانك تبت إليك » ، أن أسألك الرؤية .

١٥٠٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد : « سبحانك تبت إليك » ، أن أسألك الرؤية .

١٥٠٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا

ابن عيينة ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد فى قوله : « سبحانك تبت إليك » ، قال : تبت إليك من أن أسألك الرؤية .

* * *

وقال آخرون : معناه : قوله : وأنا أول المؤمنين بك من بنى إسرائيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٠٠ — حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أول من آمن بك من بنى إسرائيل .

١٥١٠١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأنا أول المؤمنين » ، يعنى : أول المؤمنين من بنى إسرائيل .

١٥١٠٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وأنا أول المؤمنين » ، أنا أول قومى إيماناً .

١٥١٠٣ — حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد : « وأنا أول المؤمنين » ، يقول : أول قومى إيماناً .

١٥١٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أنا أول قومى إيماناً .

١٥١٠٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أول قومى آمن .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى قوله : « وأنا أول المؤمنين » ،

على قول من قال: معناه : أنا أول المؤمنين من بنى إسرائيل = لأنه قد كان قبله فى بنى إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولدُ إسرائيل لصُلْبه ، وكانوا مؤمنين وأنبياء . فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، قال الله لموسى : يا موسى : « إنى اصطفيتك على الناس »، يقول : اخترتك على الناس [1] = « برسالاتى » إلى خلقى ، أرسلتك بها إليهم = « وبكلامى » ، كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقى = « فخذ ما آتيتك » يقول: فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيى وتمسك به، واعمل به [. . .] [2] = « وكن من الشاكرين » ، لله على ما آتاك من رسالته ، وخصك به من النجوى ، [3] بطاعته فى أمره ونهيه ، والمسارعة إلى رضاه .

• • •

(١) انظر تفسير « الاصطفاء » فيما سلف ٣ : ٩١ ، ٩٦ / ٥ : ٣١٢ / ٦ : ٣٢٦ ، ٣٩٣ .

(٢) فى المطبوعة : « واعمل به يريد » ، وفى المخطوطة : « واعمل به يديك » ، ولا معنى لذلك هنا ، وكأنها محرفة عن « بجد » أو ما أشبه ذلك ، ولكنى لم أحسن معرفتها ، فتركت مكانها نقطا بين قوسين . وانظر تفسير قوله فى « سورة البقرة » : ٦٣ - « خذوا ما آتيناكم بقوة » ج ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وحصل به من النجوى » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾

قال أبو جعفر يقول : تعالى ذكره : وكتبنا لموسى فى ألواحه .

* * *

وأدخلت الألف واللام فى « الألواح » ، بدلاً من الإضافة ، كما قال الشاعر : [1]

* والأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ * [2]

وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [سورة النازعات : ٤١] ، يعنى : هى مأواه . [3]

* * *

وقوله : « من كل شيء » ، يقول : من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه = « موعظة » ، لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب فى الألواح [4] = « وتفصيلاً لكل شيء » ، يقول : وتبييناً لكل شيء من أمر الله ونهيه . [5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٠٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = أو : سعيد بن جبير ، وهو فى أصل

---

(١) هو النابغة الذبيانى .

(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٥ : ١٦٠ ، تعليق : ٣ ، ولم يذكر هناك موضعه هنا ، فليقيد ، والبيت ، بروايته آنفاً :

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها الدَّهْرُ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ ، فَالأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

(٣) انظر ما سلف ٥ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٤) انظر تفسير « الموعظة » فيما سلف من فهارس اللغة (وعظ) .

(٥) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٦٨ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

كتابى : عن سعيد بن جبير = فى قول الله : « وتفصيلاً لكل شىء » ، قال : ما أمروا به ونهوا عنه . ٤٠/٩

١٥١٠٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٥١٠٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء » ، من الحلال والحرام .

١٥١٠٩ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وتفصيلاً لكل شىء » ، قال : ما أمروا به ونهوا عنه .

١٥١١٠ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء » ، قال عطية : [1] أخبرنى ابن عباس : أن موسى صلى الله عليه وسلم انْصَلَتَ لما كربه الموت ، [2] قال : هذا من أجل آدم ! قد كان الله جعلنا فى دار مثوًى لا نموت ، فخطأ آدم أنزلنا ههنا ! فقال الله لموسى : أبعث إليك آدم فتخاصمه ؟ قال : نعم ! فلما بعث الله آدم ، سأله

---

(١) هو « عطية العوفى » ، وهو جد « محمد بن سعد » الأعلى . انظر تفسير هذا الإسناد فى رقم : ٣٠٥ .

(٢) فى المطبوعة ، والدر المنثور ٣ : ٢١ : « أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت » . أسقط الذى كتبت : « انصلت » ، وهى فى المخطوطة هكذا : « الطيب » غير منقوطة ، ولم أجد لها لفظاً يطابق رسمها ، ويجرى فى معناها أقرب من « انصلت » . يقال : « انصلت فى الأمر » ، إذا انجرد وأسرع . يقال : « انصلت يعدو » » إذا أسرع ، و « المنصلت » : المسرع من كل شىء . وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن أبى هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام . فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه عز وجل فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد أن يموت » ، الحديث . فكأن هذا كان منه لما كره الموت وأبغضه ، فأسرع لما رآه يقول ما قال . هذا ما رأيت ، وفوق كل ذى علم عليم . وانظر أخبار وفاة موسى عليه السلام فى البداية والنهاية ١ : ٣١٦ – ٣١٩ .

موسى ، فقال أبونا آدم عليهما السلام : يا موسى ، سألت الله أن يبعثنى لك ! قال موسى : لولا أنت لم نكن ههنا ! قال له آدم : أليس قد آتاك الله من كل شيء موعظة وتفصيلاً ، أفلست تعلم أنه ما أصاب فى الأرض من مصيبة ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ؟ [١] قال موسى : بلى ! فخصَمه آدم صلى الله عليهما .[٢]

١٥١١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يقول فى قوله : « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » ، قال : كتب له : لا تشرك بى شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، فإن كل ذلك خلقى . لا تحلف باسمى كاذباً ، فإن من حلف باسمى كاذباً فلا أزكّيه ، ووقّر والديك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقلنا لموسى ، إذ كتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء : خذ الألواح بقوة .

* * *

وأخرج الخبر عن « الألواح » ، والمراد ما فيها .

* * *

(١) هذا تضمين آية « سورة الحديد » : ٢٢ .

(٢) الأثر : ١٥١١٠ — هذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، كما سلف فى شرح إسناده رقم : ٣٠٠٥ .

واحتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، روى خبره البخارى ومسلم ، وسائر كتب السنن ، وانظر فصلا جيداً جمعه ابن كثير فى البداية والنهاية ١ : ٨١ — ٨٥ . ويقال : « خاصمه فخصمه » ، أى غلبه فى الخصام . وهو الاحتجاج .

واختلاف أهل التأويل فى معنى « القوة » ، فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معناها : بجدٍّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١١٢ — حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا ابن عيينة قال ، قال أبوسعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فخذها بقوة » ، قال : بجدّ

١٥١١٣ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فخذها بقوّة » ، قال : بجد واجتهاد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فخذها بالطاعة لله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ،عن الربيع بن أنس فى قوله : « فخذها بقوة » ، قال : بالطاعة .

* * *

وقد بينا معنى ذلك بشواهده، واختلاف أهل التأويل فيه، فى « سورة البقرة » عند قوله :﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٦٣] ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾

قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى : « وأمر قومك »، بنى إسرائيل = « يأخذوا بأحسنها » ، يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها ، كما :—

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .

١٥١١٥ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، بأحسن ما يجدون فيها :

١٥١١٦ — حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، قال : أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه .

* * *

فإن قال قائل : وما معنى قوله : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن ؟

قيل: لا ، ولكن كان فيها أمرٌ ونهىٌ ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ، ويتركوا ما نهاهم عنه ، فالعمل بالمأمور به ، أحسنُ من العمل بالمنهى عنه . ٤١/٩

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لموسى ، إذ كتب فى الألواح من كل شيء : خذها بجدّ فى العمل بما فيها واجتهاد ، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى ، فإن من أشرك بى منهم ومن غيرهم ، فإنى سأريه فى الآخرة عند مصيره إلىّ ، «دارَ الفاسقين» ، وهى نار الله التى أعدها لأعدائه .[1]

* * *

وإنما قال : « سأريكم دار الفاسقين » ، كما يقول القائل لمن يخاطبه : « سأريك غداً إلامَ يصير إليه حال من خالف أمرى! » ، على وجه التهدُّد والوعيد لمن عصاهُ وخالف أمره .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف . ص : ١١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « على وجه التهديد » . وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك .

١٥١١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سأريكم دار الفاسقين » ، قال : مصيرهم فى الآخرة .

١٥١١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥١١٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم قال، حدثنا مبارك ، عن الحسن فى قوله : « سأريكم دار الفاسقين » ، قال : جهنم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سأريكم دار الفاسقين» ، منازلهم .

١٥١٢١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « دار الفاسقين » ، قال : منازلهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهى مصر .

* ذكر من قال ذلك :

. . . .

. . . .

. . . .

. . . . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، لأن الذى قبل قوله جل ثناؤه : « سأريكم دار الفاسقين » ، أمرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة . فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيّعه ، وفرّط فى العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه ، أو عما لم يجر له ذكر .

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : سأنزع عنهم فهم الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٢ — حدثنا أحمد بن منصور المروزى قال، حدثنى محمد بن عبد الله ابن بكر قال : سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق » ، قال يقول : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتى.(٢)

* * *

(١) هكذا بياض بالمخطوطة قدره خمسة أسطر ، وبهامش المخطوطة بالمداد الأحمر : « نقص ، كذا الأصل » .

(٢) الأثر : ١٥١٢٢ — « أحمد بن منصور بن سيار الرمادى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، ١٠٥٢١ .

و « محمد بن عبد الله بن بكر بن سليمان الخزاعى الصنعانى الخلنجى » ، صدوق . روى عنه النسائى ، وأبو حاتم وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٥ .

قال أبو جعفر : وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، دون قوم موسى ، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون موسى عليه السلام .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : معناه : سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « سأصرف عن آياتى » ، عن خلق السموات والأرض والآيات فيها ، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله ،[١] وغير ذلك من فرائضه . والسموات والأرض وكل موجود من خلقه ، فمن آياته ، والقرآن أيضًا من آياته ،[٢] وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الأرض بغير الحق ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون ، لأنهم لو وفّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به ، اتعظوا وأنابوا إلى الحق ، وذلك غير كائن منهم ، لأنه جلّ ثناؤه قال : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ، فلا تبديل لكلمات الله .

٤٢/٩

* * *

(١) فى المطبوعة : « على حقيقة ما أمر به عباده » ، فعل بها ما فعل بسوابقها . انظر ما سلف ص : ٦٨ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق و= « تكبرهم فيها بغير الحق »، تجبرهم فيها ، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله ،والإذعان لأمره ونهيه ،[١] وهم لله عبيدٌ يغذوهم بنعمته ،[٢] ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيًّا ،[٣]= «كل آية »، يقول: كل حجة لله على وحدانيته وربوبته ، وكل دلالة على أنه لا تنبغى العبادة إلا له خالصة دون غيره[٤]= « لا يؤمنون بها »، يقول : لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هى فيه حجة ، ولكنهم يقولون : « هى سحر وكذب » =« وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً »، يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب ، وصاروا إلى نعيم الأبد ، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقاً، جهلاً منهم وحيرة[٥]= « وإن يروا سبيل الغى » ، يقول: وإن يروا طريق الهلاك الذى إن سلكوه ضلّوا وهلكوا .

* * *

وقد بينا معنى « الغى » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[٦]

---

(١) انظر تفسير « التكبر » فيما سلف :٧٠، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « يغدوهم » بالدال المهملة ، والصواب ما أثبت

(٣) « أراح عليه حقه » ، رده عليه ، يقول الشاعر :

إِلَّا تُرِيحِي عَلَيْنَا الْحَقَّ طَائِعَةً دُونَ الْقُضَاةِ ، فَقَاضِينَا إِلَى حَكَمِ

(٤) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي)

(٥) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

= وتفسير « الرشد » فيما سلف ٣ : ٥/٤٨٢ : ٧/٤١٦ : ٥٧٦ .

(٦) انظر تفسير « الغى » فيما سلف ٥ : ٣٣٣:١٢/٤١٦ .

« يتخذوه سبيلاً »، يقول : يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقاً ، لصرف الله إياهم عن آياته ، وطبعه على قلوبهم ، فهم لا يفلحون ولا ينجحون = « ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » ، يقول تعالى ذكره : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا ، عقوبةً منا لهم على تكذيبهم بآياتنا = « وكانوا عنها غافلين » ، يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه = « غافلين »، لا يتفكرون فيها ، لاهين عنها ، لا يعتبرون بها ، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعَطِبوا .(١)

* * *

واختلف القرأة فى قراءة قوله « الرشد » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين : ﴿الرُّشْدِ﴾، بضم « الراء » وتسكين « الشين » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة وبعض المكيين : ﴿الرَّشَدِ﴾، بفتح « الراء » و « الشين » .

* * *

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه ، وفيه إذا فتحتا جميعاً .

فذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : الصلاح ، كما قال الله : ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، [سورة النساء : ٦] ، بمعنى : صلاحاً . وكذلك كان يقرأه هو = ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه : الرشد فى الدين ، كما قال جل ثناؤه : ﴿تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾[سورة الكهف : ٦٦] ،(٢)

---

(١) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٧٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) قراءتنا وقراءة السبعة : « رشدا » (بضم الراء وسكون الشين)، وقراءة أبي عمرو من السبعة كما ذكر أبو جعفر ، ولذلك استدل بها أبو عمرو فى هذا الموضع . ولم يذكر هذه القراءة أبو جعفر فى تفسير الآية من سورة الكهف .

بمعنى الاستقامة والصواب فى الدين .

* * *

وكان الكسائى يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل « السُّقم » و « السَّقَم » ، و « الحُزْن » و « الحَزَن » وكذلك « الرُّشْد » و « الرَّشَد » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضةٌ القراءة بهما فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ بها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهؤلاء المستكبرون فى الأرض بغير الحق ، وكلّ مكذِّبٍ حججَ الله ورسله وآياته ، وجاحدٍ أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكرٍ لقاء الله فى آخرته = ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ، لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم فى غير ما يرضى الله ، فصارت أعمالهم عليهم وَبالاً . يقول الله جل ثناؤه : « هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » ، يقول : هل يثابون إلاّ ثواب ما كانوا يعملون ؟ [١] فصار ثواب أعمالهم الخلودَ فى نار أحاط بهم سرادقها ، إذ كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان ، دون طاعة الرحمن ، نعوذ بالله من غضبه .

* * *

وقد بينا معنى « الحبوط » و « الجزاء » و « الآخرة » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . [٢]

---

(١) فى المطبوعة : « هل ينالون إلا ثواب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الحبوط » فيما سلف ١١ : ٥١٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وتفسير « الجزاء » ، و « الآخرة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) و (أخر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واتخذ بنو إسرائيل قومُ موسى ، من بعد ما فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لمناجاته ، ووفاءً للوعد الذى كان ربه وعده = « من حليهم عجلاً » ، وهو ولد البقرة ، فعبدوه .[1] ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال : « جسداً له خوار »= و « الخوار » صوت البقر= يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل . وذلك أن الرب جلّ جلاله الذى له ملك السموات والأرض ، ومدبر ذلك ، لا يجوز أن يكونَ جسداً له خوار ، لا يكلم أحداً ، ولا يرشد إلى خير . وقال هؤلاء الذين قص الله قصَصهم لذلك: « هذا إلهنا وإله موسى » ، فعكفوا عليه يعبدونه ، جهلاً منهم ، وذهاباً عن الله وضلالاً .

* * *

وقد بينا سبب عبادتهم إياه ، وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل . فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وفى « الحلى » لغتان : ضم «الحاء» وهو الأصل = وكسرها، وكذلك ذلك فى كل ما شاكله من مثل «صلى» و « جثىّ » و « عتىّ » ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، لاستفاضة القراءة بهما فى القرأة ، ولاتفاق معنييهما .[3]

* * *

(١) مضى ذكر « العجل » فيما سلف ٢ : ٦٣ ، ٧٢ ، ٣٥٤ ، ٩/٣٥٧ : ٣٥٦ ، ولم يفسره إلا فى هذا الموضع .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٦٣ — ٦٨ / ثم ص : ٧٤ — ٧٨ .

(٣) فى المطبوعة : « لا تفارق بين معنييهما » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام ومسخه . والصواب ما فى المخطوطة ، ولكنى زدت الواو ، لأنها حق الكلام .

وقوله : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً » ، يقول : ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه ، أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟ يقول : ولا يرشدهم إلى طريق ؟ [1] وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقاً ، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى .

يقول الله جل ثناؤه : « اتخذوه » ، أي : اتخذوا العجل إلهاً ، وكانوا باتخاذهم إياه ربًّا معبوداً ظالمين لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذى له الألوهة .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى بما أغنى عن إعادته . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولما سقط فى أيديهم » ، ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته ، عند رجوع موسى إليهم ، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم .

* * *

وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف ، وعاجز عن شيء : « قد سُقِط فى يديه » و « أسقط » ، لغتان فصيحتان ، وأصله من الاستئسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه ، فيرمى به من يديه إلى الأرض ليأسره ،

---

(١) انظر تفسير « سبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

فيكتفه . فالمرمىّ به مسقوط فى يدى الساقط به . فقيل لكل عاجز عن شىء ، وضارع لعجزه ،[1] متندّم على ما قاله : « سقط فى يديه » و« أسقط » .[2]

* * *

وعنى بقوله : « ورأوا أنهم قد ضلوا » ، ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل ، وذهبوا عن دين الله ، وكفروا بربهم ، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به : « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض قرأة أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾ ، بالرفع ، على وجه الخبر .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا ﴾ ، بالنصب ، بتأويل : لئن لم ترحمنا يا ربنا = على وجه الخطاب منهم لربهم .

واعتلّ قارئو ذلك كذلك بأنه فى إحدى القراءتين : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا وَتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ، وذلك دليل على الخطاب .[3]

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك ، القراءةُ على وجه

---

(١) فى المطبوعة : « ومضارع لعجزه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٨ ، والذى قاله أبو جعفر تفصيل جيد ، وبيان عن أصل الحرف ، قلما تصيبه فى كتب اللغة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « قالوا لئن ترحمنا ربنا وتغفر لنا » ، كسياق الآية فى مصحفنا ، وهذا لا دليل فيه على الخطاب . ولكن ما أثبته هو الذى فيه الدليل على الخطاب ، لتقديم قوله : « ربنا » ، وهى قراءة أبى بن كعب ، وهى كذلك فى مصحف عبد الله بن مسعود ، كما ذكر الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٣ . فقوله : « واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه فى إحدى القراءتين » ، أرجح أنه يعنى إحدى قراءتى عبد الله بن مسعود . وأيضاً ، فإن الآية ستأتى بعد أسطر على الصواب فى المخطوطة ، ولكن يغيرها ناشر المطبوعة ، كما فى التعليق التالى .

الخبر بالباء فى ﴿ يَرْحَمْنَا ﴾ ، و بالرفع فى قوله : ﴿ رَبُّنَا ﴾ ، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجَّهاً إلى الخطاب .

* * *

والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا ﴾ ،[1] لا نعرف صحتها من الوجه الذى يجب التسليم إليه . ٩/٤٤

* * *

ومعنى قوله : « لئن لم يرحمنا ربنا و يغفر لنا » ، لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ، و يتغمد بها ذنوبنا ، لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما رجع موسى إلى قومه من بنى إسرائيل ، رجع غضبان أسفاً ، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه ، وأن السامرى قد أضلّهم ، فكان رجوعه غضبان أسفاً لذلك .

* * *

و « الأسف » شدة الغضب ، والتغيظ به على من أغضبه ، كما :—

١٥١٢٤ — حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ، حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ، حدثنى شريح بن يزيد قال ، سمعت نصر بن علقمة يقول : قال أبو الدرداء : قول الله : « غضبان أسفاً » ، قال : « الأسف » ، منزلة وراء الغضب ،

---

(١) فى المطبوعة : « قالوا لئن ترحمنا ربنا » ، بتأخير « ربنا » ، والصواب تقديمها كما فى المخطوطة . وهو تصرف سىء من الناشر . انظر التعليق السالف .

(٢) انظر تفسير « الرحمة » و « المغفرة » و « الخسران » فيما سلف (رحم) (غفر) (خسر) .

أشدُّ من ذلك ، وتفسير ذلك فى كتاب الله : ذهب إلى قومه غضبان ، وذهب أسفاً .(١)

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

١٥١٢٥ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أسفاً » قال : حزيناً .

١٥١٢٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً »، يقول: « أسفاً »، حزيناً ، وقال فى « الزخرف » : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾، [سورة الزخرف : ٥٥]، يقول: أغضبونا = و « الأسف » ، على وجهين : الغضب، والحزن .

١٥١٢٧ — حدثنا نصر بن على قال، حدثنا سليمان بن سليمان قال ، حدثنا مالك بن دينار قال ، سمعت الحسن يقول فى قوله : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً » ، قال : غضبان حزيناً .

* * *

وقوله : « قال بئسما خلفتمونى من بعدى » ، يقول : بئس الفعل فعلتم بعد فراق إياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ، ودينى الذى أمركم به ربكم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥١٢٤ — « عبد السلام بن محمد الحضرمى » ، يعرف بـ « سليم » ، مترجم فى التهذيب ، وقال : « وقد ذكره البخارى فلم يذكر فيه جرحاً »، وابن أبى حاتم ٤٨/١/٣ ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

و « شريح بن يزيد الحضرمى » ، « أبو حيوة » ، لم يذكر فيه البخارى جرحاً ، ووثقه ابن حبان. مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٣١/٢/٢ .

و « نصر بن علقمة الحضرمى » ، « أبو علقمة » ، وثقه دحيم وابن حبان ، ولم يذكر فيه البخارى جرحاً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٠٢/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٦٩/١/٤ ، وروايته عن أبى الدرداء مرسلة .

يقال منه : « خلفه بخير » ، و« خلفه بشر » ، إذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم ، خيراً أو شرًّا .[١]

* * *

وقوله : « أعجلتم أمر ربكم » ، يقول : أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه؟

* * *

يقال منه : «عجل فلان هذا الأمر » ، إذا سبقه = و «عجل فلانٌ فلاناً» ، إذا سبقه = و «لا تَعْجَلْنى يا فلان» ، لا تذهب عنى وتدعنى = و «أعجلته» ، استحثثته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وألقى موسى الألواح .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى سبب إلقائه إياها .

فقال بعضهم : ألقاها غضباً على قومه الذين عبدوا العجل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٨ — حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا الأصبغ ابن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وألقى الألواح من الغضب .

١٥١٢٩ — وحدثنى عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا ابن عيينة قال ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما رجع

---

(١) انظر تفسير « خلف » فيما سلف ص : ٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

موسى إلى قومه ، وكان قريباً منهم ، سمع أصواتهم ، فقال : إنى لأسمع أصواتَ قومٍ لاهين : فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ، ألقى الألواح فكسرها ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه .

١٥١٣٠ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخذ موسى الألواح ، ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، فقال : ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ ، إلى قوله : ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [سورة طه : ٨٦ ، ٨٧] ، فألقى موسى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه = ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [سورة طه : ٩٤] .

١٥١٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ، ويقول : ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [سورة طه : ٩٢ ، ٩٣] .

٥/٩ ٤

* * *

وقال آخرون : إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه ، فاشتدَّ ذلك عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٣٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أخذ الألواح » ، قال : رب ، إنى أجد فى الألواح أمةً خيرَ أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون = أى آخرون فى الخلق = السابقون فى دخول الجنة ،[1] رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد !

---

(١) فى المطبوعة : « الآخرون السابقون = أى : آخرون فى الخلق ، سابقون فى دخول الجنة » . وأثبت ما فى المخطوطة .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرأونها ، = وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ، ولم يعرفوه . قال قتادة : وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم = قال : ربِّ اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون فضول الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ، ثم يؤجرون عليها = وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه ، بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، وإن رُدَّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع . قال : وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم = قال : رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمئة ، رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد ! قال : فأعطى نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيٌّ ، قال الله : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] . قال : فرضى نبي الله ، ثم أعطى الثانية : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٩] ، قال : فرضى نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى .

١٥١٣٣ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال: لما أخذ موسى الألواح قال : يا رب ، إنى أجد فى الألواح أمة هم خير الأمم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ، ثم ذكر نحو حديث بشر ابن معاذ = إلا أنه قال فى حديثه: فألقى موسى عليه السلام الألواح ، وقال: اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى الله عليهما .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك ، أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر فى كتابه فقال : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه » .

* * *

وذكر أن الله لما كتب لموسى عليه السلام فى الألواح التوراة ،[١] أدناه منه حتى سمع صريف القلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٣٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى عمارة ، عن على عليه السلام قال : كتب الله الألواح لموسى عليه السلام ،[٢] وهو يسمع صريف الأقلام فى الألواح .

٦/٩

١٥١٣٥ — . . . . قال حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد

(١) فى المطبوعة : « وذلك أن الله لما كتب » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « لما كتب الله الألواح » ، والصواب حذف « لما » كما فى المخطوطة .

بن جبير قال : أدناه حتى سمع صريف الأقلام . [(١)]

* * *

وقيل : إن التوراة كانت سبعة أسباع ، فلما ألقى موسى الألواح تكسرت ، فرفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع «تفصيل كل شيء» الذى قال الله : «وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء» ، وبقى الهدى والرحمة فى السبع الباقى ، وهو الذى قال الله : ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] .

* * *

وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وَقْر بعير ، يقرأ منها الجزء فى سنة ، كما :—

١٥١٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن خالد المكفوف قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : أنزلت التوراة وهى سبعون وَقْر بعير ، يقرأ منها الجزء فى سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ، وعيسى ، وعزير ، ويوشع بن نون ، صلوات الله عليهم .

* * *

واختلفوا فى « الألواح » .

فقال بعضهم : كانت من زُمرد أخضر

* * *

وقال بعضهم : كانت من ياقوت .

* * *

وقال بعضهم : كانت من بَرَد .

* * *

• ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك .

١٥١٣٧ — حدثنى أحمد بن إبراهيم الدَّورقى قال ، حدثنا حجاج بن محمد ،

---

(١) الأثر : ١٥١٣٥ — وضعت النقط فى هذا الخبر ، للدلالة على أن هذا الإسناد ملحق بالإسناد السالف ، وصدره هكذا : «حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل . . .»

عن ابن جريج قال ، أخبرنى يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ألقى موسى الألواح فتكسرت ، فرفعت إلاّ سدسها = قال ابن جريج : وأخبرنى أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة .

١٥١٣٨ — وحدثنى موسى بن سهل الرملى ، وعلى بن داود ، وعبد الله بن أحمد بن شبويه ، وأحمد بن الحسن الترمذى قالوا ، أخبرنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : كانت ألواح موسى عليه السلام من بَرَد .(١)

١٥١٣٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبى الجنيد ، عن جعفر بن أبى المغيرة قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح ، من أى شىء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة ، كتابة الذهب ، كتبها الرحمن بيده ، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها .

١٥١٤٠ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا عبد الرحمن ، عن محمد بن أبى الوضاح ، عن خصيف ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال : كانت الألواح زمرداً ، فلما ألقى موسى الألواح بقى الهدى والرحمة ، وذهب التفصيل .

١٥١٤١ — قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا الأشجعى ، عن محمد بن مسلم ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كانت الألواح من زمرد أخضر .

* * *

وزعم بعضهم : أن الألواح كانت لوحين .

فإن كان الذى قال كما قال ، فإنه قيل : « وكتبنا له فى الألواح »، وهما لوحان ، كما قيل، ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة النساء : ١١] ، وهما أخوان .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥١٣٨ — انظر الأثر رقم : ٩١٤ ، والتعليق عليه .

(٢) انظر ما قال فى الجمع ، والمراد به اثنان فيما سلف ٨ : ٤١ — ٤٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٤ .

وأما قوله : « وأخذ برأس أخيه يجره إليه » ، فإن ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان، لموجدته على أخيه هرون فى تركه أتباعه، وإقامته مع بنى إسرائيل فى الموضع الذى تركهم فيه ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل موسى عليه السلام له: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾[سورة طه: ٩٢، ٩٣]، حين أخبره هرون بعذره فقبل عذره، وذلك قيله لموسى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، [سورة طه : ٩٤]، وقال: « يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء » ، الآية :

* *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يا ابن أم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة و بعض أهل البصرة: ﴿ يَا ابْنَ أُمَّ ﴾ بفتح « الميم » من « الأم » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ ابْنَ أُمِّ ﴾، بكسر « الميم » من « الأم » .

* * *

واختلف أهل العربية فى فتح ذلك وكسره ، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان فى العرب .

فقال بعض نحويى البصرة : قيل ذلك بالفتح ، على أنهما اسمان جعلا اسماً واحداً ، كما قيل : « يا ابن عمَّ » ، وقال : هذا شاذ لا يقاس عليه . وقال : من قرأ ذلك : « يا ابن أمِّ » ، فهو على لغة الذين يقولون : « هذا غلامِ قد جاء » ، جعله اسماً واحداً آخره مكسور ، مثل قوله : « خازِ بازِ ».[1]

* * *

(١) « الخازباز » ، هو ضرب من الذبان ، و « خاز » و « باز » صوتان من صوت الذباب ، فجعلا واحداً ، وبنيا على الكسر ، لا يتغير فى الرفع والنصب والجر .

٤٧/٩ وقال بعض نحويي الكوفة : قيل « يا ابن أمَّ » و « يا ابن عمَّ » ، فنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات ، فيقال : « يا حسرتا » ، « يا ويلتا » . قال : فكأنهم قالوا : « يا أماه » ، « ويا عماه » ، ولم يقولوا ذلك فى « أخ » ، ولو قيل ذلك لكان صواباً . قال : والذين خفضوا ذلك ، فإنه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء . قال : ولا تكاد العرب تحذف « الياء » إلا من الاسم المنادَى يضيفه المنادِى إلى نفسه ، إلا قولهم : « يا ابن أمِّ » و « يا ابن عمِّ » ، وذلك أنهما يكثر استعمالهما فى كلامهم ، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا « الياء » فقالوا : « يا ابن أبى » و « يا ابن أختى ، وأخى » و « يا ابن خالتى » ، و « يا ابن خالى » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إذا فتحت « الميم » من « ابن أم » فمرادٌ به الندبة : يا ابن أماه ، وكذلك من « ابن عم » . فإذا كسرت فمرادٌ به الإضافة ، ثم حذفت « الياء » التى هى كناية اسم المخبر عن نفسه . وكأن بعض من أنكر تشبيه كسر ذلك إذا كسر ككسر الزاى من « خازباز »،(٢) لأن « خاز باز » لا يعرف الثانى إلا بالأول ، ولا الأول إلا بالثانى ، فصار كالأصوات.

وحكى عن يونس الجرمى تأنيث « أم » وتأنيث « عم »،(٣) وقال : لا يجعل اسمًا واحداً إلا مع « ابن » المذكر. قالوا : وأما اللغة الجيدة والقياسُ الصحيح ، فلغة من قال : « يا ابن أمى » بإثبات « الياء » ، كما قال أبو زبيد :

يَا ابْنَ أُمِّى ، وَيَا شُقَيِّقَ نَفْسِى أَنْتَ خَلَّفْتَنِى لِدَهْرٍ شَدِيدِ(٤)

---

(١) هذه كلها مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٤ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « من أنكر نسبته كسر ذلك . . . » ، وصواب قراءته ما أثبته « تشبيه » .

(٣) « يونس الجرمى » ، هكذا جاء هنا أيضاً ، وانظر ما سلف ١٠ : ١٢٠ ، تعليق : ١ ، ثم ١١ : ٥٤٤ ، تعليق : ٣ ، وما سيأتى ص : ١٣٨ .

(٤) أمالى اليزيدى ٩ ، جمهرة أشعار العرب : ١٣٩ واللسان (شقق) ، وشواهد العينى (هامش خزانة الأدب) ٤ : ٢٢٢ ، وغيرها . من قصيدة مختارة ، يرثى ابن أخته اللجلاج ، ويقال

وكما قال الآخر :(١)

يَا ٱبْنَ أُمِّيَ! وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدْ ... عُو تَمِيمًا وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابِ(٢)

يرثى أخاه الجلاج ، ويروى البيت :

يَا ٱبْنَ خَنْسَاء ، شِقَّ نَفْسِيَ يَا لَجْـــلَاجُ ، خَلَّيْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وأما هذه الرواية ، فهى رواية النحاة جميعاً فى كتبهم فى باب النداء . يقول فيها :

كُلُّ مَيْتٍ قَدِ ٱغْتَفَرْتُ، فَلاَ أُو ... جَعُ مِنْ وَالِدٍ وَلاَ مَوْلُودِ

غَيْرَ أَنَّ ٱلْأَجْلَاجَ هَدَّ جَنَاحِي ... يَوْمَ فَارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ

فِى ضَرِيحٍ عَلَيْهِ عِبْءٌ ثَقِيلٌ ... مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ مَنْضُودِ

عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ صَدٍ حَرَّ ... انَ يَدْعُو بِاللَّيْلِ غَيْرَ مَعُودِ

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ

وقوله : « شقيقى » تصغير « شقيق » ، وهو الأخ .

(١) هو غلفاء بن الحارث ، وهو : معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى ، وهو عم امرئ القيس بن حجر إمام الشعراء . وسمى « غلفاء » ، لأنه كان يغلف رأسه بالمسك . ويقال : هو أول من فعل ذلك .

(٢) النقائض : ٤٥٧ ، ١٠٧٧ ، الوحشيات رقم : ٢١٣ ، الأغانى ١٢ : ٢١٣ ، من قصيدة يرثى بها أخاه شرحبيل بن الحارث ، قتيل يوم الكلاب الأول (انظر خبر ذلك فى النقائض ، والأغانى) ، يقول قبله ، وهو أول الشعر :

إِنَّ جَنْبِي عَنِ الفِرَاشِ لَنَابِي ... كَتَجَافِي الأَسَرِّ فَوْقَ الظِّرَابِ

مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَلاَ تَرْ ... قَأُ عَيْنِي ، وَلاَ أُسِيغُ شَرَابِي

مُرَّةٌ كَالذُّعَافِ أَكْتُمُهَا النَّا ... سَ ، عَلَى حَرِّ مَلَّةٍ كَالشِّهَابِ

مِنْ شُرَحْبِيلَ إِذْ تَعَاوَرَهُ الأَرْ ... مَاحُ فِي حَالِ لَذَّةٍ وَشَبَابِ

يَا ٱبْنَ أُمِّي . . . .

لَتَرَكْتُ الحُسَامَ تَجْرِي ظُبَاهُ ... مِنْ دِمَاءِ الأَعْدَاءِ يَوْمَ الكُلاَبِ

ثُمَّ طَاعَنْتُ مِنْ وَرَائِكَ حَتَّى ... تَبْلُغَ الرُّحْبَ ، أَوْ تُبَزَّ ثِيَابِي

وقوله : « الأسر » هو البعير تخرج فى كركرته قرحة لا يقدر معها أن يبرك إلا على مستو من الأرض . و « الظراب » : جمع « ظرب » (بفتح ثم كسر) ، وهو من الحجارة ما كان ناتئاً فى جبل أو أرض خربة ، وكان طرفه الناتئ محدداً . و « الملة » (بفتح الميم) : الرماد الحار .

وإنما أثبت هؤلاء الياء فى « الأم » ، لأنها غير مناداة ، وإنما المنادى هو « الابن » دونها . وإنما تسقط العرب « الياء » من المنادى إذا أضافته إلى نفسها ، لا إذا أضافته إلى غير نفسها ، كما قد بينا .[١]

* * *

وقيل : إن هرون إنما قال لموسى عليه السلام : « يا ابن أم » ، ولم يقل : « يا ابن أبى » ، وهما لأب واحد وأم واحدة ، استعطافاً له على نفسه برحم الأم.[١]

* * *

وقوله : « إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » ، يعنى بالقوم ، الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا : « هذا إلهنا وإله موسى » ، وخالفوا هرون. وكان استضعافهم إياه : تركهم طاعته واتباع أمره[٢] = « وكادوا يقتلوننى » ، يقول: قاربوا ولم يفعلوا .[٣]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فلا تشمت » .

فقرأ قرأة الأمصار ذلك : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾ ، بضم « التاء » من « تشمت » وكسر « الميم » منها ، من قولهم : « أشمت فلان فلاناً بفلان » ، إذا سره فيه بما يكرهه المشمت به .

* * *

وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك: ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءُ ﴾ .

١٥١٤٢ ــ حدثنى بذلك عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، قال حميد بن قيس : قرأ مجاهد: ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ ﴾.

١٥١٤٣ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة، عن حميد قال: قرأ مجاهد: ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ ﴾.

١٥١٤٤ ــ حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال، حدثنا سفيان بن عيينة،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٤ .
(٢) انظر تفسير « استضعف » فيما سلف ص : ٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « كاد » فيما سلف ٢ : ٢١٨ .

عن رجل، عن مجاهد، أنه قال: ﴿ لَا تَشْمِتْ ﴾ .[1]

* * *

وقال الفراء : قال الكسائى : ما أدرى، فلعلهم أرادوا : فلا تشمت بى الأعداءُ ، فإن تكن صحيحة فلها نظائر . العرب تقول: « فَرِغت وفَرَغت »، فمن قال« فَرِغت»، قال: « أنا أفرُغ »، ومن قال: « فرِغت »، قال: « أنا أفرَغُ »، وكذلك: « ركِنت » « وركَنت » ، و « شمِلهم أمرٌ »[2] و « شمَلهم » ، [3] فى كثير من الكلام . قال : و « الأعداء » رفع ، لأن الفعل لهم ، لمن قال: « تشمَت » أو «تشمِت».[4]

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز القراءة إلا بها، قراءةُ من قرأ : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ ﴾: بضم« التاء » الأولى، وكسر« الميم» من: « أشمتُّ به عدوه أشمته به » ، ونصبِ « الأعداء » ، لاجماع الحجة من قرأة الأمصار عليها ، وشذوذ ما خالفها من القراءة ، وكفى بذلك شاهداً على ما خالفها . هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب: « شمت فلان فلاناً بفلان » ، و «شمت فلان بفلان يشمِت به »، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوِّه : « شمِت به » بكسر « الميم » : « يشمَت به » ، بفتحها فى الاستقبال .

* * *

٤٨/٩ وأما قوله : « ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » ، فإنه قولُ هرون لأخيه موسى . يقول : لا تجعلنى فى موجدتك علىَّ وعقوبتك لى ولم أخالف أمرك ، محلَّ من عصاك فخالف أمرك ، وعبد العجل بعدك ، فظلم نفسه ، وعبد غيرَ من له العبادة ، ولم أشايعهم على شىء من ذلك ، كما : —

---

(١) الأثر : ١٥١٤٤ — رواه الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٤ ، وقال عند قوله « عن رجل » : « أظنه الأعرج » ، يعنى : « حميد بن قيس المكى » المذكور فى الإسنادين السالفين .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ركبت وركبت » ، والصواب من معانى القرآن للفراء .

(٣) فى معانى القرآن : « وشملهم شر » .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٤ .

١٥١٤٥ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تجعلني مع القوم الظالمين » ، قال : أصحاب العجل .

١٥١٤٦ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بمثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال موسى ، لما تبين له عذر أخيه ، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله ، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل : « رب اغفر لي » ، مستغفراً من فعله بأخيه ، ولأخيه من سالف سلف له بينه وبين الله :[١] تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به[٢] = « وأدخلنا في رحمتك » ، يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين ، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئاً .

* *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن الذين اتخذوا العجل » إلهاً = « سينالهم غضب من ربهم » ، بتعجيل الله لهم ذلك[٣] = « وذلة » ، وهي الهوان ، لعقوبة الله

(١) في المطبوعة : « من سالف له » ، أسقط « سلف » ، وهي من المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .
(٣) انظر تفسير « نال » فيما سلف ١٢ : ٤٠٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

إياهم على كفرهم بربهم =[1]« فى الحياة الدنيا»، فى عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة .

* * *

وكان ابن جريج يقول فى ذلك بما : —

١٥١٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين»، قال : هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام، ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضاً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فإن ظاهر كتاب الله، مع تأويل أكثر أهل التأويل ، بخلافه. وذلك أن الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله إذ رجع إلى بنى إسرائيل موسى عليه السلام ، تابَ على عبدة العجل من فعلهم بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام فى كتابه، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة : ٥٤]، ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم . فكأن أمرُ الله إياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفُسَ بعض ، عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل. فكان قتل بعضهم بعضاً هواناً لهم وذلة أذلهم الله بها فى الحياة الدنيا ، وتوبة منهم إلى الله قبلها .

وليس لأحد أن يجعل خبرًا جاء الكتاب بعمومه، فى خاصٍّ مما عمه الظاهر ، بغير برهان من حجة خبر أو عقل. ولا نعلم خبرًا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم » ، إلى باطن خاصٍّ = ولا من العقل عليه دليل ، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه .

* * *

(١) انظر تفسير « الذلة » فيما سلف ٢ : ٧/٢١٢ : ١١/١٧١ : ٤٢١ .

ويعنى بقوله : « وكذلك نجزى المفترين » ، وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهاً ، من إحلال الغضب بهم ، والإذلال فى الحياة الدنيا على كفرهم ربَّهم ، وردَّتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله، كذلك نجزى كل من افترى على الله ، فكذب عليه ، وأقر بألوهية غيره ، وعبد شيئاً سواه من الأوثان ، بعد إقراره بوحدانية الله ، وبعد إيمانه به وبأنبيائه ورسله وقيل ذلك ، إذا لم يتب من كفره قبل قتله .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٤٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب قال : تلا أبو قلابة : « سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » الآية ، قال : فهو جزاء كل مفترٍ يكون إلى يوم القيامة : أن يذله الله عز وجل. ٩/٦

١٥١٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب قال : قرأ أبو قلابة يوماً هذه الآية : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » ، قال : هى والله لكل مفترٍ إلى يوم القيامة .

١٥١٥٠ — . . . . قال حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، وحميد : أن قيس بن عُبَاد ، وجارية بن قدامة ، دخلا على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالا : أرأيت هذا الأمر الذى أنت فيه وتدعو إليه ، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأىٌ رأيته ؟ قال : ما لكما ولهذا ؟ أعرضا عن هذا ! فقالا : والله لا نعرضُ عنه حتى تخبرنا ! فقال : ما عهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ كتاباً فى قراب سيفى هذا ! فاستلَّه ، فأخرج الكتاب من قراب سيفه ، وإذا فيه : « إنه لم يكن نبىّ إلا له حرم ، وأنّى حرمت المدينة

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ١٢ : ٥٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كما حرمَ إبراهيم عليه السلام مكة ، لا يحمل فيها السلاحُ لقتال . من أحدث حدثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عَدْل ». فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجعا وتركاه وقالا : إنا سمعنا الله يقول : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم » الآية ، وإن القوم قد افتروا فرية ، ولا أدرى إلا ستنزل بهم ذلة .[1]

١٥١٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة في قوله : « وكذلك نجزى المفترين » ، قال : كل صاحب بدعة ذليلٌ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابلٌ من كل تائب إليه من ذنب أتاه، صغيرةً كانت معصيته أو كبيرةً ، كفراً كانت أو غير كفر ، كما

---

(١) الأثر : ١٥١٥٠ — كان إسناد هذا الخبر في المطبوعة هكذا : « قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت : أن حميد بن قيس بن عباد ، وحارثة بن قدامة » ، وفي المخطوطة : « قال حدثنا حماد عن ثابت وحميد بن قيس بن عباد ، وحارثه بن قدامة » ، « حارىه » غير منقوطة . وهما جميعاً خطأ ، صوابه ما أثبت .

و « حماد » هو : « حماد بن سلمة » ، ثقة مشهور ، مضى مراراً .

و « ثابت » هو « ثابت بن أسلم البناني » ، مضى مراراً .

و « حميد » ، هو « حميد الطويل » ، وهو : « حميد بن أبي حميد » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً ، وهو خال « حماد بن سلمة » .

وأما « قيس بن عباد القيسي الضبعي » ، فهو ثقة قليل الحديث ، روى عنه الحسن . قدم المدينة في خلافة عمر . وهو ممن قتلهم الحجاج فيمن خرج مع ابن الأشعث . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٩٥/١/٧ ، والكبير ١٤٥/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٠١/١٢/٣ ، وفي الإصابة في القسم الثالث .

وأما « جارية بن قدامة بن زهير بن الحصين السعدي » ، يقال هو ابن عم الأحنف بن قيس ، ويقال هو : عمه . وقال الطبراني : « ليس بعم الأحنف أخي أبيه ، ولكنه كان يدعوه عمه على سبيل

قبل من عَبَدَة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم .

يقول جل ثناؤه : والذين عملوا الأعمال السيئة ، ثم رجعوا إلى طلب رضى الله بإنابتهم إلى ما يحب مما يكره ، وإلى ما يرضى مما يسخط ، من بعد سيِّئ أعمالهم ، وصدّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين ، وتائبٌ على المنيبين ، بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك = « لغفور » ، لهم ، يقول : لساتر عليهم أعمالهم السيئة ، وغير فاضحهم بها = « رحيم » ، بهم ، وبكل من كان مثلهم من التائبين .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولما سكت عن موسى الغضب » ، ولما كفّ عنه وسكن .[2]

* * *

الإعظام له » . وجارية تميمى من أشراف تميم وكان شجاعاً فاتكاً ، وهو صحابى ثابت الصحبة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/٣٨ ، والكبير ١/٢/٢٣٦ ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٢٠ ، وفى الإصابة ، وغيرها .

وهذا الخبر لم أهتد إليه بهذا الإسناد ، وهذه السياقة ، فى شيء من الكتب ، ولكن خبر الصحيفة ، عن « قيس بن عباد » ، رواه أحمد فى مسنده رقم : ٩٩٣ ، من طريق يحيى ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والأشتر إلى على ، فقلنا : هل عهد إليك نبى الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ » ، وساق خبراً آخر .

وروى أحمد خبر الصحيفة فى مسند على رضى الله عنه ، بأسانيد مختلفة ، وألفاظ مختصرة ومطولة ، ومؤتلفة ومختلفة . انظر رقم : ٦١٥ ، ٨٧٢ ، ٨٧٤ ، ٩٥٤ ، ٩٦٢ ، ١٠٣٧ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٦ ، وليس فى شيء منها ذكر « جارية بن قدامة » . ومع ذلك فخبر أبى جعفر صحيح الإسناد ، فكأنهما حادثتان مختلفتان .

وكان فى المخطوطة : « ولا أدرى إلا سينزل به ذلة » ، والصواب ما صححه ناشر المطبوعة .

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فى فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « ولما كف موسى عن الغضب » ، وهو اجتهاد من ناشر المطبوعة الأولى ، ولم يصب . فإن المخطوطة أسقطت تفسير العبارة ، وجاء فيها هكذا : « ولما سكت عن موسى الغضب ،

وكذلك كل كافٍ عن شيء : « ساكت عنه » ، وإنما قيل للساكت عن الكلام « ساكت » ، لكفه عنه.[١]

وقد ذكر عن يونس الجرمي أنه قال[٢] : يقال : « سكت عنه الحزن » ، وكلُّ شيء ، فيما زعم ، ومنه قول أبي النجم :

وَهَمَّتِ الأَفْعَى بِأَنْ تَسِيحَا وَسَكَتَ المُكَّاءُ أَنْ يَصِيحَا[٣]

* * *

= « أخذ الألواح » ، يقول : أخذها بعد ما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب = « وفي نسختها هدى ورحمة » ، يقول : وفيما نسخ فيها ، أي كتب فيها[٤] = « هدى » بيان الحق = « ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » ، يقول : للذين يخافون الله ويخشون عقابَه على معاصيه.[٥]

* * *

واختلف أهل العربية في وجه دخول « اللام » في قوله : « لربهم يرهبون » ،

وكذلك كل كاف . . . » ، والتفسير الذي أثبته الناشر الأول تفسير ذكره الزجاج قال : « معناه : ولما سكن . وقيل : معناه : ولما سكت موسى عن الغضب – على القلب ، كما قالوا : أدخلت القلنسوة في رأسي ، والمعنى : أدخلت رأسي في القلنسوة . قال : والقول الأول الذي معناه سكن ، هو قول أهل العربية » .

ولو أراد أبو جعفر ، لفسره كما فسره الزجاج ، فآثرت أن أضع تفسير أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٢٩ ، لأن الذي يليه هو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر ما سلف ص : ١٢٩ ، تعليق : ٣ .

(٣) لم أجد البيتين . وكان في المطبوعة : « تسبحا » و « تصبحا » ، وهو خطأ وفساد ، ولأبي النجم أبيات كثيرة من الرجز على هذا الوزن ، ولم أجد الرجز بتمامه . وصواب قراءة ما كان في المخطوطة هو ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « النسخة » فيما سلف ٢ : ٤٧٢ .

= وكان في المطبوعة هنا ، مكان قوله : « أي : كتب فيها » ، ما نصه : « أي : منها » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتبها بخط دقيق في آخر السطر ، فوصل الكلام بعضه ببعض ، فساءت كتابته .

(٥) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

مع استقباح العرب أن يقال فى الكلام : « رهبت لك » ، بمعنى : رهبتك = « وأكرمت لك » ، بمعنى : أكرمتك .

فقال بعضهم : ذلك كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾، [سورة يوسف : ٤٣] ، أوصل الفعل باللام .

* * *

وقال بعضهم : من أجل ربِّهم يرهبون .

* * *

وقال بعضهم : إنّما دخلت عَقِيب الإضافة : الذين هم راهبون لربهم ، وراهبُو ربِّهم = ثم أدخلت « اللام » على هذا المعنى ، لأنها عَقِيب الإضافة ، لا على التكليف .[1]

* * *

وقال بعضهم : إنما فعل ذلك ، لأن الاسم تقدم الفعل ، فحسن إدخال « اللام » . ٩/٥٠

* * *

وقال آخرون : قد جاء مثله فى تأخير الاسم فى قوله : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٧٢] .[2]

* * *

وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال : سمعت الفرزدق يقول : « نقدت له مئة درهم » ، يريد : نقدته مئة درهم .[3] قال : والكلام واسع .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لا على التعليق » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكأنه يعنى بقوله : « التكليف » معنى « التعليق » ، لأن « التكليف » هو « التحميل » ، ولم أجد تفسير هذه الكلمة فى مكان آخر ، ولعلها من اصطلاح بعض قدماء النحاة .

(٢) انظر ما سلف ٦ : ٥١١/٧ : ١٦٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

(٣) نقله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٣ عن الكسائى ، قال : « سمعت بعض العرب يقول : نقدت لها مئة درهم ، يريد : نقدتها مئة ، لامرأة تزوجها » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، للوقت والأجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم ،[١] للتوبة مما كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل ، كما : —

١٥١٥٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناسٍ من بنى إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا . فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته ، فأرناه ! فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاى![٢]

١٥١٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلاً ، الخيِّر فالخيرَ ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتَطَهَّروا ، وطهِّروا ثيابكم! فخرج بهم إلى طورسيْناء، لميقات وقّته له ربه . وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وعلم . فقال السبعون = فيما ذكر لى = حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربِّه، لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربِّنا! فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمودُ الغمام ، حتى تغشى الجبلَ كله . ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم: ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقَع على جبهته نور

(١) انظر تفسير « الميقات » فيما سلف ٣ : ٥٥٣ — ١٣/٥٥٥ : ٨٧ ، ٩٠

(٢) الأثر : ١٥١٥٢ — مضى مطولا برقم : ٩٥٨ ، ومراجعه هناك .

ساطعٌ لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه! فضرب دونه بالحجاب . ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلِّم موسى ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل ! فلما فرغ الله من أمره ، انكشف عن موسى الغمام . فأقبل إليهم ،[1] فقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ! فأخذتهم الرجفة = وهى الصاعقة = فافتُلِتَتْ أرواحهم ،[2] فماتوا جميعاً، وقام موسى عليه السلام يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياى! قد سفهوا ، أفتهلك مَنْ ورائى من بنى إسرائيل ؟[3]

١٥١٥٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : كان الله أمرَه أن يختار قومه سبعين رجلاً ، فاختار سبعين رجلاً ، فبرزَ بهم ليدعوا ربَّهم . فكان فيما دَعَوُا الله قالوا : اللهم أعطِنا ما لم تعطه أحداً بعدنا ! فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة . قال موسى : ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاى !

١٥١٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا خالد بن حيان ، عن جعفر ، عن ميمون : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال: لموعدهم الذى وعدهم .

١٥١٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال: اختارهم لتمام الوعد.

* * *

وقال آخرون : إنما أخذتهم الرجفة من أجل دَعْواهم على موسى قتلَ هرون .

---

(١) فى المطبوعة : « وانكشف عن موسى . . . أقبل » ، غير ما فى المخطوطة . كما فعل آنفاً فى رقم : ٩٥٧ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فالتقت أرواحهم » ، ولا معنى لها ، صوابها ما أثبته . « افتلتت نفسه » (بالبناء للمجهول) : مات فلتة ، أى بغتة . وانظر ما سلف ٢ : ٨٧ ، تعليق : ١

(٣) الأثر : ١٥١٥٣ — مضى هذا الخبر برقم ٩٥٧ ، ومراجعه هناك .

• ذكر من قال ذلك :

٩/٥١ ١٥١٥٧ — حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا يحيى بن يمان قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني أبو إسحق ، عن عمارة بن عبد السَّلولي ، عن علي رضي الله عنه قال : انطلق موسى وهرون وشبر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جَبَلٍ ، فنام هرون على سرير ، فتوفّاه الله . فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين هرون ؟ قال : توفاه الله ! قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا على خُلقه ولينه = أو كلمة نحوها = قال : فاختاروا من شئتم ! قال : فاختاروا سبعين رجلاً . قال : فذلك قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : فلما انتهوا إليه ، قالوا : يا هرون ، من قتلك ؟ قال : ما قتلني أحد ، ولكنني توفّاني الله ! قالوا : يا موسى : لن تعصَى بعد اليوم ! قال : فأخذتهم الرجفة . قال : فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً ، وقال : « يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا إن هي إلا فتنتك تضِل بها من تشاء وتهدى من تشاء » ، قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياءَ كلهم .(١)

١٥١٥٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن رجل من بني سلول : أنه سمع عليًّا رضي الله عنه يقول في هذه الآية : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : كان هرون

---

(١) الأثر : ١٥١٥٧ — « عمارة بن عبد السلولي » ، هو أخو : « سليم بن عبد السلولي » و « زيد بن عبد السلولي » ، قال العجلي : « هم ثلاثة إخوة : سليم بن عبد ، وعمارة بن عبد ، وزيد بن عبد ، ثقات ، سلوليون ، كوفيون » . روى عن علي ، وحذيفة . لم يرو عنه غير أبي إسحق الهمداني . قال أحمد بن حنبل : « عمارة بن عبد ، مستقيم الحديث ، لا يروى عنه غير أبي إسحق » . وقال أبو حاتم : « شيخ مجهول لا يحتج بحديثه » . مترجم في ابن سعد ٦ : ١٥٨ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٣٦٧ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٨ ، ومر ذكره في التعليق على رقم : ٨٧٥٤ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٦١ ، ٥٦٢ : « وهذا أثر غريب جداً ، وعمارة بن عبد هذا ، لا أعرفه » . فقد تبين مما ذكرت أنه معروف ، وأن ابن كثير لم يستوعب بحثه .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٢٨ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في كتاب : من عاش بعد الموت ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ولم أجده في كتاب « من عاش بعد الموت » المطبوع ، فدل هذا على نقص النسخة المطبوعة منه .

حسنَ الخلق محبَّباً فى بنى إسرائيل . قال : فلما مات ، دفَنَه موسى . قال : فلما أتى بنى إسرائيل ، قالوا له : أين هرون ؟ قال : مات ! فقالوا : قتلته! قال : فاختار منهم سبعين رجلاً . قال : فلما أتوا القبرَ قال موسى : أقُتِلت أو مت ؟ قال : ميتٌ ! فأُصعقوا ، فقال موسى : ربِّ ما أقول لبنى إسرائيل ؟ إذا رجعت يقولون : أنت قتلتهم ! قال : فأحيُوا وجُعِلوا أنبياء .

١٥١٥٩ — حدثنى عبد الله بن الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا الربيع بن حبيب قال : سمعت أبا سعيد = يعنى الرقاشى = وقرأ هذه الآية : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، فقال : كانوا أبناءَ ما عدا عشرين ، ولم يتجاوزوا الأربعين ، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهلُه وصباه ، وأنّ من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئاً .(١)

* * *

وقال آخرون : إنما أخذت القوم الرَّجفة ، لتركهم فِراق عبدة العجل ، لا لأنهم كانوا من عَبَدَته .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، فقرأ حتى بلغ : « السفهاء منا » ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم الرجفة ، لأنهم لم يزايلوا

(١) الأثر : ١٥١٥٩ — « عبد الله بن الحجاج بن المنهال » ، لم أجد له ترجمة .
وأبوه « الحجاج بن المنهال الأنماطى » ، مضى مراراً كثيرة .
و « الربيع بن حبيب الحنفى » ، « أبو سعيد » . روى عن الحسن ، وابن سيرين ، وأبى جعفر الباقر . روى عنه أبو داود الطيالسى ، ويحيى القطان ، وعبد الصمد بن عبد الوارث . وثقه أحمد ويحيى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٥٣/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٥٧/٢/١ .
و « أبو سعيد الرقاشى » ، هو فيما أرجح « قيس ، مولى أبى ساسان حضين بن المنذر الرقاشى » . وكان أبو سعيد قليل الحديث . مترجم فى ابن سعد ١٥٤/١/٧ ، والكبير ١٥١/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٠٦/٢/٣ .
وهناك أيضاً « أبو سعيد الرقاشى » ، البصرى وهو « بيان بن جندب الرقاشى » ، روى عن أنس . مترجم فى الكبير ١٣٣/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٤٢٤/١/١ ، ولسان الميزان ٢ : ٦٩ . قال ابن حبان فى الثقات : « يخطىء » .

القوم حين نَصَبُوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامِعُوهم عليه .

١٥١٦١ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، ممن لم يكن قال ذلك القول ، على أنهم لم يجامعوهم عليه ، فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومَهم حين اتَّخذوا العجل . قال: فلما خرجوا ودعوا، أماتهم الله ثم أحياهم . فلما أخذتهم الرجفة قال : « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » .

١٥١٦٢ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، قال مجاهد : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » = و« الميقات» ، الموعد = فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاءَ فلم يستجب لهم ، علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابَه قومهم = قال أبو سعد[1] : فحدثني محمد بن كعب القرظي قال : لم يستجب لهم ، من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ويأمروهم بالمعروف . قال : فأخذتهم الرجفة ، فماتوا ثم أحياهم الله .

١٥١٦٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عون ، عن سعيد بن حيان ، عن ابن عباس : أن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، إنما أخذتهم الرجفة أنَّهم لم يرضَوا ولم ينهَوا عن العجل .

١٥١٦٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا عون قال ، حدثنا سعيد بن حيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

٩/٥٢

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله : « قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » .

فقال بعض نحويي البصرة: معناه : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً = فلما نزع « من » أعمل الفعل ، كما قال الفرزدق :

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « قال ابن سعد » ، والصواب ما أثبت ، كما سلف فى إسناد الخبر .

وَمِنَّا الَّذِى اُخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وَجُودًا، إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[(١)]

وكما قال الآخر :[(٢)]

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ ، فافعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَامَالٍ وَذَا نَشَبِ[(٣)]

---

(١) ديوانه : ٥١٦ ، النقائض : ٦٩٦ ، سيبويه ١ : ١٨ ، الكامل ١ : ٢١ ، أمالى الشجرى ١ : ١٨٦ ، الخزانة ٣ : ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، اللسان (خير) وغيرها كثير . وهو أول قصيدة ناقض بها جريراً ، وذكر فيها فضائل قومه بنى تميم ومآثرهم ، وعنى بهذا البيت أباه غالباً ، وهو أحد أجواد بنى تميم ، ثم قال بعده :

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَى الرَّسُولُ عَطِيَّةً ... أُسَارَى تَمِيمٍ ، وَالْعُيُونُ دَوَامِعُ

يعنى الأقرع بن حابس ، الذى كلم رسول الله فى أصحاب الحجرات ، وهم بنو عمرو بن جندب ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، فرد رسول الله سبيهم . ثم أفاض فى ذكر مآثرهم .

(٢) هو أعشى طرود : « إياس بن عامر بن سليم بن عامر » . وروى هذا البيت أيضاً فى شعر نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، وإلى العباس بن مرداس ، وإلى زرعة بن السائب ، وإلى خفاف بن ندبة (الخزانة ١ : ١٦٦) .

(٣) ديوان الأعشين : ٢٨٤ ، سيبويه ١ : ١٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٧ ، الكامل ١ : ٢١ ، أمالى الشجرى ١ : ٣٦٥/٢ : ٢٤٠ ، الخزانة ١ : ١٦٤ — ١٦٧ ، وغيرها كثير . فمن نسبها إلى أعشى طرود قال من بعد أبيات يذكر وصية أبيه له :

إِنِّى حَوَيْتُ عَلَى الأَقْوَامِ مَكْرُمَةً ... قِدْمًا ، وَحَذَّرَنِى مَا يَتَّقُونَ أَبِى

وَقَالَ لِى قَوْلَ ذِى عِلْمٍ وَتَجْرِبَةٍ ... بِسَالِفَاتِ أُمُورِ الدَّهْرِ وَالْحِقَبِ

أَمَرْتُكَ الرُّشْدَ ، فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

لاَ تَبْخَلَنَّ بِمَالٍ عَنْ مَذَاهِبِهِ ... فِى غَيْرِ زَلَّةِ إِسْرَافٍ وَلاَ تَغَبِ

فَإِنَّ وُرَّاثَهُ لَنْ يَحْمَدُوكَ بِهِ ... إِذَا أَجَنُّوكَ بَيْنَ اللِّبْنِ وَالْخَشَبِ

« التغب » : الهلاك ، يعنى إهلاك المال فى غير حقه . ويروى : « ذا مال وذا نسب » بالسين ، وهو أجود ، لأن النشب هو المال نفسه . وقوله : « بين اللبن والخشب » ، يعنى : ما يسوى عليه فى قبره من الطين والخشب .

وأما الشعر المنسوب إلى عمرو بن معد يكرب أو غيره فهو :

إِنِّى حَوَيْتُ عَلَى الأَقْوَامِ مَكْرُمَةً ... قِدْمًا ، وَحَذَّرَنِى مَا يَتَّقُونَ أَبِى

وقال الراعى :

أُخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَثَّتْ خَلَائِقُهُمْ وَاُعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّولُ (١)

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما استُجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت « من » ، لأنه مأخوذ من قولك : « هؤلاء خير القوم » و « خير من القوم » ، فلما جازت الإضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى ، (٢) استجازوا : أن يقولوا « اخترتكم رجلاً » ، و « اخترت منكم رجلاً » ، وقد قال الشاعر : (٣)

* فَقُلْتُ لَهُ : أُخْتَرْهَا قَلُوصًا سَمِينَةً * (٤)

فَقَالَ لِى قَوْلَ ذِى رَأْىٍ وَمَقْدِرَةٍ مُجَرَّبٍ عَاقِلٍ نَزْهٍ عَنِ الرِّيَبِ
قَدْ نِلْتَ مَجْداً فَحَاذِرْ أَنْ تُدَنِّسَهُ أَبٌ كَرِيمٌ ، وَجَدٌّ غَيْرُ مُؤْتَشَبِ
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ . . . .
وأَتْرُكْ خَلَائِقَ قَوْمٍ لاَ خَلَاقَ لَهُمْ وَاُعْمِدْ لأَخْلَاقِ أَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ
وَإِنْ دُعِيتَ لِغَدْرٍ أَوْ أُمِرْتَ بِهِ فَاُهْرُبْ بِنَفْسِكَ عَنْهُ آبِدَ الهَرَبِ

(١) لم أجد البيت فى مكان . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « إذ عنت » ، بالعين المهملة والنون . ولا معنى لها ، ورجحت أن الصواب « غثت » بالغين والثاء . يقال : « غثثت فى خلقك وحالك غثاثة وغثوثة » ، وذلك إذا ساء خلقه وحاله . و « الغث » الردىء من كل شىء . و « اعتل » ، طلب العلل لمنع العطاء .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإذا جازت الإضافة » ، وأثبت صواب سياقها من معانى القرآن للفراء ، فهو نص كلامه .

(٣) هو الراعى النميرى .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام : ٤٥٠ ، وما قبلها ، وشرح الحماسة ٤ : ٣٧ ، وما قبله ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٥ (وهذه روايته) ، وغيرها . وهو من شعر قاله الراعى لما نزل به ضيف من بنى كلاب فى سنة حصاء مجدبة ، وليس عنده قرى ، والكلابى على ناب له (وهى الناقة المسنة) ، فأمر الراعى ابن أخيه حبتراً ، فنحرها من حيث لا يعلم الكلابى ، فأطعمه لحمها ، فقال الراعى فى قصيدته يذكر أنه نظر إلى ناقة الكلابى :

فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتَ عَرِيكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللَّاتِى تَمَتَّعْنَ بِالصَّوَى
فَأَوْمَضْتُ إِيمَاضًا خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ ! أَيَّمَا فَتَى

وقال الراجز : [١]

* تَحْتَ الَّتِى اُخْتَارَ لَهُ اُللهُ الشَّجَرْ * [٢]

بمعنى : اختارَها له الله من الشجر . [٣]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب ، لدلالة « الاختيار » على طلب « من » التي بمعنى التبعيض . ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حَشْو الكلام إذا عُرِف موضعه ، وكان فيما أظهرت دلالةٌ على ما حذفت. فهذا من ذلك إن شاء الله .

* * *

فَقُلْتُ لَهُ : أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَإِنْ يُجْبَرِ الْعُرْقُوبُ لاَ يَرْقَأُ النَّسَا

فَقَامَ إِلَيْهَا حَبْتَرٌ بِسِلاَحِهِ ، مَضَى غَيْرَ مَنْكُودٍ، ومُنْصُلُهُ انْتَضَى

كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُ مِنْ سَنَامِهَا كَشَفْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِي فَانْجَلَى

وهذا تصوير جميل جيد ، لهذه الحادثة الطريفة . ثم قال :

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ : خُذْهَا فَتِيَّةً ، وَنَابٌ عَلَيْهَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الحَيَا

أى : خذ مكانها ناقة فتية ، وناقة أخرى مسنة مثل نابك المسنة ، يوم يأتي الخصب ، وتحيى أموالنا .

(١) هو العجاج

(٢) ديوانه : ١٥ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٣٩٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٢٩ ، اللسان (خير) ، ورواية الديوان ، ومعاني القرآن : « تحت الذى » . وهو من قصيدته في مدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، مضت منها أبيات كثيرة ، انظر ما سلف ١٠ : ١٧٢ ، تعليق : ٢ ، وهذا البيت في ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وبيعتهم تحت الشجرة . وهي بيعة الرضوان في عمرة الحديبية ، فذكر عهد رسول الله ، وعهد الصديق ، وعهد عمر ، وعهد المهاجرين ، وعهد الأنصار ، ثم ذكر بيعة الرضوان فقال :

وَعُصْبَةِ النَّبِيِّ إِذْ خَافُوا الحَصَرْ شَدُّوا لَهُ سُلْطَانَهُ حَتَّى اقْتَسَرْ

بِالْقَتْلِ أَقْوَامًا وَأَقْوامًا أَسَرْ تَحْتَ الَّذِى اُخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ

وفى المخطوطة : « تحت التى اختارها له الله » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٣) انظر مجاز القرآن ١ : ٢٢٩ ، ونصه : « تحت الشجرة التى اختار له الله من الشجر » .

وقد بينا معنى « الرجفة » فيما مضى بشواهدها ، وأنها : ما رجف بالقوم وزعزعهم وحرّكهم ،[١] أهلكهم بعدُ فأماتهم ،[٢] أو أصعقهم فسلب أفهامهم .[٣]

* * *

وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع وقول من قال : إنها كانت صاعقة أماتتهم .[٤]

١٥١٦٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد : «فلما أخذتهم الرجفة » ، ماتوا ثم أحياهم.

١٥١٦٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « سبعين رجلاً لميقاتنا » ، اختارهم موسى لتمام الموعد= « فلما أخذتهم الرجفة » ، ماتوا ثم أحياهم الله .

١٥١٦٧ – حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فلما أخذتهم الرجفة » ، قال : رُجف بهم .

* * *

(١) في المطبوعة : « ما رجف بالقوم وأرعبهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لأنها غير منقوطة ، ولأنها سيئة الكتابة ، فاجتهد وأخطأ . وقد مضى اللفظ على الصواب فيما سلف ، انظر التعليق التالي رقم : ٣ ، في المراجع .

(٢) في المطبوعة ، زاد « واوا » فكتب : « وأهلكهم » عطفاً على ما قبله ، فأفسد معنى أبي جعفر . وإنما أراد أبو جعفر أن الرجفة : إما أن تعقب الهلاك ، وتصعق من تنزل به فتسلبه فهمه من شدة الروع .

(٣) انظر تفسير « الرجفة » فيما سلف : ١٢ : ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٦٦

(٤) انظر ما سلف قديماً ٢ : ٨٤ – ٩٠ ، ثم ما سلف حديثاً ص : ١٤٠

القول فى تأويل قوله ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا ، أى : بعبادة من عبد العجل ؟ قالوا : وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يتعبد العجل . وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك .[١]

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٨ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » ، فأوحى الله إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممّن اتخذ العجل ! فذلك حين يقول موسى : « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء » .[٢]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بنى إسرائيل ، إذا انصرفت إليهم وليسوا معى = و « السفهاء » ، على هذا القول ، كانوا المهلكين الذين سألوا أن يُريهم ربَّهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعاً ، قام موسى يناشد ربّه ويدعوه ويرغب

---

(١) انظر تفسير « السفهاء » فيما سلف من فهارس اللغة (سفه) = وتفسير « الهلاك » فيما سلف (هلك) .

(٢) الأثر : ١٥١٦٨ — مضى قديماً برقم : ٩٥٨ بتمامه ، ومضى صدره قريباً برقم : ١٥١٥٢ .

إليه ، يقول : « رب لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاى » ، قد سفهوا ، أفتهلك من ورائى من بنى إسرائيل بما فعل السفهاء منا ؟ أي : إن هذا لهم هلاكٌ ، قد اخترت منهم سبعين رجلاً الخيِّر فالخيِّر ، أرجع إليهم وليس معى رجل واحد ! فما الذى يصدِّقوننى به ، أو يأمنوننى عليه بعد هذا ؟ (١)

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

٩/٥٣ ١٥١٧٠ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا »، أتؤاخذنا وليس منا رجلٌ واحد تَرَك عبادتك، ولا استبدل بك غيرك ؟

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قولُ من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » ، وأنّه إنما عنى بـ « السفهاء » عبدةَ العجل . وذلك أنه محالٌ أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخيَّر من قومه لمسألة ربِّه ما أراه أن يسألَ لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحالٌ أن يكون الأفضلَ كان عنده مَنْ أشرك فى عبادة العجل واتخذَه دون الله إلهاً.

* * *

قال : فإن قال قائل : فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقداً أن الله سبحانه يعاقب قوماً بذنوب غيرهم ، فيقول : أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ، ونحن من ذلك برآء ؟

قيل : جائز أن يكون معنى « الإهلاك » قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] = يعنى : مات = فيقول : أتميتنا بما فعلَ السُّفهاء منّا ؟ (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥١٦٩ — مضى قديماً برقم : ٩٥٧ بتمامه ، ومضى قريباً بتمامه رقم : ١٥١٥٣ .

(٢) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف ٩ : ٣٠/١٠٤ : ١٤٧ ، وفهارس اللغة (هلك) .

وأما قوله : « إن هى إلاّ فتنتك » ، فإنه يقولُ جل ثناؤه : ما هذه الفعلة التى فعلَها قومى ، من عبادتهم ما عبَدُوا دونك ، إلا فتنة منك أصابتهم = ويعنى بـ « الفتنة » ، الابتلاء والاختبار[1] = يقول : ابتليتهم بها ، ليتبين الذى يضلّ عن الحق بعبادته إياه ، والذى يهتدى بترك عبادته . وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله ، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سببٍ منه جل ثناؤه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى « الفتنة » قال جماعة من أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٧١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « إن هى إلا فتنتك » ، قال : بليّتك .

١٥١٧٢ — . . . . قال ، حدثنا حبويه الرازى ، عن يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير : « إلا فتنتك » ، إلا بليتك .[2]

١٥١٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ،[3] عن الربيع بن أنس : « إن هى إلا فتنتك » ، قال بليتك .

١٥١٧٤ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء » ، إن هو إلا عذابك تصيبُ به من تشاء ، وتصرفه عمن تشاء .[4]

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٢ : ٣٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٥١٧٢ — « حبويه الرازى » هو : « إسحق بن إسماعيل الرازى » « أبو يزيد » ، مضى مراراً ، آخر رقم : ١٥٠١٥ ، والراوى عن حبويه هو « ابن وكيع » ، كما هو ظاهر ، ولذلك وضعت نقطاً مكان اسمه ، فى هذا الموضع وما يشابهه من المواضع ، حيث يختصر أبو جعفر شيخه من الإسناد .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أخبرنا ابن جعفر » ، وهو خطأ ظاهر جداً ، صوابه ما أثبت . وقد مضى هذا الإسناد وشبهه من رواية أبى جعفر الرازى عن الربيع ، انظر ما سلف قريباً : ١٥١٧١ .

(٤) الأثر : ١٥١٧٤ — شيخ الطبرى فى هذا الإسناد ، هو « المثنى » المذكور فى الأثر

١٥١٧٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن هي إلا فتنتك » ، أنت فتنتهم .

* * *

وقوله : « أنت ولينا » ، يقول : أنت ناصرنا [١] = « فاغفر لنا »، يقول : فاستر علينا ذنوبَنا بتركك عقابَنا عليها = « وارحمنا »، تعطف علينا برحمتك = « وأنت خير الغافرين »، يقول : خيرُ من صَفَح عن جُرم، وستَر على ذنب . [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبرًا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه : « واكتب لنا » ، أي : اجعلنا ممن كتبت له = « في هذه الدنيا حسنةً » ، وهي الصالحات من الأعمال [٣] = « وفي الآخرة » ، ممن كتبتَ له المغفرة لذنوبه ، كما : —

١٥١٧٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة » ، قال : مغفرة .

* * *

وقوله : « إنا هُدنا إليك » ، يقول : إنا تبنا إليك . [٤]

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل :

قبله . وسأضع هذه النقط ، حيث يختصر أبو جعفر شيخه، ثم لا أنبه إليه ، ومعلوم أن المحذوف هو شيخه في الإسناد قبله .

(١) انظر تفسير « ولي » فيما سلف ١١ : ٢٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » ، و « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) و (رحم) .

(٣) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٤) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ١٢ : ١٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

• ذكر من قال ذلك :

١٥١٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، وابن فضيل،وعمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير = وقال عمران : عن ابن عباس = «إنا هدنا إليك»، قال : تبنا إليك.

١٥١٧٨ — . . . . قال، حدثنا زيد بن حباب، عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال : تبنا إليك.

١٥١٧٩ — . . . . قال، حدثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : تبنا إليك.

١٥١٨٠ — . . . . قال، حدثنا عبد الله بن بكر، عن حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك: أن ابن عباس قال في هذه الآية: «إنا هدنا إليك»، قال : تبنا إليك.(١)

١٥١٨١ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير = قال : أحسبه عن ابن عباس : «إنا هدنا إليك»، قال : تبنا إليك.

٥١/٩

١٥١٨٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : «إنا هدنا إليك»، يقول : تبنا إليك.

١٥١٨٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثني يحيى بن سعيد قال، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٥١٨٠ — «عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي»، ثقة، من شيوخ أحمد، مضى برقم : ٨٢٨٤، ١٠٨٨٥، ١١٢٣٢.

و «حاتم بن أبي صغيرة»، هو «حاتم بن مسلم» «أبو يونس» القشيري، وقيل : الباهلي، و «أبو صغيرة»، هو أبو أمه، ثقة. روى له الجماعة. مترجم في التهذيب، والكبير ٧١/١/٢، وابن أبي حاتم ٢٥٧/٢/١.

وكان في المخطوطة والمطبوعة : «حاتم بن أبي مغيرة»، بالميم في أوله، وهو خطأ محض.

سفيان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « إنا هدنا إليك » ، قال تبنا إليك .

١٥١٨٤ — . . . قال ، حدثنا عبد الرحمن ، ووكيع بن الجراح قالا ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

١٥١٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٥١٨٦ — . . . قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : تبنا إليك .

١٥١٨٧ — . . . قال ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمى قال : تبنا إليك .

١٥١٨٧ م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم عن العوام ، عن إبراهيم التيمى ، مثله .

١٥١٨٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنا هدنا إليك » ، أى : إنا تبنا إليك .

١٥١٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « هدنا إليك » ، قال : تبنا .

١٥١٩٠ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنا هدنا إليك » ، يقول : تبنا إليك .

١٥١٩١ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنا هدنا إليك » ، يقول : تبنا إليك .

١٥١٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥١٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن

الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : « هدنا إليك » ، قال : تبنا إليك .

١٥١٩٤ — . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبي حجير ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك .[1]

١٥١٩٥ — ... قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : تبنا إليك .

١٥١٩٦ — وحدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول ، فذكر مثله .

١٥١٩٧ — . . . قال ، حدثنا أبي ، وعبيد الله ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد قال : تبنا إليك .

١٥١٩٨ — . . . قال ، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .[2]

١٥١٩٩ — . . . قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيي ، عن علي عليه السلام قال : إنما سميت « اليهود » ، لأنهم قالوا : « هدنا إليك » .[3]

١٥٢٠٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « إنا هدنا إليك » ، يعني : تبنا إليك .

١٥٢٠١ — حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو قال ، سمعت رجلاً يسأل سعيداً : « إنا هدنا إليك » ، قال : إنا هدنا إليك .

* * *

وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[4]

* * *

(١) الأثر : ١٥١٩٤ — « أبو حجير » ، الذي يروي عن الضحاك ، ويروي عنه وكيع ، قال أحمد ابن حنبل : « ما حدثني عنه إلا وكيع » ، مترجم في لسان الميزان ٦ : ٣٦٣ ، ولم أجد له ترجمة في غيره من كتب الرجال .

(٢) الأثر : ١٥١٩٨ — « حبويه » ، « أبو يزيد » ، مضى قريباً برقم : ١٥١٧٢ .

(٣) الأثر : ١٥١٩٩ — « جابر بن عبد الله بن يحيي » ، هكذا هو في المخطوطة ، وفي المطبوعة « جابر ، عن عبد الله بن يحيي » ، ولم أجد لشيء من ذلك ذكراً في الكتب ، وهو محرف بلا شك عن شيء آخر . وانظر ما سلف رقم : ١٠٩٤ ، عن ابن جريج ، بمعنى هذا الخبر .

(٤) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ص : ١٥٢ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : هذا الذى أصبتُ به قومك من الرجفة ، عذابى أصيب به من أشاء من خلقى ، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك[١] = « ورحمتى وسعت كل شىء » ، يقول : ورحمتى عمّت خلقى كلهم .[٢]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : مخرجه عامٌّ ، ومعناه خاص ، والمراد به : ورحمتى وَسِعت المؤمنين بى من أمة محمّدٍ صلى الله عليه وسلم . واستشهد بالذى بعده من الكلام ، وهو قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو سلمة المنقرى قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه قرأ : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : جعلها الله لهذه الأمة .[٣]

---

(١) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف من فهارس اللغة (صوب) .

(٢) انظر تفسير « وسع » فيما سلف ١٢ : ٥٦٢ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٥٢٠٢ — « أبو سلمة المنقرى » ، هو « أبو سلمة التبوذكى » : « موسى ابن إسماعيل المنقرى » ، مولاهم ، روى عنه البخارى ، وأبو داود ، وروى له الباقون من أصحاب الكتب الستة بالواسطة . ثقة إمام . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٨٠ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٣٦ .

١٥٢٠٣ — حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، قال سفيان قال، أبو بكر الهذلي : فلما نزلت : « ورحمتي وسعت كل شيء »، قال إبليس: أنا من « الشيء »! فنزعها الله من إبليس، قال : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون »، فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا ! فنزعها الله من اليهود فقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » الآيات كلها . قال : فنزعها الله من إبليس ، ومن اليهود ، وجعلها لهذه الأمة .(١) ٩/٥٥

١٥٢٠٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لما نزلت : « ورحمتي وسعت كل شيء » ، قال إبليس : أنا من « كل شيء! » . قال الله: « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، الآية ، فقالت اليهود : ونحن نتقي ونؤتي الزكاة ! فأنزل الله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » ، قال : نزعها الله عن إبليس ، وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد : سأكتبها للذين يتّقون من قومك .

١٥٢٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء » ، فقال إبليس : أنا من ذلك «الشيء» ! فأنزل الله: «فسأكتبها للذين يتقون» معاصي الله = « والذين هم بآياتنا يؤمنون »، فتمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطاً وثيقاً بيّناً ، فقال: «الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي »، فهو نبيكم، كان أميًّا لا يكتب صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٠٦ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا خالد الحذاء ،

---

(١) الأثر : ١٥٢٠٣ — « عبد الكريم » ، هو « عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان » ، شيخ الطبري ، ثقة ، مضى برقم : ٨٩٢ .

و « إبراهيم بن بشار الرمادي » ، ثقة . مضى برقم : ٨٩٢ ، ٦٣٢١ .

و « سفيان » هو : ابن عيينة .

و « أبو بكر الهذلي » ، ضعيف مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٦٩٠ .

عن أنيس بن أبي العريان ، عن ابن عباس في قوله : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدانا إليك » ، قال : فلم يعطها ، فقال : « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » إلى قوله : « الرسول النبيّ الأمى » .(١)

١٥٢٠٧ — حدثنا ابن وكيعٌ قال، حدثنا ابن علية، وعبد الأعلى ، عن خالد، عن أنيس أبي العُريان = قال عبد الأعلى، عن أنيس أبي العُرْيان = وقال : قال ابن عباس: « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هدنا إليك »، قال : فلم يعطها موسى ، قال : « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها » ، إلى آخر الآية .(١)

١٥٢٠٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قال: كان الله كتب في الألواح ذكر محمد وذكرَ أمته ، وما ذَخَرَ لهم عنده، وما يسَّر عليهم في دينهم، وما وَسَّع عليهم فيما أحلّ لهم ، فقال:

---

(١) الأثران ١٥٢٠٦ ، ١٥٢٠٧ – « أنيس أبو العريان المجاشعى » ، بغير (ابن) بينهما ، مترجم في الكبير ١/٢/٤٤ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٣٣ ، ولم يشر واحد منهما إلى أنه : « أنيس ابن أبي العريان » .

وفي المخطوطة في الخبر الأول : « أنيس بن أبي العريان » بإثبات (ابن) ، وفي الخبر الثاني في الموضعين كليهما « أنيس أبي العريان » بغير « ابن » كما أثبتها ، وأما في المطبوعة ، فإنه جعله في المواضع كلها « أنيس بن أبي العريان » ، وهو تصرف معيب لاشك في ذلك .

والظاهر أنه اختلف على ابن علية في رواية اسمه، رواه مرة « أنيس بن أبي العريان » ، ثم رواه أخرى « أنيس أبي العريان » ، كما في الأثر الثاني منهما ، وذكر الطبرى قول عبد الأعلى ، ليؤيد به هذه الرواية عن ابن علية . فإن صح هذا الاختلاف على ابن عيينة ، وإلا فإنه ينبغى أن يكون أحد أمرين إما أن يكون صوابَ الخبر الأول : « أنيس أبي العريان » ، والثاني « أنيس أبي العريان » في الأولى ، وعن عبد الأعلى « أنيس بن أبي العريان » .

أو : أن يكون الأول عن ابن عيينة : « أنيس بن أبي العريان » ، والثاني أيضاً : « أنيس ابن أبي العريان » ، وعن عبد الأعلى : « أنيس أبي العريان » .

والله أعلم بالصواب في كل ذلك ، ولا مرجح عندى .

« عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون » = يعنى : الشركَ = الآية .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك على العموم فى الدنيا ، وعلى الخصوص فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٠٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة فى قوله : « ورحمتى وسعت كل شىء »، قالا : وسعت فى الدنيا البَرَّ والفاجر ، وهى يوم القيامة للذين اتَّقوا خاصَّةً .

* * *

وقال آخرون : هى على العموم ، وهى التوبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك »، فقال : سأل موسى هذا ، فقال الله : « عذابى أصيب من أشاء » = العذاب الذى ذَكر = « ورحمتى »، التوبةُ = « وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون »، قال : فرحمته التوبةُ التى سأل موسى عليه السلام، كتبها الله لنا .

* * *

وأما قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، فإنه يقول : فسأكتب رحمتى التى وسعت كل شىء = ومعنى « أكتب » فى هذا الموضع : أكتب فى اللوح الذى كُتِب فيه التوراة = « للذين يتقون » ،[1] يقول : للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له فى أمره ونهيه، فيؤدُّون فرائضه، ويجتنبون معاصيه.[2]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الذين يتقون » بغير لام ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنّهم يتقونه .

فقال بعضهم : هو الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فسأكتبها للذين يتقون » ، يعنى الشرك .

* * *

وقال آخرون : بل هو المعاصى كلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « فسأكتبها للذين يتقون » ، معاصى الله .

٩/٥٦

* * *

وأما « الزكاة وإيتاؤها » ، فقد بيّنا صفتها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس فى هذا الموضع أنه قال فى ذلك ما : —

١٥٢١٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ويؤتون الزكاة » ، قال : يطيعون الله ورسولَه .

* * *

= فكأنّ ابن عباس تأوّل ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكّى النفسَ ويطهّرها من صالحات الأعمال .

* *

وأما قوله : « والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، فإنه يقول : وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدّقون ويقرّون .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « إيتاء الزكاة » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، وما بعده فى فهارس اللغة (زكا) و (أتى) .

(٢) انظر تفسير « الآيات » و « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) و (أمن) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾

قال أبو جعفر . وهذا القول إبانةٌ من الله جل ثناؤه عن أنّ الذين وَعَد موسى نبيَّه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى وصفَها جل ثناؤه بقوله: « ورحمتى وسعت كل شىء » ، هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يعلم لله رسولٌ وُصف بهذه الصفة = أعنى « الأمى »= غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢١٥ — . . . . قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢١٦ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد فى قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال موسى عليه السلام : ليتنى خلقت فى أمّة محمد!

١٥٢١٧ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير: «فسأكتبها للذين يتقون» ، قال: للذين يتّبعون محمداً صلى الله عليه وسلم.

١٥٢١٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن شهر ابن حوشب ، عن نوف الحميرى قال: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربه ، قال الله لموسى : أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً ، وأجعل السكينة معكم

فى بيوتكم ،وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظَهْر قلوبكم ،[1] يقرؤها الرجل منكم والمرأةُ ، والحرُّ والعبدُ ، والصغير والكبير . فقال موسى لقومه : إن الله قد يجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً . قالوا : لا نريد أن نصلى إلاّ فى الكنائس ! قال : ويجعل السكينة معكم فى بيوتكم . قالوا : لا نريد إلاّ أن تكون كما كانت،فى التابوت ! قال : ويجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم ،[2] ويقرؤها الرجل منكم والمرأة ، والحر والعبد ، والصغير والكبير . قالوا : لا نريد أن نقرأها إلا نظرًا ! فقال الله : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » إلى قوله : « أولئك هم المفلحون ».

١٥٢١٩ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البكالى قال : لما انطلق موسى بوفد بنى إسرائيل، كلّمه الله فقال : إنى قد بسطت لهم الأرض طهوراً ومساجدَ يصلُّون فيها حيث أدركتهم الصلاة ، إلا عند مرحاضٍ أو قبر أو حمّام،وجعلت السكينة فى قلوبهم ، وجعلتهم يقرأون التوراةَ عن ظهر ألسنتهم . قال : فذكر ذلك موسى لبنى إسرائيل، فقالوا: لا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا، فاجعلها لنا فى تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظرًا ، ولا نصلى إلا فى الكنيسة . فقال الله : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » حتى بلغ «أولئك هم المفلحون » . قال فقال موسى عليه السلام : يا ربّ، اجعلنى نبيَّهم ! قال : نبيُّهم منهم ! قال: رب اجعلنى منهم ! قال: لن تدركهم! قال : يا ربّ، أتيتك بوفد بنى إسرائيل، فجعلت وِفادَتنا لغيرنا ! فأنزل الله ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[سورة الأعراف : ١٥٩].

---

(١) فى المطبوعة : « عن ظهور قلوبكم » ، بجمع « ظهور » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « عن ظهور » ، وانظر التعليق السالف .

(٣) الأثر : ١٥٢١٨ ـ « نوف الحميرى » ، هو « نوف البكالى » المذكور فى الأثرين التاليين : ١٥٢١٩ ، ١٥٢٢٠ . وهو « نوف بن فضالة الحميرى البكالى الشامى » . مضى برقم : ٣٩٦٥ ، ٩٤٤٦ ، ٩٤٥٦ .

= قال نوف البكالي : فاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم ، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم .

١٥٢٢٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البكالي ، بنحوه = إلا أنه قال : فإني أنزل عليكم التوراة تقرأونها عن ظهر ألسنتكم، رجالُكم ونساؤكم وصبيانكم . قالوا : لا نُصلّي إلا في كنيسة ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه . ٩/٥٧

١٥٢٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

١٥٢٢٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فسأكتبها للذين يتقون» ، قال : هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما قيل: « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، تمنّتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطاً بيّناً وثيقاً فقال : « الذين يتبعون الرّسول النبيّ الأمّيّ » ، وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم ، كان أمّيًّا لا يكتبُ .[2]

* * *

وقد بينا معنى « الأمي » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[3]

* * *

وأما قوله: « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» ، فإن « الهاء »

---

(١) الأثر : ١٥٢٢١ – « إسحق بن إسماعيل » هو « حبويه » ، « أبو يزيد الرازي » ، الذي مضى قريباً برقم : ١٥١٩٨ ، وصرح هنا أول مرة باسمه .

(٢) الأثر : ١٥٢٢٣ – انظر الأثر السالف رقم : ١٥٢٠٥ .

(٣) انظر تفسير « الأمي » فيما سلف ٢ : ٢٥٧ – ٢٥٩/٣ : ٦/٤٤٢ : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٥٢٢ / ثم انظر الآثار رقم : ٥٨٢٧ ، ٦٧٧٤ ، ٦٧٧٥ ، ١٥٢٠٥ .

فى قوله : « يجدونه »، عائدة على « الرسول » ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، كالذى : —

١٥٢٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمىّ » ، هذا محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٢٥ — حدثنى ابن المثنى قال، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا فليح ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . قال : أجل والله ، إنه لموصوف فى التوراة كصفتـِه فى القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشّراً ونذيراً وحِرْزًا للأمّيين ،أنت عبدى ورسولى ، أسميتك المتوكّل،[1] ليس بفظٌ ولاغليظ ولاصخّاب فى الأسواق،ولايجزى بالسيئة السيئة،ولكن يعفو ويصفح، ولن نقبضه حتى نقيم به الملةَ العوجاء،بأن يقولوا: « لا إله إلا الله »،فنفتح به قلوباً غُلْفاً، وآذاناً صُمًّا ،وأعيناً عُمْياً = قال عطاء: ثم لقيتُ كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلفا حرفاً، إلاأن كعباًقال بلغته: قلوباًغُلُوفيا، وآذاناًصموميا، وأعيناًعُمُوميا.[2]

١٥٢٢٦ — حدثنى أبو كريب قال ، حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن على قال ، حدثنى عطاء قال : لقيت عبد الله

---

(١) فى المطبوعة : « سميتك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٢٢٥ — « عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى له الجماعة ، سلف برقم : ٥٤٥٨ .

و « فليح » ، هو « فليح بن سليمان بن أبي المغيرة الخزاعى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٠٩٠ .

و « هلال بن على بن أسامة المدنى » ، وينسب إلى جده فيقال : « هلال بن أسامة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٩٥ .

وانظر الآثار التالية .

ابن عمرو بن العاص ، فذكر نحوه = إلا أنه قال فى كلام كعب : أعيناً عموماً ، وآذاناً صموما ، وقلوباً غُلُوفاً .

١٥٢٢٧ ـ . . . . . قال ، حدثنا موسى قال ، حدثنا عبد العزيز بن سلمة ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بنحوه = وليس فيه كلام كعب .

١٥٢٢٨ ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال الله : « الذى يجدونه مكتوباً عندهم » ، يقول : يجدون نعتَه وأمرَه ونبوّته مكتوباً عندهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يأمر هذا النبيُّ الأميُّ أتباعَه بالمعروف = وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك « المعروف » الذى يأمرهم به [١] = « وينهاهم عن المنكر » ، وهو الشرك بالله ، والانتهاء عمّا نهاهم الله عنه . [٢]

وقوله : « ويحل لهم الطيبات » ، وذلك ما كانت الجاهلية تحرِّمه من البحائر والسَّوائب والوصائل والحوامى [٣] = « ويحرم عليهم الخبَائث » ، وذلك لحم الخنزير والرِّبا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله ، [٤] كما :ـ

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٩ : ٢٠١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ١٠ : ٤٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطيبات » فيما سلف ١١ : ٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخبائث » فيما سلف ١١ : ٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٥٢٢٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ويحرم عليهم الخبائث » ، وهو لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرَّمات من المآكل التي حرمها الله .

* * *

٩/٥٨ وأما قوله: « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : يعني بـ« الإصر » ، العهدَ والميثاقَ الذي كان أخذه على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة .

* ذكر من قال ذلك .

١٥٢٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : عهدهم .

١٥٢٣١ — . . . . قال ، حدثنا المحاربي، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : عهدهم .

١٥٢٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن علي قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٥٢٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : العهود التي أعطوها من أنفسهم .

١٥٢٣٤ — . . . . قال ، حدثنا ابن نمير، عن موسى بن قيس ، عن مجاهد : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : عهدهم .[1]

١٥٢٣٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »، يقول: يضع عنهم عهودهم ومواثيقَهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل .

---

(١) الأثر : ١٥٢٣٤ — « موسى بن قيس الحضرمي » ، مضى برقم : ٦٥١٣ .

١٥٢٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم »، ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم . يقول : يضع ذلك عنهم .

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك أنه يضع عمن اتّبع نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم، التشديدَ الذى كان على بنى إسرائيل فى دينهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٣٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالةٍ منه وتجاوزٍ عنه .

١٥٢٣٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « ويضع عنهم إصرهم»، قال : البولَ ونحوه ، مما غُلِّظ على بنى إسرائيل .

١٥٢٣٩ — . . . . قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد قال : شدّة العمل .

١٥٢٤٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، قال : من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب ، وُضع عنهم ما كان عليهم من التشديد فى دينهم .

١٥٢٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين قال : قال أبو هريرة لابن عباس : ما علينا فى الدين من حَرَج أن نزنى ونسرق ؟ قال: بلى! ولكن الإصر الذى كان على بنى إسرائيل وُضع عنكم .

١٥٢٤٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : إصرهم الذى جعله عليهم

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إنّ « الإصر » هو العهد = وقد بينا ذلك بشواهده فى موضعٍ غير هذا بما فيه الكفاية[1] = وأن معنى الكلام: ويضع النبيُّ الأميُّ العهدَ الذى كان الله أخذ على بنى إسرائيل، من إقامة التوراة والعملِ بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول ، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التى كانت عليهم مفروضةً، فنسخها حُكْم القرآن .

* * *

وأما « الأغلال التى كانت عليهم » ، فكان ابن زيد يقول بما : —

١٥٢٤٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، عنه فى قوله : « والأغلال التى كانت عليهم » ، قال: «الأغلال»، وقرأ ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]. قال: تلك الأغلال . قال: ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبىّ فيضع ذلك عنهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فالذين صدّقوا بالنبى الأمى وأقرُّوا بنبوّته[2] = « وعزّروه » ، يقول : وقرّروه وعظموه وحمَوه من الناس ،[3] كما : —

١٥٢٤٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

(١) انظر تفسير « الإصر » فيما سلف ٦ : ١٣٥ — ١٣٨ ، ٥٦٠ .

(٢) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) .

(٣) انظر تفسير « التعزير » فيما سلف ١٠ : ١١٩ — ١٢١ .

معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وعزروه » ، يقول : حموه ، وقّروه .

١٥٢٤٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثني موسى ابن قيس، عن مجاهد : « وعزروه ونصروه » ، « عزّروه » ، سدّدوا أمره ، وأعانوا رَسُوله = «ونَصَرُوه » . ٥٩/٩

* * *

وقوله : « ونصروه » ، يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه، بجهادهم ونصب الحرب لهم = « واتبعوا النور الذى أنزل معه »، يعني القرآن والإسلام[1] = « أولئك هم المفلحون » ، يقول : الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، هم المنجحون المدرِكون ما طلبُوا ورَجَوْا بفعلهم ذلك .[2]

١٥٢٤٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : فما نقموا = يعني اليهود = إلا أن حسدوا نبيّ الله ، فقال الله : « الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه » ، فأما نصره وتعزيره ، فقد سبقتم به ، ولكن خياركم من آمن بالله واتّبع النورالذى أنزل معه .

* * *

يريد قتادة بقوله « فما نَقَمُوا إلا أن حسدوا نبي الله »، أن اليهودَ كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمةً عليهم لو اتبعوه ، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم ، فحملهم الحسد على الكفر به ، وترك قبول التخفيف ، لغلبة خِذْلانِ الله عليهم .

* * *

(١) انظر تفسير « النور » فيما سلف ١١ : ٥٢٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك
(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف : ١٢ : ٥٥٥، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّـه محمد صلى الله عليه وسلم: « قل » ، يا محمد للناس كلهم = « إنّى رسول الله إليكم جميعاً » ، لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلى من الرُّسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض . فمن كان منهم أرسل كذلك ، فإن رسالتى ليست إلى بعضكم دون بعض ، ولكنها إلى جميعكم .

وقوله : « الذى » من نعت اسم « الله » وإنما معنى الكلام : قل: يا أيها الناس إنى رسول الله ، الذى له ملك السموات والأرض ، إليكم .

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « الذى له ملك السموات والأرض » ، الذى له سلطان السّموات والأرض وما فيهما ، وتدبير ذلك وتصريفه[1] = « لا إله إلا هو » ، يقول : لا ينبغى أن تكون الألوهة والعِبادة إلا له جل ثناؤه ، دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان ، إلاّ لمن له سلطان كل شىء ، والقادر على إنشاء خلق كل ماشاء وإحيائه ، وإفنائه إذا شاء إماتته = « فآمنوا بالله ورسوله » ، يقول جل ثناؤه : قل لهم : فصدّقوا بآيات الله الذى هذه صفته ، وأقِرُّوا بوحدانيته ، وأنه الذي له الألوهة والعبادة ،وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنّه مبعوث إلى خلقه ، داع إلى توحيده وطاعته .

* * *

(١) انظر تفسير « الملك » فيما سلف من فهارس اللغة (ملك) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « النبي الأمّيّ » ، فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد بينت معنى « النبى » فيما مضى بما أغنى عن إعادته = ومعنى قوله : « الأمى ».[1]

* * *

= « الذى يؤمن بالله » ، يقول : الذى يصدق بالله وكلماته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وكلماته » .[2]

فقال بعضهم : معناه : وآياته .

* ذكر من قال ذلك

١٥٢٤٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذى يؤمن بالله وكلماته » ، يقول : آياته .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٤٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « الذى يؤمن بالله وكلماته » ، قال : عيسى ابن مريم .

١٥٢٤٩ — وحدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « النبى » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ١٤٢ / ٦ : ٢٨٤ ، ٣٨٠ ، وغيرها من المواضع .

= وتفسير « الأمى » ، فيما سلف قريباً ص : ١٦٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الكلمة » فيما سلف من فهارس اللغة (كلم) .

أسباط ، عن السدى : « الذى يؤمن بالله وكلماته » ، فهو عيسى بن مريم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنّ الله تعالى ذكره أمرَ عباده أن يصدِّقوا بنبوّة النبىّ الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخصص الخبرَ جل ثناؤه عن إيمانه من « كلمات الله » ببعض دون بعضٍ ، بل أخبرهم عن جميع « الكلمات » . فالحق فى ذلك أن يعمّ القول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلِّها ، على ما جاء به ظاهرُ كتابِ الله .

* * *

٦٠/٩ وأما قوله تعالى : « واتبعوه لعلكم تهتدون » ، فاهتدوا به ، أيها الناس ، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله = « لعلكم تهتدون » ، يقول : لكى تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحقّ فى اتّباعكم إيّاه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ومن قوم موسى » ، يعنى بنى إسرائيل= « أمة » ، يقول : جماعة[1] = « يهدون بالحق » ، يقول : يهتدون بالحق ، أى يستقيمون عليه ويعملون[2] = « وبه يعدلون » ، أى : وبالحق يعطُون ويأخذون ، ويُنصفون من أنفسهم فلا يجورون .[3]

* * *

وقد قال فى صفة هذه الأمة التى ذكرها الله فى الآية ، جماعةٌ أقوالاً ، نحن ذاكرو ما حضرَنا منها .

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١٢ : ٤١٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٣) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٦ : ٥١ ، وفهارس اللغة (عدل) .

١٥٢٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة أبى الهذيل ، عن السدى : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال : قوم بينكم وبينهم نهر من شُهْدٍ .(١)

١٥٢٥١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال : بلغنى أن بنى إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءَهم ، كفروا . وكانوا اثنى عشر سبطاً ، تبرّأ سبطٌ منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نَفَقاً فى الأرض ، فساروا فيه حتى خرجُوا من وراء الصين ، فهم هنالك ،

---

(١) الأثر : ١٥٢٥٠ — « صدقة أبى الهذيل » ، ترجم له البخارى فى الكبير ٢ / ٢ / ٢٩٥ ، ولم يزد على أن قال : « عن السدى ، روى عنه ابن عيينة » ، ولم يذكر فيه جرحاً . وذكره فى التهذيب وقال : « صدقة أبو الهذيل ، تقدم ذكره فى ترجمة : صدقة بن أبى عمران » ، ولكن سقط من نسخة التهذيب ترجمة « صدقة بن أبى عمران » ، فلم يرد له ذكر فى الكتاب . وأما ابن أبى حاتم ، فلم يذكره فى كتابه ، لا فى ترجمة خاصة ، ولا فى ترجمة « صدقة بن أبى عمران » ، ولكن كلام ابن حجر فى التهذيب قد يوهم أنهما شخص واحد ، ولكن الراجح أنهما رجلان ، لأن البخارى ترجم له ، ففرق بينهما .

وقوله : « نهر من شهد » يعنى : نهراً من عسل من أنهار الجنة التى قال الله تعالى فى سورة محمد : ١٥

﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾

وبهذا اللفظ (شهد) ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٧٣ . وفى الدر المنثور ١ : ١٣٦ : « وبينهم نهر من سهل — يعنى من رمل — يجرى » ، ثم جاء الألوسى فى تفسير الآية (٩ : ٧٥) فنقل ذلك هكذا : « وبينهم نهر من رمل يجرى » ثم قال : « وضعف هذه الحكاية ابن الخازن ، وأنا لا أراها شيئاً ، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء » . ونقل الألوسى نقل من المعنى الذى ذكره السيوطى « سهل » — يعنى من رمل » ، وهو فاسد جداً ، والصواب أن « سهل » ، محرف عن « شهد » ، وهو الصواب إن شاء الله .

هذا تحرير نص الخبر وتأويله ، وأما صحته أو ضعفه فهما بمعزل من تصحيح نصه ، ومثل هذا الخبر والذى يليه ، لا يؤخذ به إلا بحجة قاطعة يجب التسليم لها . ولا حجة فى رواية موقوفة على السدى .

حُنَفاء مسلمُون يستقبلون قبلتنا = قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ [سورة الإسراء : ١٠٤] . و « وعد الآخرة » ، عيسى بن مريم ، يخرجون معه = قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا فى السَّرَب سنة ونصفاً .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرقناهم = يعنى قوم موسى من بنى إسرائيل ، فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى ، اثنتى عشرة قبيلة .

* * *

وقد بينا معنى : « الأسباط » ، فيما مضى ، ومن هم .[٢]

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث « الاثنتى عشرة »، و « الأسباط » جمع مذكر .

فقال بعض نحويى البصرة : أراد اثنتى عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفرق « أسباط » ، ولم يجعل العدد على « أسباط » .

* * *

وكان بعضهم يستخِلُ هذا التأويل ويقول[٣] : لا يخرج العدد على غير

---

(١) الأثر : ١٥٢٥١ — هذا الخبر ، لم يروه أبو جعفر فى تفسير آية سورة الإسراء ، وهذا ضرب من اختصاره لتفسيره ، وربما دل ذلك على ضعف الخبر عنده ، لأنه لو صح عنه لذكره فى تفسير قوله تعالى : « فإذا جاء وعد الآخرة » ، أنه عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) انظر تفسير « الأسباط » فيما سلف ٢ : ١٢١ ، الخبر رقم : ١٠٤٧/٣ : ١٠٩ — ١١٣ ، ١٢٢/٦ : ٥٦٩ .

(٣) فى المخطوطة : « يستحكى هذا التأويل » ، وفى المطبوعة : « يستحكى على هذا التأويل » ، زاد « على » ، لأن وجه الكلام لا معنى له . والصواب عندى ما أثبت « يستخل » من « الخلل »

التالى ،[1] ولكن « الفرق » قبل « الاثنتى عشرة » ، حتى تكون « الاثنتا عشرة » مؤنثة على ما قبلها ، ويكون الكلام : وقطعناهم فرقاً اثنتى عشرة أسباطاً = فيصحّ التأنيث لما تقدّم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما قال : « الاثنتى عشرة » بالتأنيث ، و « السبط » مذكر ، لأن الكلام ذهب إلى « الأمم » ، فغلّب التأنيث ، وإن كان « السبط » ذكراً ، وهو مثل قول الشاعر :[2]

وَإنّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِئٌ مِنْ قَبَائِلِهَا العَشْرِ[3]

ذهب بـ « البطن » إلى القبيلة والفصيلة ، فلذلك جمع « البطن » بالتأنيث .

* * *

وكان آخرون من نحويى الكوفة يقولون : إنما أنّثت «الاثنتا عشرة» و «السبط» ذكر ، لذكر « الأمم » .[4]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنّ « الاثنتى عشرة » أنثت لتأنيث « القطعة » ، ومعنى الكلام : وقطعناهم قِطَعاً اثنتى عشرة ، ثم ترجم عن « القِطَع » بـ « الأسباط » ، وغير جائز أن تكون « الأسباط » مفسرة

وهو الوهن والفساد ، وقالوا : « أمر مختل » أى فاسد واهن . فاستخرج أبو جعفر أو غيره قياساً من « الخلل » « استخل الشىء » ، أى استوهنه واستضعفه ، ووجد فيه خللا . وهو قياس جيد فى العربية . وهو صواب المعنى فيه إن شاء الله .

(١) فى المخطوطة : « على غير الثانى » ، وغيرها فى المطبوعة إلى : « على عين الثانى » ، وكلتاهما فاسدة المعنى ، والصواب ما أثبت . يعنى : ما يتلو العدد ، وهو « أسباط » ، وهو الظاهر فى الكلام ، وتقديره : « اثنى عشرة فرقة أسباطاً » ثم حذف « فرقة » وإضمارها ، يوجب أن يجرى العدد على ما يتلوه ، فصح بهذا ما أثبت من قراءة النص .

(٢) النواح الكلابى ، رجل من بنى كلاب .

(٣) سيبويه ٢ : ١٧٤ ، معانى القرآن للفراء ١ : ١٢٦ ، الإنصاف : ٣٢٣ ، العينى (هامش الخزانة) ٤ : ٤٨٤ ، واللسان (بطن) ، وغيرها . ولم أجد تتمة الشعر .

(٤) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٧ .

٦١/٩

عن « الاثنتى عشرة » وهى جمع ، لأن التفسير فيما فوق « العشر » إلى « العشرين » بالتوحيد لا بالجمع ، [١] و« الأسباط» جمع لا واحد، وذلك كقولهم : « عندى اثنتاعشرة امرأة » .ولا يقال: «عندى اثنتا عشرة نسوة »، فبيّن ذلك أن « الأسباط » ليست بتفسير للاثنتى عشرة ، [٢] وأن القول فى ذلك على ما قلنا .

* * *

وأما «الأمم»، فالجماعات = و« السبط » فى بنى إسرائيل نحو « القَرْن » . [٣]

* * *

وقيل : إنما فرّقوا أسباطاً لاختلافهم فى دينهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأوحينا إلى موسى » ، إذ فرّقنا بنى إسرائيل قومه اثنتى عشرة فرقة ، وتيّهناهم فى التيه ، فاستسقوا موسى من العَطش وغَوْر الماء = « أن أضرب بعصاك الحجر» .

* * *

(١) « التفسير » ، هو « التمييز » ، فقوله : « مفسرة » أى تمييزاً فى الإعراب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى ذلك أن الأسباط » ، وهو تركيب واه ضعيف ، ورجحت أن ما أثبت أشبه بالصواب .

(٣) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .
= وتفسير « السبط » فيما سلف ص : ١٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وقد بينا السبب الذى كان قومه استسقوه ، وبينا معنى « الوحى » بشواهده .[١]

* * *

= « فانبجست » ، فانصبّت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عيناً من الماء ، « قد علم كل أناس » ، يعنى كل أناس من الأسباط الاثنتى عشرة = « مشربهم » ، لا يدخل سبط على غيره فى شربه = « وظللنا عليهم الغمام » ، يكنُّهم من حرّ الشمس وأذاها .

* * *

وقد بينا معنى « الغمام » فيما مضى قبل ، وكذلك : « المن والسلوى » .[٢]

* * *

= « وأنزلنا عليهم المن والسلوى » ، طعاماً لهم = « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، يقول : وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم ، أيها الناس ، وطيّبناه لكم = « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، وفى الكلام محذوف ، ترك ذكره استغناءً بما ظهر عما ترك ، وهو : « فأجِموا ذلك ، [٣] وقالوا : لن نصبر على طعام واحد ، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير » = « وما ظلمونا » ، يقول : وما أدخلوا علينا نقصاً فى ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا ، وفعلهم ما فعلوا = « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، أى : ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير ، والأرذل بالأفضل .

* * *

(١) انظر ما سلف ٢ : ١١٩ - ١٢٢ .
= وتفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

(٢) انظر تفسير « تظليل الغمام » فيما سلف ٢ : ٩٠ ، ٩١ .
= وتفسير « المن » و « السلوى » فيما سلف ٢ : ٩١ - ١٠١ .
= وتفسير سائر الآية ، وهى نظيرتها فيما سلف ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) فى المطبوعة : « فأجمعوا ذلك » ، ظن ما فى المخطوطة خطأ ، فأصلحه ، يعنى فأفسده ! ! يقال : « أجم الطعام يأجمه أجما » ، إذا كرهه ومله من طول المداومة عليه .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضاً، يا محمد ، من خطأ فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على ربهم ، وعصيانهم نبيَّهم موسى عليه السلام ، وتبديلهم القولَ الذى أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم : « اسكنوا هذه القرية » ، وهى قرية بيت المقدس[١] = « فكلوا منها » ، يقول : من ثمارها وحبوبها ونباتها = « حيث شئتم » ، منها ، يقول : أنّى شئتم منها = « وقولوا حطة » ، يقول : وقولوا : هذه الفعلة « حِطّة » ، تحطّ ذنوبنا[٢] = « نغفر لكم » ، يتغمد لكم ربكم = « ذنوبكم » ، التى سلفت منكم ، فيعفو لكم عنها ، فلا يؤاخذكم بها[٣] = « سنزيد المحسنين » ، منكم ، وهم المطيعون لله ،[٤] على ما وعدتكم من غفران الخطايا .

* * *

وقد ذكرنا الروايات فى كل ذلك باختلاف المختلفين ، والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[٥]

* * *

(١) انظر تفسير « القرية » فيما سلف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) انظر تفسير « الحطة » فيما سلف ٢ : ١٠٥ — ١٠٩ .
(٣) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .
(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .
(٥) انظر ما سلف فى تفسير نظيرة هذه الآية ٢ : ١٠٢ — ١١٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا = وقد قيل لهم: قولوا: هذه حطة = : « حنطة فى شعيرة » . وقولهم ذلك كذلك، هو غير القول الذى قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى : « فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء » ، بعثنا عليهم عذاباً، أهلكناهم بما كانوا يغيِّرون مايؤمرون به ، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله، ويقولون غير الذى أمرهم الله بفعله .[1]

* * *

وقد بينا معنى «الرجز» فيما مضى .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واسأل، يا محمد، هؤلاء اليهود ، وهم مجاوروك ، عن أمر « القرية التى كانت حاضرة البحر » ، يقول : كانت بحضرة البحر ، أى : بقرب البحر وعلى شاطئه . ٦٢/٩

* * *

واختلف أهل التأويل فيها .

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٢ : ١١٢ – ١١٩ .

(٢) انظر تفسير « الرجز » فيما سلف ٢ : ١١٧ ، ١١٨/١٢:٥٢١ /١٣: ٧٢

فقال بعضهم : هى « أيلة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : هى قرية يقال لها « أيلة » ، بين مَدْين والطور .

١٥٢٥٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير فى قوله : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : سمعنا أنها أيلة .

١٥٢٥٤ — حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال، حدثنا يحيى بن سليم الطائفى قال، حدثنا ابن جريج ، عن عكرمة قال: دخلتُ على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى ، فقلت : ما يبكيك ، جعلنى الله فداك ؟ فقال : ويلك ، وتعرف القرية التى كانت حاضرة البحر؟ فقلت : تلك أيلة ![1]

١٥٢٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : هى أيلة .

١٥٢٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : هى قرية على شاطئ البحر ، بين مصر والمدينة ، يقال لها :« أيلة » .

---

(١) الأثر : ١٥٢٥٤ — « سلام بن سالم الخزاعى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ٦٥٢٩ .

و « يحيى بن سليم الطائفى » ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٧٨٣١ .

وانظر هذا الخبر وتمامه فيما سيأتى رقم ١٥٢٧١ .

١٥٢٥٧ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هم أهل أيلة ، القرية التى كانت حاضرة البحر .

١٥٢٥٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : أيلة .

* * *

وقال آخرون: معناه : ساحلُ مدين .

١٥٢٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » الآية ، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر ، يقال لها أيلة .

* * *

وقال آخرون : هى مَقْنا

• ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : هى قرية يقال لها « مقنا » ، بين مدين وعَيْنُونى .[1]

* * *

---

(١) « عينونى » ، وتكتب أيضاً « عينونا » ، و « عينون » ، ذكرها ياقوت فى معجمه فى الباب ، وذكرها البكرى فى معجم ما استعجم فى « حبرى » ، ولم يفرد لها باباً .

قال ياقوت : « من قرى باب المقدس . وقيل : قريه من وراء البثنية من دون القلزم ، فى طرف الشام ، ذكرها كثير :

إذْ هُنّ فى غَلَسِ الظَّلاَمِ قواربٌ ... أعْدَادَ عَيْنٍ من عُيُونِ أُثَالِ
يَجْتَزْنَ أوْدِيَةَ البُضَيْعِ جَوَازِعاً ... أجْوَازَ عَيْنُونَا ، فَنَعْفَ قِبَالِ

وقال يعقوب : سمعت من يقول : عين أنا . . . وقال البكرى : هى قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجوا . وأنا ، واد » .

وفى الخبر (ابن سعد ١/٢/٢١ ، ٢٢) : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب لنعيم ابن أوس ، أخى تميم الدارى ، أن له « حبرى » ، و « عينون » بالشأم ، قريتها كلها ، سهلها

وقال آخرون : هى مدين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هى قرية بين أيلة والطور ، يقال لها « مَدْين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : هى قرية حاضرة البحر = وجائز أن تكون أيلة = وجائز أن تكون مدين = وجائز أن تكون مقنا = لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأىٍّ ذلك من أىٍّ ، [١] والاختلاف فيه على ما وصفت . ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه ، إلا بخبر يوجب العلم . ولا خبر كذلك فى ذلك .

* * *

وقوله : « إذ يعدون فى السبت » ، يعنى به أهله ، إذ يعتدون فى السبت أمرَ الله ، ويتجاوزونه إلى ما حرمه الله عليهم .

* * *

يقال منه : « عدا فلان أمرى » و « اعتدى » ، إذا تجاوزه . [٢]

* * *

وجبلها وماءها وأنباطها وبقرها ، ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيها أحد ، ولا يلجه عليهم بظلم ، ومن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وكتب على » .

قال البكرى فى معجم ما استعجم (٤٢٠) : « وكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بها لم يعرج ويقول : أخاف أن تمسنى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(١) فى المطبوعة : « بأن ذلك من أى » ، ظن أنه يصحح ما فى المخطوطة ، فخلط خلطاً لا مخرج منه . وهذا تعبير مضى مراراً ، وأشرت إليه ١ : ٥٢٠ س : ٢/١٦ : ٥١٧ س : ٣/١٥ : ٦٤ س : ٦/٧ : ٢٩١ س : ٨/٦ : ٨٥ ، ٨٦ تعليق : ١ ، فراجعه هناك ، فقد غيره الناشر فى كل هذه المواضع .

(٢) انظر تفسير : « عدا » و « اعتدى » فيما سلف ١٢ : ٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان اعتداؤهم فى السبت : أن الله كان حرَّم عليهم السبت ، فكانوا يصطادون فيه السمك .(١)

* * *

= « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً »، يقول : إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نهوا فيه العمل = « شرَّعاً »، يقول: شارعة ظاهرةً على الماء من كل طريق وناحية ، كشوارع الطرق ، كالذى : —

١٥٢٦٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً »، يقول : ظاهرة على الماء .(٢)

١٥٢٦٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « شرعاً » ، يقول : من كلّ مكان .

* * *

وقوله : « ويوم لا يسبتون » ، يقول : ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السَّبت ، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت = « لا تأتيهم » ، الحيتان= «كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » ، يقول : كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا ، ٦٣/٩ بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم فى اليوم المحلل صيده(٣)= « كذلك نبلوهم »،ونختبرهم(٤) = « بما كانوا يفسقون » ،

(١) انظر معنى « السبت » واعتداؤهم فيه فيما سلف ٢ : ١٦٦ — ٩/١٨٢ : ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٢) الأثر : ١٥٢٦٢ — « عثمان بن سعيد الزيات الأحول » ، لا بأس به ، مضى برقم : ١٣٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عثمان بن سعد » ، وهو خطأ محض .

و « بشر بن عمارة الخثعمى » ، ضعيف ، مضى أيضاً برقم : ١٣٧ .

وهذا الخبر جزء من خبر طويل مضى قديماً برقم : ١١٣٨ (٢ : ١٦٨) .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإخفائها » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف من فهارس اللغة (بلا) .

يقول : بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها .[1]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ويوم لا يسبتون » .

فقرئ بفتح « الياء » من ﴿ يَسْبِتُونَ ﴾

= من قول القائل : « سبت فلان يسبت سَبْتاً وسُبُوتاً » ، إذا عظّم « السبت »

* * *

وذكر عن الحسن البصري انه كان يقرؤه : ﴿ وَيَوْمَ لَا يُسْبِتُونَ ﴾ بضم الياء .

= من « أسبت القوم يسبتون » ، إذا دخلوا فى « السبت » ، كما يقال : « أجمعنا » ، مرّت بنا جمعة ، و« أشهرنا » مرّ بنا شهر ، و« أسبتنا » ، مرّ بنا سبت .

* * *

ونصب « يوم » من قوله : « ويوم لا يسبتون » ، بقوله : « لا تأتيهم » ، لأن معنى الكلام : لا تأتيهم يوم لا يسبتون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٦٤)[2]

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضاً ، يا محمد = « إذ قالت أمة منهم » ، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت ، وتنهاهم عن معصية الله فيه[3] = « لم تعظون قوماً الله

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٢) ضبطت الآية « معذرة » بالنصب على قراءتنا فى مصحفنا ، وتفسير أبى جعفر واختياره فى القراءة ، رفع « معذرة » ، فتنبه إليه .

(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ١٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

مهلكهم » ، فى الدنيا بمعصيتهم إياه ، وخلافهم أمره ، واستحلالهم ما حرم عليهم = « أو معذبهم عذاباً شديداً » ، فى الآخرة ، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبهم عن قولهم : عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدِّى فرضه علينا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر = « ولعلهم يتقون » ، يقول : ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه ، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه ، وتعدِّيهم على ما حرَّم عليهم من اعتدائهم فى السبت ، كما : —

١٥٢٦٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة،عن ابن عباس : « قالوا معذرة إلى ربكم » ، لسخطنا أعمالهم .[١]

* * *

= « ولعلهم يتقون » ، أى : ينزعون عما هم عليه .[٢]

١٥٢٦٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « ولعلهم يتقون » ، قال : يتركون هذا العمل الذى هم عليه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قالوا معذرة » .[٣]

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والكوفة والبصرة: ﴿ مَعْذِرَةٌ ﴾ بالرفع ، على ما وصفتُ من معناها .

*

وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة : ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ نصباً، بمعنى : إعذاراً وعظناهم وفعلنا ذلك .

* * *

(١) الأثر : ١٥٢٦٤ — مضى مطولا برقم : ١١٣٩ (٢ : ١٧٠) .
(٢) انظر تفسير « اتق » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .
(٣) انظر ذكر هذه الآية وإعرابها فيما سلف ٢ : ١٠٧ ، ١٠٨ .

واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت : « لم تعظون قوما الله مهلكهم » ، هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة ؟

فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت هى الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، هى قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة ، يقال لها : « أيلة » ، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً فى ساحل البحر . فإذا مضى يوم السبت ، لم يقدروا عليها . فكثوا بذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة ، وقالوا : تأخذونها ، وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ! فلم يزدادوا إلا غيًّا وعتوًّا ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم . فلما طال ذلك عليهم ، قالت طائفة من النهاة : تعلَّموا أنّ هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب ،[2] لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، وكانوا أشد غضباً لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ، وكلّ قد كانوا ينهون ، فلما وقع عليهم غضب الله ، نجت الطائفتان اللتان قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، والذين قالوا : « معذرة إلى ربكم » ، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة وخنازير .

١٥٢٦٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التى كانت ٩/٦٤

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لأنها كانت من الناهية » ، ولا معنى لقوله : « من » ، هنا ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « تعلمون » ، والصواب ما أثبت : « تعلموا » فعل أمر ، بتشديد اللام ، بمعنى : اعلموا .

حاضرة البحر ، إلى قوله : « ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » ، وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر ، كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم . يقول : إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعاً = يعني : من كل مكان = ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، وأنهم قالوا : لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفينا فيما سوى ذلك من الأيام ! فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم . وقالت طائفة من المؤمنين : إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه ، والله مخزيهم ومعذبهم عذاباً شديداً . قال المؤمنون بعضهم لبعض : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ، إن كان هلاك ، فلعلنا ننجو ، وإما أن ينتهوا فيكون لنا أجراً . وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوماً يعبدونه ويتفرغون له فيه ، وهو يوم الاثنين . فتعدى الخبثاء من الاثنين إلى السبت ، وقالوا : هو يوم السبت ! فنهاهم موسى ، فاختلفوا فيه ، فجعل عليهم السبت ، ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه ، وأنّ رجلاً منهم ذهب ليحتطب ، فأخذه موسى عليه السلام فسأله : هل أمرك بهذا أحد ؟ فلم يجد أحداً أمره ، فرجمه أصحابه .

١٥٢٦٨ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال بعض الذين نهوهم لبعض : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » .

١٥٢٦٩ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا معاذ بن هانئ قال ، حدثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، قال : ما أدري أنجا الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » أم لا ! قال : فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا ، فكساني حلة.[1]

---

(١) الأثر : ١٥٢٦٩ ــ « معاذ بن هانئ القيسي » ، ثقة ، روى عن همام بن يحيى ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، وحماد بن سلمة ، وغيرهم . . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٩٧ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٥٠ .

١٥٢٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة قال : قرأ ابن عباس هذه الآية ، فذكر نحوه = إلا أنه قال في حديثه : فما زلت أبصِّره حتى عرَف أنهم قد نجوا .

١٥٢٧١ — حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا يحيي بن سليم الطائفي قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكياك ، جعلني الله فداءك ؟ قال : فقرأ : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » إلى قوله : « بما كانوا يفسقون » . قال ابن عباس : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت ، نخاف أن نكون مثلهم ! فقلت : أما تسمع الله يقول : « فلما عتوا عمَّا نهوا عنه »؟ فسُرِّيَ عنه ، وكساني حُلّة .[1]

١٥٢٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثني رجل ، عن عكرمة ، قال : جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ ، فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ، جعلني الله فداءك ؟ فقال : هؤلاء الورقات ! قال : وإذا هو في « سورة الأعراف » ، قال : تعرف أيلة ! قلت : نعم ! قال : فإنه كان بها حيٌّ من يهود ، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا ، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة . كانت تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً كأنها الماخض ،[2] تنبطحُ ظهورَها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم .[3] فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال

(١) الأثر : ١٥٢٧١ — مضى صدر هذا الخبر ، وجزء آخر منه فيما سلف برقم : ١٥٢٥٤ .

(٢) « الماخض » ، التي قد دنا ولادها من الشاء وغيرها . وفي حديث الزكاة : « فاعمد إلى شاة قد امتلأت مخاضاً ، وشحماً » ، أي نتاجاً ، يعني بذلك سمنها و بضاضتها .

(٣) في المطبوعة وابن كثير ٣ : ٥٧٧ : « تنتطح » ، ولا معنى لها هنا ، وفي المخطوطة « تلتطع » ، كأنها من قولهم « لطع الرجل به الأرض » ، و « لطحه بالأرض » ، إذا ضربه بالأرض . وقاس منه « التطح » أي تتقلب ضاربة بظهورها و بطونها الأرض . وصوابها ما أثبت « تنبطح » أو

إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها فى غيره من الأيام ! فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة منهم : بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها فى يوم السبت . وكانوا كذلك ، حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين ، وتنحَّت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت . وقال الأيمنون : ويلكم! اللهَ ، اللهَ ، ننهاكم أن تتعرّضوا لعقوبة الله ![1] وقال الأيسرون : «لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً »؟ قال الأيمنون : «معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ! أى : ينتهون ، فهو ٩ / ٦٥ أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم . فمضوا على الخطيئة ، فقال الأيمنون : قد فعلتم ، يا أعداء الله ! والله لا نُبَايتكم الليلة فى مدينتكم ،[2] والله ما نراكم تصبحون حتى يصبيكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب![3] فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلّماً ، وأعلوا سور المدينة رجلاً ، فالتفت إليهم فقال : أى عبادَ الله ، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب ! قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القرود تأتى نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكى ، فتقولُ لهم : ألم ننهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها : نعم ! ثم قرأ ابن عباس : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

« تتبطح » (بتشديد الطاء) ، أى تتمرغ فى البطحاء . وانظر ما سيأتى فى ص : ١٩٠ ، تعليق : ٢ . وقد حذف هذه الكلمة السيوطى فى روايته للخبر فى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ ، كعادته إذا أشكل عليه الكلام .

(١) هذه الجملة : « وقال الأيمنون . . . . » ساقطة من المخطوطة ، ثابتة فى المطبوعة . وفى المطبوعة : « الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله » ، ولا أدرى من أين جاء بها . وأثبت نص ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٧٧ ، وفى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ : « ويلكم ، لا تتعرضوا لعقوبة الله » .

(٢) فى المطبوعة : « والله لا نبايتنكم » وفى ابن كثير ٣ : ٥٧٧ : « لنأتينكم » ، وفى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ : « لنبايتنكم » ، ومثله فى المخطوطة ، وأرجح أن الصواب ما أثبت ، يعنون أنهم لن يبيتوا معهم فى مدينتهم . فهذا ظاهر السياق .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة ، والدر المنثور : « ما أراكم » ، والصواب من ابن كثير .

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: إنَّ، جعلنى الله فداك، [1] ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم»؟ قال: فأمرَ بى فكسيت بُرْدَين غليظين.

١٥٢٧٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، «واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر»، ذُكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان، حتى تتبطَّح على سواحلهم وأفنيتهم، [2] لما بلغها من أمر الله فى الماء، فإذا كان فى غير يوم السبت، بعدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم. فأتاهم الشيطان فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد! . . . . . . [3] قوله: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون»، صار القوم ثلاثة أصناف، [4] أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبةً لله، وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع فى الخطيئة.

---

(١) فى المطبوعة، والدر المنثور: «أى جعلنى الله فداك»، ولا معنى لها، وحذفها ابن كثير فى روايته الخبر. وأثبت ما فى المخطوطة، وقوله: «إن» (مكسورة الألف مشددة النون) بمعنى: نعم، يعنى: إنه قد كان، وإنهم قد نجوا. قال أبو عبيد فى مثله: «وهذا اختصار من كلام العرب، يكتفى منه بالضمير، لأنه قد علم معناه». وقد قال مسعود بن عبد الله الأسدى:

قَالُوا: غَدَرْتَ! فَقُلْتُ: إنَّ! وَرُبَّمَا نَالَ الْعُلَى وشَفَى الغَلِيلَ الغَادِرُ

(٢) فى المطبوعة: «تتنطح»، وهى فى المخطوطة واضحة كما أثبتها، وانظر التعليق السالف ص: ١٨٨، رقم: ٢.

(٣) وضعت هذه النقط، لدلالة على خرم فى الخبر لاشك فيه، فإنه غير متصل. ولكن هكذا هو فى المخطوطة. وفى المخطوطة لم يسق الآية هكذا بل كتب: (قوله: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً»، فقرأ حتى بلغ «ولعلهم يتقون»)، فكان هذا دليلا أيضاً على الخرم الذى وقع فى نسخة التفسير. ولكن انظر بعض هذا الخبر بهذا الإسناد فيما سلف: ١١٤٠.

(٤) فى المطبوعة: «فصار»، وأثبت ما فى المخطوطة بغير فاء، لأنى لا أعلم ما قبله من السقط الذى حدث، ما هو.

١٥٢٧٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله : « حاضرة البحر » ، قال : حرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، وكانت تأتيهم يوم السبت شُرّعاً ، بلاء ابتلوا، ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوها ، بلاء أيضاً ، بما كانوا يفسقون . فأخذوها يوم السبت استحلالاً ومعصية، فقال الله لهم : «كونوا قردة خاسئين» ، إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم، فقال بعضهم لبعض : « لم تعظون قوماً » .

١٥٢٧٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم » حتى بلغ « ولعلهم يتقون » ، لعلَّهم يتركون ما هم عليه . قال : كانوا قد بُلوا بكفّ الحيتان عنهم ، وكانوا يسبتون في يوم السبت ولا يعملون فيه شيئاً ، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شُرّعاً ، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوتٌ واحد . قال : وكانوا قوماً قد قَرِموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاءً ، [1] فأخذ رجل منهم حوتاً فربط في ذنبه خيطاً ، ثم ربطه إلى خَشَفَةٍ ، [2] ثم تركه في الماء ، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد ، اجترّه بالخيط ثم شواه . فوجد جارٌ له ريح حوت ، فقال : يا فلان ، إني أجد في بيتك ريح نُونٍ ! [3] فقال : لا ! قال : فتطلع في تنُّوره فإذا هو فيه ، فأخبره حينئذ الخبرَ ، فقال : إني أرى الله سيعذّبك . قال : فلما لم يره عجَّل عذاباً ، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربَطَهما ، ثم اطلع جارٌ له عليه ، فلما رآه لم يعجِّل عذاباً ، جعلوا يصيدونه ، [4] فاطلع أهل القرية عليهم ، فنهاهم الذين ينهون عن

---

(١) « قرم إلى اللحم » (بكسر الراء) « قرماً » بفتحتين : اشتدت شهوته إليه . وقوله : « لقوا منه » ، الضمير في « منه » عائد إلى مصدر « قرموا » ، أي : القرم .

(٢) في المطبوعة : « خسفة » ، ولا معنى لها ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت . و « الخشفة » بالخاء المعجمة و « الحشفة » بالحاء المهملة (و بفتح الخاء والشين) : هي حجارة تنبت في الأرض نباتاً ، أو صخرة رخوة في سهل من الأرض .

(٣) « النون » : الحوت والسمك .

(٤) قوله : « جعلو يصيدونه » ، فخالف السياق المفرد السابق ، فأخشى أن يكون سقط

المنكر . فكانوا فرقتين : فرقة تنهاهم وتكفّ ، وفرقة تنهاهم ولا تكف . فقال الذين نهوا وكفوا ، للذين ينهون ولا يكفون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ؟ فقال الآخرون : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » . فقال الله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ إلى قوله ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون ﴾ . قال الله ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وقال لهم أهل تلك القرية : عملتم بعمل سوْء ، من كان يريد يعتزل ويتطهَّر فليعتزل هؤلاء ! قال : فاعتزل هؤلاء وهؤلاء فى مدينتهم ، وضربوا بينهم سوراً ، فجعلوا فى ذلك السور أبواباً يخرج بعضُهم إلى بعض . قال : فلما كان الليل طرقهم الله بعذاب ،[1] فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحداً، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة ، الرجل وأزواجه وأولاده ، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون : يا فلان ، ألم نحذرك سطوات الله ؟ ألم نحذرك نقمات الله ؟ ونحذرك ونحذرك ؟ قال : فليس إلا بكاء ![2] قال : وإنما عذب الله الذين ظلموا ، الذين أقاموا على ذلك . قال : وأما الذين نَهَوْا ، فكلهم قد نهى ، ولكن بعضهم أفضل من بعض . فقرأ : ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

٦٦/٩

١٥٢٧٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن داود ، عن عكرمة قال : قرأ ابن عباس هذه الآية : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، قال : لا أدرى أنجا القوم أو هلكوا ؟ فما زلت أبصِّره حتى عرف أنهم نجوا ، وكسانى حُلّة .

من الكلام ما معناه أن بعض جيرانه اتبعوه وفشا فيهم ، فجعلوا يصيدونه . . .

(١) فى المطبوعة : « بعذابه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : فليس إلا تكاكا » ، ولا أدرى ما وجهها ، وقد سلف فى الخبر رقم ١٥٢٧٢ ، فى آخره : « فتشم ثيابه فتبكى » ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، حتى يتبين لما فى المخطوطة وجه مرضى من الصواب

١٥٢٧٧ — حدثني يونس قال ، أخبرني أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك قال : زعم ابن رُومان أن قوله : « تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » ، قال : كانت تأتيهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبتْ ، فلا يرى منها شيء إلى السبت . فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً ، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به حتى قال لهم : فإنه جلد حوتٍ وجدناه ! فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك = ولا أدري لعله قال : ربط حوتين = فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجدوا ريحه ، فجاؤوا فسألوه ، فقال لهم : لو شئتم صنعتم كما أصنع ! فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك . وكانت لهم مدينة لها رَبض ،[1] فغلّقوها ، فأصابهم من المسْخ ما أصابهم . فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ، فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوَّروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسَّح بمن كان يعرف قبل ذلك ، ويدنو منه ويتمسَّح به .

* * *

وقال آخرون : بل الفرقة التي قالت : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، كانت من الفرقة الهالكة .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٢٧٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » إلى قوله : « شرعاً » ، قال : قال ابن عباس : ابتدعوا السبت فابتلُوا فيه ، فحرِّمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم

---

(١) « الربض » (بفتحتين) : هو الفضاء حول المدينة .

السبت شَرَّعت لهم الحيتان ينظرون إليها فى البحر. فإذا انقضى السبتُ ، ذهبت فلم تُرَ حتى السبت المقبل . فإذا جاء السبت جاءت شرَّعاً . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إنّ رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزمه بأنفه ، (١) ثم ضرب له وتِداً فى الساحل ، وربطه وتركه فى الماء . فلما كان الغد ، أخذه فشواه فأكله . ففعل ذلك وهم ينظُرون ولا ينكرون ، ولا ينهاه منهم أحد ، إلا عصبة منهم نَهوه ، حتى ظهر ذلك فى الأسواق وفُعِل علانيةً . قال : فقالت طائفة للذين ينهَون : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم » ، فى سخطنا أعمالهم ، « ولعلهم يتقون . فلما نسوا ماذُكِّروا به » ، إلى قوله : « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، قال ابن عباس : كانوا أثلاثاً : ثلث نَهوا ، وثلث قالوا : « لم تعظون قوما الله مهلكهم » ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نَهوا ، وهلك سائرهم . فأصبح الذين نَهوا عن السوء ذات يوم فى مجالسهم يتفقَّدون الناس لا يرونهم ، فَعَلَوْا على دورهم ، (٢) فجعلوا يقولون : إنّ للناس لشأناً ، فانظروا ما شأنهم ! فاطلعوا فى دورهم ، فإذا القوم قد مسخوا فى ديارهم قردة ، يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد ، ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقردة ، قال الله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٦] .

٦٧/٩

١٥٢٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « أنجينا الذين ينهون عن السوء » الآية ، قال ابن عباس : نجا الناهون ، وهلك الفاعلون ، ولا أدرى ما صنع بالساكتين !

---

(١) فى المطبوعة : « فخرم أنفه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهذا صواب قراءته ونقطه . « خزم الدابة » ثقب فى أنفها ثقباً ، وجعل فيه خزامة من شعر أو غيره ، و « الخزامة » (بكسر الخاء) الحلقة المعقودة .

(٢) فى المطبوعة : « فغلقوا عليهم دورهم » ، أراد أن يحسّنها فأخطأ أشنع الخطأ ، والصواب البين ما فى المخطوطة ، كما أثبته .

١٥٢٨٠ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»، قال: هم ثلاث فرق: الفرقة التي وَعَظت، والموعوظة التي وُعِظت، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، وهم الذين قالوا: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم».

= وقال الكلبي: هما فرقتان: الفرقة التي وَعَظت، والتي قالت: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»، قال: هي الموعوظة.

١٥٢٨١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لأن أكون علمتُ من هؤلاء الذين قالوا: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً»، أحبُّ إليّ مما عُدِل به!

١٥٢٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء قال، قال ابن عباس: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم»، قال: أسمع الله يقول: «أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس»، فليت شعرى ما فُعِل بهؤلاء الذين قالوا: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»؟

١٥٢٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن ماهان الحنفى أبي صالح فى قوله: «تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم»، قال: كانوا فى المدينة التى على ساحل البحر، وكانت الأيام ستة، الأحد إلى الجمعة. فوضعت اليهود يوم السبْت، وسبّتوه على أنفسهم، فسبّته الله عليهم، ولم يكن السبت قبل ذلك، فوكّده الله عليهم، وابتلاهم فيه بالحيتان، فجعلت تشرع يوم السبت، فيتقون أن يصيبُوا منها، حتى قال رجل منهم: والله ما السَّبت بيوم وكّده الله علينا، ونحن وكّدناه على أنفسنا، فلو تناولت من هذا السمك! فتناول حوتاً من الحيتان، فسمع بذلك جارُه، فخاف العقوبة، فهرب من منزله. فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة، تناول غيرُه أيضاً فى يوم

السبت . فلما لم تصبهم العقوبة، كثر مَنْ تناول فى يوم السبت، واتخذوا يوم السبت وليلةَ السبت عيداً يشربون فيه الخمورَ ، ويلعبون فيه المعازف . فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم : ويحكم ، انتهوا عما تفعلون، إن الله مهلككم أو معذّبكم عذاباً شديداً، أفلا تعقلون ؟ ولا تعدوا فى السبت! فأبوا، فقال خيارهم: نضرب بيننا وبينهم حائطاً . ففعلوا، وكان إذا كان ليلة السبت تأذّوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف، حتى إذا كانت الليلة التى مُسِخوا فيها، سكنت أصواتهم أوّل الليل، فقال خيارهم : ما شأن قومكم قد سكنَتْ أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم : لعل الخمر غلبتهم فناموا ! فلما أصبحوا ، لم يسمعوا لهم حسًّا ، فقال بعضهم لبعض : ما لنا لا نسمع من قومكم حسًّا ؟ فقالوا لرجل : اصعد الحائط ، وانظر ما شأنهم . فصعد الحائط ، فرآهم يموجُ بعضهم فى بعض ، قد مُسخوا قردةً ، فقال لقومه: تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لَقُوا ! فصعدوا، فجعلوا ينظرون إلى الرجل فيتوسّمون فيه ، فيقولون : أى فلان ، أنت فلان؟ فيومئ بيده إلى صدره أنْ نعم ،[1] بما كسبت يداى .[2]

١٥٢٨٤ — حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب

٦٨/٩ قال ، تلا الحسن ذات يوم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » ، فقال: حوتٌ حرمه الله عليهم فى يوم،[3] وأحله لهم فيما سوى ذلك ، فكان يأتيهم فى اليوم الذى حرّمه الله عليهم كأنه المخاض،[4]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أى نعم » ، والصواب الجيد ما أثبت .

(٢) الأثر : ١٥٢٨٣ — « ماهان أبو صالح الحنفى » ، قال البخارى « ماهان ، أبو سالم الحنفى ، . . . وقال بعضهم : ماهان ، أبو صالح ، ولا يصح » ، وقد مضى ذلك برقم : ٣٢٢٦ ، ١٣٢٩١ ، وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٦٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٣٤ .

(٣) فى المطبوعة : « كان حوتاً حرمه الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة : « كأنه المخاصر » غير منقوطة ، وكأن ما فى المطبوعة هو الصواب ، وقد سلف فى ص : ١٨٨ ، وتعليق : ٢ ، : « كانت تأتيهم . . . بيضاً سماناً كأنها الماخض» ، وفسرته هناك بأنه أراد بالماخض ، الشاة أو الناقة التى دنا ولادها ، وأنه عنى بذلك سمنها وتراربها . و« المخاض » : الإبل الحوامل ، يريد بها التى امتلأت حملا وسمناً .

لا يمتنع من أحد . وقلَّما رأيت أحداً يكثر الاهتمامَ بالذنب إلاّ واقعه ،[1] فجعلوا يَهتمُّون ويمسكون ، حتى أخذوه ، فأكلوا أوخمَ أكلة أكلها قوم قطُّ ،[2] أبقاه خزياً فى الدنيا ، وأشدُّه عقوبة فى الآخرة ![3] وايم الله ، [ما حوتٌ أخذه قوم فأكلوه ، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن] ![4] وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ، ولكنَّ الله جعل موعدَ قوم الساعة ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ ، [سورة القمر : ٤٦].

١٥٢٨٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الحسن قال : جاءتهم الحيتان تشرع فى حياضهم كأنها المخاض ،[5] فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط ،[6] أسوأه عقوبة فى الدنيا ، وأشدُّه عذاباً فى الآخرة ! وقال

---

(١) « الاهتمام » ، يريد : الهم به ، لا من « الاهتمام » بمعنى الاغتمام والحزن . وهو صريح القياس : « اهتم بالأمر » ، بمعنى « هم به » ، ولم تذكرها معاجم اللغة .

(٢) استعمال « قط » مع غير النفى ، أعنى فى المثبت ، مما أنكروه ، وقد جاء فى الكلام كثيراً ، ونبه إليه ابن مالك فى مشكلات الجامع الصحيح : ١٩٣ ، قال : « وفى قوله : ونحن أكثر ما كنا قط ، استعمال قط غير مسبوقة بنفى ، وهو مما خفى على كثير من النحويين . لأن المعهود استعمالها لاستغراق الزمان الماضى بعد نفى ، نحو : ما فعلت ذلك قط . وقد جاءت فى هذا الحديث دون نفى وله نظائر » . وانظر الخبر الآتى رقم : ١٥٢٦٨ .

(٣) قوله : « أبقاه خزياً » ، أعاد الضمير مع « أفعل » التفضيل بالإفراد والتذكير ، وهى عائدة إلى « أكلة » ، وهى مؤنثة ، وذلك صريح العربية ، وقد مضت الإشارة إلى ذلك فيما سلف ٥ : ٤٨٨ ، تعليق : ١/ ٥ : ٥٥٧ ، تعليق : ١/ ٦ : ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، تعليق : ٢/ ٧ : ٨٧ ، تعليق : ٤/ والأثر رقم : ١٤٨١٣.

وكان فى المطبوعة : « أثقله خزياً » ، والصواب من الدر المنثور ٣ : ١٣٨ ، وفى المخطوطة : « أبق خزياً فى الدنيا ، وأشد عقوبة فى الآخرة » .

(٤) هذه الجملة التى بين القوسين فى المطبوعة ، ولم ترد فى المخطوطة ، ولا فى الدر المنثور ٣ : ١٣٨ ، ونصها فى المخطوطة : « وايم الله ، للمؤمن أعظم حرمة » ، فلا أدرى ، أهى زيادة من ناسخ لنسخة أخرى ، أم سقطت من ناسخ نسختنا .

(٥) فى المخطوطة : « كأنها المحاصر » ، كما سلف فى الخبر السالف ، انظر ص ١٩٦ ، تعليق : ٤

(٦) انظر التعليق السالف رقم : ٣ .

الحسن : وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان !

١٥٢٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء قال : كنت جالساً فى المسجد ، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناسُ إليه ، فقالوا : هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود ! قال : قال ابن مسعود : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » الآية، قال : لما حرم عليهم السبت ،كانت الحيتان تأتى يوم السبت ، وتأمن فتجىء ،[1] فلا يستطيعون أن يمسوها . وكان إذا ذهب السبت ذهبت ،فكانوا يتصيّدون كما يتصيد الناس. فلما أرادوا أن يعدوا فى السبت ، اصطادوا ، فنهاهم قوم من صالحيهم، فأبوا، وكَثَرَهم الفجّار ،[2] فأراد الفُجار قتالهم ، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله ، أبو أحدهم أو أخوه أو قريبه . فلما نهوهم وأبوا، قال الصالحون: إذاً نُتَّهم! وإنا نجعل بيننا وبينكم حائطاً ![3] ففعلوا، فلما فقدوا أصواتهم قالوا : لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا ! فنظروا، فإذا هم قد مُسخوا قردةً ، يعرفون الكبير بكبره، والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم. وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وتجىء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « كثرهم الفجار » ، أى : غلبوهم بكثرتهم .

(٣) فى المخطوطة : « اذاتهم ، وإنا لنجعل بيننا وبينكم حائطاً » ، هكذا ، فرأيت قراءتها كما أثبتها . أما فى المطبوعة ، فقد غير الجملة وغير ضمائرها فكتب : « إنا نباينهم ، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطاً » . وقوله « إذا نتهم » ، يعنى : إذا نتهم بما فعلتم من العدوان فى السبت ، ويأخذنا الله بالعقاب ، ونحن براء مما فعلتم .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما تركت الطائفة التى اعتدت فى السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه ، وضيَّعت ما وَعظتْها الطائفة الواعظة وذكَّرتها به ، [1] من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها ، فتقدّمت على استحلال ما حرم الله عليها [2] ، أنجى الله الذين ينهون منهم عن « السوء » = يعنى عن معصية الله واستْحلال حِرْمه [3] = « وأخذنا الذين ظلموا » ، يقول : وأخذ الله الذين اعتدوا فى السبت ، فاستحلوا فيه ما حرَّم الله من صيد السمك وأكله ، فأحلّ بهم بأسَه ، وأهلكهم بعذاب شديدٍ بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله ، [4] فيخرجون من طاعته إلى معصيته ، وذلك هو « الفسق » . [5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج فى قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء » ، قال : فلما نسُوا موعظة المؤمنين إياهم ، الذين قالوا : « لم تعظون قوماً » .

---

(١) فى المطبوعة : « وذكرتها ما ذكرتها به » ، زاد فى الكلام ما لا حاجة إليه به ، وخالف المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف من فهارس اللغة (نسى) .

(٣) « الحرم » (بكسر فسكون) ، هو « الحرام » .

(٤) فى المطبوعة : « بما كانوا يفسقون يخالفون » ، وقوله « يفسقون » كانت فى المخطوطة ، ولكنه ضرب عليها ، فكان حقاً على الناشر أن يحذفها كما فعلت .

(٥) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

١٥٢٨٨ — حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا حرمي قال ، حدثني شعبة قال ، أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « أنجينا الذين ينهون عن السوء » ، قال : يا ليت شعري ، ما السُّوء الذي نُهوا عنه ؟

* * *

وأما قوله : « بعذاب بئيس » ، فإن القرأة اختلفت في قراءته .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ بِعَذَابٍ بِيسٍ ﴾ ، بكسر الباء وتخفيف الياء ، بغير همز ، على مثال « فِعْل » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة والبصرة : ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ على مثال « فعيل » ، من « البؤس » ، بنصب الباء وكسر الهمزة ومدّها .

٦٩/٩

* * *

وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين ، غير أنه كسر باء : ﴿ بِئِيسٍ ﴾ على مثال « فِعِيل » .

* * *

وقرأه بعض الكوفيين : ﴿ بَيْئِسٍ ﴾ بفتح الباء وتسكين الياء ، وهمزة بعدها مكسورة ، على مثال « فَيْعِل » .

* * *

وذلك شاذ عند أهل العربية ، لأن « فَيْعِل » إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح في عينه الفصيحُ في كلام العرب ، وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم : « صَيْقَل » و « نَيْرَب » ، وإنما تُكْسَر العين من ذلك في ذوات الياء والواو كقولهم : « سَيِّد » و « مَيِّت » ، وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

كِلاهُمَا كَانَ رَئِيسًا بَيْئِسَا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الهِيَاجِ القَوْنَسَا[1]

---

(١) تفسير أبي حيان ٤ : ٤١٣ .

بكسر العين من « فيعِل » ، وهى الهمزة من « بيئس » ، فلعلّ الذى قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه .

* * *

وذكر عن آخر من الكوفيين أيضاً أنه قرأه : ﴿ بَيْئَسٍ ﴾ ، نحو القراءة التى ذكرناها قبل هذه ، وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء ، على مثال « فَيْعَل » مثل « صَيْقَل » .

* * *

وروى عن بعض البصريين أنه قرأه : ﴿ بَئِسٍ ﴾ بفتح الباء وكسر الهمزة ، على مثال « فَعِل » ، كما قال ابن قيس الرقيّات :

لَيْتَنِى أَلْقَى رُقَيَّةَ فِى خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ ما بَئِسِ[1]

* * *

وروى عن آخر منهم أنه قرأ : ﴿ بِئْسَ ﴾ بكسر الباء وفتح السين ، على معنى : بِئْسَ العذاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراءات عندى بالصواب ، قراءةُ من قرأة : ﴿ بَئِيسٍ ﴾ بفتح الباء ، وكسر الهمزة ومدّها ، على مثال « فعيل » ، كما قال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

حَنَقاً عَلَىّ ، وَمَا تَرَى لِى فِيهِمُ أَثَرًا بَئِيسا[2]

---

(١) ديوانه : ٢٨٦ ، والخزانة ٣ : ٥٨٧ ، والعينى (بهامش الخزانة) ٤ : ٣٧٩ ، ورواية صاحب الخزانة « من غير ما أنس » ، وشرحها فقال : « الأنس ، بفتحتين ، بمعنى الإنس ، بكسر الهمزة وسكون النون ، وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف ، تقديره : فى غير حضور إنس » ، وهذا فى ظنى ، اجتهاد من صاحب الخزانة ، وأن البيت مصحف صوابه ما فى الطبرى . وأما العينى ، فكتب « من غير ما يبس » (بالياء ثم الباء) ، وهو تصحيف لا شك فيه ، ومثله فى الديوان منقولا عنه . والصواب ما شرحه أبو جعفر .

(٢) الأغانى ٣ : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣١ من شعر جيد فى ابن عم له كان يعاديه ، فكان يتدسس إلى مكارهه ، ويؤلب عليه ، ويسعى بينه وبين بنى عمه ، ويبغيه شراً ، فقال فيه :

= لأن هذا التأويل أجمعوا على أن معناه: شديد، فدلّ ذلك على صحة ما اخترنا.[1]

* * *

ذكر من قال ذلك :

١٥٢٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » ، أليم وجيع .

١٥٢٩٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بعذاب بئيس » ، قال : شديد .

١٥٢٩١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بعذاب بئيس » ، أليم شديد .

١٥٢٩٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « بعذاب بئيس » ، قال : موجع .

١٥٢٩٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « بعذاب بئيس » ، قال : بعذاب شديد .

وَلِىَ ٱبْنُ عَمٍّ لَا يَزَا لُ إِلَىَّ مُنْكَرُهُ دَسِيسَا
دَبَّتْ لَهُ ، فَأَحَسَّ بَعْ دَ البُرْءِ مِنْ سَقَمٍ رَسِيسَا
إِمَّا عَلَانِيَةً ، وَإِمَّا مُخْمِرًا أَكْلًا وَهِيسَا
إِنِّى رَأَيْتُ بَنِى أَبِيـ كَ يُحَمِّجُونَ إِلَىَّ شُوسَا
حَنَقًا عَلَىَّ ، . . . .

وقواه : « دبت له » ، يعنى العداوة . و « الرسيس » : أول الحمى ، وقوله : « مخمرا » أى يستر ما يريد ، « أخمر الشيء » : ستره . « الأكل الوهيس » : الشديد ، يعنى ما يغتابه به ويأكل به لحمه . و « التحميج » ، إدامة النظر ، والقلب كاره أو محنق . و « الشوس » جمع « أشوس » ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه مغيظاً يتجرك .

وكان فى المطبوعة : « ولى تراث » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإنما جاء بها من الأغانى .

(١) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ١٢ : ٣٠٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فلما تمرَّدوا ، فيما نهوا عنه من اعتدائهم فى السبت ، واستحلالهم ما حرَّم الله عليهم من صيد السمك وأكله ، وتمادوا فيه[1] = « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، أى : بُعَداء من الخير .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما عتوا عما نهوا عنه »، يقول: لما مرَد القوم على المعصية = « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، فصارُوا قردةً لها أذناب ، تعاوَى ، بعد ما كانوا رجالاً ونساءً .

١٥٢٩٥ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »، فجعل الله منهم القردة والخنازير. فزعم أن شباب القوم صارُوا قردةً ، وأن المشيخة صاروا خنازيرَ .

١٥٢٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن أبى مالك أو سعيد بن جبير قال : رأى موسى عليه السلام رجلاً يحمل قصبًا يوم السبت ، فضرب عنقه . ٩/ ٧٠

* * *

(١) انظر تفسير « عتا » فيما سلف ١٢ : ٥٤٣ .

(٢) انظر تفسير « خسأ » فيما سلف ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذ تأذن » ، واذكر ، يا محمد ، إذ آذن ربك، وأعلمَ .[1]

* * *

= وهو « تفعل » من « الإيذان » ، كما قال الأعشى ، ميمون بن قيس :

أَذِنَ الْيَوْمَ جِيرَتِى بِخُفُوفِ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ[2]

يعنى بقوله : « أذِن » ، أعلم . وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذ تأذن ربك » ، قال : أمرَ ربك .

١٥٢٩٨ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « وإذ تأذن ربك » ، قال : أمر ربك .

* * *

وقوله : « ليبعثن عليهم » ، يعنى : أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء

---

(١) كان فى المطبوعة : « إذ أذن ربك فأعلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٢١١ ، مطلع قصيدة له طويلة . وفى الديوان المطبوع « بحفوف » ، وهو خطأ صرف ، صوابه فى مصورة ديوانه . و « الخفوف » مصدر قولهم : « خف القوم عن منزلهم خفوفاً » ، ارتحلوا ، أو أسرعوا فى الارتحال ، وفى خطبته صلى الله عليه وسلم فى مرضه : « أيها الناس ، إنه قد دنا منى خفوف من بين أظهركم » ، أى قرب ارتحال ، منذراً صلى الله عليه وسلم بموته .

(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ١١ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

العذاب. [(١)] قيل : إن ذلك، العربُ ، بعثهم الله على اليهود، يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغاراً وذلة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم وعلى بن داود قالا ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : هى الجزية . والذين يسومونهم : محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته ، إلى يوم القيامة .

١٥٣٠٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، فهى المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

١٥٣٠١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : يهود ، وما ضُرب عليهم من الذلة والمسكنة .

١٥٣٠٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : فبعث الله عليهم هذا الحىَّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

١٥٣٠٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال : بعث

---

(١) انظر تفسير « البعث » فيما سلف من فهارس اللغة (بعث) ، وأخشى أن يكون الصواب « يعنى : أعلم ربك ليرسلن على اليهود » .

عليهم هذا الحى من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

= وقال عبد الكريم الجزرىّ : يُستحبٌّ أن تُبعث الأنباط فى الجزية .[1]

١٥٣٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال: العرب = « سوء العذاب » ، قال : الخراج . وأوّلُ من وضع الخراج موسى عليه السلام ، فجبى الخراجَ سبعَ سنين .

١٥٣٠٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد: « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال : العرب = « سوء العذاب » ؟ قال : الخراج . قال : وأول من وضع الخراج موسى ، فجبى الخراج سبعَ سنين .

١٥٣٠٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : هم أهل الكتاب ، بعث الله عليهم العرب يجبُونهم الخراجَ إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب . ولم يجب نبيٌّ الخراجَ قطٌّ إلا موسى صلى الله عليه ثلاث عشرة سنةً ، ثم أمسك ، وإلاّ النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥٣٠٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : يبعث عليهم هذا الحى من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

٧١/٩ ١٥٣٠٨ — . . . . قال أخبرنا معمر قال ، أخبرنى عبد الكريم ، عن

---

(١) القائل : « قال عبد الكريم الجزرى . . . » ، إلى آخر الكلام ، هو « معمر » ، وسيأتى بيان ذلك ومصداقه فى الأثر رقم : ١٥٣٠٨ ، رواية معمر ، عن عبد الكريم ، عن ابن المسيب .

ابن المسيب قال : يستحبٌّ أن تبعث الأنباط فى الجزية .(١)

١٥٣٠٩ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط عن السدى : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، يقول : إن ربك يبعث على بنى إسرائيل العرب فيسومونهم سوء العذاب ، يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم .

١٥٣١٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة » ، ليبعثن على يَهُود .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربك، يا محمد ، لسريعٌ عقابه إلى من استوجَب منه العقوبة على كفره به ومعصيته = «وإنه لغفور رحيم » ، يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، فأناب وراجع طاعته ، يستر عليها بعفوه عنها = « رحيم » ، له، أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها، لأنه يقبل التوبة ويُقيل العَثْرة .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٣٠٨ — انظر ختام الأثر السالف رقم : ١٥٣٠٣ .

(٢) انظر تفسير « سريع العقاب » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (سرع) و (غفر) و (رحم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وفرّقنا بنى إسرائيل فى الأرض[1] = « أمماً » يعنى : جماعات شتى متفرّقين ،[2] كما : —

١٥٣١١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « وقطعناهم فى الأرض أمماً »، قال : فى كل أرض يدخلها قوم من اليهود .[3]

١٥٣١٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد: « وقطعناهم فى الأرض أمماً »، قال: يهود .

* * *

وقوله : « منهم الصالحون » ، يقول : من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بنى إسرائيل = « الصالحون » ، يعنى : من يؤمن بالله ورسله = « ومنهم دون ذلك »، يعنى : دون الصالح .

وإنما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادِهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه .

* * *

وقوله : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » ، يقول : واختبرناهم بالرخاء فى العيش ،[4] والخفض فى الدنيا والدعة ، والسعة فى الرزق ، وهى

---

(١) انظر تفسير « قطع » فيما سلف ص : ١٦٤ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ١٨٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٥٣١١ — « إسحق بن إسماعيل » ، هو « أبو يزيد » « حبويه » ، انظر ما سلف رقم : ١٥٢٢١ ، والتعليق عليه هناك .

(٤) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف من فهارس اللغة (بلا) .

« الحسنات » التى ذكرها جل ثناؤه[١] = ويعنى بـ « السيئات » ، الشدة فى العيش ، والشظف فيه ، والمصائب والرزايا فى الأموال[٢] = « لعلهم يرجعون » ، يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليها ، ويتوبوا من معاصيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم[٣] = « خلف » ، يعنى : خَلَف سوء . يقول : حدث بعدهم وخلافتهم ، وتبدل منهم ، بَدَلُ سَوْءٍ .

* * *

يقال منه : « هو خَلَفُ صِدْقٍ » ، و « خَلْفُ سَوْءٍ » ، وأكثر ما جاء فى المدح بفتح « اللام » ، وفى الذم بتسكينها ، وقد تحرّك فى الذم ، وتسكّن فى المدح ، ومن ذلك فى تسكينها فى المدح قول حسان :

لَنَا القَدَمُ الأُولَى إلَيْكَ ، وَخَلْفُنَا لِأَوَّلِنَا فِى طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ[٤]

---

(١) انظر تفسير « الحسنات » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٢) انظر تفسير « السيئات » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

(٣) انظر تفسير « خلف » فيما سلف ص : ١٢٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) ديوانه : ٢٥٤ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ٢٨٣ واللسان (خلف) ، وسيأتى فى التفسير ١١ : ٥٩ بولاق ، من قصيدة بكى فيها سعد بن معاذ ، فى يوم بنى قريظة ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء . وقوله : « القدم الأولى » ، يعنى سابقة الأنصار فى الإسلام . ورواية السيرة : « فى ملة الله تابع » .

وأحسب أنّه إذا وُجِّه إلى الفساد، مأخوذ من قولهم: « خَلَفَ اللبن » ، إذا حمض من طُول تَركه فى السقاء حتى يفسد، فكأنّ الرجل الفاسد مشبّهٌ به . وقد يجوز أن يكون من قولهم[1]: « خَلَفَ فم الصائم »، إذا تغيرت ريحه . وأما فى تسكين « اللام » فى الذمّ، فقول لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِى أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[2]

* * *

وقيل : إن الخلف الذى ذكر الله فى هذه الآية أنهم خَلَفوا من قبلهم ، هم النصارى .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣١٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فخلف من بعدهم خلف » ، قال: النصارى . ٧٢/٩

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « منه قولهم » ، وهو خطأ .

(٢) ديوانه ، القصيدة : ٨ ، واللسان (خلف) ، وغيرها كثير . يرثى بها أربد ، صاحبه وابن عمه ، قال :

قَضِّ اللُّبَانَةَ لاَ أَبَالَكَ وَاذْهَبِ وَالْحَقْ بِأُسْرَتِكَ الكِرَامِ الغُيَّبِ

ذَهَبَ الَّذِين . . . .

يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

يَا أَرْبَدَ الخَيْرِ الكَرِيمُ جُدُودُهُ خَلَّيْتَنِى أَمْشِى بِقَرْنٍ أَعْضَبِ

. . . .

إِنَّ الرَّزِيَّةَ ، لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَا فِقْدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوْءِ الكَوْكَبِ

« المغالة » الفحش فى العداوة والوشاية عن تعاديه ، و « القرن الأعضب » ، المكسور ، يعنى أنه قد فتر حده بموت أربد .

ذكره، إنما وصف أنه خَلَفَ القومَ الذين قصَّ قصصهم فى الآيات التى مضت، خَلْفُ سوءٍ رديء، ولم يذكر لنا أنهم نصارى فى كتابه، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى.

وبعدُ، فإن ما قبل ذلك خبرٌ عن بنى إسرائيل، وما بعده كذلك، فما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم أشبه، إذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به.

* *

فتأويل الكلام إذاً: فتبدَّل من بعدهم بَدَلُ سوءٍ، ورثوا كتاب الله فتَعلَّموه، [1] وضيعوا العمل به، فخالفوا حكمه، يُرْشَون فى حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عَرَض هذا العاجل «الأدنى»، [2] يعنى بـ «الأدنى» الأقرب من الآجل الأبعد. [3] ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا، تمنِّيًا على الله الأباطيل، كما قال جل ثناؤه فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٩] = «وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه»، يقول: وإن شرع لهم ذنبٌ حرامٌ مثله من الرشوة بعد ذلك، [4] أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه. يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا تَوْبة.

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عنه عباراتهم.

---

(١) فى المطبوعة: «تعلموه»، وصواب قراءة ما فى المخطوطة، هو ما أثبت.

(٢) انظر تفسير «عرض الدنيا» فيما سلف ٩ : ٧١.

(٣) انظر تفسير «الأدنى» فيما سلف ٢ : ١٣١.

(٤) فى المخطوطة: «وإن شرع لهم ذنباً»، سيئة الكتابة، والذى فى المطبوعة ليس يبعد عن الصواب، وإن كنت غير راض عنه.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣١٤ — حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرَض مثله يأخذوه » ، قال : يعملون الذنب ، ثم يستغفرون الله ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

١٥٣١٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبدالرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : من الذنوب .

١٥٣١٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا » ، قال : يعملون بالذنوب = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : ذنبٌ آخر ، يعملون به .

١٥٣١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : الذنوب = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : الذنوب .

١٥٣١٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : ما أشرف لهم من شىء فى اليوم من الدنيا حلالٌ أو حرام يشتهونه أخذوه ، ويبتغون المغفرة ، فإن يجدوا الغد مثلَه يأخذوه .

١٥٣١٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : يتمنَّون المغفرة

١٥٣٢٠ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : لا يشرف لهم شىء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالاً كان أو حراماً ، ويتمنون المغفرة ، ويقولون : « سيغفر لنا » ، وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذوه .

١٥٣٢١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فخلف من بعدهم خلف » ، إى والله، لَخَلْفُ سَوْءٍ ورِثوا الكتابَ بعد أنبيائهم ورسلهم، ورّثهم الله وَعهِد إليهم، وقال الله فى آية أخرى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ [سورة مريم : ٥٩] ، قال: « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا »، تمنوا على الله أمانىّ، وغِرّةٌ يغترُّون بها . = « وإن يأتهم عرض مثله » ، لا يشغلهم شىء عن شىء ولا ينهاهم عن ذلك،[1] كلما أشرف لهم شىء من الدنيا أكلوه ، لا يبالون حلالا كان أو حراماً .

١٥٣٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : يأخذونه إن كان حلالاً وإن كان حراماً = « وإن يأتهم عرض مثله »، قال : إن جاءهم حلال أو حرامٌ أخذوه . ٣/٩

١٥٣٢٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « فخلف من بعدهم خلف » إلى قوله: « ودرسوا ما فيه » ، قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلاّ ارتشى فى الحكم ، وإن خيارهم اجتمعُوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا ،[2] فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِيَ ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشى فى الحكم ؟ فيقول : سيغفر لى ! فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى إسرائيل فيما صنع . فإذا مات، أو نُزِع ، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه، فيرتشى. يقول : وإن يأت الآخرين عرضُ الدنيا يأخذوه. وأما «عرض الأدنى »، فعرض الدنيا من المال .

١٥٣٢٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المخطوطة : « لا يسلعهم شىء . . . » سيئة الكتابة ، وكأن ما فى المطبوعة صواب .
(٢) فى المخطوطة : « ولا يرتشى » ، والصواب ما فى المطبوعة .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا » ، يقول : يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ، ويقولون : « سيغفر لنا » .

١٥٣٢٥ — وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : الكتاب الذى كتبوه = « ويقولون سيغفر لنا » ، لا نشرك بالله شيئاً = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، يأتهم المحق برشوة فيخرجوا له كتاب الله ، ثم يحكموا له بالرشوة . وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له « المثنّاة » ، وهو الكتاب الذى كتبوه ، فحكموا له بما فى « المثنّاة » بالرشوة ، فهو فيها محق ، وهو فى التوراة ظالم ، فقال الله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ .

١٥٣٢٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير قوله : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : يعملون بالذنوب = « ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : الذنوب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٩)

وقال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ألم يؤخذ » ، على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم، القائلين : « سيغفر الله لنا فعلنا هذا »، إذا عوتبوا على ذلك = « ميثاق الكتاب » ، وهو أخذ الله العهود على بنى إسرائيل ، بإقامة التوراة ، والعمل بما

فيها . فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم في هذه الآية ، موبخاً على خلافهم أمرَه ، ونقضهم عهده وميثاقه : ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ،[1] ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ولا يُضيفوا إليه إلاّ ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم في التوراة ، وأن لا يكذبوا عليه ؟ كما : —

١٥٣٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلاّ الحق » ، قال : فيما يوجبون على الله من غُفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها .

* * *

وأما قوله : « ودرسوا ما فيه » ، فإنه معطوف على قوله : « ورثوا الكتاب » ، ومعناه : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب » ، « ودرسوا ما فيه » = ويعني بقوله : « ودرسوا ما فيه » ، قرأوا ما فيه ،[2] يقول : ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك ، كما : —

١٥٣٢٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ودرسوا ما فيه » ، قال : علّموه ، علّموا ما في الكتاب الذي ذكر الله ، وقرأ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩] .

* * *

قال أبو جعفر : « والدار الآخرة خير للذين يتقون » ، يقول جل ثناؤه : وما في الدار الآخرة ، وهو ما في المعادِ عند الله ،[3] مما أعدّ لأوليائه ، والعاملين بما أنزل في كتابه ، المحافظين على حدوده = « خير للذين يتقون الله » ،[4] ويخافون ٧٤/٩

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١٠ : ١١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « درس » فيما سلف ٦ : ١٢/٥٤٦ : ٢٥ - ٣١ / ١٢ : ٢٤١ .

(٣) انظر تفسير « الدار الآخرة » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٤) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

عقابه، فيراقبونه فى أمره ونهيه، ويطيعونه فى ذلك كله فى دنياهم = «أفلا يعقلون»،[١] يقول: أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم، ويقولون: «سيغفر لنا»، أنّ ما عند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى أحكامهم، خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله، والقضاء بين الناس بالجور؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر: واختلفت القرأة فى قراءة ذلك.

فقرأ بعضهم: ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بتخفيف الميم وتسكينها، من «أمْسك يمسك».

* * *

وقرأه آخرون: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾، بفتح الميم وتشديد السين، من «مَسَّك يُمَسِّك».

* * *

قال أبو جعفر: ويعنى بذلك: والذين يعملون بما فى كتاب الله = «وأقاموا الصلاة»، بحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها[٢] = «إنا لا نُضيع أجر المصلحين». يقول تعالى ذكره: فمن فعل ذلك من خلقى، فإنى لا أضيع أجر عمله الصالح، كما:—

١٥٣٢٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «والذين يمسكون بالكتاب»، قال: كتاب الله الذى جاء به موسى عليه السلام.

---

(١) قراءة أبى جعفر كما هو بين ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء، وتفسيره جرى عليها، فلذلك تركتها هنا كما فسرها، وإن كنت قد وضعت الآية فيما سلف برسم مصحفنا وقراءتنا. ولم يشر أبو جعفر إلى هذه القرآة.

(٢) انظر تفسير «إقامة الصلاة» فى فهارس اللغة (قوم).

١٥٣٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « والذين يمسكون بالكتاب »، من يهود أو نصارى = « إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد ، إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى إسرائيل ، كأنه ظلة غمام من الظِّلال = وقلنا لهم : « خُذوا ما آتيناكم بقوة » ، من فرائضنا ، وألزمناكم من أحكام كتابنا ، فاقبلوه ، اعملوا باجتهادٍ منكم فى أدائه ، من غير تقصير ولا توانٍ [١] = « واذكروا ما فيه » ، يقول : ما فى كتابنا من العهود والمواثيق التى أخذنا عليكم بالعمل بما فيه = « لعلكم تتقون » ، يقول : كى تتقوا ربكم ، فتخافوا عقابه بتركِكم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المَواثيق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فقال لهم موسى : « خذوا ما آتيناكم بقوة » ، يقول: من العمل بالكتاب، وإلا خَرَّ عليكم

(١) انظر تفسير « بقوة » فيما سلف ١ : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وسائر فهارس اللغة (قوى) .

الجبل فأهلككم ! فقالوا : بل نأخذ ما آتانا الله بقوّة ، ثم نكثُوا بعد ذلك.

١٥٣٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فهو قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٤] ، فقال : « خذوا ما آتيناكم بقوة » ، وإلا أرسلته عليكم .

١٥٣٣٣ — حدثني إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس قال: إنِّى لأعلم خَلْقِ اللهِ لأىِّ شىء سجدت اليهود على حَرْفِ وُجوههم: لما رفع الجبل فوقهم سَجَدُوا، وجعلوا ينظرون إلى الجبل مخافةَ أن يقع عليهم. قال: فكانت سجدةً رضيها الله، فاتخذوها سُنَّة .(١)

١٥٣٣٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله .

١٥٣٣٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة » ، أى بجدّ = « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » ، جبل نزعه الله من أصله ، ثم جعله فوق رؤوسهم ، فقال : لتأخذُنّ أمرى ، أو لأرمينَّكم به !

١٥٣٣٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « وإذ نتقنا الجبل »، قال : كما تنتق الزُّبْدَة(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٣٣٣ — « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ أبى جعفر ، لم أجد له ترجمة ، ومضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ .

و « خالد بن عبد الله بن الرحمن المزنى الواسطى » ، مضى برقم : ٧٢١١ .

و « داود » ، هو « داود بن أبى هند » .

و « عامر » هو الشعبى .

(٢) فى المطبوعة : « كما تنتق الربلة » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، فأساء إعجامها غاية الإساءة . و « نتق الزبدة » ، هو أن تنفض السقاء لكى تقتلع منه زبدته .

= قال ابن جريج : كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها = « خذوا ما آتيناكم بقوّة » ، قال : يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلُنَّها ، أو ليقعَنّ عليكم. ٧٥/٩

١٥٣٣٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : هذا كتاب الله، أتقبلونه بما فيه ، فإن فيه بيانُ ما أحلّ لكم وما حرَّم عليكم، وما أمركم وما نهاكم ! قالوا : انشُرْ علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها يسيرةً وحدودها خفيفةً، قبلناها ! قال: اقبلوها بما فيها ! قالوا : لا، حتى نعلم ما فيها، كيف حدودها وفرائضها ! فراجعوا موسى مراراً ، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع فى السماء ، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربّى ؟« لئن لم تقبلوا التوراةَ بما فيها لأرمينّكم بهذا الجبل». قال: فحدثنى الحسن البصريّ ، قال: لما نظروا إلى الجبل خرّ كلُّ رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليُمْنَى إلى الجبلِ ،فَرَقاً من أن يسقطَ عليه، فلذلك ليس فى الأرض يهودىٌّ يسجدُ إلاّ على حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التى رُفِعت عنا بها العقوبة = قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كَتَبَه بيده، لم يبقَ على وجه الأرض جبلٌ ولا شجر ولا حجرٌ إلا اهتزّ، فليس اليوم يهودىّ على وجه الأرضِ صغيرٌ ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلاّ اهتزّ ونَفَضَ لها رأسَه .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله : « نتقنا » .

فقال بعض البصريين[1] : معنى « نتقنا » ، رفعنا ، واستشهد بقول العجاج :

* يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتْقَا *[2]

(١) هو أبو عبيدة ، كما يظهر لك من التخريج الآتى .

(٢) ديوانه : ٤٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٢ ، من أبيات يذكر فيها بعيره وسرعته وشدة سيره . و « الشليل » ، الحلس ، أو مسح من شعر أو صوف يجعل على عجز البعير وراء الرحل . و « الأقتاد » جمع « قتد » (بفتحتين) . خشب الرحل .

وكان فى المطبوعة : « السليل » ، تابع المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

وقال : يعني بقوله : « ينتق » ، يرفعها عن ظهره ، وبقول الآخر : (١)

* وَنَتَقُوا أَحْلَامَنَا الأَثَاقِلَا * (٢)

وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر : (٣) وهو أن أصل « النتق » و « النُّتُوق » ، كل شيء قلعته من موضعه فرميت به ، يقال منه : « نَتَقْتُ نَتْقًا » . قال : ولهذا قيل للمرأة الكثيرة [الولد] : « ناتق » ، (٤) لأنها ترمى بأولادها رَمْيًا ، واستشهد ببيت النابغة :

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذَاء ، وَأُمُّهُمْ دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ (٥)

* * *

(١) هو رؤبه بن العجاج .

(٢) ديوانه : ١٢٢ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٣٢ ، واللسان (نتق) ، من أرجوزة تمدح فيها بقومه ، ثم مدح سليمان بن على ، قال فى ذكر قومه :

فالنَّاسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصَائِلَا كُلٌّ إلَيْنَا يَبْتَغِى الوَسَائِلَا

قَدْ جَرَّبُوا أَخْلَاقَنَا الجَلَائِلَا وَنَتَقُوا أَحْلَامَنَا الأَثَاقِلَا

فَلَمْ يَرَ النَّاسُ لَنَا مُعَادِلَا أَكْثَرَ عِزًّا وَأَعَزَّ جَاهِلَا

و « الأثاقل » جمع « الأثقل » ، يعنى أثقل من سائر أحلام الناس ، كما يقال « الأكابر » ، و « الأصاغر » ، و « الأماثل » .

(٣) يعنى أبا عبيدة أيضاً ، ولم أجده فى موضع آخر فيما طبع من مجاز القرآن .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « للمرأة الكبيرة » ، وهو لا يصح ، وإنما أسقط الناسخ ما أثبته بين القوسين ، والصواب ما أثبت .

(٥) ديوانه : ٥٠ ، واللسان (دحق) و (نتق) ، من قصيدته التى قالها فى زرعة بن عمرو بن خويلد ، حين لقى النابغة بعكاظ ، فأشار عليه أن يشير على قومه بنى ذبيان بترك حلف بنى أسد ، فأبى النابغة الغدر ، فتهدده زرعة وتوعده ، فلما بلغه تهدده ، ذمه وهجاه ، ومجد بنى أسد ، فقال فى أول شعره :

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ ، وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا يُهْدِى إلَىَّ غَرَائِبَ الأَشْعَارِ

ثم يقول فى ذكر الفاضريين من بنى أسد حلفاء بنى ذبيان :

وَالفَاضِرِيُّونَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا بِلِوَائِهِمْ سَيْرًا لِدَارِ قَرَارِ

وقال آخر منهم: معناه في هذا الموضع: ورفعناه . وقال : قالوا: «نَتَقَني السَّيرُ»، حرَّكني . وقال : قالوا : «ما نَتَق برجْله لا يركُض»، و«النتق»، نتق الدابة صاحبَها حين تعدُو به وتتعبه حتى يربو ، فذلك «النَّتق» و «النُّتُوق»، و «نتقتني الدَّابة» ، و «نتقت المرأة تنْتُق نُتوقاً» ، كثر ولدها .

* * *

وقال بعض الكوفيين : « نتقنا الجبل »، عَلَّقنا الجبل فوقهم فرفعناه ، ننتقه نتقاً ، و« امرأة مِنْتَاق » ، كثيرة الولد : قال : وسمعت : « أخذ الجراب ، فنتق ما فيه »، [1] إذا نثر ما فيه . [2]

* * *

تَمْشِي بِهِمْ أُدْمٌ كَأَنَّ رِحَالَهَا عَلَقٌ هُرِيقَ عَلَى مُتُونِ صُوَارِ

. . . .

جَمَّاً يَظَلُّ بِهِ الفَضَاءُ مُعَضِّلاً يَدَعُ الإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِى

لَمْ يُحْرَمُوا . . . .

يصفهم في البيت الأخير بالنعمة ، ولين العيش ، وأن أمهاتهم عشن بخير معيشة ، فكثر ولدهن . وقوله : « دحقت » ، وذلك أن المرأة إذا ولدت ولدها بعضهم في إثر بعض قيل : « دحقت » ، « مذكار» ، تلد الذكور .

ورواية الديوان وغيره : « طفحت عليك » ، أى : اتسعت بولدها وغلبت ، كما يطفح الماء فيغطى ما حوله ويغرقه .

(١) في المطبوعة : « ونتق » بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) لم يفسر أبو جعفر « الظلة » ، فانظر تفسيرها فيما سلف ٤ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد، ربَّك إذا استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقرَّرهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض شهادتَهم بذلك وإقرارَهم به ،[(١)] كما : —

١٥٣٣٨ — حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال، حدثنا الحسين بن محمد قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدمَ بنَعْمَان = يعنى عرَفة = فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قَبَلاً ،[(٢)] فقال : « ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا » ، الآية ، إلى « ما فعل المبطلون » .[(٣)]

---

(١) مضى أثر فى تفسير هذه الآية ، برقم : ١٠٨٥٥ ، لم يذكر هنا ، وهو من اختصار أبي جعفر .

(٢) فى المطبوعة : « فتلا ، فقال » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فظنه من التلاوة ، والصواب ما أثبته . يقال : « كلمه الله قبلا » ، أي عياناً ومقابلة لا من وراء حجاب ، وقد مضى تفسير هذا الحرف فيما سلف من الأخبار ١ : ٥١٤ ، تعليق : ٤/١ : ٢٦٦ ، تعليق : ٩/٣ : ٢٣١ ، تعليق : ٣ .

(٣) الأثر : ١٥٣٣٨ — خبر ابن عباس هذا ، من حديث كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رواه أبو جعفر بخمسة أسانيد : هذا ، ورقم : ١٥٣٣٩ — ١٥٣٤١ ، ثم رقم : ١٥٣٥٠ . وهذا الأول هو المرفوع وحده ، وسائرها موقوف على ابن عباس .

ورواه أبو جعفر بإسناده هذا مرفوعاً فى التاريخ ١ : ٦٧ .

ورواه مرفوعاً أحمد فى مسنده رقم : ٢٤٥٥ ، من طريق حسين بن محمد ، وهو طريق أبي جعفر .

ورواه مرفوعاً أيضاً ، الحاكم فى المستدرك ١ : ٢٧ ، من طريق إبراهيم بن مرزوق البصري ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن جرير بن حازم ، بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ،

١٥٣٣٩ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا كلثوم بن جبر قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم »، قال: سألت عنها ابن عباس فقال : مسح ربُّك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، بنعْمَان هذه = وأشار بيده = فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : « ألست بربكم قالوا بلى » .(١)

ولم يخرجاه . وقد احتج مسلم ، بكلثوم بن جبر » ، ووافقه الذهبي ، ثم رواه فى المستدرك ٢ : ٥٤٤ من طريق الحسين بن محمد المرورزى ، عن جرير بن حازم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

وذكره مرفوعاً ، الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٥ / ٧ : ١٨٨ ، ١٨٩ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

وأما من رواه موقوفاً فابن جرير بالأسانيد التالية : ١٥٣٣٩ — ١٥٣٤١ ، ١٥٣٥٠ ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٨ ، من طريق ابن علية ، عن كلثوم ، ومن طريق حماد بن زيد ، عن كلثوم .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، وفى تاريخه ١ : ٩٠ ، وأطال الكلام فى تعليله ، وجعل كثرة رواة وقفه علة فى رد رواية من رفعه ، وقال فى ص : ٥٨٩ ، أنه قد بين أنه موقوف لا مرفوع ، فقال أخى السيد أحمد فى شرح المسند : « وكأن ابن كثير يريد تعليل المرفوع بالموقوف ، وما هذه بعلة ، والرفع زيادة من ثقة ، فهى مقبولة صحيحة » . وقال أيضاً : « إسناده صحيح » .

ثم انظر تخريج الآثار التالية .

ورواة الخبر هم :

« أحمد بن محمد الطوسى » ، هو « أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب الطوسى » ، شيخ الطبرى ، ثقة . مضى برقم : ٣٨٨٣ ، ٥٤٩٣ ، ٨٨٧٠ .

و « حسين بن محمد بن بهرام التميمى » ، ويقال له : « حسين المعلم » و « حسين المؤدب » . روى له الجماعة . مضى برقم : ٢٣٤٠ .

و « كلثوم بن جبر بن مؤمل الديلى » ، ثقة من صغار التابعين ، مضى برقم : ٢٨٦١ ، ٢٨٦٦ ، ٦٢٤٠ .

و « نعمان » ، هو واد لهذيل ، من وراء عرفة ، على ليلتين من عرفة ، وهو « نعمان الأراك » ، يكثر وروده فى شعرهم .

(١) الأثر : ١٥٣٣٩ — « عمران بن موسى بن حيان الليثى القزاز » ، الصفار » ، شيخ الطبرى ، ثقة . مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٨٦٨٣ .

و « عبد الوارث » ، هو : « عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان » ، أحد الأئمة الأعلام . مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩ ، وغيرها .

٧٦/٩ ١٥٣٤٠ - حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا، حدثنا ابن علية قال، حدثنا كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا»، قال: مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنَعْمانَ هذا الذى وراء عرَفة، وأخذ ميثاقهم: «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» = اللفظ لحديث يعقوب.(١)

١٥٣٤١ - وحدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال: ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، فى هذا الحديث: «قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين».(٢)

١٥٣٤٢ - حدثنا عمرو قال، حدثنا عمران بن عيينة قال، أخبرنا عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أول ما أهبط الله آدم

رواه أبو جعفر فى تاريخه ١: ٦٧، موقوفاً أيضاً، وإسناده صحيح. وأشار إليه ابن كثير فى تفسيره ٣: ٥٨٥.

وكان فى المطبوعة هنا: «بنعمان هذا»، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ، وهو صواب محض. وانظر التعليق على رقم: ١٥٣٣٨.

* * *

تنبيه: قوله تعالى «ذريتهم»، هى إحدى القراءتين، وهى قراءتنا، وفى القراءة الأخرى: «ذرياتهم» بالجمع، ولم يذكر أبو جعفر هذه القراءة، وجاء فى المخطوطة: «ذريتهم» كثيراً، وفى بعض الأخبار «ذرياتهم» بالجمع. ولكن الناشر، وضع فى جميع الأخبار «ذرياتهم» فغيرت ذلك، وتبعت المخطوطة، فحيث كتب «ذريتهم» بالإفراد، أثبتها كذلك. وحيث كتب «ذرياتهم» بالجمع، أثبتها كذلك ولم أغيرها.

(١) الأثر: ١٥٣٤٠ - «ابن علية»، هو: «إسماعيل بن إبراهيم الأسدى»، الإمام المشهور، سلف مراراً كثيرة.

وهذا هو ثانى الآثار الموقوفة على ابن عباس، ورواه بهذا الإسناد أبو جعفر فى تاريخه ١: ٦٧، ورواه من هذه الطريق نفسها، ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨، بلفظه هذا.

إسناده صحيح، وانظر التعليق على رقم: ١٥٣٣٨.

(٢) الأثر: ١٥٣٤١ - رواه ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨، واقتصر فيه إلى قوله تعالى: «يوم القيامة». انظر التعليقات السالفة.

أهبطه بدَهْنَا أرض بالهند ،(١) فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نَسَمة هو بارئها

(١) فى المطبوعة : « بد جنى ، أرض بالهند » بالجيم . وأثبت ما فى المخطوطة فى هذا الموضع ، وفى تاريخ الطبرى ١ : ٦٠ ، فى هذا الخبر نفسه : « بد هناء أرض الهند » ، بآخره همزة ، كأنه من « الدهناء » ، وهى الفلاة كلها ومل . وليس صواباً كما سترى .

وهذا الحرف سيأتى فى الخبر رقم : ١٥٣٤٧ فى المطبوعة : « بدجنى » أيضاً ، بالجيم ، وهو تغيير من الناشر . أما المخطوطة ، ففيها « بدحنا » .

وقد روى ابن سعد هذا الخبر فى الطبقات ١/١/٥ ، وفيه : « خلق آدم من أرض يقال لها دحناء » بالحاء ، وبالهمز ، ثم مثله فى ١/١/٨ وفيه : « خلق الله آدم بدحناء » .

وقد وقع خلط شديد فى اسم هذا الموضع ومكانه ، يحسن تفصيله فى هذا الموضع .

١ — جاء فى سيرة ابن هشام ، عن ابن إسحق : « ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجعرانة ، فيمن كان معه من الناس ، ومعه من هوازن سبى كثير » . ومثله فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٤ ، عن ابن إسحق .

فهذا موضع لاشك أنه فى جزيرة العرب ، ذكره البكرى فى معجم ما استعجم : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ولم يخلطه بغيره ، وضبطه بفتح الدال ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح النون ، على وزن « فعلى » . وأما ياقوت فى معجمه ، فضبطها مثله ثم قال : « ويروى فيها القصر والمد » .

وقال البكرى فى تحديدها : « موضع بسيف البحر » ، ثم عاد فذكر خبر ابن إسحق فى سيرته . ثم قال : « هكذا وقع فى كتاب السير ، بالنون ، وكذلك ذكره الطبرى ، وليس هناك سيف . وأنا أراه أراد : « سلك على دحى » ، المتقدم ذكره . ولولا أنه غير محدد عندنا ، لارتفع الارتياب » (بفتح الدال وسكون الحاء ، بعدها ياء) ، هكذا ذكره البكرى فى معجمه : ٣٤٧ وقال : « موضع ، ذكره أبو بكر » ، ولم يبين .

وأما ياقوت فقال فى « دحنا » : « هى من مخاليف الطائف » ، ولم يذكر ترجمة (دحى) التى ذكرها البكرى .

وظنى أن البكرى نقل قوله : « موضع بسيف البحر » ، من بعض شراح الشعر ، فإنه أنشد شعر ربيعة بن جحدر الهذلى اللحيانى :

فَلَوْ رجُلاً خَادَعْتَهُ لَخَدَعْتَهُ ... وَلٰكِنَّمَا حُوتاً بِدَحْنَا أُقَامِسُ
أَقُولُ لَهُ ، كَيْمَا أُخَالِفَ رَوْغَهُ : ... وَرَاءَكَ مِلْ أرْوَى شِيَاهُ كَوَانِسُ

فكأن شارح الشعر جعله موضعاً لسيف البحر ، لقوله : « حوتا بدحنا أقامس » ، وليس ذلك لزاماً ، إلا أن تكون « دحنا » موضع آخر غير المذكور فى السيرة .

وأنشد أيضاً عن الأصمعى :

وَصَاحِبٍ لِى بِدَحْنَى ، أيُّمَا رجُلٍ ... أَنَّى قُتِلْتَ وَأَنْتَ الفَارِسُ البَطَلُ !

ومهما يكن من شىء ، فهو موضع ببلاد العرب لاشك فيه ، وهو بمعزل عن « دحنا » الأخرى كما سترى بعد .

إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة ، إنا كنا عن هذا غافلين » .(١)

١٥٣٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ،

---

٢ — وأما « دحنا » الأخرى ، المذكورة فى هذا الخبر ، فهى موصوفة فيه أنها « بأرض الهند » وذكرها البكرى فى مادة (واشم) : ١٣٦٤ ، قال : « قال ابن إسحق : يذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء ، على جبل يقال له واشم ، من أرض الهند ، وهو اليوم وسط بين قراها ، بين الدهنج والمندل » ، وذكره الطبرى فى تاريخه ١ : ٦٠ ، وفيه : « وأما أهل التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند ، على جبل يقال له : واسم ، عند واد يقال له : بهيل ، بين الدهنج والمندل ، بلدين بأرض الهند » . وهو نص ابن إسحق كما رواه بإسناده .

فالأخبار التى ورد فيها ذكر هبوط آدم ، أو خلقه ، وفيها « دحنا » ، ولم يبين موضعها ، تبينها هذه الأخبار التى ذكرت ذلك ، وبينت أنه بأرض الهند . و « دحنا » ، بالحاء المهملة ، هى « دهنج » فى الأخبار التى ذكرتها قبل ، معربة . وهكذا جاءت فى المراجع « دحنا » بالحاء المهملة ، ولكن رواة كتب اللغة رووا لنا فى خبر ابن عباس : « إن الله مسح ظهر آدم بدجناء ، وهو اسم موضع ، ويروى بالحاء المهملة » ، هكذا ذكر صاحب لسان العرب فى (دجن) ، ثم فى (دحن) ، وقال : « وهو بين الطائف ومكة » ، فهذا أول الخلط ، وإنما هو موضع بالهند فى هذا الخبر ، أما الذى « بين الطائف ومكة » ، فهو « دحنا » العربية التى ذكرناها أولا .

وقال صاحب القاموس : « ودجنى ، بالضم أو بالكسر ، وقد يمد ، أرض خلق منها آدم عليه السلام ، أو هى بالحاء المهملة » ثم ذكرها فى (دحن) وقال : « ودحنى فى د ج ن » ، يعنى أنه هو هو ، وبضم الدال .

وعلق الزبيدى فى تاج العروس وقال : « وقد جاء ذكرها فى سيرة ابن إسحاق ، فى انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف على دجناء . وجاء فى حديث ابن عباس : إن الله خلق آدم من دجناء ، فمسح ظهره بنعمان الأراك . وكان مسح ظهره بعد خروجه من الجنة ، بالاتفاق من الروايات » ، كل ذلك ذكره بالجيم .

فخلط أيضاً بين الموضعين ، الموضع الذى فى السيرة ، وموضع خلق آدم أو مهبطه . وإنما خلط اتباعاً للسهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٥ .

وسبب هذا الخلط بلا ريب ، هو ذكر « نعمان الأراك » فى خبر خلق آدم ، و « نعمان الأراك » بأرض العرب ، فقال من لم يجمع أخبار الخلق أن « دحنا » ، أرض العرب ، ولم ينظر فيما جاء فى رواية الخبر الأخرى أنها بأرض الهند .

هذا ، وظنى أن « دحنا » ، و « دجنا » بالقصر والمد ، هو تعريب فى « دهنج » التى مضى ذكرها ، وهى الأرض التى بالهند ، أما التى ببلاد العرب ، فهى « دحنا » بالحاء ، لاغير . وهذا كاف إن شاء الله فى تحقيق هذه الكلمة .

(١) الأثر : ١٥٣٤٢ — « عمرو » ، هو : « عمرو بن على الفلاس » ، مضى مراراً كثيرة .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم حين أهبط ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : « ألست بربكم قالوا بلى » . ثم تلا : « وإذا أخذ ربُّك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، فجفَّ القلمُ من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .(١)

١٥٣٤٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ذرّيته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتَين ، فقال لأصحاب اليمين : « ادخلوا الجنة بسلام » ، وقال للآخرين : « ادخلوا النارَ ولا أبالى » .(٢)

١٥٣٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الأعمش ، عن حبيب ،

و « عمران بن عيينة » ، هو أخو : « سفيان بن عيينة » الإمام المشهور . قال ابن معين وأبو زرعة : « صالح الحديث » . وأما ابن أبى حاتم ، افقال : « لا يحتج بحديثه ، لأنه يأتى بالمناكير » . وقال العقيلى : « فى حديثه وهم » . وقد مضى برقم : ٤١٨٩ ، ١٠٥٨٠ .

وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر مختصراً فى تاريخه ١ : ٦٠ ، وابن سعد مختصراً ١/١/٥ ، وسيأتى برقم : ١٥٣٤٣ ، من رواية وكيع ، عن عمران ، عن عطاء ، وليس فيه ذكر « دحنا » . وسيأتى بأسانيد أخر رقم : ١٥٣٤٦ ، ١٥٣٤٧ ، عن غير عمران ، عن عطاء .

(١) الأثر : ١٥٣٤٣ — هو طريق أخرى للأثر السالف ، ومن هذه الطريق ، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٧ ، وانظر التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٤ — هذا الخبر والذى يليه ، رواه من طريقين . رواه أولهما أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٧ .

« يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمى النهشلى » ، وثقه أحمد وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره . مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ ، ١٤٢٠١ .

و « حبيب بن أبى ثابت » ، هو « حبيب بن قيس بن دينار » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٠١٢ ، ٩٠٣٥ ، ١٠٤٢٣ ، وغيرها .

ومعنى هذا الخبر ، مخرج فى مسانيد جماعة من الصحابة ، ولكنى لم أجده بنصه عن ابن عباس فى غير هذا الموضع ، وفى تاريخ الطبرى . وانظر التعليق التالى .

عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم فأخرج كلَّ طيبٍ فى يمينه ، وأخرج كل خبيثٍ فى الأخرى.[1]

١٥٣٤٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن علية ، عن شريك ، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .[2]

١٥٣٤٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ،قال: لما خلق الله آدم مسح ظهره بدَحْنَا ،[3] وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : « ألست بربكم قالوا بلى » ، قال : فيُرَوْن يومئذٍ جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .[4]

١٥٣٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن المسعودى ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم عليه السلام ، أخذ ميثاقه ، فمسح ظهره ، فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ، فكتب آجالهم

---

(١) الأثر : ١٥٣٤٥ — هذه طريق أخرى للخبر السالف ، بغير لفظه ، أخرجه الآجرى فى كتاب الشريعة : ٢١١ ، ٢١٢ ، من طريق على بن مسهر عن الأعمش ، بغير هذا اللفظ

وفى المخطوطة : « كل خبيث فى الآخرة » .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٦ — انظر ما سلف رقم : ١٥٣٤٢ ، ١٥٣٤٣ ، حديث عطاء ، عن سعيد ، بغير هذا اللفظ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، وسيأتى من طريق أخرى فى الذى يليه .

(٣) فى المطبوعة « بد جنى » بالجيم ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر تحقيق ذلك فى ص : ٢٢٥ ، تعليق : ١ .

(٤) الأثر : ١٥٣٤٧ — طريق أخرى للخبر السالف .

« عمرو بن أبى قيس الرازى » ، الأزرق ، ثقة ، وكان يهم فى الحديث قليلا ، مضى برقم : ٦٨٨٧ ، ٩٣٤٦ ، وغيرها .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى التاريخ ١ : ٦٨ ، ورواه ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨ ، من طريق منصور بن أبى الأسود ، عن عطاء بن السائب ، بنحو هذا اللفظ ، وفى آخره : « قال سعيد : فيرون أن الميثاق أخذ يومئذ » . ونسبه فى الدر المنثور ١ : ١٤١ لابن المنذر وحده .

وقوله : « يرون » (بضم الياء وفتح الراء) بالبناء المجهول ، بمعنى : يظنون ذلك ويقدرونه .

وأرزاقهم ومصائبهم = « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » .[١]

١٥٣٤٩ — . . . . قال حدثنا يزيد بن هرون، عن المسعودى ، عن على بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ميثاقه أنه ربُّه ، وكتب أجله ومصائبَه ، واستخرج ذريّته كالذرّ ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبَهم .[٢]

١٥٣٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله: « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » ، قال : مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان = وادٍ إلى جنب عرفة = وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذرّ ، ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .[٣]

١٥٣٥١ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن أبى هلال، عن أبى جَمْرَة الضُّبَعى ، عن ابن عباس قال ، أخرج الله ذريّة آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذر وهو فى آذيٍّ من الماء .[٤] ٧٧/٩

(١) الأثر : ١٥٣٤٨ — هذا الخبر رواه أبو جعفر من طريقين ، هذا والذى يليه .

« المسعودى » ، هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى برقم : ٢١٥٦ ، ٢٧٢٩ ، ٢٩٣٧ ، ٥٥٦٣ ، وغيرها ، وهو ثقة ، اختلط بأخرة ، وتغير حفظه ، وما روى عنه الشيوخ القدماء ، فهو مستقيم . وسماع وكيع من المسعودى قديم .

« على بن بذيمة الجزرى » ، ثقة ، متكلم فيه بما لا يقدح ، مضى برقم : ٦٢٩ ، وغيرها .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٩ — « يزيد بن هرون السلمى » ، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير ، مضى مراراً كثيرة . وقد روى « يزيد بن هرون » عن المسعودى أحاديث مختلطة ، بعد ما تغير حفظه ، كما ذكرت فى التعليق السالف .

(٣) الأثر : ١٥٣٥٠ — هذه طريق أخرى للأخبار السالفة ١٥٣٣٨ — ١٥٣٤١ ، ومضى تخريجها هناك .

(٤) الأثر : ١٥٣٥١ — « أبو هلال » ، هو « محمد بن سليم الراسبى » ، ثقة متكلم فيه ،

١٥٣٥٢ — حدثني على بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال ، حدثنا أبو مسعود ، عن جويبر قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ، ابنَ ستة أيام . قال فقال : يا جابر ، إذا أنت وضعت ابنى فى لحده ، فأبرزْ وجهه ، وحُلَّ عنه عقده، فإن ابنى مُجْلَسٌ ومسئول ! ففعلت به الذى أمرنى ، فلما فرغت قلت : يرحمك الله، عمَّ يسألُ ابنك ؟ مَنْ يسأله إيّاه ؟[1] قال: يُسْأَل عن الميثاق الذى أقرَّ به فى صلب آدم عليه السلام . قلت : يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذى أقرَّ به فى صلب آدم ؟ قال : حدثنى ابن عباس : أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفّل لهم بالأرزاق، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ،[2] فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفَى به ، نفعه الميثاق الأوّل ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يفِ به، لم ينفعه الميثاق الأوّل ، ومن مات

قال ابن أبى عدى ، بعد أن ذكر له أحاديث كلها أو عامتها غير محفوظة : « وله غير ما ذكرت ، وفى بعض رواياته مالا يوافقه عليه الثقات ، وهو ممن يكتب حديثه » . مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٤٦٨١ ، ١٣٩٦٧ .

و « أبو جمرة الضبعى » هو : « نصر بن عمران بن عصام الضبعى » ، ثقة مأمون . مضى برقم : ٥٩٩٥ ، ٦٢٢٨ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عن أبى حمزة » ، وهو خطأ صرف .

« آذى الماء » ، الأطباق التى تراها ترفعها من متنه الريح ، دون الموج . ويأتى أيضاً بمعنى : الموج الشديد ، وهو الأكثر . والمراد فى هذا الخبر ، هو المعنى الأول .

وكان فى المطبوعة : « أذى » بغير مد ، وليس صواباً ، وفى المخطوطة « أدى » وهو خطأ صرف .

وهذا الخبر ، نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٥ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن منده فى كتاب الرد على الجهمية ، وأبى الشيخ .

(١) فى المطبوعة والدر المنثور ، أسقط قوله : « من يسأله إياه » ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وفى ابن كثير ، الناقل من هذا الموضع من التفسير .

(٢) فى المخطوطة ، أسقط من أول قوله « ثم تكفل لهم » إلى قوله : « تقوم الساعة » ، وهى ثابتة فى تفسير ابن كثير ، والدر المنثور . وأما المطبوعة ، فأسقطت من « وتكفل » إلى قوله : « تقوم الساعة » ، وهى ثابتة فى تفسير ابن كثير والدر المنثور . وأما المطبوعة ، فأسقطت من « وتكفل » إلى قوله : « فى صلبه » .

صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأول على الفطرة .[١]

١٥٣٥٣ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني السريّ بن يحيى : أن الحسن بن أبي الحسن حدّثهم ، عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ غزوات. قال: فتناول القوم الذريّة بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتدّ عليه ، ثم قال : ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناءَ المشركين ؟ فقال : إن خيارَكم أولادُ المشركين! إلا أنها ليست نسمة تُولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهوّدانها أو ينصرانها = قال الحسن : ولقد قال الله ذلك في كتابه ،[٢] قال : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم » [٣]

---

(١) الأثر ١٥٣٥٢ — « علي بن سهل الرملي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .
و « ضمرة بن ربيعة الفلسطيني » . ثقة ، مضى برقم : ٧١٣٤ ، ١٢٨٦٨ ، ١٣٦٥٠ .
و « أبو مسعود » الراوي عن « جويبر » ، أخشى أن يكون هو « سعيد بن إياس الجريري » ، ولست أحققه .

و « جويبر » ، لقب ، ويقال اسمه « جابر بن سعيد » . مضى كثيراً ، وجاء في هذا الخبر التصريح باسمه « جابر » ، فإلا يكن « جويبر » لقباً ، فهو تصغير « جابر » .
وهذا الخبر ، نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٨٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤٣ .

(٢) في المطبوعة : « والله لقد قال الله » ، لا أدري من أين زاد ذلك !

(٣) الأثر : ١٥٣٥٣ — « السري بن يحيى بن إياس الشيباني » ، « أبو الهيثم » ، ثقة ثبت ، روى عن الحسن البصري مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٧٦ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٨٣
و « الأسود بن سريع بن حميري بن عبادة التميمي » ، صحابي ، كان شاعراً مشهوراً ، وكان أول من قص في مسجد البصرة ، وهو القائل في قصصه في الميت ، (البيان والتبين ١ : ٤٦٧/ طبقات فحول الشعراء ١٥١ ، تعليق : ٦) :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا ، تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِيَا

مترجم في الإصابة ، وأسد الغابة ، وابن سعد ٧/١/٢٨ ، والاستيعاب : ٤٤ ، والمعارف لابن قتيبة : ٢٧٦ ، والكبير للبخاري ١/١/٤٤٥ ، وابن أبي حاتم ١/١/١٢٩ ، وغيرها .
وهذا الخبر ، رواه من هذه الطريق ، أحمد في مسنده ٤ : ٢٤ ، مع خلاف يسير في لفظه ، وابن سعد مختصراً في الطبقات ٧/١/٢٨ ، والبخاري مختصراً في التاريخ ١/١/٤٤٥ .وابن عبد البر

١٥٣٥٤ ــ حدثنا عبد الرحمن بن الوليد قال، حدثنا أحمد ابن أبى طَبية ، عن سفيان بن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك = وعن منصور ، عن مجاهد = عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخذوا من ظهره ، كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : « ألست بربكم قالوا بلى » ، قالت الملائكة : « شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » .(١)

فى الاستيعاب بنحوه مطولا : ٤٤ ، وذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمته وقال : « وأخرجه ابن حبان وابن السكن ، من طريق السرى » .

ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٣٥ ، من طريق يونس بن محمد المؤدب ، عن أبان بن يزيد ، عن قتادة ، عن الحسن مختصراً ، ثم رواه بعده من طريق يونس بن عبيد عن الحسن ، بنحوه . ثم رواه فى ٤ : ٢٤ من طريق سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وبين الخبر أن ذلك كان فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٢٣ من طريق يونس بن محمد المؤدب ، ثم من طريق يونس بن عبيد ، عن الحسن ، بنحو ما رواه أحمد ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٩ : ٧٧ ، من طريق يونس بن عبيد ، عن الحسن . ثم رواه أيضاً فى السنن ٩ : ١٣٠ ، من طريق يونس بن محمد المؤدب ، عن أبان بن يزيد ، عن قتادة .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥ : ٣١٦ ، ثم قال : « رواه أحمد بأسانيد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط كذلك . . . وبعض أسانيد أحمد ، رجاله رجال الصحيح » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٤ وقال : « وأخرجه النسائى فى سننه ، من حديث هشيم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال حدثنى الأسود بن سريع ، فذكره ، ولم يذكر قول الحسن البصرى ، واستحضاره الآية عند ذلك » .

(١) الأثر : ١٥٣٥٤ ــ رواه أبو جعفر من طرق ثلاث ، أولاها مرفوعة ، والأخريان موقوفتان على عبد الله بن عمرو .

وهذا الخبر ، إسنادان : « سفيان الثورى ، عن الأجلح » ، و « سفيان ، عن منصور » .

« عبد الرحمن بن الوليد الجرجانى » ، شيخ أبى جعفر ، لم أجد له ترجمة ، ولكنه روى عنه فى التاريخ ٣ : ٢٠٧ ، عن « أحمد بن أبى طبية » أيضاً ، ثم فى المنتخب من ذيل المذيل (التاريخ ١٣) ص : ٤٨ ، ٦٠ .

و « أحمد بن أبى طبية » هو : « أحمد بن عيسى بن سليمان الجرجانى » ، قاضى قومس . قال أبو حاتم : « يكتب حديثه » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن عدى : « حدث بأحاديث أكثرها غرائب » . مترجم فى التهذيب ، والخلاصة : ٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٦٤ . وضبط

١٥٣٥٥ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس .(١)

١٥٣٥٦ ــ حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس = قال ابن حميد : كما يؤخذ بالمشط .(٢)

١٥٣٥٧ ــ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال، حدثنا روح بن عبادة، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبى أنيسة ،

« طبية » فى الخلاصة بالظاء المعجمة ، ولكنه فى غيره بالطاء المهملة .

« وسفيان بن سعيد » هو الثورى ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سفيان عن سعيد » ، وهو خطأ محض ، وإنما يروى عن الأجلح « سفيان بن سعيد الثورى » بغير واسطة الكبير ١/٢/١/٦٨ .

و « الأجلح » هو « الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى » ، مضى برقم : ٥٣٨٤ ، ١٠٨٥٧ ، وهو متكلم فيه ، ووثقه ابن عدى .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى مرفوعاً فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ وزاد نسبته لابن منده فى كتاب الرد على الجهمية . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ ، ٥٨٩ وضعف رفعه ، وبين أن وقفه أصح . وسيأتى قول الطبرى فيه ص : ٢٥٠ : « ولا أعلمه صحيحاً ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثورى ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد بن أبى طبية عنه » .

(١) الأثر : ١٥٣٥٥ ــ هذا الأثر والذى يليه ، هما الأثران الموقوفان الصحيحان . راجع التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٥٣٥٦ ــ هو موقوف على عبد الله بن عمرو ، صحيح الإسناد كالسالف .

وكان فى المخطوطة : « كما يؤخذ المشط » مرة أخرى ، بغير باء ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة ، وبذلك ورد فى الدر المنثور . وانظر التعليق السالف .

وهذه الأخبار الثلاثة ، ذكرها ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ موقوفاً ، ونسبه إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، واللالكائى فى السنة ، وقصر فى نسبته إلى ابن جرير .

عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني : أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم » ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله خلق آدم ، ثم مسح على ، ظهره بيمينه ،(١) فاستخرج منه ذرية فقال : « خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون » . ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : « خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون » . فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال : إن الله إذا خلق العبدَ للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة ، فيدخله الجنة . وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار ، فيدخله النار.(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « مسح ظهره » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٢) الأثر : ١٥٣٥٧ - « إبراهيم بن سعيد الجوهرى الطبرى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً .

و « سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصارى » ، ثقة ، وضعفوه ، مضى برقم : ٣٩٥٩ ، ٩٢٢٥ ، ولكن ضعفه لا يضر فى هذا الإسناد ، فإن « روح بن عبادة » ، ثقة بلا شك ، وهو العمدة فى رواية الخبر فى سائر الكتب .

و « زيد بن أبى أنيسة الجزرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، ٨٣٩٦

و « عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب » ، ثقة مأمون ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٦٨٥ .

و « مسلم بن يسار الجهنى » ، تابعى ثقة ، قيل : لم يسمع من عمر ، وبينه وبينه « نعيم بن ربيعة الأزدى » ، كما سيأتى فى الأثر التالى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٧٦ ، ولا أدرى لم أغفله ابن أبى حاتم فى كتابه ، أو هو سقط من تراجمه .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر بإسناده هذا فى تاريخه ١ : ٦٧ ، مع خلاف يسير فى لفظه . ورواه مالك فى الموطأ : ٨٩٨ ، ورواه أحمد فى المسند رقم : ٣١١ ، وأبو داود فى سننه ٤ : ٣١٢ رقم : ٤٧٠٣ ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٢٧ وقال : « هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبى فقال : « فيه إرسال » ، ثم عاد الحاكم فرواه فى المستدرك ٢ : ٣٢٤ ، ٥٤٤ وقال : « هذا حديث على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، فخالف ما قاله أولا ، ولكن أعجب منه أن الذهبى فى هذين الموضعين وافقه ، ولم يتعقبه بأنه فيه إرسال !! وهذا عجب ! ورواه الآجرى فى كتاب الشريعة : ١٧٠ ، وابن عبد البر فى التقصى : ٥٤ ، وقال : « فى إسناد هذا الحديث علتان قد بينتهما فى كتاب التمهيد » . ورواه الترمذى فى كتاب التفسير وقال : « هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار ، لم يسمع من عمر . وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر ، رجلا » .

١٥٣٥٨ — حدثنا إبراهيم قال، حدثنا محمد بن المصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جُعْثُم القرشي قال ، حدثنى زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار ، عن نعيم بن ربيعة ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(١) ٧٨/٩

وبعد كتابه ما تقدم ، وجدت الإمام ابن القيم قد ذكر الخبر فى شفاء العليل : ١٠٢٩ ، ما قاله ابن عبد البر فى التمهيد وقال : « قال الحاكم : هذا الحديث على شرط مسلم ، وليس كما قاله ، بل هو حديث منقطع . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : هو حديث منقطع ، فإن مسلم بن يسار هذا ، لم يلق عمر بن الخطاب ، بينهما نعيم بن ربيعة . هذا إن صح أن الذى رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نعيم بن ربيعة ، إذ ليس هو بأحفظ من مالك ، ولا ممن يحتج به إذا خالفه مالك . ومع ذلك فإن نعيم بن ربيعة ، ومسلم بن يسار جميعاً مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث . وليس هو مسلم بن يسار العابد البصرى ، وإنما هو رجل مدنى مجهول . ثم ذكر من تاريخ ابن أبى خيثمة قال : قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا ، فكتب بيده على مسلم بن يسار : لا يعرف . قال أبو عمر : هذا الحديث وإن كان عليل الإسناد ، فإن معناه عن النبى صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة » ، ثم ساق أسماء من روى عنهم من الصحابة .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ وفى تاريخه ١ : ٨٩ ، ٩٠ ، وقال بعد نقل كلام الترمذى : « كذا قاله أبو حاتم ، وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم بينهما نعيم بن ربيعة . وهذا الذى قاله أبو حاتم ثم رواه أبو داود فى سننه عن محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جعثم القرشى عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنى ، عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر ، . . . وقال الحافظ الدارقطنى : وقد تابع عمر بن جعثم ، يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ، وقولها أولى بالصواب من قول مالك . قال ابن كثير : الظاهر أن مالكاً إنما أسقط نعيم بن ربيعة عمداً ، لما جهل حال نعيم ولم يعرفه ، فإنه غير معروف إلا فى هذا الحديث . وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ، ويقطع كثيراً من الموصولات » .

وانظر التعليق على الخبر التالى .

(١) ١٥٣٥٨ — « محمد بن المصفى بن بهلول القرشى » ، حافظ صدوق ، متكلم فيه ، قيل إنه كان ممن يدلس تدليس التسوية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٢٤٦ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٠٤ .

و « بقية » ، هو « بقية بن الوليد » ، مضى مراراً .

و « عمر بن جعثم القرشى » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٠١ ، وكان فى المخطوطة : « عمر بن جعفر القرشى » ، وهو خطأ ، وكان فى المطبوعة : « عمر بن جعثم » ، وهو خطأ أيضاً .

و « نعيم بن ربيعة الأزدى » ، لم يذكر البخارى فيه جرحاً ، ولا ابن أبى حاتم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٩٦ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٦٠ .

١٥٣٥٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن عمارة، عن أبي محمد رجل من أهل المدينة، [1] قال : سألت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه، عن قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم »، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى، فقال : خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم أجلسه، فمسح ظهره بيده اليمنى، فأخرج ذرْءًا فقال: « ذَرْءٌ ذرأتهم للجنة »، ثم مسح ظهره بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين، فقال: « ذَرْءٌ ذرأتهم للنار، يعملون فيما شئت من عمل، ثم أختم لهم بأسوأ أعمالهم فأدخلهم النار ». [2]

١٥٣٦٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم »، قال : إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج ذرّيته من صلبه مثل الذرّ، فقال لهم : من ربكم؟ قالوا : الله ربُّنا! ثم أعادهم فى صلبه، حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة. [3]

وهذا الخبر رواه البخارى فى الكبير ٤/٢/٩٦، ٩٧ عن محمد بن يحيى، عن محمد بن يزيد، سمع أباه، سمع زيداً، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن مسلم بن يسار الجهنى، عن نعيم بن ربيعة الأذدى »، بنحوه مختصراً.

ورواه أبو داود فى السنن ٤ : ٣١٣ رقم : ٤٧٠٤، من طريق محمد بن المصفى، عن بقية، ولم يذكر لفظه، وقال : « وحديث مالك أتم ».

وانظر ذكر هذه الرواية الموصولة، فى التعليق على الخبر السالف.

(١) فى المطبوعة : « رجل من المدينة »، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) الأثر : ١٥٣٥٩ — « عمارة »، هو « عمارة بن عمير التيمى »، روى له أصحاب الكتب الستة، مضى برقم : ٣٢٩٤، ٥٧٨٩.

و « أبو محمد، رجل من أهل المدينة »، لم أجد بياناً عنه فى شىء من الكتب.

وهذا الخبر، رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٢، بهذا الإسناد نفسه، بلفظه، إلا أن فيه : « ثم أختم لهم بشر أعمالهم ».

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٢، ولم ينسبه لغير ابن جرير.

(٣) الأثر : ١٥٣٦٠ — هذا إسناد دائر فى التفسير، مضى بيانه فى الخبر رقم : ١٨٦، ١٨٧.

١٥٣٦١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، إلى قوله : «قالوا بلى شهدنا » ، قال ابن عباس : إن الله لما خلق آدم ، مسح ظهره وأخرج ذريته كلّهم كهيئة الذر ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور ، وإنه قال لآدم : هؤلاء ذرّيتك آخذ عليهم الميثاق : أنا ربهم ، لئلا يشركوا بي شيئاً ، وعليَّ رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذي معه النُّور؟ قال : هو داود . قال : يارب ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ! قال : كم كتبت لي ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم كم يعمَّر وكم يلبث ؟ قال : يا رب ، زده . قال : هذا الكتاب موضوعٌ ، فأعطه إن شئت من عمرك ! قال: نعم . وقد جفَّ القلم عن أجل سائر بني آدم ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مئة سنة . فلما عمر تسعمئة سنة وستين سنة ، جاءه ملك الموت ، فلما رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ! قال له آدم : إنما عمرت تسعمئة وستين سنة ، وبقي أربعون سنة ! قال : فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرني بها ربي ! قال : فارجع إلى ربك ، فاسأله . فرجع الملك إلى ربه ، فقال : مالك ؟ قال : يا رب رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه . قال الله : ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة .[1]

١٥٣٦٢ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن ، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاءَ

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤١ ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، واللالكائي في السنة .

(١) الأثر : ١٥٣٦١ - هذا إسناد دائر في التفسير ، مضى بيان ضعفه في التعليق على رقم : ٣٠٥ .

نقية ، فقال : هؤلاء أهل الجنة . ثم ضرب منكبه الأيسر ، فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداءَ ، فقال : هؤلاء أهل النار. ثم أخذ عهودهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره ، والتصديق به وبأمره ، بنى آدم كلهم، فأشهدهم على أنفسهم ، فآمنوا وصدّقوا وعرَفوا وأقرّوا . وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل = قال ابن جريج ، عن مجاهد قال : إن الله لما أخرجهم قال : يا عباد الله ، أجيبوا الله . و « الإجابة » ، الطاعة ، فقالوا : أطعنا ، اللهم أطعنا ،[1] اللهم لبيك ! قال : فأعطاها إبراهيم عليه السلام فى المناسك : « لبيك اللهم لبّيك » . وقال : ضرب مَتْنَ آدم حين خلقه . قال : وقال ابن عباس : خلق آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر ، فكلمهم ، ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحدٌ إلا وقد تكلم ، فقال : « ربى الله » . فقال : وكل خَلْق خُلِق فهو كائن إلى يوم القيامة ، وهى الفِطرة التى فَطَر الناس عليها = قال ابن جريج : قال سعيد بن جبير : أخذ الميثاق عليهم بنَعْمان = و « نعمان » ، من وراء عرفة = « أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » ، عن الميثاق الذى أخذ عليهم .[2]

٧٩/٩

١٥٣٦٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب قال : جمعهم يومئذٍ جميعاً ، ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم : « ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » . قال : فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرَضين السبع ،

---

(١) فى المطبوعة ، كرر هنا « اللهم أطعنا » مرة أخرى ، فحذفتها مطابقاً للمخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٣٦٢ — « الزبير بن موسى بن ميناء المكى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٦٤٩ .
وهذا الخبر ، رواه الآجرى فى كتاب الشريعة « مختصراً » : ٢١٢ ، من طريق على بن الحسن ابن شقيق ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، عن الزبير موسى .
وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٤٤ ، ولم ينسبه إلى غير ابن جرير وأبى الشيخ .

وأشهد عليكم أباكم آدم : أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ! اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رب غيري ، ولا تشركوا بى شيئاً ، وأنى سأرسل إليكم رسلاً يذكّرونكم عهدى وميثاقى ،[1] وسأنزل عليكم كتبى ![2] قالوا : شهدنا أنك ربُّنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك . فأقرُّوا له يومئذ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى منهم الغنىّ والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لولا ساويت بينهم ! قال : فإنى أحب أن أشكر . قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثلُ السُّرُج ، وخص الأنبياء بميثاق آخر ، قال الله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧] ، وهو الذى يقول تعالى ذكره : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] ، وفى ذلك قال : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ [سورة النجم : ٥٦] . يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٢] ، [وهو قوله تعالى][3] : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة يونس : ٧٤] . قال : كان فى علمه يوم أقروا به ، من يصدّق ومن يكذّب .[4]

---

(١) فى المطبوعة : « وسأرسل » ، وفى المخطوطة : « وأنا سأرسل » ، والصواب من مراجع الحديث المذكورة بعد .

(٢) ليس فى المخطوطة : « كتبى » ، سقطت من الناسخ .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين ، من سائر المراجع ، وليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

(٤) الأثر : ١٥٣٦٣ – إسناد صحيح ، مضى مثله مراراً .

وهذا الخبر رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، فى زياداته على مسند أبيه ، (٥ : ١٣٥) عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، مختصراً . ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٥ وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى ، وهو مستور ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ورواه الحاكم فى المستدرك مطولا ٢ : ٣٢٣ من طريق عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر

١٥٣٦٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدَهم على أنفسهم ألست بربكم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة . قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلا من ذرّيته له نور ، فأعجبه ، فسأل عنه ، فقال : هو داود ، قد جُعِل عمره ستين سنة ! فجعل له من عمره أربعين سنة . فلما احتُضِر آدمُ ، جعل يخاصمهم فى الأربعين سنة ، فقيل له : إنك أعطيتها داود ! قال : فجعل يخاصمهم .

١٥٣٦٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذرّ ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم ! قال : فعرض عليه روح داود فى نورٍ ساطع ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذرّيتك، نبيٌّ خليفة . قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة . قال : زيدوه من عمرى أربعين سنة . قال : والأقلام رطبة تجرى ، فأثبت لداود الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة . فلما استكملها إلا الأربعين سنة ، بُعث إليه ملك الموت : فقال : يا آدم ، أمرت أن أقبضك . قال : ألم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : فرجع

عيسى بن عبد الله بن ماهان ، عن الربيع بن أنس ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه الآجرى فى كتاب الشريعة : ٢٠٧ ، من طريق حكام بن سلم الرازى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس .

ورواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٧ ، من طريق أحمد بن عبد الله ابن صالح ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرازى ، وهو طريق الحاكم فى المستدرك .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٨ وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وابن مردويه فى تفسيريهما .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبى الشيخ ، وابن منده فى كتاب الرد على الجهمية ، واللالكائى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وابن عساكر فى تاريخه .

ملك الموت إلى ربه ، فقال : إن آدم يدَّعي من عمره أربعين سنة ! قال : أخبر آدم أنه جعلها لابنه داودَ والأقلام رطبة ، فأثبتت لداود .

١٥٣٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

١٥٣٦٧ — . . . . قال حدثنا ابن فضيل ، وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردَّهم فى صلبه .

١٥٣٦٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن نضر بن عربي : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردَّهم فى صلبه .

٩/٨٠

١٥٣٦٩ — . . . . قال حدثنا محمد بن عبيد ، عن أبي بسطام ، عن الضحاك قال : حيث ذرأ الله خلقه لآدم عليه السلام ،[١] قال : خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .[٢]

١٥٣٧٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : قال ابن عباس : خلق الله آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره ، فكلمهم الله وأنطقهم ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحدٌ من الخلق إلا قد تكلم فقال : « ربى الله » ، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه .

١٥٣٧١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن طلحة ، عن أسباط ،

---

(١) هذه عبارة غريبة ، ولكن هكذا هى فى المخطوطة والمطبوعة .

(٢) الأثر : ١٥٣٦٩ — « محمد بن عبيد » ، هو فيما أرجح « محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي » ، مضى برقم : ٤٠٥ ، ٩١٥٥ ، ١١٤١٨ .

و « أبو بسطام » ، هو « مقاتل بن حيان البلخي » ، مضى برقم : ٣٨٤٢ .

عن السدى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ، وذلك حين يقول تعالى ذكره : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ ، [سورة آل عمران : ٨٣] . وذلك حين يقول ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٤٩] ، يعنى يومَ أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم عليه السلام .(١)

١٥٣٧٢ — . . . . قال حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ، ولم يهبط من السماء ، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرّيته كهيئة الذرّ ، أبيض ، مثل اللؤلؤ ،(٢) فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ! ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذر سوداً ،(٣) فقال : ادخلوا النار ولا أبالى ! فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال » ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال : « ألست بربكم قالوا بلى » ، فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية .(٤)

---

(١) الأثر : ١٥٣٧١ — « عمرو بن طلحة » ، هو « عمرو بن حماد بن طلحة القناد » ، من أكثر الرجال دوراناً فى التفسير ، مضى برقم : ١٦٨ ، وكان فى المطبوعة هنا وفى الذى يليه « عمر بن طلحة » ، وهو خطأ صرف .

وهذا الخبر ، جزء من خبر طويل رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، بإسناده عن محمد بن عبد الله بن سنجر ، عن عمرو بن حماد ، عن نصر بن نصر الهمدانى ، عن السدى ، عن أصحابه = قال عمرو : وأصحابه : أبو مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، مطولا ، ولم ينسبه إلى غير ابن عبد البر فى التمهيد .

وانظر الأثر التالى رقم : ١٣٥٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ ، كهيئة الذر » ، وهو موافق لما رواه ابن عبد البر ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة . وأما ما رواه أبو جعفر فى التاريخ فهو : « فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاً مثل اللؤلؤ » ، بالجمع « بيضاً » .

(٣) فى المطبوعة : « فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر » ، وهو مطابق لما فى التمهيد لابن عبد البر ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما رواه أبو جعفر فى التاريخ

(٤) الأثر : ١٥٣٧٢ — هذا الخبر ، جزء من الخبر السالف الذى رواه ابن عبد البر

١٥٣٧٣ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى بنحوه = وزاد فيه بعد قوله : « وطائفة على وجه التقية » = فقال : هو والملائكة : « شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » ، فلذلك ليس فى الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ = و« الأمة » الدين = ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٣]، وذلك حين يقول الله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ، وذلك حين يقول ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] ، وذلك حين يقول : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأنعام ١٤٩] ، يعنى يوم أخذ منهم الميثاق.[١]

١٥٣٧٤ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي : « من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : مسح الله على صلب آدم ، فأخرج من صلبه من ذريته ، ما يكون إلى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم ، فأعطوه ذلك . ولا تسأل أحداً ، كافراً ولا غيره[٢] : « من ربك؟ » ، إلا قال : « الله » = وقال الحسن مثل ذلك أيضاً .[٣]

١٥٣٧٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ،

فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، مطولا .

ورواه أبو جعفر فى تاريخه مختصراً بلفظه هذا ١ : ٦٨ .

(١) الأثر : ١٣٥٧٣ ــ هذا الخبر جزء من الخبرين السالفين فيما أرجح ١٥٣٧١ ، ١٥٣٧٢ .

وانظر تخريجهما فيما سلف ، ولكن صدر الخبر لم يرد فى شيء من المراجع .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يسأل أحد كافر ولا غيره » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٣٧٤ ــ هذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ من حديث ابن عباس ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر . وظاهر أنه من تفسير الكلبى ، بإسناده عن ابن عباس .

عن أبيه، عن على بن حسين : أنه كان يَعْزِلُ،[١] ويتأول هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريّتهم ».[٢]

١٥٣٧٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم» قال : أقرّت الأرواح قبلَ أن تُخلَق أجسادها.[٣]

١٥٣٧٧ — حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال، حدثنا بقية بن الوليد قال، حدثنى الزبيدى، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النَّصْرى، عن أبيه، عن هشام بن حكيم : أن رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أتبْدَأ الأعمال، أم قد قُضِيَ القضاء ؟[٤] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم فى كفيه،[٥] ثم قال : « هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار »، فأهل الجنة ميسَّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسَّرون لعمل أهل النار.[٦] ٩/٨١

---

(١) فى المطبوعة : « كان يقول ويتأول »، وهو كلام لا معنى له، صوابه ما كان فى المخطوطة. و « العزل » هو أن يعزل الرجل ماءه عن المرأة، أى ينحيه عن رحمها إذا جامعها، لئلا تحمل.

(٢) الأثر : ١٥٣٧٥ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٤، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة.

(٣) الأثر : ١٥٣٧٦ — رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠١، من طريق قاسم بن أصبغ، عن محمد بن الجهم، عن روح بن عبادة، عن موسى بن عبيدة.

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة.

(٤) فى رواية أخرى « أم قد مضى القضاء ».

(٥) قوله : « أفاض بهم فى كفيه » : بسطهم متفرقين منبثين. وأصله، من : « أفاض الضارب بالقداح »، إذا أجالها وضرب بها، فوقعت منبثة متفرقة. وقد جاء هذا اللفظ فى خبر ابن عباس : « أخرج الله ذرية آدم من ظهره، فأفاضهم إفاضة القدح »، وهى الضرب به وإجالته عند القمار. وقد جاء فى رواية الطبرانى لهذا الخبر (مجمع الزوائد ٧ : ١٨٦) : « ثم نثرهم فى كفيه، أو كفه ».

(٦) الأثر : ١٥٣٧٧ — رواه أبو جعفر بأربعة أسانيد، هذا، والذى يليه إلى رقم ١٥٣٨٠. وهو خبر قد نصوا قديماً على أنه مضطرب الإسناد. واضطرابه من وجوه سأبينها بعد : إن شاء الله، فى هذا الموضع.

. . . .

« أحمد بن الفرج بن سليمان الكندى الحمصى » ، « أبو عتبة » يعرف بالحجازى . ورد بغداد غير مرة ، وحدث بها عن بقية بن الوليد ، وغيره . روى عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وابن جرير ، والحسين بن إسماعيل المحاملى ، وغيرهم ، وكتب عنه ابن أبى حاتم ، وقال : « محله عندنا الصدق » . قال ابن عدى : « كان محمد بن عوف الطائى ، يضعفه ، ومع ضعفه يكتب حديثه » . قال محمد بن عوف الطائى : « الحجازى كذاب . . . وليس عنده فى حديث بقية بن الوليد عن الزبيدى ، أصل . هو فيها أكذب خلق الله . إنما هى أحاديث وقعت إليه فى ظهر قرطاس كتاب صاحب حديث ، فى أولها مكتوب : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، قال حدثنا بقية » ، ثم رماه بأشياء . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « يخطىء وهو مشهور بكنيته » . ومع ذلك ، فهذا الخبر الذى رواه عنه أبو جعفر ، رواه بعده عن محمد بن عوف الطائى وغيره ، فما قيل فيه لا يضر . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٦٧ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٣٣٩ — ٣٤١ ، وقد مضى برقم : ٦٨٩٩ ، بروايته عن بقية بن الوليد ، ولم يترجم هناك .

و « بقية بن الوليد الحمصى » ، ثقة ، تكلموا فيه من أجل تدليسه ، فإذا صرح بالسماع كانت روايته صحيحه ، وقد صرح بها فى هذا الأثر ، ولم يصرح فى الذى يليه . وقد مضى برقم : ١٥٢ ، ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، ٦٨٩٩ ، ٩٢٢٤ ، وغيرها .

و « الزبيدى » هو « محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى الحمصى » ، ثقة ، روى له الشيخان . مضى برقم : ٦٦٥٦ ، ٦٨٩٩ .

و « راشد بن سعد المقرئى الحبرانى الحمصى » ، وثقه ابن سعد ، وابن معين وغيرهما . وقال أحمد : « لا بأس به » ، وقال الدارقطنى : « يعتبر به إذا لم يحدث عن متروك » . وشذ ابن حزم فضعفه . وذهبت عين راشد بن سعد فى يوم صفين ، وتوفى سنة ١٠٨ . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/٢/١٦٢ ، والكبير ٢/١/٢٦٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٨٣ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٣١ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٨٩ .

ومن عند رواية راشد بن سعد يبدأ الاضطراب فى إسناد الخبر ، وفى نسبة بعض رجاله ، والاختلاف فى لفظه . وهذه هى أسانيده التى وقعت لى ، جمعتها مع ذكر موضع كل إسناد :

١ — الزبيدىّ ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصرى ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم =

الطبرى : ١٥٣٧٧ — ١٥٣٧٩ / الكبير للبخارى ٤/٢/١٩١ ، ١٩٢ / إسحق بن راهويه ، فى « شفاء العليل » لابن القيم : ١٠ / ابن كثير ٣ : ٥٨٨ .

٢ — الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصرى ، عن هشام بن حكيم =

الآجرى فى الشريعة : ١٧٢ ...

٣ — معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم =

الطبرى : ١٥٣٨٠

٤ — معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم =

ابن سعد ١/١/٩ ثم ٧/٢/١٣٥ = المسند ٤ : ١٨٦ / المستدرك ١ : ٣١ / أسد الغابة ٣ : ٣١٩ / الإصابة ٤ : ١٧٩ ، فى ترجمة عبد الرحمن بن قتادة .

٥ — الزبيدى ، . . . عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، وهشام بن حكيم =

الإصابة ٤ : ١٧٩ ، غير مبين تمام إسناده ، ولكنه عن راشد بن سعد بلا شك .

* * *

فالأسانيد الثلاثة الأولى ، والإسناد الخامس ، رواية الخبر فيها عن هشام بن حكيم ، أو عن قتادة النصرى . واختلف الزبيدى على راشد بن سعد ، فقال مرة : « عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، عن هشام » وقال أخرى : « عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام » ، وأسقط ذكر « عن أبيه » .

وأما معاوية بن صالح ، فاختلف على راشد بن سعد ، فقال مرة : « عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم » ، كإسناد الزبيدى الثانى ، وقال مرة أخرى : « عبد الرحمن بن قتادة السلمى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله » .

قال ابن حجر : « وأعل البخارى الحديث : بأن عبد الرحمن إنما رواه عن هشام بن حكيم . هكذا رواه معاويه بن صالح وغيره عن راشد بن سعد . وقال معاوية مرة أن عبد الرحمن قال : سمعت ، وهو خطأ . ورواه الزبيدى ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، وهشام بن حكيم . وقيل عن الزبيدى : عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن هشام » (الإصابة ٤ : ١٧٩) .

* * *

أما الاختلاف الثانى فى نسبة بعض رجاله ، فإن الذى جاء فى الإسناد الأول والثانى : « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » . ثم جاء فى الإسناد الرابع « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » ، ولم يذكر فى ترجمة « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » الصحابى أنه يقال له : « النصرى » ، وسيتبين ذلك فى الكلام بعد عن رجال الإسناد .

* * *

أما الاختلاف الثالث ، فى لفظه . فهذا اللفظ الذى رواه أبو جعفر الطبرى هنا برقم ١٥٣٧٧ ،

. . . .

رواه بنحوه البخارى فى الكبير ٤/٢/١٩١ ، ١٩٢ ، والآجرى فى كتاب الشريعة : ١٧٢ ، وإسحق ابن راهويه (شفاء العليل : ١٠)،ومجمع الزوائد ٧ : ١٨٦ ، والدر المنثور ١ : ١٤٣ ، وزاد نسبته إلى البزار والطبرانى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وكل ذلك عن هشام بن حكيم .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وذكر هذا الخبر بلفظه ، عن هشام بن حكيم ، ثم قال : « رواه البزار ، والطبرانى وفيه بقية بن الوليد ، وهو ضعيف ، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد . وإسناد الطبرانى حسن » .

وأما اللفظ الثانى : فهو عبد الرحمن بن قتادة السلمى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

« إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره . وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى . فقال قائل : يا رسول الله ، فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر »

وبهذا اللفظ ونحوه عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى الصحابى ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ١٨٦ ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٩ ثم ٧/٢/١٣٥ = ثم ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢/٢/٢٧٦ = ثم الحاكم فى المستدرك ١ : ٣١ / مجمع الزوائد ٧ : ١٨٦ / الإصابة ٤ : ١٧٩ / تعجيل المنفعة : ٢٥٥ ، ٢٥٦ / الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ونسبه إلى ابن سعد وأحمد .

قال الحاكم فى المستدرك : « هذا حديث صحيح ، قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة . وعبد الرحمن بن قتادة من بنى سلمة ، من الصحابة . وقد احتجا جميعاً بزهير بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس له راو غير أبى عثمان النهدى ، وكذلك احتج البخارى بحديث أبى سعيد بن المعلى ، وليس له راو غير حفص بن عاصم » . ووافقه الذهبى .

وأما الهيثمى فى مجمع الزوائد فقال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات » ، يعنى الإسناد الرابع الذى ذكرناه ، باللفظ الثانى .

* * *

ثم نفضى إلى القول فى « عبد الرحمن بن قتادة » .

فهو فى الإسناد الأول والثانى « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، يروى عن أبيه ، عن هشام ، الحديث باللفظ الأول ، ولا يظهر من إسناده أنه صحابى ، فإن كان صحابياً ، فهو صحابى ، يروى عن صحابى ، عن صحابى ، وهو غريب نادر . فإذا صح ما قاله البخارى أن الراوى هو عبد الرحمن عن هشام ، وأن قوله : « عن أبيه » زيادة ، فهو رواية صحابى عن صحابى . ويحتمل أن يكون « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، تابعياً .

ولكن لم يبين أحد أن « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، غير « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » ، و « السلمى » ، صحابى ، كما جاء فى نص الإسناد الرابع . وترجم للصحابى « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » : ابن سعد ٧/٢/١٣٥ ثم ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٧٦ وقال بعد : « روى عن هشام

١٥٣٧٨ — حدثني محمد بن عوف الطائي قال، حدثنا حيوة ويزيد قالا ، حدثنا بقية ، عن الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصْري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .(١)

١٥٣٧٩ — حدثني [عبد الله بن] أحمد بن شبويه قال، حدثنا إسحق بن إبراهيم ، قال ، حدثنا عمرو بن الحارث قال ، حدثنا عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي قال ، حدثنا راشد بن سعد : أن عبد الرحمن بن قتادة حدّثه : أن أباه حدّثه : أن هشام بن حكيم حدثه : أنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بن حكيم ، روى عنه راشد بن سعد = ثم الاستيعاب : ٣٩٨/ وأسد الغابة ٣ : ٣١٩/ وتعجيل المنفعة : ٢٥٥ / والإصابة ٤٥ : ١٧٩ . ولم يذكر أحد منهم أن هذا « السلمي » يقال له « النصري » . وهذا غريب أيضاً .

ثم إنهم ترجموا لأبيه « قتادة النصري » في الكبير ١٨٥/١/٤ ، وقال : « سمع هشام بن حكيم ، روى عنه ابنه عبد الرحمن » ، وابن أبي حاتم ١٣٥/٢/٣ ، وقال مثله . أما « قتادة السلمي » ، فلم يذكر في الموضعين ، بل جاء ذكره في ترجمة « هشام بن حكيم » في التهذيب ، والإصابة . وهذا غريب أيضاً .

ونسبة « السلمي » ، مضبوطة بالقلم في ابن سعد وغيره بضم السين وفتح اللام ، نسبة إلى « سليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان » وأما الحاكم في المستدرك ، فقد بين أنه من « بني سلمة » (بفتح السين وكسر اللام) والنسبة إليها « السلمي » (بفتحتين) ؛ وهم من الأنصار . وسواء أكان هذا أو ذاك ، فلا أدري كيف يكون « قصرياً » من كان من هذه أو تلك . و « النصري » فيما أرجح ، إنما هو نسبة إلى « نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة » ، وهم من أبناء عمومة « سليم بن منصور » . فجائز أن يكون « عبد الرحمن بن قتادة » من بني « سليم ابن منصور » ، دخل في بني عمومته « نصر بن معاوية » فنسب إليهم أيضاً . ولا حجة لي في ذلك ، كما لا أجد حجة لما قاله الحاكم في المستدرك .

وقد أطلت في بيان هذا الاضطراب ، لأضبطه بعض الضبط . وبعد ذلك كله ، فمعنى الحديث صحيح ، مروى عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب . وهو اضطراب قديم ، كما نصوا على ذلك فيما نقلت آنفاً .

(١) الأثر : ١٥٣٧٨ — « محمد بن عوف بن سفيان الطائي » ، شيخ أبي جعفر ، حافظ ثقة ، من الرواة عن أحمد . مضى برقم : ٥٤٤٥ .

و « حيوة » ، هو « حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمي » ، فقيه عالم ثقة ، مضى برقم : ٢٨٩١ ، ٣١٧٩ .

و « يزيد » هو « يزيد بن هارون » ، أحد الحفاظ الأعلام ، مضى مراراً كثيرة .

وهذا إسناد آخر . للخبر السالف

وجلّ ، فذكر مثله .[١]

١٥٣٨٠ — حدثنا محمد بن عوف قال، حدثنى أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : واختلف فى قوله : « شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » .

فقال السدى : هو خبرٌ من الله عن نفسه وملائكته ، أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته ، إذ أقرَّ بنو آدم بربوبيته حين قال لهم[٣] : « ألست بربكم ؟ »، فقالوا :[٤] « بلى » .

---

(١) الأثر : ١٥٣٧٩ « عبد الله بن أحمد بن شبويه » ، هو « عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت المروزى » ، شيخ أبي جعفر ، من أئمة الحديث ،مضى مراراً ، منها : ١٩٠٩ ، ٤٦١٢ ، ٤٩٢٣ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنى أحمد بن شبويه » وهو خطأ لاشك فيه ، فلذلك زدت [عبد الله بن] بين القوسين ، أولا لأن « عبد الله » هو شيخ أبي جعفر الذى يروى عنه ، وثانياً ، لأن أباه « أحمد بن شبويه » ، مات سنة ٢٣٠ ، لم يدرك أبو جعفر أن يروى عنه .

و « إسحق بن إبراهيم » هو : « إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصى الزبيدى » ، ويقال له : « إسحق بن زبريق » أو « ابن زبريق » ، ثقة ، متكلم فيه جداً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٣٨٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٠٩ .

و « عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدى الحمصى » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الذهبى : « لا تعرف عدالته » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٢٦ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٤ .

و « عبد الله بن سالم الأشعرى الوحاظى » ، وثقه ابن حبان والدارقطنى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٧٦ .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن مسلم » ، وهو خطأ لا شك فيه .

(٢) الأثر : ١٥٣٨٠ — « أبو صالح » هو « عبد الله بن صالح المصرى » كاتب الليث ابن سعد . ثقة ، تكلموا فيه . مضى مراراً . انظر رقم : ١٨٦ .

و « معاوية بن صالح الحمصى » ، ثقة ، مضى مراراً . انظر رقم : ١٨٦ .

وانظر بعد هذا كله ، التعليق على رقم : ١٥٣٧٧ .

(٣) فى المخطوطة : « حين قيل لهم » .

(٤) فى المطبوعة : « قالوا بلى » ، ساقها مساق الآية .

فتأويل الكلام على هذا التأويل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ، فقال الله وملائكته : شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى ، والخبرَ الآخرَ الذى روى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثل ذلك .(١)

* * *

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعضٍ . وقالوا : معنى قوله : « وأشهدهم على أنفسهم » ، وأشهد بعضهم على بعضٍ بإقرارهم بذلك ، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضاً عمن قاله قبلُ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحاً ، ولا أعلمه صحيحاً ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدّثوا بهذا الحديث عن الثورى ، فوقفوه على عبد الله ابن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد ابن أبي طَيبة عنه .(٢) وإن لم يكن ذلك عنه صحيحاً، فالظاهر يدلُّ على أنه خبر من الله عن قِيلِ بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ، فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرِّين حين أقروا فقالوا : «بلى» = : شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

* * *

---

(١) انظر خبر السدى رقم : ١٥٣٧٣ ، وخبر عبد الله بن عمرو : ١٥٣٥٤

(٢) انظر ما سلف فى التعليق على رقم : ١٥٣٥٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : شهدنا عليكم ، أيها المقرُّون بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : « إنا كنا عن هذا غافلين » ، إنا كنا لا نعلم ذلك ، وكنا فى غفلة منه = « أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » ، اتبعنا منهاجهم = « أفتهلكنا » ، بإشراك من أشرك من آبائنا ، واتباعنا منهاجَهم على جهلٍ منا بالحق ؟

ويعنى بقوله : « بما فعل المبطلون » ، بما فعل الذين أبطلوا ، فى دَعواهم إلهاً غير الله .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعض المكيين والبصريين : ﴿ أَنْ يَقُولُوا ﴾ ، بالياء بمعنى : شهدنا لئلا يقولوا ، على وجه الخبر عن الغَيَب .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ ، بالتاء ، على وجه الخطابِ من الشهود للمشهود عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتا التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهما . لأن العرب تفعل ذلك فى الحكاية ، كما قال الله : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ و ﴿ لَيُبَيِّنُنَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] . وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[1]

٩ / ٨٢

* * *

(١) انظر ما سلف فى فهارس مباحث العربية والنحو وغيرهما .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما فصلنا ، يا محمد ، لقومك آيات هذه السورة ، وبيّنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبلَ قومك ، [1]وأحللنا بهم من المَثُلات بكفرهم وإشراكهم فى عبادتى غيرى ، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبيّنها لقومك ، لينزجروا ويرتدعوا ، فينيبوا إلى طاعتى ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى الإيمان والإقرار بتوحيدى ، وإفراد الطاعة لى ، وترك عبادة ما سواى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « واتل » ، يا محمد ، على قومك = « نبأ الذى آتيناه آياتنا » ، يعنى خبره وقصته .[2]

* * *

وكانت آيات الله للذى آتاه الله إياها فيما يقال : اسم الله الأعظم = وقيل : النبوّة .

* * *

واختلف أهل التأويل فيه .

فقال بعضهم : هو رجل من بنى إسرائيل .[3]

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ١٠٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك
= وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .

(٢) انظر تفسير « تلا » فيما سلف : ١٢ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك
= وتفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر خبر « بلعم بن باعور » فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٦ — ٢٢٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣٨١ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله في هذه الآية : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، قال: هو بَلْعَم .

١٥٣٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

١٥٣٨٣ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : هو بلعم بن أَبَر .

١٥٣٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود في قوله : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » ، قال : رجل من بني إسرائيل يقال له : بَلْعَم بن أَبَر .

١٥٣٨٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر،وابن مهدى، وابن أبي عدى قالوا ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق، عن عبد الله : أنه قال في هذه الآية ، فذكر مثله = ولم يقل : « بن أبر » .

١٥٣٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن أَبَر .

١٥٣٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس قال : هو بلعم بن باعر .

١٥٣٨٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود في قوله : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » إلى « فكان من الغاوين » ، هو بلعم بن أبَر .

١٥٣٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

الثورى ، عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، مثله = إلا أنه قال : ابن أَبُر ، بضم « الباء »

١٥٣٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعم .

١٥٣٩١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانسلخ منها » ، قال: بلعام بن باعر ، من بنى إسرائيل .

١٥٣٩٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول ، فذكر مثله .

١٥٣٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول ، فذكر مثله .

١٥٣٩٤ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن، وابن أبى عدى، عن شعبة ، عن حصين ،عن عكرمة قال فى « الذىِ آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو بلعام .

١٥٣٩٥ — وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ، عن شعبة، عن حصين ، عن عكرمة قال : هو بلعم .

١٥٣٩٦ — . . . قال حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ،عن عكرمة قال : هو بلعم .

٨٣/٩ ١٥٣٩٧ — حدثنا حميد بن مسعدة قال،حدثنا بشر قال، حدثنا شعبة ، عن حصين قال : سمعت عكرمة يقول : هو بلعام .

١٥٣٩٨ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل، عن حصين ، عن مجاهد قال : هو بلعم .

١٥٣٩٩ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بلعم .

= وقالت ثقيف : هو أمية بن أبي الصلت .[1]

* * *

وقال : آخرون : كان بلعم هذا من أهل اليمن .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، قال : هو رجل يدعى بلعم ، من أهل اليمن .

* * *

وقال آخرون : كان من الكنعانيين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال له: بلعم .

* * *

وقال آخرون : هو أمية بن أبي الصلت .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠٢ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سعيد بن السائب ، عن غطيف بن أبي سفيان ، عن يعقوب ، ونافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو أمية بن أبي الصلت .[2]

---

(١) هذه الجملة ، « وقالت ثقيف . . . » ، حذفت من المطبوعة ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، ولا أدرى أهي من كلام أبي جعفر ، أم كلام ابن عباس ، أو من كلام بعض رواة خبر ابن عباس . والأرجح أنها من قول بعض رواة الخبر .

(٢) الأثر : ١٥٤٠٢ — « سعيد بن السائب بن يسار الثقفى الطائفى » ، « سعيد بن

١٥٤٠٣ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى قال، أنبأنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم قال: قال عبد الله بن عمرو: هو صاحبُكم، أمية بن أبي الصلت .[1]

١٥٤٠٤ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن، ووهب بن جرير قالا، حدثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو، بمثله.

١٥٤٠٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيي بن سعيد قال، حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو: « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه »، قال: هو أمية بن أبي الصلت.

١٥٤٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر، عن شعبة، عن يعلى ابن عطاء قال: سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال: سمعت عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية: « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، قال: هو صاحبكم = يعنى أمية بن أبي الصلت.

١٥٤٠٧ — . . . . قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن حبيب، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو قال: هو أمية بن أبي الصلت.

أبى حفص » ثقة، كان بعضهم يعده من الأبدال، وكانت لا تجف له دمعة. مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/١/٤٣٩، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٠.

و « غطيف بن أبى سفيان الطائفى » أو « غضيف »، تابعى ثقة. مترجم فى التهذيب (غضيف)، والكبير ٤/١/١٠٦ (غطيف)، وابن أبى حاتم ٣/٢/٥٥، (غضيف). وكان فى المطبوعة: « غضيف »، وأثبت ما فى المخطوطة.

و « نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى »، تابعى ثقة، مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/٢/٨٤، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٥٤.

(١) الأثر: ١٥٤٠٣ — « يعلى بن عطاء العامرى الطائفى »، مضى برقم: ٢٨٥٨، ١١٥٢٧، ١١٥٢٩.

« نافع بن عاصم الثقفى »، مضى فى الأثر السالف، ولذلك قال له عبد الله بن عمرو: « هو صاحبكم »، لأنه ثقفى مثله.

١٥٤٠٨ — . . . . قال حدثنا يزيد، عن شريك ، عن عبد الملك ، عن فضالة = أو ابن فضالة = عن عبد الله بن عمرو قال : هو أمية .

١٥٤٠٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبد الملك بن عمير قال : تذاكروا فى جامع دمشق هذه الآية : « فانسلخ منها » ، فقال بعضهم : نزلت فى بلعم بن باعوراء . وقال بعضهم : نزلت فى الراهب[1] = فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا : فيمن نزلت هذه ؟ قال : نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى .

١٥٤١٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو أمية بن أبى الصلت = وقال: قتادةُ يشكّ فيه، يقول بعضهم : بلعم ، ويقول بعضهم : أمية بن أبى الصلت .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى الآيات التى كان أوتيها ، التى قال جل ثناؤه : « آتيناه آياتنا » .

فقال بعضهم : كانت اسمَ الله الأعظم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : إن الله لما انقضت الأربعون سنة = يعنى التى قال الله فيها : ﴿ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [سورة المائدة : ٢٦] . بعث يوشع بن نون نبيًّا، فدعا بنى إسرائيل، فأخبرهم أنه نبيٌّ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبّارين، فبايعوه وصدّقوه . وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : « بلعم » وكان عالمًا ، يعلم الاسم

(١) « الراهب » ، هو « أبو عامر الراهب ، عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان » ، كان يسمى فى الجاهلية « الراهب »، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبا عامر الفاسق » ، وخبره مشهور فى السير .

الأعظم المكتوم ، فكفر ، وأتى الجبّارين فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوةً فيهلكون ! وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساءَ من عِظَمهن ،[1] فكان ينكح أتاناً له ،[2] وهو الذى يقول الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، أى : تبصَّر ،[3] « فانسلخ منها » إلى قوله : « ولكنه أخلد إلى الأرض » .[4]

٩/٨٤

١٥٤١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » ، قال : هو رجل يقال له « بلعم » ، وكان يعلم اسم الله الأعظم .

١٥٤١٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : كان لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه .

* * *

وقال آخرون : بل الآيات التى كان أوتيها ، كتابٌ من كتب الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل بلعام بن باعر ، أوتى كتاباً .[5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « النساء يعظمهن » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد . وإنما عنى عظم نساء الجبارين ، وقد وصفوا بأجسام لا يعرف قدرها إلا الله .

(٢) « الأتان » أنثى الحمار .

(٣) فى المطبوعة : « أى تنصل » ، وأثبت ما فى المخطوطة . أما فى التاريخ : « فبصر » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٥٤١١ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وسيأتى بتمامه برقم : ١٥٤٢٣ .

(٥) الأثر : ١٥٤١٤ — سيأتى مطولا برقم : ١٥٤٣٢ .

وقال آخرون : بل كان أوتى النبوّة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٥ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن غيره = قال الحارث : قال عبد العزيز : يعنى : عن غير نفسه =، عن مجاهد قال : هو نبي فى بنى إسرائيل ، يعنى بلعم ، أوتى النبوّة ، فرشاه قومُه على أن يسكت ، ففعل وتركهم على ما هُمْ عليه .

١٥٤١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : أنه سُئل عن الآية : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، فحدّث عن سَيَّار : أنه كان رجلاً يقال له «بلعام»، وكان قد أوتى النبوّة، وكان مجابَ الدعوة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان آتاه حُجَجَه وأدلته، وهى « الآيات » .

وقد دللنا على أن معنى : « الآيات » ، الأدلة والأعلام ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(٢)

= وجائز : أن يكونَ الذى كان الله آتاه ذلك «بلعم»=وجائز أن يكون « أمية » .

وكذلك « الآيات » ، إن كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه ، فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية ، وعناه بها ، فجائز أن يكون الذى كان أوتيها «بلعم» =وجائز أن يكون « أمية »،لأن « أمية » كان ، فيما يقال ، قد قرأ من كتب أهل الكتاب .

---

(١) الأثر : ١٥٤١٦ — سيأتى بطوله برقم : ١٥٤٢٠ .

(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَن أمر نبيَّ الله عليه السلام أن يتلوَ على قومه نبأه = أو بمعنى اسم الله الأعظم = أو بمعنى النبوّة = فغير جائز أن يكون معنيًّا به « أمية » ، لأن « أمية » لا تختلف الأمة فى أنه لم يكن أوتى شيئاً من ذلك ، ولا خبرَ بأىّ ذلك المراد ، وأىّ الرجلين المعنىّ ، يوجب الحجة ، ولا فى العقل دلالة على أىّ ذلك المعنىُّ به من أىٍّ .[١]

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ، ونُقِرَّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحى من الله .

* * *

وأما قوله : « فانسلخ منها » ، فإنه يعنى : خرج من الآيات التى كان الله آتاها إياه ، فتبرَّأ منها .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل موسى عليه السلام . . . .[٢] = يعنى بالجبارين=ومن معه ، أتاه = يعنى بلعم = أتاه بنُو عمه وقومُه ،[٣] فقالوا : إن موسى رجلٌ حديد ، ومعه جنودٌ كثيرة ، وإنه إنْ يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردَّ عنّا موسى ومن معه . قال : إنى إن دعوت الله أن يردَّ موسى ومن معه ، ذهبت دنياى وآخرتى ! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه ، فذلك قوله : « فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » .

---

(١) السياق : « ولا خبر بأى ذلك المراد ، وأى الرجلين المعنى . . . ولا فى العقل دلالة على أى ذلك المعنى به من أى » . وانظر تفسير « أى ذلك من أى » فيما سلف ص : ١٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « على أن ذلك المعنى به من أى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة ، بياض بعد « عليه السلام » ، وبالهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « أتاه » الثانية .

١٥٤١٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان الله آتاه آياته فتركها .

١٥٤١٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « فانسلخ منها » ، قال : نزع منه العلم .

* * *

وقوله : « فأتبعه الشيطان » ، يقول : فصيَّره لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربِّه في معصية الشيطان وطاعةِ الرحمن .

* * *

وقوله : « فكان من الغاوين » ، يقول : فكان من الهالكين ، لضلاله وخلافه أمر ربه ، وطاعة الشيطان.[1]

٨٥/٩

*

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه = « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، يقول : سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ، ومال إليها ، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة = « واتبع هواه » ، ورفض طاعةَ الله وخالَف أمرَه .

* * *

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبرَه في هذه الآية ، على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ، ما :—

١٥٤٢٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه :

---

(١) انظر تفسير « غوى » فيما سلف ٥ : ٤١٦ / ١٢ : ٣٣٣ / ١٣ : ١١٤

أنه سئل عن الآية : « واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، فحدّث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام ، وكان قد أوتى النبوّة ، وكان مجاب الدعوة [١] قال : وإن موسى أقبل فى بنى إسرائيل يريد الأرض التى فيها بلعام = أو قال : الشأم = قال: فرُعب الناس منه رعْباً شديداً .قال : فأتوا بلعام، [٢] فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ! قال : حتى أُوَامر ربّى = أو حتى أؤامر [٣] = قال : فوامر فى الدعاء عليهم ، [٤] فقيل له : لا تدع عليهم ، فإنهم عبادي، وفيهم نبيهم ! قال: فقال لقومه: إنى قد وَامَرتُ ربى فى الدعاء عليهم، [٥] وإنى قد نُهيت . قال : فأهدوا إليه هدية فقبلها ، ثم راجعوه ، فقالوا : ادع عليهم ! فقال : حتى أوَامر ! فوامر ، فلم يَحُرْ إليه شىء . [٦]قال : فقال : قد وامرت فلم يَحُرْ إلىّ شىء ! [٧]فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم ، لنهاك كما نهاك المرةَ الأولى! [٨]قال: فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرَى على لسانه الدُّعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو أن يُفْتَح لقومه، دعا أن يفتَح لموسى وجيشه = أو نحواً من ذلك إن شاء الله . فقال: فقالوا: ما نراك تدعو إلاّ علينا ! قال:

---

(١) انظر الأثر السالف رقم : ١٥٤١٦ .

(٢) فى المطبوعة : « بلعاماً » بصرف الاسم الأعجمى .

(٣) الثانية « أؤامر » بالهمز ، وهى اللغة الفصحى . والأولى : « أوامر » بالواو ، بطرح الهمز ، وليست بفصيحة ، ولكن جرى بها هذا الخبر . وانظر التعليق التالى .

(٤) فى المطبوعة : « فآمر عليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « وامر » ، مثل « آمر » ، ولكنها لغة غير مستجادة . وانظر التعليق السالف .

(٥) فى المطبوعة : « إنى آمرت » ، حذف « قد » ، وجعل « وامرت » « آمرت » ، وتابعت المخطوطة ، كما أسلفت فى التعليقات السالفة وفى الآتية أيضاً .

(٦) عبث الناشر بهذه الجملة بالزيادة والتحريف والحذف ، فجعلها هكذا : « فقال : حتى أوامر ربى ، فآمر ، فلم يأمره بشىء » . وأثبت الصواب من المخطوطة « أوامر » و « وامر » كل ذلك كما جرى عليه ما سلف ، بالواو . وأما قوله : « فلم يحر إليه شىء » ، أى : لم يرجع إليه شىء . « حار إليه يحور حوراً» ، رجع إليه ، ومنه « حاوره محاورة حواراً » فى الكلام . وقولهم : « أحار عليه جوابه » ، و « أحرت له جواباً » ، و « ما أحار بكلمة » .

(٧) جعلها فى المطبوعة أيضاً : « قد وامرت فلم يأمرنى بشىء» ، وانظر التعليق السالف .

(٨) فى المطبوعة : « فى المرة الأولى » ، زاد « فى » ، والذى فى المخطوطة أعلى .

ما يجرى على لسانى إلاّ هكذا ، ولو دعوت عليه ما استجيب لى ، ولكن سأدلّكم على أمرٍ عَسَى أن يكون فيه هلاكهم : إن الله يُبْغِض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء فليستقبلنهم ، [١] وإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنُوا فيهلكوا . قال : ففعلوا ، وأخرجوا النساء يستقبلنهم . [٢] قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عِظَمها ما الله أعلم به! قال : فقال أبوها ، أو بلعام : لا تُمكِّنِي نفسك إلا من موسى ! قال : ووقعوا فى الزنا . قال : وأتاها رأسُ سبط من أسباط بنى إسرائيل ، فأرادها على نفسه . قال : فقالت : ما أنا بممكنةٍ نفسِي إلاّ من موسى ! قال فقال : إنّ من منزلتى كذا وكذا ، وإن من حالى كذا وكذا ! قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : فأمكنيه . [٣] قال : ويأتيهما رجل من بنى هرون ومعه الرمح فيطعنهما . قال : وأيّده الله بقوة ، فانتظمهما جميعاً ، ورفعهما على رمحه . [٤] قال فرآهما الناس = أو كما حدّث . قال : وسلط الله عليهم الطاعون . قال : فمات منهم سبعون ألفاً .

قال : فقال أبو المعتمر : فحدثنى سيّار : أن بلعاماً ركب حمارةً له ، حتى إذا أتى الفُلول = أو قال : طريقاً بين الفلول [٥] = جعل يضربها ولا تُقْدِم . [٦] قال : وقامت عليه فقالت : علامَ تضربنى ؟ أما ترى هذا الذى بين يديك! قال : فإذا الشيطان بين يديه . قال : فنزل فسجد له ، قال الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» إلى قوله : « لعلهم يتفكرون»

---

(١) فى المطبوعة : « لتستقبلهم » ، حذف الفاء والنون .
(٢) فى المطبوعة : « تستقبلهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : « مكنيه » ، غير ما فى المخطوطة .
(٤) فى المخطوطة ، أسقط « ورفعهما » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وابن كثير .
(٥) فى المطبوعة ، وتفسير ابن كثير : « . . . أتى المعلولى = أو قال : طريقاً من المعلولى » ، وهو لا معنى له . وفى المخطوطة : « العلول » و « بين العلول » ، وصححت قراءتها كما أثبتها ، لأن جيش موسى لما نزل به العذاب ، فهلك منه سبعون ألفاً ، صار من بقى منه فلولا . هذا ما رجحته .
(٦) فى المطبوعة : « ولا تتقدم » ، كما فى ابن كثير ، وأثبت ما فى المخطوطة .

= قال فحدثني بهذا سيّار . ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره .[١]

١٥٤٢١ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال : وبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدّث :[٢] أن موسى سأل الله أن يطبَعه، وأن يجعله من أهل النار ، قال : ففعل الله . قال : أنبئت أن موسى قتَله بعدُ .

١٥٤٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن سالم أبي النضر : أنه حدّث : أنّ موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشأم = [وكان بلعم ببالعة، قرية من قرى البلقاء . فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل][٣] = أتى قومَ بلعم إلى بلعم فقالوا له : يا بلعم ، إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويُحِلُّها بني إسرائيل ويُسْكنها، وإنّا قومك، وليس لنا منزلٌ، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادعُ الله عليهم ![٤] فقال : ويلكم ! نبيُّ الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذْهبُ أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم !! قالوا : ما لنا من منزل! فلم يزالوا به يرقّقونه ويتضرّعون إليه ،[٥] حتى فتنوه فافتُتِن، فركب حمارةً له متوجّهاً إلى الجبل الذي يطلعه على

٩/٨٦

---

(١) الأثر : ١٥٤٢٠ – « المعتمر » هو « المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً .

و أبوه ، هو « سليمان بن طرخان التيمي » ، ويعرف بالتيمي ، وكنيته « أبو المعتمر » ، مضى مراراً .

و « سيار » الذي روى عنه هو : « سيار بن سلامة » ، أبو المنهال الرياحي ، الثقة المعروف ، مضى برقم : ٥٤٧٨ .

وهذا الخبر ، رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٤٧ ، مختصراً .

(٢) في المطبوعة : « فبلغني » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبري .

(٤) في المطبوعة : « وادع » بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ .

(٥) في المطبوعة : « يرفعونه » ، وفي التاريخ : « يرفقونه » ، والصواب ما أثبت ، من « الرقة » ، وهي الرحمة والشفقة ، يعني ما زالوا به لكي يرق لهم قلبه .

عسكر بنى إسرائيل، وهو جبل حُسْبان.[١] فلما سار عليها غير كثير، ربضت به،[٢] فنزل عنها فضربها، حتى إذا أذْلَقها، قامت فركبها.[٣] فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به، ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها. فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به، فضربها. حتى إذا أذلقها، أذن الله لها فكلّمته حُجَّةً عليه، فقالت: ويحك يا بلعم، أين تذهب؟ ألا ترى الملائكة أمامى تردُّنى عن وجهى هذا؟[٤] أتذهب إلى نبىّ الله والمؤمنين تدعو عليهم! فلم ينزع عنها يضربها،[٥] فخلّى الله سبيلها حين فعل بها ذلك. قال: فانطلقت حتى أشرفت به على رأس جبل حُسْبان،[٦] على عسكر موسى وبنى إسرائيل، جعل يدعو عليهم، فلا يدعو عليهم بشىء إلا صرف به لسانه إلى قومه،[٧] ولا يدعو لقومه بخير إلا صُرِف لسانه إلى بنى إسرائيل. قال: فقال له قومه: أتدرى يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا! قال: فهذا ما لا أملك، هذا شىءٌ قد غلَب الله عليه! قال: واندلع لسانه فوقع على صدره،[٨] فقال لهم: قد ذهبت الآنَ منّى الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتالُ. جَمِّلوا النساء وأعطوهنّ السِّلع.

---

(١) فى المطبوعة: «جبل حسان»، وفى المخطوطة: «حسان» غير منقوطة، وأثبت ما وافق رسمها فى التاريخ، بضبطه هناك، ولم أجد له ذكراً فى معاجم البلدان.

(٢) فى التاريخ: «فما سار عليها غير قليل حتى ربضت به».

(٣) «الإذلاق»: أن يبلغ منه الجهد، حتى يقلق ويتضور، وفى حديث ماعز: «أنه صلى الله عليه وسلم أمر برجمه، فلما أذلقته الحجارة جمز وفر»، أى بلغت منه الجهد حتى قلق.

(٤) فى المطبوعة: «أما ترى الملائكة تردنى»، وفى المخطوطة: «ألا ترى الملائكة ألا تردنى عن وجهى»، وأثبت ما فى التاريخ.

(٥) فى المطبوعة «فضربها»، والصواب من المخطوطة والتاريخ.

(٦) فى المطبوعة: «فانطلقت به حتى إذا أشرفت على رأس..»، وفى المخطوطة أسقط «به» من الجملة كلها وأثبت ما فى التاريخ، وإن كان هناك «على جبل حسبان»، بغير «رأس». وانظر «حسبان» فى التعليق: ١، فقد كان فى المطبوعة هنا، كمثله هناك.

(٧) فى المطبوعة: «ولا يدعو... بشر»، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ.

(٨) «اندلع لسانه»: خرج من الفم، واسترخى، وسقط على العنفقة كلسان الكلب. وفى أثر آخر عن بلعم: «إن الله لعنه، فأدلع لسانه، فسقطت أسلته على صدره، فبقيت كذلك».

ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنَها فيه، ومُرُوهن فلا تمنع امرأة نفسَها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى منهم واحدٌ كُفِيتُموهم! ففعلوا. فلما دخل النساءُ العسكر، مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها « كسبَى ابنة صور »، رأس أمته، برجل من عظماء بنى إسرائيل، [١] وهو زمرى بن شلوم، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم. فقام إليها، فأخذ بيدها حين أعجبَه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام، فقال: إنى أظنك ستقولُ هذه حرام عليك؟ فقال: أجل، هى حرام عليك، لا تقربْها! قال: فوالله لا نُطيعك فى هذا! [٢] فدخل بها قُبَّته فوقع عليها. وأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل. وكان فنحاص بن العيزار ابن هرون، صاحبَ أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطى بَسْطَةً فى الخلق، وقوة فى البطش، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع، فجاء والطّاعون يَحُوس فى بنى إسرائيل، [٣] فأخبر الخبرَ، فأخذ حَرْبته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان، [٤] فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصِرته، وأسند الحربة إلى لَحْيَيه [٥] = وكان بكر العيزار = وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك! ورُفِع الطاعون. فحُسِب من هلك من بنى إسرائيل فى الطاعون، فيما بين أنْ أصاب زِمرى المرأة، إلى أن قتله فنحاص، فوُجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً = والمقلّل يقول: عشرون ألفاً = فى ساعة من النهار. فمن هنالك تُعطى

---

(١) فى التاريخ: « رأس أمته وبنى أبيه، من كان منهم فى مدين، هو كان كبيرهم، برجل . . . . ».

(٢) فى المطبوعة: « لا أطيعك »، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ.

(٣) فى المخطوطة، والتاريخ: « يحوس » بالحاء المهملة. من قولهم: « تركت فلانا يحوس بنى فلان ويجوسهم » (بالجيم أيضاً) يتخللهم، ويطلب فيهم، ويدوسهم. و « الذئب يحوس الغنم »، يتخللها ويفرقها. وفى المطبوعة: « يجوس » بالجيم.

(٤) فى التاريخ: « عليهما القبة ».

(٥) فى التاريخ والمخطوطة: « لحيته »، والصواب ما فى المطبوعة، كما سيأتى دليل ذلك من إعطاء بنى إسرائيل « اللحى » بنى فنحاص.

بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هرون من كلِّ ذبيحةٍ ذبحُوها : القِبَةَ والذراع واللَّحْيَ ، [١] لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إيّاها إلى لحييه [٢] = والبكرَ من كل أموالهم وأنفُسهم ، لأنه كان بكر العيزار . فنى بلعم بن باعور ، أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، يعنى بلعم = « فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ، إلى قوله : « لعلهم يتفكرون » . [٣]

١٥٤٢٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : انطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم ، فأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا من بنى إسرائيل ، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فيهلكون. [٤] فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلعم مع الجبّارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعَنَ بنى إسرائيل . فكلما أراد أن يدعو على بنى إسرائيل ، دعا على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنّما تدعو علينا ! فيقول : إنما أردت بنى إسرائيل ! فلما بلغ باب المدينة ، أخذ ملك بذنب الأتان فأمسكها ، فجعل يحرّكها فلا تتحرك . فلما أكثر ضَرْبها ، تكلمت فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! ويلى منك ! ولو أنّى أطقتُ الخروج لخرجتُ ، ولكن هذا المَلَك يحبسنى ! وفى بلعم يقول الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » الآية . [٥]

٩/٨٧

١٥٤٢٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنى رجل

---

(١) فى المطبوعة : « الفشة » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ و « القبة » (بكسر القاف وفتح الباء مخففة) ، وهى من الكرش ، « الحفث » (بفتح فكسر) ذات الطرائق من الكرش ، و « القبة » الأخرى إلى جنبه ، وليس فيها طرائق .

(٢) قوله : « والبكر » معطوف على قوله : « تعطى بنو إسرائيل . . . القبة . . . » .

(٣) الأثر : ١٥٤٢٢ — رواه ابن جرير فى تاريخه ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) « فيهلكون » ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وهى ثابتة فى الأثر السالف ١٥٤١١ ، وفى التاريخ .

(٥) الأثر : ١٥٤٢٣ — مضى بعضه برقم : ١٥٤١١ ، وهو فى التاريخ ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

سمع عكرمة يقول : قالت امرأة منهم : أرونى موسى ، فأنا أفتنه ! قال : فتطيَّبت فمرت على رجل يشبه موسى ، فواقعها ، فأُتى ابنُ هرون ، فأُخبر ، فأخذ سيفاً فطعن به فى إحليله حتى أخرجه وأخرجه من قُبُلها ، [1]ثم رفعهما حتى رآهما الناس ، فعلِم أنه ليس موسى . ففضل آلُ هرون فى القُرْبان على آل موسى بالكَتَد والعضُد والفَخِذ . [2]قال : فهو « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، يعنى بلعم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » .

فقال بعضهم : معناه : لرفعناه بعلمه بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، لرفعه الله تعالى بعلمه .

* * *

وقال آخرون : معناه : لرفعنا عنه الحال التى صار إليها من الكفر بالله ، بآياتنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، لدفعناه عنه .[3]

١٥٤٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا لرفعناه بها ، لدفعناه عنه .[4]

* * *

(١) فى المطبوعة ، أسقط « وأخرجه » من الكلام ، وهى فى المخطوطة . ومع ذلك فأنا فى شك من العبارة كلها . ولو قال : « من دبرها » ، لاستقام الكلام بعض الشىء ، ولظهرت الصورة بعض الظهور .

(٢) فى المطبوعة « بالكتف والعضد » ، وفى المخطوطة : « بالكتاب » ، ولعل صوابها ما قرأت « الكتد » ، هو مجتمع الكتفين . والله أعلم أى ذلك هو الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « لرفعنا عنه بها » ، لا أدرى من أين جاء بذلك ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « لدفعنا » بالدال .

(٤) فى المطبوعة : « لرفعنا عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عمّ الخبر بقوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، أنه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه إياها ، و« الرفع » ، يَعُمّ معانى كثيرة : منها الرفع فى المنزلة عنده ، ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها الرفع فى الذكر الجميلَ والثّناء الرفيع . وجائزٌ أن يكون الله عنى كلّ ذلك : أنه لو شاء لرفعه ، فأعطاه كل ذلك ، بتوفيقه للعمل بآياته التى كان آتاها إياه . وإذ كان ذلك جائزاً ، فالصواب من القول فيه أن لا يخصّ منه شىء ، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبرٍ ولا عقلٍ .

* * *

وأما قوله : « بها » فإن ابن زيد قال فى ذلك كالذى قلنا .

١٥٤٢٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، بتلك الآيات .

* * *

وأما قوله : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، يعنى : ركن إلى الأرض .

١٥٤٣٠ — . . . . قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، قال : نزع إلى الأرض .

١٥٤٣١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أخلد » ، سكن .

١٥٤٣٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان فى

بنى إسرائيل بلعام بن باعر، أوتى كتاباً، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها، لم ينتفع بما جاء به الكتاب.[1]

١٥٤٣٣ — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه»، أما «أخلد إلى الأرض»، فاتبع الدنيا وركن إليها.

* * *

قال أبو جعفر: وأصل «الإخلاد» فى كلام العرب، الإبطاء والإقامة. يقال منه: «أخلد فلان بالمكان»، إذا أقام به = «وأخلد نفسه إلى المكان»، إذا أتاه من مكان آخر،[2] ومنه قول زهير:

٩/٨٨ لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْفَدْفَدِ كَالْوَحْيِ فِى حَجَرِ المَسِيلِ الْمُخْلِدِ[3]

يعنى المقيم، ومنه قول مالك بن نويرة:

بِأَبْنَاءِ حَىٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمْرِو بن يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا[4]

* * *

(١) الأثر: ١٥٤٣٢ — مضى مختصراً برقم: ١٥٤١٤.

(٢) هذا التفسير الأخير، لا تجده فى شىء من معاجم اللغة، فقيده.

(٣) ديوانه: ٢٦٨، واللسان (خلد)، مطلع قصيدته فى سنان بن أبى حارثة المرى، وكان فى المطبوعة: «غشيتها بالغرقد»، والصواب ما فى المخطوطة والديوان، وإنما تابع ناشر المطبوعة ما كان فى اللسان، فأخطأ بخطئه.

و «الفدفد» الموضع فيه غلظ وارتفاع، أو هى الأرض المستوية. و «الوحى» الكتابة. وقوله: «حجر المسيل»، لأنه أصلب الحجارة، فالكتابة فيه أبقى، ويضرب به السيل لخلوده فيأخذ منه، فتخفى الكتابة. فشبه آثار الديار، ببواقى الكتابة على صخرة ينتابها السيل، فيمحو جدة ما كتب فيها.

(٤) الأصمعيات: ٣٢٣، من قصيدة قالها فى يوم مخطط، وقبله، وهو أول الشعر:

إِلَّا أَكُنْ لَاقَيْتُ يَوْمَ مُخَطَّطٍ فَقَدْ خَبَّرَ الرُّكْبَانُ مَا أَتَوَدَّدُ
أَتَانِى بِنَقْرِ الخَيْرِ مَا قَدْ لَقِيتُهُ رَزِينٌ، وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَعَضِّدُ
يُهِلُّونَ عُمَّارًا، إِذَا مَا تَغَوَّرُوا وَلَاقَوْا قُرَيْشًا خَبَّرُوهَا فَأَنْجَدُوا

وكان بعض البصريين يقول[1] : معنى قوله : « أخلد » ، لزم وتقاعسَ وأبطأ ، و« المخلد » ، أيضاً هو الذى يبطئْ شيبُه من الرجال = وهو من الدواب ، الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رَباعيتاه .[2]

* * *

وأما قوله : « واتبع هواه » ، فإنّ ابن زيد قال فى تأويله ،[3] ما :—

١٥٤٣٤ — حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واتبع هواه » ، قال : كان هَواهُ مع القوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، مثلُ الكلب الذى يلهث ، طردْته أو تركته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جَعَل الله مثَله كمثل الكلب .

فقال بعضهم : مثّله به فى اللهث ، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التى آتاها إياه ، وإعراضِه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك . فقال جل ثناؤه فيه ، إذْ كان سواء أمرُه ، وُعِظ بآيات الله التى آتاها إياه أولم يوعظ ، فى أنه لا يتّعظ بها ، ولا يترك الكفر به : فمثله مثل الكلب الذى سواءٌ أمره فى لهثه ، طرد أو لم يطرد ، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال .

---

(١) هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٣ / ثم معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٩ .

(٣) فى المطبوعة : « كان ابن زيد قال » ، وهو سيء جداً ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٣٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : «كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث »، قال : تطرده ، هومثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعملُ به .

١٥٤٣٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث » ، قال : تطرده بدابتك ورجالك = « يلهث » ، قال : مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه = قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد،[1] لا فؤاد له . إن حملت عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . قال : مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له ، إنما فؤاده منقطع .

١٥٤٣٧ — حدثني ابن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ، فذلك هو الكافر، هو ضالٌّ إن وعظته وإن لم تعظه .[2]

١٥٤٣٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فمثله كمثل الكلب » ، إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضًا لهث ، وإن طرد لَهَثَ .

١٥٤٣٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : آتاه الله آياته فتركها ،

---

(١) سقطت « منقطع » من المخطوطة ، وهي في سائر المراجع كما في المطبوعة .

(٢) الأثر ١٥٤٣٧ — « ابن عبد الأعلى » ، هو « محمد بن عبد الأعلى » .
و « ابن ثور » ، هو « محمد بن ثور » ، وكان في المطبوعة والمخطوطة « ابن توبة » ، وهو خطأ لا شك فيه . بل هذا اختصار الإسناد الذى سلف مراراً ، وآخره رقم ١٥٤١٠ ، وكأنه يعني بقوله « عن بعضهم » الكلبي ، ولذلك نكره

فجعل الله مثله كمثل الكلب : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » .

١٥٤٤٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان » ، الآية ، هذا مثلٌ ضربه الله لمن عُرِض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه = قال: وكان الحسن يقول: هو المنافق = « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث »، قال: هذا مثل الكافر، ميتُ الفؤاد.

* * *

وقال آخرون: إنما مثّله جل ثناؤه بالكلب، لأنه كان يلهث كما يلهثُ الكلب.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٤١ — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ، وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب . وأما « تحمل عليه » ، فتشدٌّ عليه .

* * *

٨٩/٩ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، تأويلُ من قال : إنما هو مثلٌ لتركه العملَ بآيات الله التى آتاها إياه ، وأنّ معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ ، فى أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد ، فى أنه لا يدَع اللهث فى كلتا حالتيه .

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب ، لدلالة قوله تعالى: « ذلك مَثَلُ القوم الذين كذبوا بآياتنا »، فجعل ذلك مثلَ المكذّبين بآياته. وقد علمنا أن اللُّهاث ليس فى خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله،[1] وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم . فكان معلوماً بذلك أنه للذى وصفَ الله صفته فى هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله ، مثلٌ .[2]

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من تكذيب » ، والذى أثبت أرجح عندى فى سياقه .
(٢) السياق : « أنه للذى وصف الله صفته . . . مثل » ، خبر « أن » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذا المثل الذى ضربتُه لهذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ القوم الذين كذبوا بحُججنا وأعلامنا وأدلّتنا، فسلكوا فى ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذى آتيناها إياه، فى تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

* * *

وأما قوله : « فاقصص القصص »، فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص ، يا محمد ، هذا القصص الذى اقتصصتُه عليك[1] = من نبأ الذى آتيناه آياتنا وأخبارَ الأمم التى أخبرتك أخبارَهم فى هذه السورة ، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم ،[2] وما حلّ بهم من عقوبتنا ، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا =[3] على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بنى إسرائيل، ليتفكروا فى ذلك ، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا ، لئلا يحلّ بهم مثل الذى حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره اليهود من بنى إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحّة نبوّتك، إذ كان نبأ « الذى آتيناه آياتنا »، من خفىّ علومهم، ومكنونِ أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتُب ودرسها منهم. وفى علمك بذلك = وأنت أمىٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم = الحجّةُ البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالُك الحال التى أنت بها، إلاّ بوحى من السماء.[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « الذى قصصته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وقصصت نبأهم » ، غير ما فى المخطوطة ، كالتعليق السالف .

(٣) السياق : « فاقصص يا محمد هذا القصص الذى اقتصصته عليك . . . على قومك من قريش » .

(٤) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ص : ٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول .

١٥٤٤٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن سالم أبي النضر : « فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون » ، يعني بني إسرائيل ، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم ممّا يخفُون عليك = « لعلهم يتفكرون » ، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبيٌّ يأتيه خبرُ السماء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ساءَ مثلاً القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها ، وأنفسَهم كانوا ينقصُون حظوظَها ويبخسونها منافعها ، بتكذيبهم بها ، لا غيرَها .

* * *

وقيل : «ساء مثلاً» ، من السوء ،[1] بمعنى : بئس مثلاً[2] = [مَثَلُ القوم][3] = وأقيم «القوم» مقام «المثل» وحذف « المثل » ، إذ كان الكلام مفهوماً معناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] ، فإن معناه : ولكن البرّ ، برُّ من آمن بالله = وقد بينا نظائر ذلك فى مواضع غير هذا ، بما أغنى عن إعادته .[4]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من الشر » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

(٢) الكلام . انظر تفسير « ساء » فيما سلف ٨ : ١٣٨ ، ٣٥٨ / ٩ : ١٠١ ، ٢٠٥ / ١٠ : ٤٦٥ = والنحاة يعدون « ساء » فعلا جامداً يجرى مجرى « نعم » و « بئس » .

(٣) ما بين القوسين زيادة لا يتم الكلام إلا بها ، ولكن الناسخ خلط فى هذه الجملة خلطاً شديداً ، فحذف من قوله بعد : « ولكن البر بر من آمن » ، كلمة « بر » ، ففسد الكلام .

(٤) انظر التعليق السالف رقم : ٢ ، ثم ٣ : ٣٣٨ ، ٣٣٩ / ١٠ : ٣١٣ ، وما سلف من فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها ، فى باب الحذوف .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: الهداية والإضلال بيد الله ، و « المهتدى » = وهو السالك سبيل الحق، الراكبُ قصدَ المحجّة = فى دينه، من هداه الله لذلك فوفّقه لإصابته ، والضالُّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته . ومن فعل الله ذلك به فهو « الخاسر » ، يعنى الهالك .

* * *

وقد بينا معنى : « الخسارة » و « الهداية » ، و « الضلالة » ، فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾

٩٠/٩ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنّم كثيراً من الجن والإنس .

* * *

يقال منه : « ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذَرْءًا » .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير هذه الألفاظ فى فهارس اللغة (هدى) ، (خسر) ، (ضلل) .

(٢) انظر تفسير « ذرأ » فيما سلف ١٢ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وهناك زيادة فى مصادره .

١٥٤٤٣ — حدثني على بن الحسين الأزدى قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » ، قال : مما خلقنا .[١]

١٥٤٤٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، قال : خلقنا .

١٥٤٤٥ — . . . . قال حدثنا زكريا، عن عتاب بن بشير ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير قال : أولاد الزنا ، ممّا ذرأ الله لجهنم .

١٥٤٤٦ — . . . . قال حدثنا زكريا بن عدى ، وعثمان الأحول، عن مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن معاوية بن إسحق ، عن جليس له بالطائف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ ، كان ولدُ الزنا ممن ذرأ لجهنم .[٢]

١٥٤٤٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٥٤٤٣ — « على بن الحسن الأزدى » ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « على بن الحسين » ، وتبعت ما مضى برقم : ١٠٢٥٨ ، لموافقته لما فى تاريخ الطبرى . وقد ذكرت هناك أنى لم أجد له ترجمة ، وبينت مواضع روايته عنه فى التاريخ . ووقع هناك خطأ ، فإن الذى فى الإسناد « على بن الحسن» ، وكتبت أنا فى الهامش والتعليق : « على بن الحسين » ، وكذلك فعلت فى الفهارس ، فليصحح ذلك . ووقع خطأ آخر فى الفهارس ، كتبت رقم : (١٠٢٨٥) ، وصوابه (١٠٢٥٨) .

(٢) الأثر : ١٥٤٤٦ — « زكريا بن عدى بن زريق التيمى » ، شيخ أبى كريب ، وهو راوى الخبر ، ثقة جليل ، مضى برقم : ١٥٦٦ .

« عثمان الأحول » ، شيخ أبى كريب ، هو « عثمان بن سعيد القرشى » ، الزيات الأحول الطبيب الصائغ . مضى برقم : ١٣٧ ، ١١٥٤٧ .

و « مروان بن معاوية الفزارى » ، الحافظ الثقة ، مضى برقم : ١٢٢٢ ، ٣٣٢٢ ، ٣٨٤٢ ، ٧٦٨٥ .

و « الحسن بن عمرو الفقيمى التيمى » ، ثقة أخرج له البخارى فى صحيحه ، مضى برقم : ٣٧٦٥

و « معاوية بن إسحق بن طلحة التيمى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٣٢٢٦ .

وهذا إسناد ضعيف ، لجهالة من روى عنه « معاوية بن إسحق » ، وهو « جليس له بالطائف » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ وابن مردويه .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، يقول : خلقنا .

١٥٤٤٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، قال : لقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .

١٥٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، خلقنا .

* * *

قال أبو جعفر : وقال جل ثناؤه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » ، لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم .

* * *

وأما قوله : « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها » ، فإن معناه : لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه ، قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله ، [1] فيعلموا توحيد ربهم ، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم . فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم : « لا يفقهون بها » ، لإعراضهم عن الحق ، وتركهم تدبُّر صحة [نبوّة] الرسل ، [2] وبُطُول الكفر .

وكذلك قوله : « ولهم أعين لا يبصرون بها ، معناه : ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته ، فيتأملوها ، ويتفكروا فيها ، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم ، وفسادِ ما هم عليه مقيمون ، من الشرك بالله ، وتكذيب رسله . فوصفهم الله بتركهم إعمالها فى الحق ، أنهم لا يبصرون بها . [3]

وكذلك قوله : « ولهم آذان لا يسمعون بها » ، آيات كتاب الله ، فيعتبروها ويتفكروا فيها ، ولكنهم يعرضون عنها ويقولون : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا

---

(١) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ١١ : ٥٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « صحة الرشد » ، ولا معنى لها ، واستظهرت الصواب من سياق تفسيره ، وزدت [نبوة] بين القوسين ، لتطلب الكلام لها .

(٣) فى المطبوعة : « بأنهم لا يبصرون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾، [سورة فصلت : ٢٦].

وذلك ونظير وصف الله إياهم فى موضع آخر بقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، [سورة البقرة : ١٧١] .والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ، ومنه قول مسكين الدارى :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِى خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِىَ جَارَتِى السِّتْرُ[1]
وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِى، وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع ، بالعمى والصمم ، ومنه قول الآخر :[2]

وَعَوْرَاء اللِّئَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا وَإِنِّى لَوْ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعُ[3]
وَبَادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا وَقَدْ تَثِقَتْ مِنَ الْغَضَبِ الضُّلُوعُ[4]

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ٤٣ ، ٤٤ ثم ٤٧٤ ، من قصيدة رواها وشرحها ، وخزانة الأدب ١ : ٤٦٨ ، وصواب رواية البيت الأول : « جارتى الخدر » ، لأن قبله :

مَا ضَرَّ جَارِى إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

ورواية الشطر الثانى : « سمعى ، وما بى غيره وقر » ، بغير إقواء .

(٢) هو عبد الله بن مرة العجلى .

(٣) حماسة البحترى : ١٧٢ ، وأنسيت أين قرأتها فى غير الحماسة . والذى فى حماسة البحترى : « وعوراء الكلام » ، وكانت فى المخطوطة : و « عوراء اللام » ، وكأن الصواب ما فى الحماسة .

و « العوراء » ، الكلمة القبيحة ، أو التى تهوى جهلا فى غير عقل ولا رشد . ومن أجود ما قيل فى ذلك ، قول حاتم الطائى ، أو الأعور الشنى :

وَعَوْرَاءَ جَاءَتْ مِنْ أَخٍ فَرَدَدْتُهَا بِسَالِمَةِ الْعَيْنَيْنِ طَالِبَةٍ عُذْرَا
وَلَوْ أَنَّنِى إِذْ قَالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا وَلَمْ أَعْفُ عَنْهَا، أَوْرَثَتْ بَيْنَنَا غِمْرَا
فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَانْتَظَرْتُ بِهِ غَدًا لَعَلَّ غَدًا يُبْدِى لِمُنْتَظِرٍ أَمْرَا
وَقُلْتُ لَهُ : عُدْ بِالْأُخُوَّةِ بَيْنَنَا ! ولم أَتَّخِذْ مَا كَانَ مِنْ جَهْلِهِ قَمْرَا
لِأَنْزِعَ ضَبًّا كَامِنًا فِى فُؤَادِهِ وَأَقْلِمَ أَظْفَارًا أَطَالَ بِهَا الْحَفْرَا

(٤) فى المطبوعة : « ولو بنيت من العصب » ، وهو كلام فاسد ، غير ما فى المخطوطة ،

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٠ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « لهم قلوب لا يفقهون بها » ، قال : لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة = « ولهم أعين لا يبصرون بها » ، الهدى= « ولهم آذان لا يسمعون بها » ، الحقّ . ثم جعلهم كالأنعام سواءً ، ثم جعلهم شرًّا من الأنعام ،[1] فقال : « بل هم أضل » ، ثم أخبر أنهم هم الغافلون .

٩١/٩

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أولئك كالأنعام » ، هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم ، هم كالأنعام ، وهى البهائم التى لا تفقه ما يقال لها ،[2] ولا تفهم ما أبصرته ، لما يصلح ولما لا يَصْلُح ،[3] ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر ، فتميز

وكان فيها « وذلك بعد من العصب » ، غير منقوطة ، فلم يفهمها ، فأتى بما لا يعقل . وفى حماسة البحترى : « إذا تيقت » ، ووضع كسرة تحت التاء ، وفتح القاف . ولا معنى له .

و « البادرة » ، الخطأ والسقطات التى تسبق من المرء إذا ما غضب واحتد ، من فعل أو قول . و « وزع النفس عن الشىء » ، كفها وحبسها . و « تئق الرجل » ، امتلأ غضباً وغيظاً . و « التأق » ، شدة الامتلاء حتى لا موضع لمزيد .

(١) فى المخطوطة : « ثم جعلهم كالأنعام ، ثم جعلهم سواء شراً من الأنعام » ، فحذف ناشر المطبوعة كلمة « سواء » ، ولكنى أثبتها فى حاق مكانها .

(٢) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ١٢ : ١٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « مما يصلح ، ومما لا يصلح » ، أثبت ما فى المخطوطة وهو جيد .

بينهما . فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكَّرون ما يرون بأبصارهم من حُججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه . ثم قال : « بل هم أضل » ، يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرَأهم لجهنم، أشدُّ ذهاباً عن الحق، وألزم لطريق الباطل ، من البهائم،[1] لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز ، وإنما هى مسَخَّرة، ومع ذلك تهرب من المضارِّ ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح . والذين وصفَ الله صفتهم فى هذه الآية ، مع ما أعطوا من الإفهام والعقول المميِّزة بين المصالح والمضارّ ، تترك ما فيه صلاحُ دنياها وآخرتها ، وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسدُّ ، وهى منها أضل ، كما وصفها به ربُّنا جل ثناؤه .

وقوله : « أولئك هم الغافلون » يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم ، القومُ الذين غفلوا = يعنى : سهوا[2] = عن آياتى وحججى ، وتركوا تدبرُّها والاعتبارَ بها والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها ، لا البهائم التى قد عرّفها ربُّها ما سخَّرها له .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولله الأسماء الحسنى » ، وهى كما قال ابن عباس : —

١٥٤٥١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال : حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ومن أسمائه : « العزيز الجبار » ، وكل أسمائه حسن .

---

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٢) انظر تفسير « غفل » فيما سلف ص : ١١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٥٤٥٢ - حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مئة إلا واحداً ، من أحصاها كلها دخل الجنة .(١)

* * *

وأما قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، فإنه يعنى به المشركين .(٢)

* * *

وكان إلحادهم فى أسماء الله ، أنهم عدلوا بها عما هى عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ، ونقصوا منها ، فسموا بعضها « اللات » ، اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذى هو « الله » ، وسموا بعضها « العزى » ، اشتقاقاً لها من اسم الله الذى هو « العزيز » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٣ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، قال : إلحاد الملحدين : أن دعوا « اللات » ، فى أسماء الله .

---

(١) الأثر : ١٥٤٥٢ - « هشام بن حسان القردوسى » ، ثقة . روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٨٢٧ ، ٧٢٨٧ ، ٩٨٣٧ ، ١٠٢٥٨ .

وهذا إسناد صحيح .

رواه البخارى من طريق أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة (الفتح ٥ : ٢٦٢/١١ : ١٨٠ - ١٩٤) ، شرحه ابن حجر مستقصى غاية الاستقصاء .

ورواه مسلم فى صحيحه ، من مثل طريق البخارى ، ثم من طريق معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة (مسلم ١٧ : ٤ ، ٥) .

ورواه أحمد فى مسنده من طرق ، رقم : ٧٤٩٣ ، ٧٦١٢ ، ٨١٣١ ، ٩٥٠٩ ، ١٠٤٨٦ ، ١٠٥٣٩ ، ١٠٦٩٦ . وانظر تخريجه هناك .

وفى بعض طرقه زيادة : « وإن الله وتر يحب الوتر » أو « إنه وتر يحب الوتر » .

(٢) انظر تفسير « ذر » فيما سلف من فهارس اللغة (وذر) .

١٥٤٥٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، قال : اشتقوا « العزى » من « العزيز » ، واشتقوا « اللات » من « الله » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « يلحدون » .

فقال بعضهم : يكذّبون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن ابن عباس قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، قال : « الإلحاد » ، التكذيب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يشركون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٦ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يلحدون » ، قال : يشركون .[1]

* * *

وأصل « الإلحاد » فى كلام العرب ، العدول عن القصد ، والجورُ عنه ، والإعراض . ثم يستعمل فى كل معوَجّ غير مستقيم . ولذلك قيل للحْد القبر : « لحد »، لأنه فى ناحية منه ، وليس فى وسطه . يقال منه : « ألحد فلان ُ يُلْحِد إلحاداً » ، « ولَحد يلَحَد لَحْداً ولُحُوداً »[2] .

وقد ذكر عن الكسائى أنه كان يفرّق بين « الإلحاد » و « اللحْد » ، فيقول

---

(١) الأثر : ١٠٤٥٦ — « ابن ثور » هو « محمد بن ثور الصنعانى » ، مضى فى الإسناد مراراً ، آخره رقم : ١٥٤٣٧ ، حيث صححت خطأ آخر هناك . ثم ما سيأتى : ١٥٤٥٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « حدثنا أبو ثور » ، وهو خطأ محض .

(٢) المصدر الثانى « اللحود » ، قلما تجده فى معاجم اللغة ، فقيده .

فى « الإلحاد » ، إنه العدول عن القصد، وفى« اللحد »، إنه الركون إلى الشيء . وكان يقرأ جميع ما فى القرآن: ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ بضم الباء وكسر الحاء ، إلا التى فى « النحل »، فإنه كان يقرؤها : ﴿ يَلْحَدُون ﴾ بفتح الياء والحاء ،[1] ويزعم أنه بمعنى الركون . ٩٢/٩

وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب ، فيرون أن معناهما واحدٌ ، وأنهما لغتان جاءتا فى حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين: ﴿ يُلْحِدُون ﴾ ، بضم الياء وكسر الحاء ، من « ألحد يُلْحِد » ، فى جميع القرآن .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة: ﴿ يَلْحَدُونَ ﴾ بفتح الياء والحاء ، من « لحَدَ يَلْحَدُ » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما لغتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى ذلك ، غير أنِّى أختار القراءة بضمِّ الياء، على لغة من: قال: « ألحد » ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه »، أنه منسوخٌ .

١٥٤٥٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « وذَرُوا الذين يلحدون فى أسمائه »، قال : هؤلاء أهل الكفر ، وقد نُسِخ ، نَسَخه القتال .

* * *

(١) آية سورة النحل: ١٠٣ على قراءة الكسائى: ﴿ لِسَانُ الَّذِى يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾. وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة ، كما قال ابن جرير بعد فى تفسيره ١٤ : ١٢٠ (بولاق) ، ولم يفرد الكسائى بالذكر هناك ، لأنه خالفهم فى قراءة الحرف فى غير هذا الموضع .

= ولا معنى لما قال ابن زيد فى ذلك من أنه منسوخ ، لأن قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له فى قتالهم . وإنما هو تهديد من الله للملحدين فى أسمائه ، ووعيد منه لهم ، كما قال فى موضع آخر : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ﴾ الآية ، [سورة الحجر : ٣] ، وكقوله : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٦٦] . وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد ، ومعناه : أن مَهِّل الذين يلحدون ، يا محمد ، فى أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ، [١] فسوف يجزون ، إذا جاءهم أجل الله الذى أجَّلهم إليه ، [٢] جزاءَ أعمالهم التى كانوا يعملونها قبل ذلك ، من الكفر بالله ، والإلحاد فى أسمائه ، وتكذيب رسوله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الخلق الذين خلقنا « أمة » ، يعنى جماعة [٣] = « يهدون » ، يقول : يهتدون بالحق [٤] = « وبه يعدلون » ، يقول : وبالحق يقضُون ويُنصفون الناس ، [٥] كما قال ابن جريج :—

١٥٤٥٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

(١) فى المطبوعة : « أن تمهل » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « الذى أجله إليهم » ، غير الضمائر ، فأفسد الكلام إفساداً .
(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٢٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٥) انظر تفسير « عدل » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

ابن جريج قوله : « أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال ابن جريج : ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال : هذه أمتى ! قال : بالحق يأخُذون ويعطون ويَقْضُون .

١٥٤٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » . . . .[1]

١٥٤٦٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها : هذه لكم ، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلَها : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٩] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ، ولم يتذكروا بها ، سنمهله بغِرَّته ، ونزين له سوء عمله ،[2] حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآياتِ الله إلى نفسه محسن ، وحتى يبلغ الغايةَ التى كُتِبتْ له من

(١) وضعت هذه النقط ، لأن الخبر لم يتم ، فإما أن يكون سقط من الناسخ ، وإما أن يكون إسناداً آخر للخبر الذى يليه .

(٢) فاجأنا أبو جعفر بطرح ضمير الجمع منصرفاً إلى ضمير المفرد ، وهو غريب جداً . ولكن هكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة . وتركته على حاله ، لأنى أظن أن أبا جعفر كان أحياناً يستغرقه ما يريد أن يكتب ، فربما مال به الفكر من شق الكلام إلى شق غيره . وقد مضى مثل ذلك فى بعض المواضع ، حيث أشرت إليها . وهذا مفيد فى معرفة تأليف المؤلفين ، وما الذى يعتريهم وهم يكتبون . ولذلك لم أغيره ، احتفاظاً بخصائص ما كتب أبو جعفر . وأنا أستبعد أن يكون ذلك من الناسخ ، لأن الجملة أطول من يسهو الناسخ فى نقلها كل هذا السهو ، ويدخل فى جميع ضمائرها كل هذا التغيير . ثم انظر ما سيأتى ص : ٣٢٨ ، تعليق : ٢

المَهَل ، ثم يأخذه بأعماله السيئة ، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدَّ له . وذلك استدراج الله إياه .

* * *

وأصل « الاستدراج » ، اغترارُ المستدرَج بلطف من [استدرجه] ، [1] حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ ، حتى يورِّطه مكروهاً .

* * *

وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . [2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأُؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا .

* * *

[وأصل « الإملاء » من قولهم : « مضى عليه مَلِيٌّ ، ومِلاوَة ومُلاوَة] ، ومَلاوة » = بالكسر والضم والفتح = « من الدهر » ، [3] وهي الحين ، ومنه قيل : انتظرتُك مليــًّا . [4]

* * *

(١) ما بين القوسين ، ساقط من المخطوطة والمطبوعة ، والسياق يقتضيها كما ترى .

(٢) غاب عني موضعه فلم أجده .

(٣) لا شك أنه قد سقط من كلام أبي جعفر شيء ، أتممته استظهاراً ، من مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٣٤ ، وضعته بين قوسين . وسيتبين لك بعد أن الكلام في هذه الفقرات مقطع غير متصل ، فلا أدري أهو من الناسخ أم من بني أبي جعفر ، ولذلك فصلت بعضه عن بعض . فتنبه إلى هذا الفصل بين المتتابعين ، بكلام مفسر ، كما ترى . وكان في المطبوعة : « ملاءة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « الإملاء » فيما سلف ٧ : ٤٢١ ، ٤٢٢ .

= [١] ليبلغوا بمعصيتهم ربهم ، المقدارَ الذى قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ، ثم يقبضهم إليه .

* * *

= « إن كيدى » .

* * *

= « والكيد » ، هو المكر .[٢]

* * *

٩٣/٩ وقوله : « متين » ، يعنى : قوىٌّ شديدٌ ، ومنه قول الشاعر :[٣]

[عدلن عدول الناس وأقبح] يَبْتَلِى أَفَانِينَ مِنْ أُلْهُوبِ شَدٍّ مُمَاتِنِ[٤]

يعنى : سيراً شديداً باقياً لا ينقطع .[٥]

* * *

(١) سياق الكلام : « وأوخر هؤلاء . . . ليبلغوا . . . »

(٢) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ٧ : ١٥٦/٨ : ٥٤٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) جاء البيت من المطبوعة :

عدلن عدول الناس وأقبح يبتلى أقاس من الهراب شد مماتن

وفى المخطوطة :

عدلن عدول الناس دامحّ سلى اماس من الهرب سد مماس

غير منقوط إلا ما نقطته .

وصدر البيت لم أعرف له وجهاً ، وأما قراءة عجز البيت ، فصوابه قراءته ما أثبته بلا ريب ، وإنما يصف نوقاً أو خيلا . و « الأفانين » جمع « أفنون » ، وهو الجرى المختلط من جرى الفرس والناقة . يقال : « جرى الفرس أفانين من الجرى » ، و « افتّن الفرس فى جريه » ، و « الألهوب » : أن يجتهد الفرس فى عدوه ويضطرم ، حتى يثير الغبار . يقال : « شد ألهوب » . ويقال : « ألهب الفرس » ، اضطرم جريه . و « الشد » ، العدو . يقال : « شد الفرس وغيره فى العدو ، شداً ، واشتد » ، أى : أسرع وعدا عدواً شديداً .

وتركت صدر البيت بحاله ، حتى أجد له مرجعاً يصححه .

(٥) فى المخطوطة : « يعنى سبباً شديداً » ، وما فى المطبوعة قريب من الصواب .

القول فى تأويل ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولَنا الذي أرسلناه إليهم لا جِنَّة به ولا خَبَل ، وأن الذى دعاهم إليه هو [الرأى] الصحيح ، والدين القويم ، والحق المبين ؟[١]

* * *

وإنما نزلت هذه الآية فيما قيل ، [٢] كما : —

١٥٤٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصَّفا ، [٣] فدعا قريشاً فجعل يفخِّذُهم فخذاً فخذاً : « يا بنى فلان ، يا بنى فلان ! » ، [٤] فحذَّرهم بأس الله ووَقائع الله، فقال قائلهم : « إن صاحبكم هذا لمجنون ! باتَ يصوِّت إلى الصباح = أو : حتى أصبح » ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « أوَ لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلاّ نذير مبين » .

* * *

(١) فى المطبوعة : « هو الدين الصحيح القويم » ، غير ما فى المخطوطة ، وزدت ما بين القوسين استظهاراً من السياق .

(٢) فى المطبوعة : « ولذا نزلت هذه الآية » ، وفى المخطوطة : « وإذا أنزلت » ، ورأيت أن الصواب ما أثبت ، على شك منى أن يكون فى الكلام خرم .

(٣) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة وابن كثير : « كان على الصفا » ، وأرجح أن صوابها : « قام على الصفا » ، كما جاء فى سائر الأخبار فى تفسير آية سوره الشعراء : ٢١٤ (تفسير الطبرى ١٩ : ٧٣ — ٧٦ ، بولاق) .

(٤) « فخذ الرجل بنى فلان تفخيذاً » ، دعاهم فخذاً فخذاً . و « الفخذ » فرقة من فرق

ويعني بقوله : « إن هو إلاّ نذير مبين » ، ما هو إلا نذيرٌ ينذركم عقاب الله على كفركم به ، [١] إن لم تنيبوا إلى الإيمان به .[٢]

ويعني بقوله : « مبين » ، قد أبان لكم ، أيها الناس ، إنذارُه ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به .[٣]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله ، في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض ، [٤] وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما ، فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك لمنْ لانظير له ولا شبيه ، [٥] ومِنْ فِعْلِ من لاينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلاّ له ، فيؤمنوا به ، ويصدّقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذرُوا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، [٦] فيهلكوا على كفرهم ، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه .

* * *

وقوله : « فبأي حديث بعده يؤمنون » ، يقول : فبأيّ تخويفٍ وتحذير ترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله في آى كتابه ،

الجماعات والعشائر . يقال : « الشعب » ، ثم « القبيلة » ، ثم « الفصيلة » ، ثم « العمارة » ، ثم « البطن » ، ثم « الفخذ » .

(١) في المطبوعة : « منذركم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ١١ : ٣٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٤) انظر تفسير « الملكوت » فيما سلف ١١ : ٤٧٠ .

(٥) في المطبوعة : « ممن لا نظير له » ، غير ما في المخطوطة ، بلا علة .

(٦) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص : ٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يصدِّقون ، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ؟ (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، التاركى النظر فى حجج الله والفكر فيها ، لإضلال الله إياهم ، ولو هداهم الله لاعتبرُوا وتدبَّروا فأبصروا رُشْدهم ، ولكن الله أضلَّهم ، فلا يبصرون رشداً ولا يهتدون سبيلاً ، ومن أضلَّه عن الرشاد فلا هادى له إليه ، ولكن الله يدعهم فى تَمَادِيهم فى كفرهم ، وتمرُّدهم فى شركهم ، يترددون ، ليستوجبوا الغايةَ التى كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نَكاله .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « يسألونك عن الساعة » .

فقال بعضهم : عنى بذلك قومُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،

(١) انظر تفسير « الحديث » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

(٢) انظر تفسير « الضلال » و « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) ، (هدى)
= تفسير « يذر » فيما سلف ص : ٣٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الطغيان » فيما سلف ١٢ : ٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « العمه » فيما سلف ١ : ٣٠٩ – ٣١١/١٢ : ٤٦ .

وكانوا سألوا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إنّ بيننا وبينك قرابة ، فأسِرَّ إلينا متى الساعة! فقال الله ! ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ .[1]

* * *

وقال آخرون : بل عُنِى به قوم من اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال جَبَل بن أبى قشير، وشمول ابن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : يا محمد، أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول، فإنا نعلم متى هى؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى»، إلى قوله: « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .[3]

٩٤/٩

١٥٤٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن طارق بن شهاب قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكُر من شأن الساعة حتى نزلت : « يسألونك عن الساعة أيّان مرساها » .[4]

* * *

(١) الأثر : ١٥٤٦٢ — سيأتى برقم : ١٥٤٨١ .

(٢) فى المطبوعة : « حمل بن أبى قشير » ، وهى فى المخطوطة كما أثبتها غير منقوطة . والصواب أيضاً فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٢ ، ٢١٨ ، وكتب هناك : « شمويل » ، وهما سواء ، وفى المطبوعة هنا « سمول » غير منقوطة كما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٤٦٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٢٢١٦ .

(٤) الأثر : ١٥٤٦٤ — « إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى » ثقة ثبت ، مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٥٧٧٧ ، ١٢٢٨٠ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قوماً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية = وجائز أن يكون كانوا من قريش = وجائز أن يكونوا كانوا[1] من اليهود ، ولا خبر بذلك عندنا يجوزُ قَطْعَ القول على أىّ ذلك كان .

* * *

قال أبوجعفر : فتأويل الآية إذاً : يسألك القومُ الذين يسألونك عن الساعة : « أيان مرساها » ؟ يقول : متى قيامها ؟

* * *

ومعنى « أيان » : متى ، فى كلام العرب ، ومنه قول الراجز :[2]

أَيَّانَ تَقْضِى حَاجَتِى أَيَّانَا   أَمَا تَرَى لِنُجْحِهَا إِبَّانَا[3]

* * *

ومعنى قوله : « مرساها » ، قيامها ، من قول القائل : « أرساها الله فهى مُرْسَاة » ، و « أرساها القوم » ، إذا حبسوها ، و « رسَت هى ، ترسُو رُسُوًّا » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

و « طارق بن شهاب الأحمسى » ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه مرسلا ، مضى مراراً ، رقم : ٩٧٤٤ ، ١١٦٨٢ ، ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « مخارق بن شهاب » ، وهو خطأ صرف ، صوابه من ابن كثير .

وهذا الخبر ساقه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦٠٩ ، وقال : « ورواه النسائى من حديث عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، به . وهذا إسناد جيد قوى » .

(١) فى المطبوعة : « أن يكون كانوا » مرة أخرى ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٤ ، اللسان (أبن) . و « إبان الشىء » ، زمنه ووقته الذى يصلح فيه ، أو يكون فيه .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها »، يقول : متى قيامها ؟

١٥٤٦٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها » ، متى قيامها ؟

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : مُنتهاها = وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : « قيامها » ، لأن انتهاءها ، بلوغها وقتها .

وقد بينا أن أصل ذلك : الحبس والوقوف .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٧ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها »، يعنى : منتهاها .

* * *

وأما قوله : « قل إنما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلا هو » ، فإنه أمرٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذى يعلم الغيب ، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيرُه جل ذكره ، كما :ـــ

١٥٤٦٨ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » ، يقول : علمها عند الله ، هو يجليها لوقتها ، لا يعلم ذلك إلا الله .

١٥٤٦٩ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لا يجليها » ، يأتى بها .

١٥٤٧٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « لا يجليها » ، قال : لا يأتى بها إلا هو .

١٥٤٧١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يجليها لوقتها إلا هو » ، يقول : لا يرسلها لوقتها إلاّ هو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ، لخفائها عنهم ، واستئثار الله بعلمها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ثقلت فى السموات والأرض » ، يقول : خفيت فى السموات والأرض ، فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرَّب ، ولا نبيٌّ مرسل .

١٥٤٧٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور= وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعاً ، عن معمر ، عن بعض أهل التأويل: « ثقلت فى السموات والأرض » ، قال: ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض، إنهم لا يعلمون . ٩٥/٩

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كَبُرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٤ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور = وحدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعاً ، عن معمر قال ، قال الحسن في قوله : « ثقلت في السموات والأرض » ، يعني : إذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الأرض . يقول : كبرت عليهم .

١٥٤٧٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ثقلت في السموات والأرض » ، قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكوِّرت الشمس ، وسُيِّرت الجبال ، وكان ما قال الله . فذلك ثقلها .

١٥٤٧٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال بعض الناس في « ثقلت » : عظمت .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « في السموات والأرض » ، على السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثقلت في السموات والأرض » ، أي: على السموات والأرض .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها ، أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحداً . وذلك أن الله أخبرَ بذلك بعد قوله : « قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو » ، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة ، فالذي هو أولى : أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن

الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك .

* * *

وأما قوله : « لا تأتيكم إلاّ بغتة » ، فإنه يقول : لا تجيء الساعة إلا فجأة ، لا تشعرون بمجيئها ،[1] كما : —

١٥٤٧٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تأتيكم إلا بغتة » ، يقول : يبغتهم قيامها ، تأتيهم على غفلة .

١٥٤٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لا تأتيكم إلا بغتة » ، قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة . قال : وذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن الساعة تهيج بالناس والرجل يُصْلِح حوضه ، والرجلُ يسقى ماشيته ، والرجل يقيم سلعته فى السوق ، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يسألك هؤلاء القوم عن الساعة ، كأنك حَفِىٌّ عنها .

* * *

[واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « حفى عنها »].[2]

فقال بعضهم : يسألونك عنها كأنك حفى بهم . وقالوا : معنى قوله : « عنها » ، التقديم ، وإن كان مؤخراً .

---

(١) انظر تفسير « البغتة » فيما سلف ١١ : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ١٢/٣٦٨ : ٥٧٦ .

(٢) الزيادة بين القوسين ، يقتضيها نهج أبى جعفر فى تفسيره .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٤٨٠ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يسألونك كأنك حفيٌّ عنها » ، يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناسُ محمداً صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم ، فأوحى الله إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يطلع عليها ملكاً ولا رسولاً .

١٥٤٨١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال قتادة : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسِرَّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله : « يسألونك كأنك حفي عنها » .[1]

١٥٤٨٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « يسألونك كأنك حفي عنها » ، أي : حفي بهم . قال : قالت قريش : يا محمد ، أسرَّ إلينا علم الساعة ، لما بيننا وبينك من القرابة = لقرابتنا منك .

١٥٤٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، وهانئْ بن سعيد ، عن حجاج ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، قال : حفي بهم حين يسألونك .

١٥٤٨٤ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، قال : قريب منهم ، وتحفَّى عليهم = قال : وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم . قال : قريب منهم، وتحفَّى عليهم = قال وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم، فتحدثهم.[2]

٩٦/٩

١٥٤٨٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٥٤٨١ — مضى برقم : ١٥٤٦٢ .

(٢) الأثر : ١٥٤٨٤ — « أبو مالك » ، في هذا الخبر ، لم أعرف من يكون ؟

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، كأنك صديق لهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنك قد استحفيت المسألة عنها فعلمتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٨٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كأنك حفى عنها » ، استحفيت عنها السؤال حتى علمتها .

١٥٤٨٧ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « كأنك حفى عنها » ، قال : استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها .

١٥٤٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، قال : كأنك عالم بها .

١٥٤٨٩ — . . . . قال حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك : « يسألونك كأنك حفيٌّ عنها » ، قال : كأنك تعلمها .[1]

١٥٤٩٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثني عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، يقول : يسألونك عن الساعة ، كأن عندك علماً منها = قل : إنما علمها عند ربى .

١٥٤٩١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم : « كأنك حفى عنها » ، كأنك عالم بها .

١٥٤٩٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كأنك حفى عنها » ، قال : كأنك بها عالم . وقال : أخفى علمها على

---

(١) الأثر : ١٥٤٨٩ — « جابر بن نوح » ، مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٩٨٦٣ ، وفى المطبوعة « حامد بن نوح » ، وفى المخطوطة ، سيء الكتابة ، وهذا صوابه .

خلقه . وقرأ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ، [سورة لقمان: ٣٤] ، حتى ختم السورة .

١٥٤٩٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، يقول : كأنك يعجبك سؤالهم إياك = « قل إنما علمها عند الله » .

* * *

وقوله : « كأنك حفي عنها » ، يقول : لطيف بها .[1]

* * *

فوجّه هؤلاء تأويل قوله : « كأنك حفي عنها » ، إلى حفيّ بها . وقالوا : تقول العرب : « تحفّيت له في المسألة » و« تحفيت عنه » . قالوا : ولذلك قيل : « أتينا فلاناً نسأل به » ، بمعنى : نسأل عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها .

فإن قال قائل : وكيف قيل: « حفي عنها » ، ولم يُقَل : « حفي بها » ، إن كان ذلك تأويل الكلام ؟

قيل : إن ذلك قيل كذلك ، لأن « الحفاوة » ، إنما تكون في المسألة ، وهي البشاشة للمسئول عند المسألة ، والإكثار من السؤال عنه ، و« السؤال » ، يوصل بـ« عن » مرة ، و بـ« الباء » مرة . فيقال : « سألت عنه » ، و « سألت به » . فلما وضع قوله : « حفي » ، موضع « السؤال » ، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما « السؤال » وهو « عن » ، كما قال الشاعر :[2]

---

(١) هذه الجملة التي أفردتها ، لا أشك أنها ليست من كلام ابن عباس في الأثر السالف ، ولذلك فصلت بينهما . بقي بعد أني أخشى أن يكون سقط من الناسخ شيء قبل هذه الجملة ، فإن الذي ذكره أبو جعفر قولان فقط ، لا ثلاثة أقوال ، وهذه الجملة الأخيرة . متعلقة بالقول الأول ، وكأنها تفسير له .

(٢) هو المعطل الهذلي .

سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنْ أَخِيهِ، كَأَنَّهُ بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ(١)

* * *

وأما قوله: «قل إنما علمها عند الله»، فإن معناه: قل، يا محمد، لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها: لا علم لى بذلك، ولا علم به إلا [عند] الله الذى يعلم غيب السموات والأرض(٢) = «ولكن أكثر الناس لا يعلمون»، يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، لسائليك عن الساعة: «أيان مرساها؟» = «لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً»، ٩٧/٩

(١) ديوان الهذليين ٣ : ٤٥ من قصيدة له طويلة. وبهذه الرواية التى رواها أبو جعفر «سؤال حفى»، يختل سياق الشعر. وروايته فى ديوانه:

فَإِنْ تَرَنِى قَصْداً قَرِيباً، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَلَى الْمَرْءِ الحِجَازِىِّ آيِنُ
بَعِيدٌ عَلَى ذِى حَاجَةٍ، وَلَوَ انَّنِى إِذَا نَفَجَتْ يَوْماً بِهَا الدَّارُ آمِنُ
يَقُولُ الَّذِى أَمْسَى إِلَى الحِرْزِ أَهْلُهُ: بِأَىِّ الحَشَا أَمْسَى الخَلِيطُ المُبَايِنُ
سُؤَالَ الغَنِىِّ عَنْ أَخِيهِ، كَأَنَّهُ بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ

و «الذى أمسى إلى الحرز أهله»، هو الذى صار فى مكان حصين آمناً مطمئناً، فهو يسأل عنه ويقول: «بأى الحشا»، بأى النواحى أمسى فلان؟ وهو صاحبه المفارق. ثم يقول: إنه يسأل سؤال غير حفى — لا سؤال حفى — «سؤال غنى عن أخيه»، وإنما يذكره كالنائم أو المتناوم، لقلة حفاوة به. فهذا نقيض رواية أبى جعفر.

وكان فى المطبوعة: «يذكره وسنان»، والصواب من المخطوطة والديوان.

(٢) فى المطبوعة: «ولا يعلم به إلا الله» وليس بجيد، وأثبت ما فى المخطوطة، وزدت ما يقتضيه السياق بين قوسين.

يقول : لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسى ، ولا دفع ضر يحل بها عنها ، إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك ، بأن يقوّينى عليه ويعيننى[1] = « ولو كنت أعلم الغيب » ، يقول : لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد[2] = « لاستكثرت من الخير » ، يقول : لأعددت الكثير من الخير .[3]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الخير » الذى عناه الله بقوله : « لاستكثرت من الخير » .[4]

فقال بعضهم : معنى ذلك : لاستكثرت من العمل الصالح .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضرًّا » ، قال : الهدى والضلالة = « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » ، قال : « أعلم الغيب » ، متى أموت = لاستكثرت من العمل الصالح .

١٥٤٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٤٩٦ — حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » ، قال : لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتّقيته .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولو كنت أعلم الغيب » ، لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ، ولعرفت الغلاء من الرُّخْص ، واستعددت له فى الرُّخْص .

* * *

(١) انظر تفسير « ملك » فيما سلف ١٠ : ١٤٧ ، ١٨٧ ، ٣١٧ .
(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١١ : ٤٦٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « استكثر » فيما سلف ١٢ : ١١٥ .
(٤) انظر تفسير « الخير » فيما سلف ٢ : ٥٠٥/٧ : ٩١ .

وقوله : « وما مسنى السوء » ، يقول: وما مسنى الضر[١] = « إن أنا إلا نذير وبشير » ، يقول : ما أنا إلا رسولٌ لله أرسلنى إليكم ، أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره ، وأبشِّرَ بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم .[٢]

* * *

وقوله : « لقوم يؤمنون » ، يقول : يصدقون بأنى لله رسول ، ويقرون بحقيقة ما جئتهم به من عنده .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى بـ « النفس الواحدة » ، آدم ،[٤] كما :—

١٥٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « خلقكم من نفس واحدة » ، قال : آدم عليه السلام .[٥]

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٢ : ٥٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « نذير » فيما سلف ص : ٢٩٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « بشير » فيما سلف ١١ : ٣٦٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « بحقية ما جئتهم به » ، والصواب من المخطوطة ، وقد غيرها فى مئات من المواضع ، انظر ما سلف ص : ١١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . و « الحقيقة » ، مصدر ، بمعنى الصدق والحق ، كما أسلفت .

(٤) انظر تفسير « نفس واحدة » فيما سلف ٧ : ٥١٣ ، ٥١٤ .

(٥) الأثر : ١٥٤٩٧ — مضى برقم : ٨٤٠٢ .

١٥٤٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : هو الذى خلقكم من نفس واحدة من آدم .[١]

* * *

ويعنى بقوله : « وجعل منها زوجها » ، وجعل من النفس الواحدة ، وهو آدم = « زوجها » ، حواء ،[٢] كما :—

١٥٤٩٩ — حدثنى بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وجعل منها زوجها » ، حواء ، فجعلت من ضلع من أضلاعه ، ليسكن إليها .[٣]

* * *

ويعنى بقوله : « ليسكن إليها » ، ليأوى إليها ، لقضاء حاجته ولذته .[٤]

* * *

ويعنى بقوله : « فلما تغشاها » ، فلما تدثّرها لقضاء حاجته منها ، فقضى حاجته منها = « حملت حملاً خفيفاً » ، وفى الكلام محذوف ، ترك ذكرُه استغناءً بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله : « فلما تغشاها حملت » ، وإنما الكلام : فلما تغشاها = فقضى حاجته منها = حملت .

* * *

وقوله : « حملت حملاً خفيفاً » ، يعنى بـ « خفة الحمل» ، الماء الذى حملته حواء فى رَحِمِها من آدم ، أنه كان حملاً خفيفاً ، وكذلك هو حملُ المرأة ماءَ الرجل ، خفيفٌ عليها .

* * *

وأما قوله : « فمرت به » ، فإنه يعنى : استمرّت بالماء ، قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل ، كما :—

١٥٥٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى عمير ، عن أيوب قال : سألت الحسن عن قوله : « حملت حملاً خفيفاً فمرت به » ، قال :

---

(١) الأثر : ١٥٤٩٨ — مضى برقم : ٨٤٠١ .

(٢) انظر تفسير « جعل » فيما سلف من فهارس اللغة (جعل) .

(٣) الأثر : ١٥٤٩٩ — مضى برقم : ٨٤٠٥ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقضاء الحاجة ولذته » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

لو كنت امرءاً عربيًّا لعرفت ما هي ؟ إنما هي : فاستمرّت به .[١]

١٥٥٠١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به » ، استبان حملها .

١٥٥٠٢ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فمرت به »، قال : استمرّ حملها

١٥٥٠٣ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « حملت حملاً خفيفاً » ، قال: هي النطفة = وقوله : « فمرّت به » ، يقول : استمرّت به .

٩٨/٩

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فشكّت فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « فمرت به » ، قال : فشكت ، أحملت أم لا ؟

* * *

ويعني بقوله : « فلما أثقلت » ، فلما صار ما في بطنها من الحمل الذى كان خفيفاً ، ثقيلاً ، ودنت ولادتها .

* * *

يقال منه : « أثقلت فلانة » ، إذا صارت ذات ثقل بحملها ، كما يقال : « أتمر فلان » ، إذا صار ذا تمر ، كما : —

١٥٥٠٥ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلما أثقلت » ، كبر الولد في بطنها .

* * *

(١) الأثر : ١٥٥٠٠ — « أبو عمير » ، هو « الحارث بن عمير البصري » ، ثقة متكلم فيه . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٧٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٨٣ .
و « أيوب » ، هو السختياني ، : « أيوب بن أبي تميمة ، كيسان » ، مولى عنزة ، روى له

قال أبو جعفر : « دعوا الله ربهما » ، يقول : نادى آدم وحواء ربهما وقالا : يا ربنا ، « لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الصلاح » ، الذى أقسم آدم وحواء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحاً فى حمل حواء : لنكونن من الشاكرين .

فقال بعضهم : ذلك هو أن يكون الحمل غلاماً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٦ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال الحسن فى قوله : « لئن آتيتنا صالحاً » ، قال : غلاماً .

* * *

وقال آخرون : بل هو أن يكون المولود بشراً سويًّا مثلهما، ولا يكون بهيمة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن زيد بن جبير الجُشَمى ، عن أبى البخترى فى قوله : « لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » ، قال : أشفقا أن يكون شيئاً دون الإنسان .[1]

١٥٥٠٨ — . . . . قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زيد ابن جبير ، عن أبى البخترى قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً .

١٥٥٠٩ — . . . . قال ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسمعيل، عن أبى صالح قال : لما حملت امرأة آدم فأثقلت ، كانا يشفقان أن يكون بهيمة ، فدعوا ربهما : « لئن آتيتنا صالحاً » ، الآية .

١٥٥١٠ — . . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أشفقا أن يكون بهيمة .

الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٠٩ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٥٥ .

(١) الأثر : ١٥٥٠٧ — « زيد بن جبير الجشمى الطائى » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٥٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٥٨ .
وكان فى المطبوعة : « الحسمى » ، غير منقوطة كما فى المخطوطة ، والصواب ما أثبت .

١٥٥١١ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال سعيد بن جبير : لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة في نفسه ، فأصابها . فليس إلا أن أصابها حملت ، فليس إلا أن حملت تحرك في بطنها ولدها ،(١) قالت : ما هذا ؟ فجاءها إبليس فقال [لها : إنك حملت فتلدين ! قالت : ما ألد ؟ قال] :(٢) أترين في الأرض إلا ناقةً أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو بعض ذلك !(٣) [ويخرج من أنفك ، أو من أذنك ، أو من عينك] .(٤) قالت : والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك ! قال : فأطيعيني وسميه « عبد الحارث » = [وكان اسمه في الملائكة : « الحارث »] =(٥) تلدي شبهكما مثلكما ! قال : فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال : هو صاحبنا الذي قد علمت !(٦) فمات ، ثم حملت بآخر ، فجاءها فقال : أطيعيني وسميه « عبد الحارث » = وكان اسمه في الملائكة « الحارث » = وإلا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو قتلته ، فإني أنا قتلت الأول ! قال : فذكرت ذلك لآدم ، فكأنه لم يكرهه ، فسمته « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « لئن آتيتنا صالحاً » ، يقول : شبهنا مثلنا = « فلما آتاهما صالحاً » ، قال : شبههما مثلهما .(٧)

١٥٥١٢ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فلما أثقلت » ، كبر الولد في بطنها ، جاءها إبليس فخوّفها وقال لها :

---

(١) هذا تعبير جيد ، يصور سرعة حدوث ذلك ، ولو شاء أن يقوله قائل ، لقال : « فليس إلا أن أصابها حتى حملت . . . » ، فتهوى العبارة من قوة إلى ضعف .

(٢) الزيادة بين القوسين من الدر المنثور ٣ : ١٥٢ ، وهي زيادة لا بد منها . والمخطوطة مضطربة في هذا الموضع .

(٣) في المطبوعة والدر المنثور : « هو بعض ذلك » .

(٤) الزيادة بين القوسين من الدر المنثور ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٥) هذه الزيادة أيضاً من الدر المنثور .

(٦) في المطبوعة : « هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة » ، وفي المخطوطة : « الذي قد فات » وبين « قد » و « فات » حرف « ط » ، وبالهامش « ط » ، و « كذا » . وأثبت نص العبارة من الدر المنثور .

(٧) الأثر : ١٥٥١١ — هذه أخبار باطلة كما أشرنا إليه مراراً .

ما يدريك ما فى بطنك ؟ لعله كلب ، أو خنزير ، أو حمار ! وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من قُبُلك، أو ينشق بطنك فيقتلك ؟ فذلك حين «دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً»، يقول: مثلنا = «لنكونن من الشاكرين».

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوَا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما لئن أعطاهما ما فى بطن حواء ، صالحاً ، ليكونان لله من الشاكرين .

و « الصلاح » ، قد يشمل معانى كثيرة : منها « الصلاح » فى استواء الخلق ، ومنها « الصلاح » فى الدين ، و « الصلاح » ، فى العقل والتدبير . ٩٩/٩

وإذ كان ذلك كذلك ، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى « الصلاح » دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل ، وجب أن يُعَمّ كما عمّه الله فيقال : إنهما قالا : « لئن آتيتنا صالحاً » ، بجميع معانى « الصلاح » .[1]

* * *

وأما معنى قوله : « لنكونن من الشاكرين » ، فإنه : لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما رزقهما الله ولداً صالحاً كما سألا = « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، ورزقهما .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « الشركاء » التى جعلاها فيما أوتيا من المولود .

فقال بعضهم : جعلا له شركاء فى الاسم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) انظر تفسير « الصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

١٥٥١٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كانت حوّاء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه « عبد الحارث » ، فعاش لها ولد ، فسمته « عبد الحارث » ،[1] وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان.[2]

---

(١) فى المطبوعة : « من وحى الشيطان » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الموافق لما فى المراجع .

(٢) الأثر : ١٥٥١٣ — « عبد الصمد » ، هو « عبد الصمد بن عبد الوارث » . مضى مراراً .
و « عمر بن إبراهيم العبدى » ، وثقه أحمد وغيره ، ولكنه قال : « يروى عن قتادة أحاديث مناكير ، يخالف » . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » ، وقال ابن عدى : يروى عن قتادة أشياء لا يوافق عليها ، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب » . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « يخطىء ، ويخالف » . ثم ذكره فى الضعفاء فقال : « كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه . فلا يعجبنى الاحتجاج به إذا انفرد . فأما فيما روى عن الثقات ، فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأساً » ، وقال الدار قطنى : « لين ، يترك » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٩٨ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٨ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١١ ، بغير هذا اللفظ ، ورواه بهذا اللفظ الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٤٥ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وأخرجه الترمذى فى تفسير الآية وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، عن قتادة . وقد رواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦١١ ، ٦١٢ ، وأعله من ثلاثة وجوه : الأول : أن عمر ابن إبراهيم لا يحتج به = الثانى : أنه قد روى من قول سمرة نفسه غير مرفوع = الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، وذكر بعض أخبار أبى جعفر بأسانيدها رقم : ١٥٥٢٦ — ١٥٥٢٨ ، ثم قال : « وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضى الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية . ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه وورعه . فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابى ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم ، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم » .

قلت : وسترى أن أبا جعفر قد رجح أن المعنى بذلك آدم وحواء ، قال : « لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك » . وإجماع أهل التأويل فى مثل هذا ، مما لا يقوم الأول : لأن الآية مشكلة ، ففيها نسبة الشرك إلى آدم الذى اصطفاه ربه ، بنص كتاب الله ، وقد أراد أبو جعفر أن يخرج من ذلك ، فزعم (ص : ٣١٥) أن القول عن آدم وحواء انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، ثم استأنف قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، يعنى عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . وهذا مخرج ضعيف جداً .

الثانى : أن مثل هذا المشكل فى أمر آدم وحواء ، ونسبة الشرك إليهما ، مما لا يقضى به ، إلا بحجة

١٥٥١٤ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه قال ، حدثنا أبو العلاء، عن سمرة بن جندب : أنه حدث : أن آدم عليه السلام سمى ابنه « عبد الحارث » .

١٥٥١٥ — . . . . قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخّير ، عن سمرة بن جندب قال : سمى آدمُ ابنه « عبد الحارث » .(١)

١٥٥١٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت حوّاء تلد لآدم فتعبِّدهم لله ، وتسميه « عبيد الله » و « عبد الله » ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت . فأتاها إبليسُ وآدمَ فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش ! فولدت له رجلاً فسماه « عبد الحارث » ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » ، إلى قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، إلى آخر الآية .

١٥٥١٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

يجب التسليم لها من نص كتاب، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا خبر بذلك ، إلا هذا الخبر الضعيف الذي بينا ضعفه ، وأنه من رواية عمر بن إبراهيم ، عن قتادة . وروايته عن قتادة مضطربة ، خالف فيها ما روى عن الحسن ، أنه عنى بالآية بعض أهل الملل والمشركون .

هذا ، وقد رد هذا القول ، جماعة من المفسرين ، كابن كثير في تفسيره ، والفخر الرازي (٣ : ٣٤٣ — ٣٤٥) ، وحاول الزمخشري في تفسيره أن يرده فلم يحسن ، وتعقبه أحمد بن محمد بن المنير في الإنصاف . وغير هؤلاء كثير .

ولكن بعد هذا كله ، نجد أن تفسير ألفاظ الآية ، ومطابقته للمعنى الصحيح الذي ذهب العلماء إليه في نفي الشرك عن أبينا آدم عليه السلام ، وفي أن الآية لا تعني أبانا آدم وأمنا حواء = بقي مبهماً ، لم يتناوله أحد ببيان صحيح . وكنت أحب أن يتيسر لي بيانه في هذا الموضع ، ولكني وجدت الأمر أعسر من أن أتكلم فيه في مثل هذا التعليق .

(١) الأثر : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ — « أبو العلاء بن الشخير » ، منسوب إلى جده ، وهو : « يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري» ، تابعي عابد ثقة، كان يقرأ في المصحف حتى يغشى عليه ، فكان أخوه مطرف يقول له : « أغن عنا مصحفك سائر اليوم » . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١١٣/١/٧ ، والكبير ٣٤٥/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٤/٢/٤ .

قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله فى آدم : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة» ، إلى قوله : «فمرت به» ، فشكَّت : أحبلت أم لا = «فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا» الآية ، فأتاهما الشيطان فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ؟ أبهيمة يكون أم لا؟ وزيَّن لهما الباطل ، إنه غوىٌّ مبين . وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بى ، لم يخرج سويًّا ، ومات كما مات الأولان ! فسميا ولدهما « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، الآية .

١٥٥١٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : لما ولد له أول ولد ، أتاه إبليس فقال : إنّى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا ، تسميه « عبد الحارث » . فقال آدم : أعوذ بالله من طاعتك != قال ابن عباس : وكان اسمه فى السماء « الحارث » = قال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، إنى أطعتك فى أكل الشجرة فأخرجتنى من الجنة ، فلن أطيعك ! فمات ولده ، ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر ، فقال : أطعنى وإلا مات كما مات الأول ! فعصاه . فمات ، فقال : لا أزال أقتلهم حتى تسميه « عبد الحارث » ! فلم يزل به حتى سماه « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، أشركه فى طاعته فى غير عبادة ، ولم يشرك بالله ، ولكن أطاعه .

١٥٥١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا . . . . ، عن هرون قال ، أخبرنا الزبير بن الخِرِّيت ، عن عكرمة قال : ما أشرك آدم ولا حواء ، وكان لا يعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال : إن سرَّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه « عبد الحارث » ! فهو قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » .[1]

---

(١) الأثر : ١٥٥١٩ — كان الإسناد فى المطبوعة : « حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن هرون » ، لا أدرى من أين جاء بقوله : « سلمة » !! فإن المخطوطة فيها بياض فى هذا

٩/١٠٠

١٥٥٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً » ، قال : كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات . فجاءه الشيطان فقال : إن سرَّك أن يعيش ولدك هذا فسمِّه « عبد الحارث » ! ففعل ، قال : فأشركا فى الاسم ، ولم يشركا فى العبادة .

١٥٥٢١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : «فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما» ، ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال لهما : سمياه « عبد الحارث » ! وكان من وحى الشيطان وأمره ، وكان شركاً فى طاعةٍ ، ولم يكن شركاً فى عبادةٍ .[1]

١٥٥٢٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » ، قال : كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد . فقال لهما الشيطان : إذا ولد لكما ولد فسمياه « عبد الحارث » ! ففعلا وأطاعاه ، فذلك قول الله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء » ، الآية .

الموضع هكذا : « حدثنا ابن حميد قال حدثنا عن هرون » ، فوضعت مكان البياض نقطاً . وفيها بعد « عكرمة » وقبل « قال » خط معقوف ، وفى الهامش أمام البياض ، وعند هذه العلامة حرف (ط) ثم إلى جوارها حرف (ا) عليه ثلاثة نقط . كل ذلك دال على الشك والخطأ .

و « هرون » هو النحوى الأعور ، : « هرون بن موسى الأزدى » ، صاحب القراءات ، ثقة . مضى برقم : ٤٩٨٥ ، ١١٦٩٣ .

و « الزبير بن الخريت » ثقة ، مضى أيضاً برقم : ٤٩٨٥ ، ١١٦٩٣ .

وإسناد أبى جعفر فى الموضعين ، فى رواية « الزبير بن الخريت ، عن عكرمة » هو : « حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال حدثنا هرون النحوى ، قال حدثنى الزبير بن الخريت ، عن عكرمة » ، فأخشى أن يكون سقط من التفسير هنا إسناد ابن حميد ، وخبره ، ثم صدر إسناد بعده ، هو إسناد أبى جعفر السالف : « حدثنا المثنى قال حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هرون . . . » ، إلى آخر الإسناد ، والله أعلم .

(١) فى المطبوعة : « فى طاعته . . . فى عبادته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٥٥٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن سعيد بن جبير قوله : « أثقلت دعوا الله ربهما » إلى قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، قال : لما حملت حوّاء فى أوّل ولد ولدته حين أثقلت ، أتاها إبليس قبل أن تلد فقال : يا حوّاء ، ما هذا الذى فى بطنك ؟ فقالت : ما أدرى ! فقال : من أين يخرج ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من أذنك؟ قالت : لا أدرى! قال : أرأيت إن خرج سليمًا ، أمطيعىّ أنت فيما آمرك به؟[1] قالت: نعم ! قال : سميه « عبد الحارث » = وقد كان يسمى إبليس « الحارث » = فقالت : نعم ! ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا ! فقال : إن ذلك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدوُّنا الذى أخرجنا من الجنة ! ثم أتاها إبليس فأعاد عليها ، فقالت : نعم ! فلما وضعته أخرجه الله سليمًا ، فسمته « عبد الحارث » ، فهو قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » .

١٥٥٢٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ، ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليس فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ! فقنَّطها ، ثم قال : أرأيت إن خرج سويًّا = زاد ابن فضيل : لم يضرك ولم يقتلك = أتطيعنى ؟ قالت : نعم ! قال : فسميه « عبد الحارث » ، ففعلت = زاد جرير : فإنما كان شركه فى الاسم .[2]

١٥٥٢٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : فولدت غلامًا = يعنى حواء = فأتاهما إبليس فقال : سموه عبدى وإلا قتلته ! قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة ! فأبى أن

(١) فى المطبوعة : « أتطيعينى أنت » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « شركة » بالتاء فى آخره ، والصواب ما أثبت .

يطيعه ، فسماه « عبد الرحمن » ، فسلط الله عليه إبليس فقتله . فحملت بآخر ، فلما ولدته قال لها : سميه عبدى وإلا قتلته ! قال له آدم : قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة ! فأبى ، فسماه « صالحاً » ، فقتله . فلما أن كان الثالث قال لهما : فإذ غلبتمونى فسموه « عبد الحارث » ، [١] وكان اسم إبليس ، وإنما سمى « إبليس » حين أبلس = فَعَنَوا ، [٢] فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى : «جعلا له شركاء فيما آتاهما» ، يعنى : فى التسمية .

* * *

وقال آخرون : بل المعنىّ بذلك : رجلٌ وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم ، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد . وقالوا : معنى الكلام : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها » ، أي : هذا الرجل الكافر = «حملت حملاً خفيفاً فلما أثقلت» ، دعوتما الله ربكما . قالوا : وهذا مما ابتدىء به الكلام على وجه الخطاب ، ثم رُدَّ إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، [سورة يونس : ٢٢] . وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل . [٣]

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

١٥٥٢٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن ٩/١٠١

(١) فى المطبوعة : « فإذ غلبتم فسموه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ففعلوا » ، وهو خطأ لاشك فيها ، لو كان لقال : « ففعلا » ، ورسم المخطوطة غير منقوطة هو ما أثبت ، وصواب قراءته ما قرأت .
= يقال : « عنا له يعنو » : إذا خضع له وأطاعه .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣/١٥٤ : ٣٠٤ ، ٦/٣٠٥ : ٢٣٨ ، ٨/٤٦٤ : ١١/٤٤٧ : ٢٦٤ .

معمر قال ، قال الحسن : عنى بهذا ذرية آدم ، من أشرك منهم بعده = يعنى بقوله : « فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما » .

١٥٥٢٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوّدوا ونصّروا .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء » فى الاسم ، لا فى العبادة = وأن المعنىّ بذلك آدم وحواء ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائل = إذ كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنىّ بها آدم وحواء = فى قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الأسماء شريك ، أو فى العبادة ؟ فإن قلت : «فى الأسماء»، دلّ على فساده قوله : «أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون» ؟ فإن قلت : « فى العبادة » ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟

قيل له : إن القول فى تأويل قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، ليس بالذى ظننت . وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء ، فقد انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، ثم استؤنف قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ،[2] كما :—

١٥٥٢٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فتعالى الله عما يشركون »، يقول : هذه فصْلٌ من آية آدم ، خاصة فى آلهة العرب .

* * *

---

(١) الآثار ١٥٥٢٦ — ١٥٥٢٨ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٥٥١٣ .

(٢) انظر التعليق على الأثر رقم : ١٥٥١٣ .

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « شركاء » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين : ﴿ جَعَلَا لَهُ شِرْكًا ﴾، بكسر الشين ، بمعنى الشِّرِكة .(١)

* * *

وقرأه بعض المكيين وعامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾، بضم الشين ، بمعنى جمع « شريك » .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب ، لأن القراءة لو صحت بكسر الشين ، لوجب أن يكون الكلام : فلما آتاهما صالحاً جعلا لغيره فيه شركاً = لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ، ثم يجعلا لله فيه شركاً لتسميتهما إياه بـ «عبد الله» ، وإنما كان يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه « عبد الحارث » ، فجعلا لإبليس فيه شركاً بالاسم .

فلو كانت قراءة من قرأ : ﴿ شِرْكًا ﴾ ، صحيحة ، وجب ما قلنا ، أن يكون الكلام : جعلا لغيره فيه شركاً . وفى نزول وحى الله بقوله : « جعلا له » ، ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة : ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ ، بضم الشين ، على ما بينت قبل .

* * *

فإن قال قائل : فإن آدم وحواء إنما سميا ابنهما « عبد الحارث » ، و « الحارث » واحد ، وقوله : « شركاء » جماعة ، فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما « جعلا له شركاء » ، وإنما أشركا واحداً !

قيل : قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة ، إذا لم تقصد واحداً بعينه ولم تسمه ، كقوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٣] ، وإنما كان القائل ذلك واحداً ،

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٠ .

فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة ، إذ لم يقصد قصده . وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها .(١)

* * *

وأما قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسَه ، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ، ويدّعون معه من الآلهة والأوثان ،(٢) كما :-

١٥٥٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : «فتعالى الله عما يشركون» ، قال : هو الإنكاف ، أنكف نفسه جل وعز = يقول : عظَّم نفسه = وأنكفته الملائكة ، وما سبّح له .

١٥٥٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة قال : سمعت صدقة يحدّث ، عن السدي قال : هذا من الموصول والمفصول ، قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، في شأن آدم وحواء ، ثم قال الله تبارك وتعالى : « فتعالى الله عما يشركون » ، قال : عما يشرك المشركون ، ولم يعنهما .(٣) ١٠٢/٩

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٢ ، ٢/٢٩٣ : ٤٨٥ — ٤٨٧ ، ٤/٥٠٠ : ٦/١٩١ : ٧/٣٦٤ : ٤٠٤ — ١٢/٤١٣ : ٢١٣ .

(٢) انظر تفسير « تعالى » فيما سلف ١٢ : ١٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء العاشر من مخطوطتنا ، وفي آخرها ما نصه :

« نجز الجزء العاشر من كتاب البيان ، بحمد الله وعونه،

وحسن توفيقه ويمنه . وصلى الله على محمد .

يتلوه في الحادي عشر إن شاء الله تعالى

القول في تأويل قوله : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .

وكان الفراغ من نسخه في شهر جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمئة .

غفر الله لكاتبه ومؤلفه ، ولمن كُتِب لأجله ولجميع المسلمين .

الحمد لله رب العالمين »

القول فى تأويل قوله ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيشركون فى عبادة الله ، فيعبدون معه = « ما لا يخلق شيئاً » ، والله يخلقها وينشئها ؟ وإنما العبادة الخالصة للخالق لاللمخلوق .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما :—

١٥٥٣٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قال : ولد لآدم وحواء ولد فسمياه « عبد الله » ، فأتاهما إبليس فقال : ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما ؟ قال : وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه « عبد الله » فمات . فقالا : سميناه « عبد الله » ! فقال إبليس : أتظنان أن الله تارك عبده عندكما ؟ لا والله ، ليذهبن به كما ذهبَ بالآخر ! ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما ، فسمِّياه « عبد شمس » ! قال : فذلك قول الله تبارك وتعالى : « أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون » ، آلشمس تخلق شيئاً حتى يكون لها عبد ؟ إنما هى مخلوقة ! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خدعهما مرتين ، خدعهما فى الجنة ، وخدعهما فى الأرض .[1]

* * *

وقيل : « وهم يخلقون » ، فأخرج مكنيَّهم مخرج مكنىّ بنى آدم ،[2] وقد قال :

ثم يتلوه فى أول الجزء الحادى عشر من المخطوطة :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ يسِّر برحمتك »

(١) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجده . وفى الدر المنثور ٣ : ١٥٢ « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خدعهما مرتين . قال زيد : خدعهما فى الجنة ، وخدعهما فى الأرض » .

(٢) « المكنى » الضمير .

« أيشركون ما » ، فأخرج ذكرهم بـ« ما » لا بـ« من » ، مخرج الخبر عن غير بنى آدم ، لأن الذى كانوا يعبدونه إنما كان حجراً أو خشباً أو نحاساً أو بعض الأشياء التى يخبر عنها بـ« ما » لا بـ« من »، فقيل لذلك: « ما »، ثم قيل « وهم »، فأخرجت كنايتهم مُخْرَج كناية بنى آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله ما لا يخلق شيئاً من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءاً أو أحل بهم عقوبة ، ولا هو قادر إن أراد به سوءاً نصر نفسه ولا دفع ضر عنها ؟ وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه ، وآلهتهم التى يعبدونها ويشركونها فى عبادة الله ، لا تنفعهم ولا تضرهم ، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرًّا، فهى من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعدُ؟ يعجِّب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون فى عبادتهم اللهَ غيرَه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره فى وَصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربَّهم إياه . ومن صفته أنكم ، أيها الناس، إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم والأمر الصحيح السديد لا يتبعوكم ، لأنها ليست تعقل شيئاً ، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلاً جائراً ، وتركب ما كان مستقيماً سديداً .

* * *

وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنبيهَهم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم . يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد مَنْ إن دُعى إلى الرشاد وعُرِّفه لم يعرفه، ولم يفهم رشاداً من ضلال، وكان سواءٌ دعاءُ داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه ، ولا يسمع صوته ، ولا يعقل ما يقال له . يقول : فكيف يُعبد من كانت هذه صفته ،أم كيف يُشْكِل عظيمُ جهلِ من اتخذ ما هذه صفته إلهاً ؟ وإنما الرب المعبود هو النافع من يعبده ، الضارّ من يعصيه ، الناصرُ وليِّه ، الخاذل عدوه ، الهادى إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه .

* * *

وقيل : « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون »، فعطف بقوله : « صامتون » وهو اسم ، على قوله : « أدعوتموهم » ، وهو فعل ماض، ولم يقل : « أم صمتم »،[1] كما قال الشاعر :[2]

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٦ .

(٢) لم أعرف قائله .

سَوَاءٌ عَلَيْكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بنِ عَامِرِ[١]

وقد ينشد: «أم أنتَ بَائِتٌ».

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

١٠٣/٩

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبِّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: «إن الذين تدعون»، أيها المشركون، آلهةً = «من دون الله»، وتعبدونها، شركاً منكم وكفراً بالله = «عباد أمثالكم»، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإنْ كنتم صادقين أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم،[٢] فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سُئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع، فضرَّ من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضرَّ.

* * *

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠١، وكان فى المطبوعة والمخطوطة «عليك الفقر»، وهو خطأ محض، صوابه من المعانى. و«النفر» بمعنى: النفر من منى فى أيام الحج، وهو الثانى من أيام التشريق.

(٢) انظر تفسير «الاستجابة» فيما سلف ٣ : ٤٨٣، ٧/٤٨٤ : ٤٨٦ – ٤٨٨/ ١١ : ٣٤١.

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه ، معرِّفَهم جهل ما هم عليه مقيمون: ألأصنامكم هذه، أيها القوم =« أرجل يمشون بها » ، فيسعون معكم ولكم فى حوائجكم ، ويتصرفون بها فى منافعكم =«أم لهم أيد يبطشون بها »،فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروه = « أم لهم أعين يبصرون بها » ، فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه = « أم لهم آذان يسمعون بها » ، فيخبرونكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه . يقول جل ثناؤه : فإن كانت آلهتكم التى تعبدونها ليس فيها شىء من هذه الآلات التى ذكرتُها، والمعظَّم من الأشياء إنما يعظَّم لما يرجى منه من المنافع التى توصل إليه بعض هذه المعانى عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التى تعبدونها ، وهى خالية من كل هذه الأشياء التى بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر ؟

وقوله : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون » ، [قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان : ادعو شركاءكم الذين جعلتموهم لله شركاء فى العبادة = «ثم كيدون»] ،[١] أنتم وهى[٢]= «فلا تنظرون» ، يقول : فلا تؤخرون بالكيد والمكر ،[٣] ولكن عجِّلوا بذلك . يُعْلِمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه ، وأنه قد عصمه منهم، ويُعَرِّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء .

---

(١) هذه العبارة التى بين الأقواس ، استظهرتها من سياق الآية والتفسير ، وظاهر أنها قد سقطت من الناسخ ، وأن الكلام بغيرها ، أو بغير ما يقوم ما مقامها ، لا يستقيم .

(٢) فى المطبوعة : « أنتم وهن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ثم انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص: ٢٨٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ١٢ : ٣٣١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، للمشركين من عبدة الأوثان = « إن وليي » ، نصيرى ومعينى وظهيرى عليكم [1] = « الله الذى نزل الكتاب » علىّ بالحق ، وهو الذى يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (١٩٧)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين . يقول له تعالى ذكره : [2] قل لهم : إن الله نصيرى وظهيرى ، والذين تدعون أنتم ، أيها المشركون، من دون الله من الآلهة ، لا يستطيعون نصركم ، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم . فأى هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة ؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده ، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ؟

* * *

---

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) فى المطبوعة : « بقوله تعالى » ، وفى المخطوطة مثله غير منقوط ، والصواب : « يقول له » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين : وإن تدعوا ، أيها المشركون ، آلهتكم إلى الهدى = وهو الاستقامة إلى السداد = « لا يَسمعوا » ، يقول : لا يسمعوا دعاءكم = « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » .

* * *

وهذا خطاب من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم . يقول : وترى ، يا محمد ، آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون = ولذلك وحَّد .[1] ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين ، لقال : « وترونهم ينظرون إليكم » .[2]

* * *

وقد روى عن السدى فى ذلك ما :—

١٥٥٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » ، قال : هؤلاء المشركون . ٩/١٠٤

* * *

وقد يحتمل قول السدى هذا أن يكون أراد بقوله : « هؤلاء المشركون » ، قول الله : « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا » .

* * *

وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ، ما :—

١٥٥٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) يعنى أن الخطاب أولا كان للمشركين جميعاً ، فقال : « وإن تدعوهم » ، ثم قال « وتراهم » على الإفراد ، خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المخطوطة : « وترونهم ينظرون إليك . . . » ، وبعد « إليك » بياض بقدر كلمة . والذى فى المطبوعة شبيه بالصواب .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون »، ما تدعوهم إلى الهدى .

* * *

وكأنّ مجاهداً وجّه معنى الكلام إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون = فهو وجهٌ ، ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة ، فهو بوصفها أشبه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما معنى قوله: « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه ؟

قيل : إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه: « هو ينظر إلى كذا » ، ويقال : « منزل فلان ينظر إلى منزلى » ، إذا قابله . وحكى عنها : « إذا أتيتَ موضع كذا وكذا فنظر إليك الجبل، فخذ يميناً أو شمالاً » ، وحدثت عن أبي عبيد قال : قال الكسائى : « الحائط ينظر إليك » ، إذا كان قريباً منك حيث تراه ، ومنه قول الشاعر :[1]

إذَا نَظَرَتْ بِلاَدَ بَنِى تَمِيمٍ بِعَيْنٍ أوْ بِلاَدَ بَنِى صُبَاحِ[2]

(١) لم أعرف قائله .

(٢) نوادر أبي زيد : ١٣١ ، أساس البلاغة (عين) ، المقاييس ٤ : ٢٠٣ ، ورواية أبي زيد :

إذا نَظَرَتْ بلاَدَ بنى حَبِيبٍ بِعَيْنٍ ، أوْ بِلاَدَ بنى صُبَاحِ
رَمَيْنَاهُمْ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ وَفِتْيَانِ الغُدُوِّ مَعَ الرَّوَاحِ

ولا أدرى ما « بنو حبيب »، وأما « بنو صباح » ، فهم فى ضبة ، والظاهر أن فى غيرهم من العرب أيضاً « بنو صباح » . انظر الاشتقاق : ١٢٢ . ورواية الزمخشرى وابن فارس « بلاد بنى نمير » ، فلا أدرى ما أصح ذلك ، حتى يعرف صاحب الشعر ، وفيمن قيل .

قال الزمخشرى قبل استشهاده بالشعر : « نظرت الأرض بعين أو بعينين » ، إذا طلع بأرض ما ترعاه الماشية بغير استمكان . وقال ابن فارس : إذا طلع النبت ، وكل هذا محمول ، واستعارة وتشبيه .

يريد : تقابل نبتُها وعُشْبها وتحاذَى .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام : وترى ، يا محمد ، آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، يقابلونك ويحاذونك ، وهم لا يبصرونك ، لأنه لا أبصار لهم .

وقيل : « وتراهم » ، ولم يقل : « وتراها » ، لأنها صور مصوَّرة على صور بنى آدم عليه السلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله : « خذ العفو » من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد فى قوله : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق الناس وأعمالهم ، بغير تحسس .(٢)

١٥٥٣٦ — حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « خذ العفو » ، قال : عفو أخلاق الناس ، وعفوَ أمورهم .

١٥٥٣٧ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى ابن أبى الزناد ،

---

(١) انظر تفسير « العفو » فيما سلف ٤ : ٣٣٧ – ٣٤٣ .

(٢) فى المخطوطة هنا ، وفى الذى يليه رقم : ١٥٥٣٩ « تحسيس » بالياء ، ولا أدرى ما هو . و « تحسس الشىء » تبحثه وتطلبه ، كأنه يعنى الاستقصاء فى الطلب ، ويؤيد هذا ما سيأتى برقم : ١٥٥٤٢ .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله : « خذ العفو » ، الآية ، قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .(١)

١٥٥٣٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس : « خذ العفو وأمر بالعرف » ، الآية .(٢)

١٥٥٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد : خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .(٣)

١٥٥٤٠ — . . . . قال حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنّه منهم ما صحبتهم .(٤)

١٥٥٤١ — . . . . قال ، حدثنا عَبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير(٥) ، قال : إنما أنزل الله : « خذ العفو » ، من أخلاق الناس .

١٥٥٤٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق

---

(١) الأثر : ١٥٥٣٧ — رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٢٩) من طريق عبد الله ابن براد ، عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير . وانظر ما قاله فيه الحافظ ابن حجر .

(٢) الأثر : ١٥٥٣٨ — « هشام بن عروة بن الزبير » ، ثقة ، معروف ، مضى مراراً . وأبوه « عروة بن الزبير » ، يروى عن أخيه « عبد الله بن الزبير » . وكان في المطبوعة هنا : « عن أبي الزبير » ، وهو خطأ ، صوابه ما كان في المخطوطة .

وهذا خبر صحيح ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٢٩) رسيأتي برقم ١٥٥٤١ ، بإسناد آخر

(٣) انظر التعليق السالف ، ص : ٣٢٦ رقم : ٢ .

(٤) الأثر : ١٥٥٤٠ — « ابن الزبير » ، وهو « عبد الله بن الزبير » ، وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « أبي الزبير » ، وهو خطأ صححناه آنفاً .

(٥) في المطبوعة هنا « عن أبي الزبير » ، وهو خطأ كما أسلفت .

الناس وأعمالهم ، من غير تحسس = أو : تجسس ، شك أبو عاصم .[(١)]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٤٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « خذ العفو » ، يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء فخذه . فكان هذا قبل أن تنزل « براءة » بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت الصدقات إليه . ٩/١٠٥

١٥٥٤٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « خذ العفو » ، أما « العفو » ، فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

١٥٥٤٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله : « خذ العفو » ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم ، قبل أن يفرض قتالهم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٤٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خذ العفو » ، قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرْصد ، وأن يحصرهم . ثم قال : ﴿ فَإِنْ تَابُوا

(١) « التجسس » ، مثل « التحسس » ، مع خلاف يسير ، وانظر ما سلف ص : ٣٢٦ ، تعليق رقم : ٢ .

وأقاموا الصلاة ﴾ ، [سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية ، كلها . وقرأ : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] . قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ ، [سورة التوبة : ١٢٣] ، بعد ما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ [سورة الجاثية : ١٤] ، ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم = وقال : أُمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّته المشركين في الكلام ، وذلك قوله : «قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » ، وعقَّبه بقوله : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون * وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ﴾ ، فما بين ذلك ، بأن يكون من تأديبه نبيَّه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ،[٢] أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين .

* * *

فإن قال قائل : أفمنسوخ ذلك ؟

قيل : لا دلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزاً أن يكون = وإن كان الله أنزله على نبيه عليه السلام في تعريفه عشرةَ من لم يُؤْمَر بقتاله من المشركين = مراداً به تأديبُ نبيّ الله والمسلمين جميعاً في عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو

(١) مضى خبر آخر برقم : ١٧٥٤ ، فيه ذكر هذه الآية ، وتفسيرها بذلك عن ابن عباس .
(٢) قوله : « به » في آخر الجملة ، متعلق بقوله في أولها « من تأديبه » ، كأنه قال « من تأديبه به » ، أي بهذا الذي بين الآيتين .

أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل ، تعليماً من الله خلقَه صفةَ عشرة بعضهم بعضاً ، [إذا] لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم . [(١)] فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمل الواجبَ ، فيكون قوله : « خذ العفو » ، أمرًا بأخذه ما لم يجب غيرُ العفو ، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك . فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة ، لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا . [(٢)]

* * *

وأما قوله : « وأمر بالعرف » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : بما —

١٥٥٤٧ — حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنى حسين الجعفى ، عن سفيان بن عيينة ، عن رجل قد سماه قال : لما نزلت هذه الآية : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : ما أدرى ، حتى أسأل العالم ! قال : ثم قال جبريل ، يا محمد ، إن الله يأمرك أن تَصِلَ من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . [(٣)]

١٥٥٤٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن أمَىّ قال : لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله يأمرك أن تعفوَ عمن ظلمك ، وتعطىَ من حرمك ، وتصل من قطعك . [(٤)]

* * *

(١) فى المطبوعة « لم يجب » ، بغير « إذا » ، فوضعها بين قوسين ، فالسياق يتطلبها ، وإلا اضطرب الكلام .

(٢) انظر مقالة أبي جعفر فى « النسخ » فيما سلف من فهارس الأجزاء الماضية .

(٣) الأثر : ١٥٥٤٧ — « الحسن بن الزبرقان النخعى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٩٩٥ . والرجل الذى لم يسم فى هذا الخبر هو « أمى بن ربيعة » ، الذى سيأتى فى الخبر التالى .

(٤) الأثر : ١٥٥٤٨ — « سفيان » هو ابن عيينة .

وقال آخرون بما :ـــ

١٥٥٤٩ ــ حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « وأمر بالعرف »، يقول : بالمعروف .

١٥٥٥٠ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأمر بالعرف »، قال : أما « العرف »، فالمعروف. ١٠٦/٩

١٥٥٥١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وأمر بالعرف » ، أى : بالمعروف .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف = وهو المعروف فى كلام العرب ، مصدر فى معنى : « المعروف » .

* * *

يقال : «أوليته عُرْفا ، وعارفاً ، وعارفةً »، [1] كل ذلك بمعنى : «المعروف ». [2]

* * *

فإذ كان معنى « العرف » ذلك فمن « المعروف» صلة رحم من قطع ، وإعطاء من حرم ، والعفو عمن ظلم . وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من « العرف ». ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض .

* * *

و « أمى » هو : « أمى بن ربيعة المرادى الصيرفى » ، سمع الشعبى ، وعطاء ، وطاوس . روى عنه سفيان بن عيينة ، وشريك . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٥٤ ، والكبير ٦٧/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٣٤٧/١/١ .

وكان فى المخطوطة فوق « أمى » حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وبالهامش (كذا) ، ولكن الناسخ جهل الاسم فأشكل عليه . فجاء فى المطبوعة فجعله « أبى » ، وكذلك فى تفسير ابن كثير ٣ : ٦١٨ ، والصواب ما أثبت . وهذا الخبر ، رواه « أمى بن ربيعة » ، عن الشعبى ، كما يظهر ذلك من روايات الخبر فى ابن كثير ، والدر المنثور ٣ : ١٥٣ .

(١) قوله : « عارفاً » ، لم أجدها فى المعاجم ، وهى صحيحة فيما أرجح .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « وأعرض عن الجاهلين » ، فإنه أمر من الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل .[١] وذلك وإن كان أمرًا من الله نبيَّه ، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم ،[٢] لا بالإعراض عمن جهل الواجبَ عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حَرْبٌ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٥٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودلَّه عليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ » ، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم = « فاستعذ بالله » ، يقول : فاستجر بالله من نزغه =[٣] « إنه سميع عليم » ،

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٢ : ٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الجهل » فيما سلف ٢ : ١٨٣/٨ : ٨٩ — ٩٢/١١ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) يعنى أن « الجهل » هنا بمعنى السفه والتمرد والعدوان ، لا بمعنى « الجهل » الذى هو ضد العلم والمعرفة .

(٣) انظر تفسير « الاستعاذة » فيما سلف ١ : ١١١/٦ : ٣٣٦ .

يقول: إن الله الذى تستعيذ به من نزع الشيطان = «سميع»، لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء = «عليم»، بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه.[١] كما :—

١٥٥٥٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف بالغضب يا ربِّ؟ قال: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم».

١٥٥٥٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم»، قال: علم الله أن هذا العدوَّ مَنيع ومَريد.

* * *

وأصل «النزغ»، الفساد، يقال: «نزغ الشيطان بين القوم»، إذا أفسد بينهم، وحمّل بعضهم على بعض. ويقال منه: «نزغ ينزَغ»، و«نغز ينغز».

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: «إن الذين اتقوا» اللهَ من خلقه، فخافوا عقابه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه = «إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا»،[٢] ويقول: إذا ألمَّ بهم لَمَمٌ من الشيطان،[٣] من غضب أو غيره مما

(١) انظر تفسير «سميع» و «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) و (علم).

(٢) انظر تفسير «المس» فيما سلف ص: ٣٠٣، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٣) فى المطبوعة: «إذا ألم بهم طيف»، لم يحسن قراءة المخطوطة، فاستبدل بما كان فيها.

يصدّ عن واجب حق الله عليهم ، تذكروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « طيف » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ طَآئِفٌ ﴾ ، على مثال « فاعل » .

* * *

وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين : ﴿ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ .[1]

* * *

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين « الطائف » و « الطيف » .

فقال بعض البصريين : « الطائف » و « الطيف » ، سواء ، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك.[2] قال : ويجوز أن يكون « الطيف » مخففاً عن «طيّف» ، مثل « ميْت ، وميّت » .

* * *

١٠٧/٩ وقال بعض الكوفيين : « الطائف » ، ما طاف بك من وسوسة الشيطان . وأما « الطيف » ، فإنما هو من اللّمم والمسّ .

* * *

وقال آخر منهم : « الطيف » ، اللمم ، و «الطائف» ، كل شيء طاف بالإنسان .

* * *

وذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول : « الطيف » ، الوسوسة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ ، لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب ، والزلة تكون من المطيف به . وإذا كان ذلك معناه ، كان معلوماً = إذ كان « الطيف » إنما

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ .

(٢) نسبها أبو جعفر إلى البصريين ، وهى فى لسان العرب (طوف) ، منسوبة إلى الفراء ، وهو كوفى ، ولم أجدها فى المطبوع من معانى القرآن .

هو مصدر من قول القائل : « طاف يطيف » = أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان ، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه ، وذلك كالغضب والوسوسة . وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزلّه عن طاعة ربه ، أو ليوسوس له . والوسوسة والاستزلال ، هو « الطائف من الشيطان » .(١)

* * *

وأما « الطيف » فإنما هو الخيال، وهو مصدر : « من طاف يَطِيف » ، ويقول: لم أسمع فى ذلك « طاف يطيف »،(٢) ويتأوله بأنه بمعنى « الميت »،وهو من الواو .

* * *

وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب :(٣) « طاف يطيف »، و « طِفْتُ أطِيف »، وأنشدوا فى ذلك :(٤)

أنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ(٥)

* * *

وأما التأويل ، فإنهم اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : ذلك « الطائف » ، هو الغضب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٥٥ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن يمان ، عن

---

(١) من أول قوله : « وأما الطيف » ، إلى آخر الفقرة الثانية المختومة ببيت من الشعر ، لا أشك أنه قد وضع فى غير موضعه . فهو يقول بعد : « ويقول : لم أسمع فى ذلك » ، وهذا القائل غير أبى جعفر بلا شك ، ولم أستطع تحديد موضعه من الأقوال السالفة . فلذلك تركته مكانه وفصلته . وكان حقه أن يقدم قبل قوله : « قال أبو جعفر : وأولى القراءتين . . . » .

(٢) قوله : « ولم أسمع فى ذلك طاف يطيف » ، يعنى فى « الطائف » .

(٣) هذا نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٣٧ ، إلى آخره .

(٤) كعب بن زهير .

(٥) ديوانه : ١١٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٧ ، واللسان (طيف) (شعف)، من قصيدة له طويلة .

و « الشعوف » مصدر من قولهم « شعفه حب فلانة» ، إذا أحرق قلبه، ووجد لذة اللوعة فى احتراقه ، وفى ذهاب لبه حتى لا يعقل غير الحب .

أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : « إذا مسهم طائف » ، قال : و « الطيف » الغضب .

١٥٥٥٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد فى قوله : « إذا مسهم طيف من الشيطان » ، قال : هو الغضب .[1]

١٥٥٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : الغضب .

١٥٥٥٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فى قوله: « إذا مسهم طَيْف من الشيطان تذكروا » ، قال : هو الغضب .

١٥٥٥٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « طائف من الشيطان » ، قال : الغضب .

* * *

وقال آخرون : هو اللَّمَّة والزلَّة من الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٦٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا »، و « الطائف » اللَّمَّة من الشيطان = «فإذا هم مبصرون » .

١٥٥٦١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبي قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم

(١) تركت ما فى الآثار على ما جاء فى المخطوطة : « طائف » مرة ، و « طيف » أخرى ، وهما قراءتان فى الآية كما سلف قبل .

طائف من الشيطان » ، يقول : نزغٌ من الشيطان= « تذكروا » .

١٥٥٦٢ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » ، يقول : إذا زلُّوا تابوا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن « الغضب » من استزلال الشيطان ، و « اللمة » من الخطيئة أيضاً منه ، وكلّ ذلك من طائف الشيطان .[1] وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى ، بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال : إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ، ما كان ذلك العارض ، تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره .

* * *

وأما قوله : « فإذا هم مبصرون » ، فإنه يعني : فإذا هم مبصرون هُدَى الله وبيانه وطاعته فيه ، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان ، كما :—

١٥٥٦٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فإذا هم مبصرون » ، يقول : إذا هم منتهون عن المعصية ، آخذون بأمر الله ، عاصون للشيطان .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠٢) ١٠٨/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي .[2] يعني بقوله : « يمدونهم » ، يزيدونهم ، ثم لا ينقصون عما نقص عنه

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وكان ذلك » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الغي » فيما سلف ص : ٢٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان .(١)

وإنما هذا خبرٌ من الله عن فريقى الإيمان والكفر ، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه ، فكفَّتهم رهبته عن معاصيه ، وردَّتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم زلَّةً = وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصى الله ، ولا يحجزهم تقوى الله ، ولا خوف المعاد إليه عن التمادى فيها والزيادة منها ، فهو أبداً فى زيادة من ركوب الإثم ، والشيطان يزيده أبداً ، لا يُقصر الإنسى عن شىء من ركوب الفواحش ، ولا الشيطان من مدِّه منه ، (٢) كما : —

١٥٥٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وإخوانهم يمدونهم فى الغىِّ ثم لا يقصرون » ، قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ، ولا الشياطين تُمْسك عنهم .

١٥٥٦٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، يقول : هم الجن ، يوحون إلى أوليائهم من الإنس = « ثم لا يقصرون » ، يقول : لا يسأمون .

١٥٥٦٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإخوانهم يمدونهم فى الغىِّ » ، إخوان الشياطين من المشركين ، يمدهم الشيطان فى الغىِّ = « ثم لا يقصرون » .

١٥٥٦٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذى اتقوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وبنحو المعنى ذكره أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٤٥١ ، قال : « ثم لا ينقصون من إمدادهم وغوايتهم » . فلذلك أبقيت ما فى المخطوطة على حاله ، وإن كنت فى شك من جودته .

(٢) هكذا فعل الطبرى ، أتى بالضمائر مفردة بعد الجمع ، وقد تكرر ذلك فى مواضع كثيرة من تفسيره ، أقربها ما أشرت إليه فى ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٢ .

قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : وإخوانهم من الجن يمدون إخوانهم من الإنس = « ثم لا يقصرون » ، يقول : ثم لا يقصر الإنسان . قال : و « المد » الزيادة ، يعنى أهل الشرك. يقول: لا يُقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا ، لايرعَوُون، لا يحجزهم الإيمان(١) = قال ابن جريج: قال مجاهد: « وإخوانهم »، من الشياطين = « يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون »، استجهالاً يمدون أهل الشرك = قال ابن جريج: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٩]. قال : فهؤلاء الإنس . يقول الله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى » .

١٥٥٦٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، قال : إخوان الشياطين ، يمدهم الشياطين فى الغىّ = « ثمّ لا يقصرون » .

١٥٥٦٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد= « وإخوانهم »، من الشياطين، « يمدونهم فى الغى » ، استجهالاً .

* * *

وكان بعضهم يتأول قوله : « ثم لا يقصرون » ، بمعنى : ولا الشياطين يقصرون فى مدّهم إخوانَهم من الغىّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، عنهم ولا يرحمونهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب . وإنما اخترنا ما اخترنا

---

(١) فى المطبوعة مكان « لا يرعون » ، « لأنهم لا يحجزهم ... » ، لم يحسن قراءتها ، لأنها كانت فى المخطوطة : « لا يرعون » ، والصواب ما أثبت « ارعوى عن القبيح » ، ندم ، فانصرف عنه وكف .

من القول فى ذلك على ما بيناه، لأن الله وصفَ فى الآية قبلها أهل الإيمان به، وارتداعَهم عن معصيته وما يكرهه إلى محبته عند تذكرهم عظمته ، ثم أتبع ذلك الخبرَ عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه ، فكان الأولى وصفهم بتماديهم فيها ،(١) إذ كان عَقِيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها .

* * *

وأما قوله : « يمدونهم » ، فإنّ القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأه بعض المدنيين : ﴿ يُمِدُّونَهُمْ ﴾ ، بضم الياء ، من « أمددت » .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ : بفتح الياء من «مددت » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ، بفتح الياء ، لأن الذي يمد الشياطينُ إخوانَهم من المشركين ، إنما هو زيادة من جنس الممدود .

١٠٩/٩ وإذا كان الذى مد من جنس الممدود ، كان كلام العرب « مددت » لا « أمددت » .(٢)

* * *

وأما قوله : « يقصرون » ، فإن القرأة على لغة من قال : « أقصَرْت أقْصِر » .

وللعرب فيه لغتان : « قَصَرت عن الشيء » و « أقصرت عنه » .(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا لم تأت ، يا محمد ، هؤلاء المشركين بآية من الله = « قالوا لولا اجتبيتَها » ، يقول : قالوا : هلاَّ اخترتها واصطفيتها .(٤)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكان الأولى » بالواو ، والسياق يقضى الفاء .

(٢) انظر تفسير « مد » و « أمد » فيما سلف ١ : ٣٠٦ - ٣٠٨ / ٧ : ١٨١ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ ، وصحح الخطأ هناك ، فإنه ضبط « قصر » بضم الصاد ، والصواب فتحها لا صواب غيره .

(٤) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١١ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك.

= من قول الله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، [سورة آل عمران : ١٧٩]، يعني : يختار ويصطفى . وقد بينا ذلك فى مواضعه بشواهده .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه: هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها ؟ بمعنى : هلا اجتبيتها اختلاقاً ؟ كما تقول العرب : «لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلاقاً» .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها »، أي: لولا أتيتنا بها من قِبَل نفسك ؟ هذا قول كفار قريش .

١٥٥٧٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قوله : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها » ، قالوا : لولا اقتضبتها ! (٣) قالوا : تخرجها من نفسك .

١٥٥٧٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله: « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها »، قالوا: لولا تقوَّلتها ، جئتَ بها من عندك ؟

١٥٥٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن

---

(١) انظر تفسير « اجتبى » فيما سلف ٧ : ٤٣٧/١١ : ٥١٢ ، ٥١٣ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ ، والتعليق عليه هناك . وهذا معنى غريب جداً فى « اختار » ، أنا فى ريب منه ، إلا أن يكون أراد أن العرب تقول فى مجازها « اختار الشيء اختلاقاً » ، كل ذلك بمعنى : اختلقه ، لا أن « اختار » بمعنى اختلق . وإن كان صاحب اللسان قد أتبع قول الفراء الآتى بعد ص : ٣٤٣ « وهو فى كلام العرب جائز أن يقول : « لقد اختار لك الشيء واجتباه وارتجله » .

(٣) « اقتضب الكلام اقتضاباً » ، ارتجله من غير تهيئة أو إعداد له . يقال : « هذا شعر مقتضب ، وكتاب مقتضب » .

على ، عن ابن عباس قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا تلقَّيتها = وقال مرة أخرى : لولا أحدثتها فأنشأتها .

١٥٥٧٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قالوا لولا اجتبيتها » ؟ يقول : لولا أحدثتها ؟

١٥٥٧٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « لولا اجتبيتها » ، قال : لولا جئت بها من نفسك !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : هلا أخذتها من ربك وتقبَّلتها منه ؟[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا تقبَّلتها من الله !

١٥٥٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لولا اجتبيتها » ، يقول: لولا تلقَّيتَها من ربك !

١٥٥٧٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا أخذتها فجئت بها من السماء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك ، تأويلُ من قال : تأويله : هلا أحدثتها من نفسك ! لدلالة قول الله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾، فبيَّن ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، فى هذا الموضع ، والذى يليه فى الأثر : « تقبلتها » ، وفى الأثر الذى بعده : « تلقيتها » فى المخطوطة والمطبوعة ، وأرجو أن يكون هذا الأخير هو الصواب ، كما سلفت فى رقم : ١٥٥٧٤ ، وإن كان الأول جائزاً .

وسلم ،[1] بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه ، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه .

* * *

وحكى عن الفراء أنه كان يقول : « اجتبيت الكلام » و « اختلقته » ، و « ارتجلته » ، إذا افتعلته من قِبَل نفسك .[2]

١٥٥٨٠ — حدثني بذلك الحارث قال ، حدثنا القاسم ، عنه .

* * *

قال أبو عبيدة : كان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام يبتدئه الرجل ،[3] لم يكن أعدَّه قبل ذلك في نفسه . قال أبو عبيدة : و « اخترعته » ، مثل ذلك .[4]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية : « هلا أحدثتها من قبل نفسك ! » : إن ذلك ليس لي ، ولا يجوز لي فعله ، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليَّ من عنده ، فإنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي ، لأني عبده ، وإلى أمره أنتهي ، وإياه أطيع[5] = « هذا بصائر من ربكم » ، يقول : هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم = « بصائر من ربكم » ، يقول : حجج عليكم ، وبيان لكم من ربكم .

١١٠/٩

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يبين ذلك أن الله ... » ، والسياق يقتضي ما أثبت .
(٢) انظر ما سلف ص ٣٤١ ، تعليق رقم : ٢ .
(٣) في المطبوعة : « يبديه الرجل » ، وفي المخطوطة : « البديه الرجل » ، وكأن الصواب ما أثبت .
(٤) في المطبوعة : « واخترعه » ، وأثبت ما في المخطوطة .
(٥) انظر تفسير « الاتباع » ، و « الوحي » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) و (وحى) .

= واحدتها « بصيرة » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ، [سورة الجاثية : ٢٠] .[1]

* * *

وإنما ذكر « هذا » ووحّد في قوله : « هذا بصائر من ربكم » ، لما وصفت من أنه مرادٌ به القرآن والوحي .

* * *

وقوله : « وهدى » ، يقول : وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم = «ورحمة» ، رحم الله به عباده المؤمنين ، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة = « لقوم يؤمنون » ، يقول : هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن ، يقول : لمن صدّق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه ، وعمل بما فيه ، دون من كذب به وجحده وكفر به ،[2] بل هو على الذين لا يؤمنون به عمًى وخزى .[3]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، المصدقين بكتابه ، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة : «إذا قرئ» عليكم ، أيها المؤمنون، «القرآن» = « فاستمعوا له» ، يقول : اصغوا له سمعكم ، لتتفهموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه[4] = « وأنصتوا » ،

---

(١) انظر تفسير « بصيرة » فيما سلف ١٢ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » و « الرحمة » و « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) ، (رحم) ، (أمن) .

(٣) في المطبوعة : « غم » ، وفي المخطوطة « عم » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها ، لقوله تعالى في سورة فصلت : ٤٤ ، في صفة القرآن : « والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى » .

(٤) انظر تفسير « استمع » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) .

إليه لتعقلوه وتتدبروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه = « لعلكم ترحمون » ، يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبره ، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه فى آيه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الحال التى أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له .

فقال بعضهم : ذلك حال كون المصلى فى الصلاة خلف إمام يأتمّ به ، وهو يسمع قراءة الإمام ، عليه أن يستمع لقراءته . وقالوا : فى ذلك أنزلت هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع قال : كان عبد الله يقول : كنا يسلم بعضنا على بعض فى الصلاة : « سلام على فلان ، وسلام على فلان » . قال : فجاء القرآن : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .[1]

١٥٥٨٢ — . . . . قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى عياض ، عن أبى هريرة قال : كانوا يتكلمون فى الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية « وإذا قرئ القرآن » ، والآية الأخرى ، أمروا بالإنصات .[2]

---

(١) الأثر : ١٥٥٨١ — « أبو بكر بن عياش » ، ثقة معروف ، مضى مراراً .
و « عاصم » ، هو « عاصم بن أبى النجود » ، « عاصم بن بهدلة » ، ثقة مضى مراراً .
و « المسيب بن رافع الأسدى » ، تابعى ثقة ، لم يلق ابن مسعود ، مضى برقم : ١٢٨ ، ٦١٧٥ .
و « عبد الله » ، هو ابن مسعود .
فهذا الخبر منقطع الإسناد . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦٢٣ .

(٢) الأثر : ١٥٥٨٢ — سيأتى بإسناد آخر ، بلفظ آخر رقم : ١٥٦٠١ .
« حفص بن غياث » ثقة مأمون ، أخرج له الجماعة ، مضى مراراً .
« إبراهيم الهجرى » ، هو « إبراهيم بن مسلم الهجرى » ، وهو ضعيف ، مضى برقم : ١١ ، ٤١٧٣ .

١٥٥٨٣ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ».

١٥٥٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن بشير بن جابر قال : صلى ابن مسعود ، فسمع ناساً يقرأون مع الإمام ، فلما انصرف قال : أما آن لكم أن تفقهوا ! أما آن لكم أن تعقلوا ؟ « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، كما أمركم الله.(١)

١٥٥٨٥ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا الجريري ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقاصّ يقص ، فقلت : ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلى ، ثم أقبلا على حديثهما . قال : فأعدت ، فنظرا إلى ، ثم أقبلا على حديثهما . قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلىّ فقالا : إنما ذلك في الصلاة : «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ».(٢)

١٥٥٨٦ — حدثني العباس بن الوليد قال ، أخبرني أبي قال ، سمعت الأوزاعي

و « أبو عياض » ، هو « عمر بن الأسود العنسي » ، ثقة من عباد أهل الشام . مضى برقم : ١٣٨٢ ، ١١٢٥٥ ، ١٢٨٠٤ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف إبراهيم الهجري .

ورواه البيهقي في السنن ٢ : ١٥٥ ، بنحوه ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٥٥٨٤ — « بشير بن جابر » هكذا في المطبوعة وابن كثير ٣ : ٦٢٣ . وفي المخطوطة : « بسر » غير منقوط ، وقد أعياني أن أجد له وجهاً ، أو أن أجد « بشير بن جابر » في شيء من المراجع .

(٢) الأثر : ١٥٥٨٥ — « طلحة بن عبيد بن كريز الخزاعي » ، أبو المطرف المصري . ثقة قليل الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٦٦/١/٧ ، والكبير ٣٤٨/٢/٢ . وابن أبي حاتم ٤٧٤/١/٢ .

و « كريز » (بفتح الكاف ، وكسر الراء) .

قال ، حدثنا عبد الله بن عامر قال ، حدثنى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن هذه الآية : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : نزلت فى رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الصلاة .[1]

١٥٥٨٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد فى قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة .

١٥٥٨٨ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن رجل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة .

١١١/٩

١٥٥٨٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ليث ، عن مجاهد : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة .

١٥٥٩٠ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت حميداً الأعرج قال ، سمعت مجاهداً يقول فى هذه الآية : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة .

١٥٥٩١ — . . . . قال ، حدثنى عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا حميد ، عن مجاهد ، بمثله .

١٥٥٩٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، وابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة المكتوبة .

---

(١) الأثر : ١٥٥٨٦ — « عبد الله بن عامر الأسلمى » ، روى عنه الأوزاعى ، وابن أبى ذئب ، وسليمان بن بلال وغيرهم . ضعفه أحمد وابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٢٣/٢/٢ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٥٠ .

وهذا خبر ضعيف لضعف « عبد الله بن عامر » . ورواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧١ ، ١٧٢ من طريق أبى منصور المنصورى ، عن عبد الله بن عامر ، بمثله .

١٥٥٩٣ — . . . . قال، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد= وعن حجاج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد= ، وعن ابن أبي ليلى ، عن الحكم= عن سعيد بن جبير : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٤ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن أبي هاشم ، عن مجاهد : في الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٥ — . . . . قال ، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٥٩٦ — . . . . قال، حدثنا المحاربي ، وأبو خالد، عن جويبر ، عن الضحاك قال : في الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٧ — . . . . قال، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : قال في الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أوّلَ ما فرضت عليهم، فأنزل الله ما تسمعون : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .

١٥٥٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا »، قال: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة : فيسألهم كم صليتم ؟ كم بقي ؟ فأنزل الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » = وقال غيره: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فأنزل الله : « وإذا قرئ القرآن » .

١٥٦٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد والمحاربي، عن أشعث ، عن الزهري ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، ورجل يقرأ ، فنزلت :

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .

١٥٦٠١ — . . . . قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن الهجرى ، عن أبى عياض ، عن أبى هريرة قال : كانوا يتكلمون فى الصلاة ، فلما نزلت : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : هذا فى الصلاة .(١)

١٥٦٠٢ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن حريث ، عن عامر قال : فى الصلاة المكتوبة .

١٥٦٠٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : إذا قرئ فى الصلاة .

١٥٦٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له » ، يعنى : فى الصلاة المفروضة .

١٥٦٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد قال : هذا فى الصلاة ، فى قوله « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له » = قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كره إذا مرّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيئاً . قال : السكوت = قال أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم .

١٥٦٠٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ، قال : هذا إذا قام الإمام للصلاة ، « فاستمعوا له وأنصتوا » .

---

(١) الأثر : ١٥٦٠١ — « الهجرى » ، هو « إبراهيم بن مسلم الهجرى » ، ومضى هذا الخبر برقم : ١٥٥٨٢ ، بنحوه ، وبينا ضعف إسناده هناك .

١٥٦٠٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس، عن الزهري قال: لا يقرأ مَن وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يُسْمِعهم صوته، ولكنهم يقرأون فيما لم يجهر به سرًّا في أنفسهم. ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرًّا ولا علانية . قال الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

١١٢/٩ ١٥٦٠٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن ابن عباس : « أنه كان يقول في هذه : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة » ، هذا في المكتوبة . وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك، فإنما هي نافلة . إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة ، وقرأ أصحابه وراءه ، فخلَّطوا عليه . قال : فنزل القرآن : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ، فهذا في المكتوبة .

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بهذه الآية ، الأمرُ بالإنصات للإمام في الخطبة ، إذا قرأ القرآن في خطبته .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٠٩ — حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا إسحق الأزرق، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن مجاهد في قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

١٥٦١٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد، وابن أبي عتبة ، عن العوّام ، عن مجاهد قال : في خطبة يوم الجمعة .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك الإنصات في الصلاة ، وفي الخطبة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « إذا قرىء القرآن في خطبة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٥٦١١ — حدثنى ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور قال : سمعت إبراهيم بن أبى حمزة يحدث : أنه سمع مجاهداً يقول فى هذه الآية: « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا »، قال : فى الصلاة والخطبة يوم الجمعة .

١٥٦١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عطاء قال : وجب الصُّمُوت فى اثنتين ، عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلى ، وعند الإمام وهو يخطب .

١٥٦١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد: « وإذا قرئ القرآن »، قال: وجب الإنصات فى اثنتين،[١] فى الصلاة والإمام يقرأ ، والجمعة والإمام يخطب .

١٥٦١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، أخبرنا من سمع الحسن يقول : فى الصلاة المكتوبة ، وعند الذكر .

١٥٦١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن جابر ، عن مجاهد قال : وجب الإنصات فى اثنتين ، فى الصلاة ويوم الجمعة .

١٥٦١٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد قال : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : الإنصات يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة ، فيما يجهر به الإمام من الصلاة .[٢]

---

(١) فى المطبوعة : « وإذا قرىء القرآن، وجب الإلصات قال: وجب فى اثنتين . وهو مضطرب . صوابه من المخطوطة ، بحذف ما زاده ، وتقديم ما أخره .

(٢) الأثر : ١٥٦١٦ — « ثابت بن عجلان الأنصارى السلمى »، متكلم فيه ، وثقه بعضهم ، ومرضه آخرون . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٦٦ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٥٥ .

١٥٦١٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن [عون] قال، أخبرنا هشيم، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال : فى الصلاة وعند الذكر .[١]

١٥٦١٨ — حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال، حدثنا يحيى ابن أيوب قال، حدثنى ابن جريج، عن عطاء بن أبى رباح قال : أوجب الإنصات يوم الجمعة قول الله تعالى ذكره : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »، وفى الصلاة مثل ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، قولُ من قال : أمروا باستماع القرآن فى الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتمّ به يسمعه، وفى الخطبة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قرأ الإمام فأنصتوا »،[٢] وإجماع الجميع على أن [على] من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الاستماعَ والإنصاتَ لها،[٣] مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن، والإنصات لسامعه، من قارئه، إلا فى هاتين الحالتين،[٤] على اختلاف فى إحداهما، وهى حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به . وقد صح الخبر عن رسول

---

(١) الأثر : ١٥٦١٧ — « عمرو بن عون الواسطى »، مضى مراراً . وكان فى المخطوطة : « قال حدثنا عمرو بن قال أخبرنا هشيم »، سقط من الإسناد ما أثبته من القوسين . وكان فى المطبوعة : « عمرو بن حماد »، مكان « عمرو بن عون »، وهو فاسد وسيىء جداً .

وقد مضى مراراً مثل إسناد « المثنى » هذا إلى « هشيم » برقم : ٣١٥٩، ٣٨٧٩، ١٠٩٦٢، وغيرها . فمن هذا استظهرت ما أثبته، وهو الصوب إن شاء الله .

(٢) انظر تخريج الخبر فى السنن الكبرى ٢ : ١٥٥، ١٥٦ .

(٣) الزيادة بين القوسين لا بد منها، والسياق : « أن على من سمع . . . الاستماع والإنصات » .

(٤) فى المخطوطة حرف (ط) فوق « لسامعه »، دلالة على الخطأ والشك فى صحته، ولكنه مستقيم . وهو عطف على ما قبله، كأنه قال : وأنه لا وقت يجب الإنصات لسامعه، من قارئه » .

الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله : « إذا قرأ الإمام فأنصتوا » ، فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتماً سامعاً قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (٢٠٥) — ١١٣/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: « واذكر »، أيها المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ فى صلاة أو خطبة[1] =، « ربك فى نفسك »، يقول : اتعظ بما فى آى القرآن واعتبر به ، وتذكر معادك إليه عند سماعكه = « تضرعاً » ، يقول : افعل ذلك تخشعاً لله وتواضعاً له[2] = « وخيفة »، يقول: وخوفاً لله من أن يعاقبك على تقصير يكون منك فى الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده .[3] = « ودون الجهر من القول » ، يقول : ودعاء باللسان لله فى خفاء لا جهار .[4] يقول : ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن فى دعاء إن دعوت غير جهار ، ولكن فى خفاء من القول ، كما : —

---

(١) رد ابن كثير ما ذهب إليه الطبرى فى تفسير هذه الآية فقال : « زعم ابن جرير ، وقبله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بها أمر السامع للقرآن فى حال استماعه للذكر على هذه الصفة . وهذا بعيد ، مناف للإنصات المأمور به . ثم إن المراد بذلك فى الصلاة كما تقدم ، أو فى الصلاة والخطبة . ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان ، سواء كان سراً أو جهراً . وهذا الذى قالاه ، لم يتابعا عليه . بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال ، لئلا يكونوا من الغافلين » . تفسير ابن كثير ٣ : ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

وهذا الذى قاله هو الصواب المحض إن شاء الله .

(٢) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١٣ : ٥٧٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٩ : ١٢٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الجهر » فيما سلف ٢ : ٩/٨٠ : ٣٤٤ ، ١١/٣٥٨ : ٣٦٨ .

١٥٦١٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا بن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول » ، لا يجهر بذلك .

١٥٦٢٠ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول »، الآية ، قال : أمروا أن يذكروه في الصدور تضرعاً وخيفة .

١٥٦٢١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه، عن حيان بن عمير ،عن عبيد بن عمير في قوله : « واذكر ربك في نفسك »، قال: يقول الله : «إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في أحسن منهم وأكرم » . (١)

١٥٦٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله: « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة »، قال : يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء .

* * *

وأما قوله : « بالغدو والآصال » ، فإنه يعني : بالبُكَر والعشيَّات .

* * *

وأما « الآصال » فجمع ، واختلف أهل العربية فيها .

---

(١) الأثر : ١٥٦٢١ — « ابن التيمي » ، هو : « معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » وأبوه « سليمان بن طرخان التيمي » ، وقد مضيا مراراً

و « حيان بن عمر القيسي الجريري » ، ثقة قليل الحديث روى عبد الرحمن بن سمرة ، وابن عباس ، وسمرة بن جندب وغيرهم . روى عنه سليمان التيمي ، وسعيد الجريري ، وقتادة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١٣٧ ، ١٦٥ ، والكبير ٢/١/٥٠ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٤٤ .

و « عبيد بن عمير بن قتادة الجندعي » ، قاص أهل مكة ، تابعي ثقة من كبار التابعين ، مضى برقم : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ ، ٩١٨٩ ، وغيرها .

فقال بعضهم : هى جمع « أصيل » ، كما « الإيمان » جمع « يمين » ، و « الأسرار » ، جمع « سرير » .[١]

* * *

وقال آخرون منهم : هى جمع « أُصُل » ، « والأُصُل » جمع « أصيل » .[٢]

* * *

وقال آخرون منهم : هى جمع « أصل » و « أصيل » ، قال : وإن شئت جعلت « الأُصُل » جمعاً لـ « الأصيل » ، وإن شئت جعلته واحداً . قال : والعرب تقول : « قد دنا الأُصُل » ، فيجعلونه واحداً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك ، وهو أنه جائز أن يكون جمع « أصيل » و « أُصُل » ، لأنهما قد يجمعان على أفعال . وأما « الآصال » ، فهى فيما يقال فى كلام العرب : ما بين العصر إلى المغرب .

* * *

وأما قوله « ولا تكن من الغافلين » ، فإنه يقول : ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ، ولكن تدبر ذلك وتفهمه ، وأشعره قلبك بذكرٍ لله ،[٣] وخضوعٍ له ، وخوفٍ من قدرة الله عليك إن أنت غفلت عن ذلك .

١٥٦٢٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « بالغدو والآصال » ، قال : بالبكر والعشى = « ولا تكن من الغافلين » .

١٥٦٢٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا معرّف ابن واصل السعدى قال : سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس : آصَلْنا بعدُ ؟[٤]

---

(١) « السرير » الذى جمعه « أسرار » ، هو « سرير الكمأة » ، وهو ما يكون عليها من التراب والقشور والطين ، وليس للكمأة عروق ، ولكن لها أسرار .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٩ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « بذكر الله » ، والسياق يتطلب ما أثبت .

(٤) الأثر : ١٥٦٢٤ — « معرف بن واصل السعدى » ، « أبو بدل » أو « أبو يزيد » ،

١٥٦٢٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال، قال ابن جريج ، قال مجاهد قوله : « بالغدو والآصال » ، قال : « الغدو » ، آخر الفجر ، صلاة الصبح = « والآصال » ، آخر العشى ، صلاة العصر . قال: وكل ذلك لها وقت، أول الفجر وآخره . وذلك مثل قوله فى « سورة آل عمران»: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ، [سورة آل عمران: ٤١] . وقيل: « العشى » ، مَيْل الشمس إلى أن تغيب، و« الإبكار »، أوّل الفجر.(١)

١٥٦٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس، سئل عن [صلاة الفجر فقال : إنها لفى كتاب الله ولا يقوم عليها] . . . . . . ثم قرأ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾، الآية [سورة النور : ٣٦] . (٢)

ثقة . كان إمام مسجد بنى عمرو بن سعيد بن تميم ، أمهم ستين سنة ، لم يسه فى صلاة قط ، لأنها كانت تهمه . روى عن أبى وائل وإبراهيم التيمى ، والنخعى ، والشعبى . وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٤٨ ، والكبير ٣٠/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤١٠/١/٤ .

و « أبو وائل » هو « شقيق بن سلمة الأسدى » ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، حجة فى العربية .

وقوله : « آصل » ، أى : دخل فى الأصيل .

(١) الأثر : ١٥٦٢٥ — آخر هذا الخبر ، مضى برقم : ٧٠٢٤ ، من طريق أخرى .

(٢) الأثر : ١٥٦٢٦ — « محمد بن شريك المكى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٥ : ٣٦٠ ، والكبير ١١٢/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٨٤/٢/٣ .

وهكذا جاء الخبر فى المخطوطة ، كما هو فى المطبوعة ، وأنا أكاد أقطع أنه خطأ وتحريف ، وفيه سقط ، ولكنى لم أجد الخبر بإسناده ، فلذلك لم أغيره ، ووجدت نص الخبر بغير إسناد فى الدر المنثور ٥ : ٥٢ ، عن صلاة الضحى ، لا صلاة الفجر ، وهو الصواب إن شاء الله قال :

(وأخرج ابن أبى شيبة ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، عن ابن عباس قال : إنّ صلاة الضحى لفى القرآن ، وما يَغُوص عليها إلاّ غوّاصٌ ، فى قوله : « فى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ »)

١٥٦٢٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة »، إلى قوله: « بالغدو والآصال »، أمر الله بذكره، ونهى عن الغفلة . أما «بالغدو»، فصلاة الصبح= «والآصال»، بالعشى. [1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ (٢٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا تستكبر ، أيها المستمع المنصت للقرآن ، عن عبادة ربك ، واذكره إذا قرئ القرآن تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته، لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع، ١١٤/٩ وذلك هو « العبادة »[2] = « ويسبحونه »، يقول : ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم[3] = « وله يسجدون » ، يقول : ولله يصلون = وهو سجودهم= [4] فصلوا أنتم أيضاً له وعظموه بالعبادة ، كما يفعله من عنده من ملائكته .

* * *

آخر سورة الأعراف [5]

فهذا صواب العبارة ، ولكنى وضعت ما كان فى المخطوطة والمطبوعة بين قوسين ، لأنى لم أجد الخبر بإسناده . ووضعت مكان السقط نقطاً . ثم أتممت الآية إلى غايتها أيضاً .

(١) الأثر : ١٥٦٢٧ - كان فى المخطوطة والمطبوعة : « ... حدثنا يزيد قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا سعيد ... » ، زاد فى الإسناد « قال حدثنا سويد » ، وهو خطأ محض ، وإنما كرر الكتابة كتب « يزيد » ، ثم كتب « سويد » ، وزاد فى الإسناد . وهذا إسناد دائر فى التفسير ، آخره رقم : ١٥٥٩٨ .

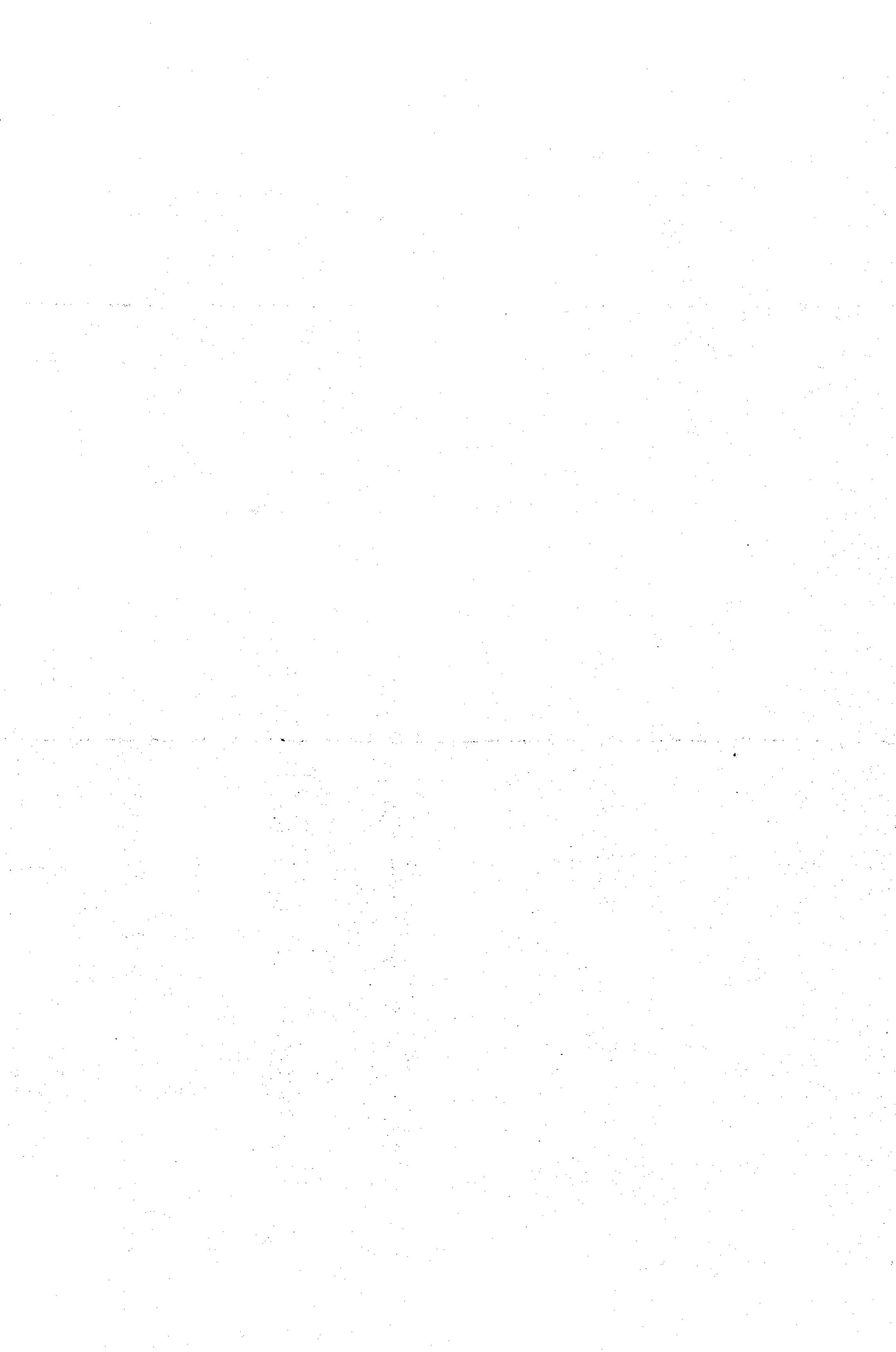
(٢) انظر تفسير « العبادة » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

(٣) انظر تفسير « التسبيح » فيما سلف ١ : ٤٧٤ - ٤٧٦/٦ : ٣٩١ ، ومادة (سبح) فى فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « السجود » فيما سلف من فهارس اللغة (سجد) .

(٥) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا، وفيها ما نصه :

« والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيرًا . الحمد لله رب العالمين»



تفسير

سُورَةِ الأَنْفَالْ



﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الأنفال ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبِّ يَسِّر ﴾

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الأنفال » التى ذكرها الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هى الغنائم ، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك ، يا محمد ، عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر ، لمن هى ؟ فقل : هى لله ولرسوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن عكرمة ، « يسألونك عن الأنفال » ، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٢٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن مجاهد قال : « الأنفال » ، المغنم .

١٥٦٣١ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: «يسألونك عن الأنفال»، قال: الغنائم.

١٥٦٣٢ ـ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «الأنفال»، قال: يعني الغنائم.

١٥٦٣٣ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «يسألونك عن الأنفال»، قال: «الأنفال»، الغنائم.

١٥٦٣٤ ـ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «يسألونك عن الأنفال»، «الأنفال»، الغنائم.

١٥٦٣٥ ـ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: «يسألونك عن الأنفال»، قال: «الأنفال»، الغنائم.

١٥٦٣٦ ـ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «الأنفال»، الغنائم.

١٥٦٣٧ ـ حدثنا أحمد بن إسحق، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء: «يسألونك عن الأنفال»، قال: الغنائم.

* * *

وقال آخرون: هي أنفال السرايا.

* ذكر من قال ذلك:

١٥٦٣٨ ـ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا علي بن صالح بن حيّ قال: بلغني في قوله: «يسألونك عن الأنفال»، قال: السرايا.

* * *

وقال آخرون : « الأنفال » ، ما شذَّ من المشركين إلى المسلمين ، من عَبْد أو دابة ، وما أشبه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، قال : هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، دابّة أو عبدٌ أو متاعٌ ، ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء .

١٥٦٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : هي ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، من عبد أو أمة أو متاع أو ثَقَل ،[1] فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء .

١٥٦٤١ — . . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرى : أن ابن عباس سئل عن : « الأنفال » ، فقال : السَّلَب والفرس .

١٥٦٤٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ويقال « الأنفال » ، ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تُقَسَّم الغنائم ، فهي نفلٌ لله ولرسوله .

١٥٦٤٣ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عثمان بن أبي سليمان ، عن محمد بن شهاب : أن رجلاً قال لابن عباس : ما « الأنفال » ؟ قال : الفرَس والدِّرع والرمحُ .[2]

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أو نفل » ، والصواب ما أثبت . و « الثقل » (بفتحتين) ، متاع المسافر وحشمه .

(٢) الأثر : ١٥٦٤٣ — « عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم النوفلي » ، ثقة ، كان قاضياً على مكة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٥ : ٣٥٧ ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٥٢ ، وهذا الخبر ، رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ص ٣٠٤ رقم : ٧٥٧ مطولا .

١٥٦٤٤ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال، قال ابن جريج، قال عطاء: «الأنفال»، الفرس الشاذّ والدرع والثوب.

١٥٦٤٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن ابن عباس قال: كان ينفّل الرجل سَلَب الرجل وفرسه.(١)

١١٥/٩ ١٥٦٤٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلاً سأل ابن عباس عن «الأنفال»، فقال ابن عباس: الفرس من النَّفَل، والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضاً. ثم قال الرجل: «الأنفال»، التي قال الله في كتابه، ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يُحْرِجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا، مَثَلُ صَبِيغ الذى ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه؟(٢)

١٥٦٤٧ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن القاسم بن محمد قال، قال ابن عباس: كان عمر رضى الله عنه إذا سئل عن شيء قال: «لا آمرك ولا أنهاك». ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجراً آمرًا، محلِّلاً محرِّماً = قال القاسم: فسلِّط على ابن عباس رجل يسأله عن: «الأنفال»، فقال ابن عباس: كان الرجل ينفَّل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مَثَل هذا، مثل صبيغ الذى ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه = أو: على رجليه؟ = فقال الرجل: أمّا أنت فقد انتقم الله لعمر منك!

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «فرس الرجل وسلبه»، ولكن فى المخطوطة فوق «فرس» و «سلبه» حرف «م»، دلالة على التقديم والتأخير، ففعلت ذلك.

(٢) الأثر: ١٥٦٤٦ — رواه مالك فى الموطأ ص: ٤٥٥، بلفظه هذا.

«صبيغ»، هو «صبيغ بن عسل بن سهل الحنظلى»، ترجم له ابن حجر فى الإصابة،

١٥٦٤٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين فى غير قتال ، من دابة أو[عبد] ،(١) فهو نفل للنبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : « النفل » ، الخمس الذى جعله الله لأهل الخُمُس .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٤٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الوارث ابن سعيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : هو الخمس . قال المهاجرون : لِمَ يُرْفع عنا هذا الخمس ،(٢) لم يُخْرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

١٥٦٤٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت : « يسألونك عن الأنفال » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى معنى : « الأنفال » ، قولُ من قال : هى زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم ، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة ،(٣) وإما مما وصل إليه بالنفل أو ببعض أسبابه ، ترغيباً

فى القسم الثالث ، وكان صبيغ وفد على عمر المدينة ، وجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فضربه عمر حتى دمى رأسه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ! ونفاه عمر إلى البصرة، وكتب إليهم أن لا يجالسوه، فلم يزل صبيغ وضيعاً فى قومه ، بعد أن كان سيداً فيهم .

(١) ما بين القوسين ، فى المطبوعة وحدها ، مكانه فى المخطوطة بياض .

(٢) فى المخطوطة : « لم يرفع هنا » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « إما من سلبه على حقوقهم » ، وفى المخطوطة : « إما سلمه على حقوقهم » ، وصواب قراءة المخطوطة ما أثبت ، والذى فى المطبوعة لا معنى له .

له ، وتحريضاً لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين . وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الأمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه بغلبة وقهر ،[١] يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقَهر .

* * *

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن «النفل» فى كلام العرب ، إنما هو الزيادة على الشيء ، يقال منه : « نفَّلتك كذا » و« أنفلتك » ، إذا زدتك .

و « الأنفال » ، جمع « نَفَل » ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

إنَّ تقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ   وَبِإذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَلْ [٢]

فإذ كان معناه ما ذكرنا ، فكل مَن زِيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة = إن كان ذلك لبلاء أبلاه ، أو لغَنَاء كان منه عن المسلمين = بتنفيل الوالى ذلك إيّاه ، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القاتل ، فهو منفل ما زيد من ذلك، لأن الزيادة نَفَلٌ ، [والنَّفَل] ، وإن كان مستوجِبَهُ فى بعض الأحوال لحق ، ليس هو من الغنيمة التى تقع فيها القسمة .[٣] وكذلك كل ما رُضِخ لمن لا سهم له فى الغنيمة ، فهو « نفل » ،[٤] لأنه وإن كان مغلوباً عليه ، فليس مما وقعت عليه القسمة .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغلبة » ، وصواب قراءتها « بغلبة » .

(٢) ديوانه ٢ : ١١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٠ ، اللسان (نفل) ، وغيرها كثير ، فاتحة قصيدة له طويلة .

(٣) كانت هذه الجملة فى المطبوعة هكذا : « لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة فى بعض الأحوال بحق ، فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة » ، غير ما كان فى المخطوطة كل التغيير ، والجملة فى المخطوطة كما أثبتها ، إلا أن صدرها كان هكذا : « لأن الزيادة امعل وإن كان مستوجبه » ، غير منقوطة ، سيئة الكتابة ، وظاهر أن صوابها ما أثبت ، مع زيادة ما زدت بين القوسين .

(٤) « رضخ له من المال » ، أعطاه عطية مقاربة ، أى قليلة .

فالفصل = إذا كان الأمر على ما وصفنا = بين « الغنيمة » و« النفل » ، أن « الغنيمة » ، هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر ، نفّل منه منفّل أو لم ينفل ، و« النفل » هو ما أعطيه المرء على البلاء والغَنَاء عن الجيش على غير قسمة .[1]

* * *

وإذْ كان ذلك معنى « النفل » ، فتأويل الكلام: يسألك أصحابك، يا محمد، عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر ، لمن هو ؟ قل لهم يا محمد : هو لله ولرسوله دونكم ، يجعله حيث شاء .

* * *

واختلف فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية . ١١٦/٩

فقال بعضهم : نزلت فى غنائم بدر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان نفّل أقواماً على بلاء ، فأبلى أقوام ، وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب ، فأنزل الله هذه الآية على رسوله ، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضٍ جائزٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٥٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، سمعت داود بن أبي هند يحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى مكان كذا وكذا ، فله كذا وكذا ، أو فعل كذا وكذا، فله كذا وكذا »، فتسارع إليه الشبان ، وبقى الشيوخ عند الرايات ، فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الأشياخ : لا تذهبوا به دوننا ! فأنزل الله عليه الآية ، « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « هو ما أعطيه الرجل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٦٥٠ — خبر ابن عباس هذا ، يرويه أبو جعفر من أربعة طرق ، من

١٥٦٥١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى = قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صنع كذا وكذا، فله كذا وكذا»، قال: فتسارع فى ذلك شبان الرجال، وبقيت الشيوخ تحت الرايات. فلما كان الغنائم،[1] جاءوا يطلبون الذى جعُل لهم، فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا رِدْءًا لكم،[2] وكنا تحت الرايات، ولو انكشفتم انكشفتم إلينا![3] فتنازعوا، فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين».[4]

١٥٦٥٢ – حدثنى إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل». قال فتقدم الفتيان، ولزم المشيخةُ الراياتِ، فلم يبرحوا. فلما فُتح عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءًا لكم، فلو انهزمتم انحزتم إلينا،[5] لا تذهبوا بالمغنم دوننا! فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا! فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال

رقم ١٥٦٥٠ – ١٥٦٥٣، إلا آخرها فهو غير مرفوع إلى ابن عباس. وهو خبر صحيح الإسناد.

فمن هذه الطريق الأولى «معتمر بن سليمان عن داود، ...»، رواه الحاكم فى المستدرك ٢: ٣٢٦، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى السنن الكبرى ٦: ٣١٥، وفيهما زيادة بعد «لا تذهبوا به دوننا»: «فقد كنا ردءاً لكم».

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤: ٦، والسيوطى فى الدر المنثور ٣: ١٥٩.

(١) فى المطبوعة: «فلما كانت الغنائم»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) «الردء»، العون، ينصر المرء ويشد ظهره، وهو له قوة وعماد.

(٣) «انكشف القوم»، انهزموا. وقوله: «انكشفتم إلينا»، أى رجعتم بعد الهزيمة إلينا، وكان فى المطبوعة: «لفئتم إلينا»، بمعنى رجعتم، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة.

(٤) الأثر: ١٥٦٥١ – هذه هى الطريق الثانية لخبر ابن عباس السالف.

«عبد الأعلى» هو «عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشى السامى»، ثقة، أخرج له الجماعة. مضى برقم: ٤٧٥١، ٨٢٨٢.

(٥) «انحاز إليه»، انضم إليه.

لله والرسول » . قال : فكان ذلك خيراً لهم ، وكذلك أيضاً أطيعونى فإنى أعلم .(١)

١٥٦٥٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، قال : لما كان يوم بدر ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من صنع كذا فله من النفل كذا » ! فخرج شبان الرجال ، فجعلوا يصنعونه ، فلما كان عند القسمة قال الشيوخ : نحن أصحاب الرايات ، وقد كنا رِدْءًا لكم ! فأنزل الله فى ذلك : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .(٢)

١٥٦٥٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعقوب الزهرى قال ، حدثنى المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول مولى هذيل ، عن أبى سلام ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن عبادة بن الصامت قال : أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر : « يسألونك عن الأنفال » إلى قوله : « إن كنتم مؤمنين » ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، عن بَوَاء .(٣)

---

(١) الأثر : ١٥٦٥٢ — « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

و « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى الطحان » ، مضى مراراً آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

وهذا الخبر بهذا الإسناد رواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٠٢ رقم : ٢٧٣٧ مع خلاف يسير فى لفظه . وآخره هناك : « فكذلك أيضاً فأطيعونى ، فإنى أعلم بعاقبة هذا منكم » . ورواه البيهق فى السنن ٦ : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ وقال : « هذا حديث صحيح ، فقد احتج البخارى بعكرمة ، وقد احتج مسلم بداود بن أبى هند ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : « صحيح » ، قلت هو على شرط البخارى » ، والزيادة فيهما كما فى سنن أبى داود .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٦ . وزاد نسبته إلى النسائى ، وابن مردويه (واللفظ هناك له) ، وابن حبان .

(٢) الأثر : ١٥٦٥٣ — انظر التعليق على الآثار السالفة .

(٣) الأثر : ١٥٦٥٤ — خبر عبادة بن الصامت ، مروى هنا من طريقين ، هذه أولاهما .

١٥٦٥٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت عن «الأنفال»، فقال : فينا معشرَ أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النَّفَل وساءت فيه أخلاقنا،

«إسحق» ، هو «إسحق بن الحجاج الطاحوني» ، مضى برقم : ٢٣٠ ، ١٦١٤ ، ١٠٣١٤ .

و «يعقوب الزهري» ، هو «يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري» ، مختلف فيه، وهو ثقة إن شاء الله ، مضى برقم : ٢٨٦٧ ، ٨٠١٢ . كان في المطبوعة هنا «الزبيري» ، وهو في المخطوطة غير منقوط ، وأقرب قراءته ما أثبت ، وهو الصواب بلا ريب ، فإن يعقوب بن محمد الزهري ، هو الذي يروي عن المغيرة .

و «المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي» ، مختلف فيه ، ذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه ابن معين ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٢١/١/٤ ، ابن أبي حاتم ٢٢٥/١/٤ ، لم يذكرا فيه جرحاً .

وأبوه : «عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي» ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، ابن أبي حاتم ٢٢٤/٢/٢ . روى عنه ابن إسحق في سيرته في مواضع . انظر ١ : ٣٦٧ .

و «سليمان بن موسى الأموي» الأشدق ، أبو هشام . ثقة ، مضى برقم : ١١٣٨٢ .

و «مكحول ، مولى هذيل» ، هو «مكحول الشامي ، أبو عبد الله» ، الفقيه التابعي ، وكان من سبي كابل ، وكانت في لسانه لكنة ، جاء في حديثه : «ما فعلت في تلك الهاجة» ، يريد «الحاجة» ، قلب الحاء هاء . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٦٠/٢/٧ ، والكبير ٢١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٠٧/٢/٤ .

و «أبو سلام» ، هو الأسود الحبشي الأعرج ، واسمه «ممطور» ، في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام . مترجم في التهذيب ، والكبير ٥٧/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٣١/١/٤ .

و «أبو أمامة الباهلي» واسمه : «صدي بن عجلان» صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن رسول الله ، وعن جماعة من الصحابة .

وهذا الخبر ، رواه مكحول مرة من طريق أبي سلام عن أبي أمامة ، ورواه في الذي يليه عن أبي أمامة بلا واسطة .

فمن هذه الطريق الأولى رواه أحمد في المسند ٥ : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، مطولا ، وبغير هذا اللفظ من طريق معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان ابن موسى ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، لا ذكر فيها لمكحول . ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٩٢ ، من طريق عبد الرحمن بن الحارث ، عن سليمان الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، مطولا ، كرواية أحمد . ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ١٣٥ ، بمثله .

وقوله «عن بواء» ، كان في المطبوعة «عن بسواء» ، هنا ، وفي الخبر التالي ، وهو خطأ محض، وسيأتي تفسيره في سياق الخبر التالي .

فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء = يقول : على السواء = فكان فى ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاحُ ذاتِ البين .[1]

* * *

وقال آخرون : بل إنما أنزلت هذه الآية ،[2] لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئاً قبل قسمتها ، فلم يعطه إياه ، إذ كان شِرْكاً بين الجيش ، فجعل الله جميعَ ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم .[3]

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٥٦٥٥ - « سليمان بن موسى الأشدق » ، مر فى التعليق السالف . وكان فى المطبوعة « الأسدى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لأنها غير منقوطة .

وهذا الخبر من رواية « محمد بن إسحق » ، مذكور فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، بإسناده هذا ، ثم فى ٢ : ٣٢٢ ، بغير إسناد .

ورواه الطبرى بإسناده هذا فى التاريخ ٢ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٢٢ ، من طريقين ، عن محمد بن إسحق .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٣٦ ، بالإحالة على لفظه الذى قبله .

ثم رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٦ ، من طريق وهب بن جرير بن حازم ، عن محمد ابن إسحق ، يقول حدثنى الحارث بن عبد الرحمن ، عن مكحول ، عن أبى أمامة ، وقال : « صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : على شرط مسلم . ولا أدرى كيف هذا ، فإن الثابت فى سيرة ابن إسحق ، من رواية ابن هشام أنه من روايته عن « عبد الرحمن بن الحارث » ، لا عن « الحارث بن عبد الرحمن » ، وهو خطأ . هذا فضلا عن أنه مروى بغير هذا اللفظ فى سيرة ابن هشام ، وفى سائر من رواه عن ابن إسحق ، إلا يونس بن بكير .

فإن البيهقى فى السنن الكبرى ٦ : ٢٩٢ رواه من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحق ، عن « عبد الرحمن بن الحارث » ، بنحو لفظ الحاكم فى المستدرك ثم قال : « ورواه جرير بن حازم ، عن محمد بن إسحق ، مع تقصير فى إسناده » . و « جرير بن حازم » الذى روى الحاكم الخبر من طريقه ، ثقة ثبت حافظ ، روى له الجماعة . ولكن قال ابن حبان وغيره : « كان يخطىء ، لأن أكثر ما كان يحدث من حفظه » ، فكأن هذا مما أوجب الحكم عليه بأنه يقصر أحياناً ويخطىء ، والصواب المحض ، هو ما أجمعت عليه الرواية عن ابن إسحق « عبد الرحمن بن الحارث » .

وذكره بلفظه هنا ، الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٦ ، هو والخبر الذى قبله ، من الطريق المطولة ، ثم قال : « ورجال الطريقين ثقات » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٦ : ٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٥٩

(٢) فى المطبوعة ، حذف « بل » من صدر الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « لرسول الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٥٦٥٦ — حدثني إسمعيل بن موسى السدى قال، حدثنا أبو الأحوص، عن عاصم، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت : يا رسول الله، هذا السيف قد شَفَى الله به من المشركين ! فسألته إياه، فقال : ليس هذا لى ولا لك ! قال : فلما ولَّيت قلت : أخاف أن يعطيه من لم يُبْلِ بلائى ! فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى، قال فقلت : أخاف أن يكون نزل فىَّ شيء ! قال : إن السيف قد صارَ لى ! قال : فأعطانيه، ونزلت : « يسألونك عن الأنفال ». (1)

١١٧/٩

١٥٦٥٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال، حدثنا عاصم، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن مالك قال : لما كان يوم بدر جئت بسيفٍ. قال : فقلت : يا رسول الله، إن الله قد شفى صَدرِي من المشركين = أو نحو هذا = فهبْ لى هذا السيف ! فقال لى : هذا ليس لى ولا لك ! فرجعت فقلت : عسى أن يعطى هذا من لم يُبْلِ بلائى ! فجاءنى الرسول، فقلت : حدث فِىَّ حدثٌ ! فلما انتهيت قال : يا سعد، إنك سألتنى السيف وليس لى، وإنه قد صار لى، فهو لك ! ونزلت : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ». (2)

(١) الأثر : ١٥٦٥٦ — خبر « سعد بن مالك »، وهو « سعد بن أبي وقاص »، رواه أبو جعفر من سبع طرق، بألفاظ مختلفة، إلا رقم : ١٥٦٥٩، فهو منقطع الإسناد. وهى من رقم ١٥٦٥٦ — ١٥٦٥٩ ثم من ١٥٦٦٢ — ١٥٦٦٤.

رواه من طريق عاصم، عن مصعب بن سعد برقم ١٥٦٥٦، ١٥٦٥٧.

ومن طرق سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد برقم ١٥٦٥٨، ١٥٦٦٢، ١٥٦٦٣.

ومن طريق محمد بن عبيد الله، أبي عون الثقفى، عن مصعب بن سعد رقم : ١٥٦٥٩، منقطعاً.

ومن طريق مجاهد، عن سعد بن أبي وقاص : ١٥٦٦٤.

وهذا تفسير إسناد الخبر الأول :

« إسماعيل بن موسى السدى الفزارى »، شيخ الطبرى، مضى برقم : ٨٤٩، ٩٦٨٢.

و « أبو الأحوص »، هو « سلام بن سليم الحنفى »، الثقة الحافظ، مضى مراراً كثيرة.

و « عاصم »، هو « عاصم بن أبي النجود »، مضى مراراً.

و « مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهرى »، تابعى ثقة، مضى برقم : ٨٩٤١، ١١٤٥٠.

وهو إسناد صحيح، ولم أجده فى موضع آخر من طريق أبي الأحوص عن مصعب.

(٢) الأثر : ١٥٦٥٧ — إسناد صحيح. ورواه من هذه الطريق أحمد فى المسند رقم :

١٥٦٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ابن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : أصبت سيفاً يوم بدر فأعجبنى ، فقلت : يا رسول الله ، هبه لى ! فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » .[١]

١٥٦٥٩ — حدثنا ابن المثنى وابن وكيع = قال ابن المثنى : حدثنى أبو معاوية = وقال ابن وكيع : حدثنا أبو معاوية = قال ، حدثنا الشيبانى ، عن محمد بن عبيد الله ، عن سعد بن أبى وقاص قال : فلما كان يوم بدر ،[٢] قتل أخى عُمَيْر ، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمى « ذا الكتيفة » ،[٣] فجئت به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب فاطرحه فى القَبَض ![٤] فطرحته ورجعتُ ، وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى ، وأخذ سَلَبى ! قال : فما جاوزت إلا قريباً ، حتى نزلت عليه « سورة الأنفال » ، فقال : اذهب فخذ سيفك ! = ولفظ الحديث لابن المثنى .[٥]

١٥٣٨ ، بنحوه ، مطولا .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٠٣ رقم ٢٧٤٠ ، بنحوه مطولا .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٣٢ ، بنحوه مطولا ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٩١ ، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٤ ، وقال : « رواه أبو داود » والترمذى ، والنسائى من طرق ، عن أبى بكر بن عياش ، وقال الترمذى : حسن صحيح » .

(١) الأثر : ١٥٦٥٨ — هو مختصر الحديث رقم : ١٥٦٦٢ ، وهو إسناد صحيح ، وسأخرجه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « لما كان » ، حذف الفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) « ذو الكتيفة » على وزن « عظيمة » ، و « الكتيفة » : حديدة عريضة طويلة ، وربما كانت كأنها صحيفة ، وربما سموا السيف « كتيفاً » .

(٤) « القبض » (بفتحتين) قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « القبض ، الذى تجمع عنده الغنائم » . وقال غيره : بمعنى المقبوض ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم .

(٥) الأثر : ١٥٦٥٩ — « أبو معاوية » ، هو الضرير ، « محمد بن خازم التميمى السعدى » ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى له الجماعة .

١٥٦٦٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير= وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة جميعًا ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله ابن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسَيْد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف بني عائذ يوم بدر ، وكان السيف يدعى « المرْزُبان » ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردُّوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئاً يُسْأله ، فرآه الأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .(١)

وكان في المطبوعة هنا : « قال ابن المثنى حدثني معاوية » ، حذف « أبو » ، كأنه ظن أن ابن المثنى قال : « معاوية » ، وأن ابن وكيع قال « أبو معاوية » ، وأن هذا هو وجه الاختلاف ! والصواب أن الاختلاف في أن ابن المثنى قال : « حدثني » ، وأن ابن وكيع قال : « حدثنا » . فهذا مبلغ الإساءة في التصرف ! !

و « الشيباني » ، هو « أبو إسحق الشيباني » : « سليمان بن أبي سليمان » الثقة الحجة ، مضى مراراً كثيرة .

و « محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي » ، « أبو عون الثقفي » ، تابعي ثقة ولكنه لم يدرك سعد ابن أبي وقاص ، وروايته عن سعد مرسلة . (انظر شرح الإسناد في مسند أحمد) . مضى برقم : ٧٥٩٥ ، ١٣٩٦٥ .

وهذا الخبر ضعيف الإسناد ، لانقطاعه .

رواه أحمد في مسنده برقم : ١٥٥٦ ، ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال : ٣٠٣ ، بمثله . وقال في خلال الخبر « . . . قتلت سعيد بن العاص = وقال غيره : العاص بن سعيد . قال أبو عبيد : هذا عندنا هو المحفوظ ». ثم قال تعقيباً عليه : « قال أبو عبيد : وقال أهل العلم بالمغازي : قاتل العاص ، علي بن أبي طالب » . والذي قاله أبو عبيد هو الصواب .

فالذي جاء في الخبر هنا « سعيد بن العاص » ، وهم ، فإن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية الأموي ، متأخر ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تسع سنين ، وهو لم يشرك قط . وقتل أبوه « العاص بن سعيد » يوم بدر كافراً ، أما جده « سعيد بن العاص بن أمية » ، فمات قبل بدر مشركاً . ويكون الصواب كما قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة « عمير بن أبي وقاص » : « العاص بن سعيد بن العاص » ، ويكون الاختلاف إذن في الذي قتله: أهو علي بن أبي طالب، أم سعد بن أبي وقاص ؟ وإن كنت لم أجد هذا الاختلاف . وهذا موضع يحتاج إلى فضل تحقيق . وانظر التعليق على رقم : ١٥٦٦٤ .

هذا ، وقد رأيت بعد في الروض الأنف ٢ : ٧٦ ، هذا الخبر عن أبي عبيد وفيه « العاصي ابن سعيد بن العاصي » في صلب الخبر ، ورأيت ذكر هذا الاختلاف في الروض الأنف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣

(١) الأثر : ١٥٦٦٠ — « عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري » ،

١٥٦٦١ — حدثني يحيى بن جعفر قال، حدثنا أحمد بن أبي بكر ، عن يحيى بن عمران ، عن جده عثمان بن الأرقم = وعن عمه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ردُّوا ما كان من الأنفال ! فوضع أبو أسيد الساعديّ سيف ابن عائذ ، « المرزبان » ، فعرفه الأرقم فقال : هبه لى، يا رسول الله ! قال : فأعطاه إياه.(١)

ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٨٠٨ .

وأما قوله : « بعض بنى ساعدة » ، فقد جعلها فى المطبوعة « قيس بن ساعدة » لا أدرى لم غير ما فى المخطوطة .

وأما « أبو أسيد مالك بن ربيعة الأنصارى » ، من بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، فهو الصحابى المشهور ، فجعله فى المطبوعة : « أبا أسيد بن مالك بن ربيعة » ، زاد « بن » بلا مراجعة .

وأما « سيف بنى عائذ » فجعلها « سيف ابن عائذ » ، كما فى الخبر التالى، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة . والصواب من سيرة ابن هشام ، وفيها : « سيف بنى عائذ المخزوميين » . و « عائذ » فى المخطوطة غير منقوطة ، وفى المطبوعة : « عائد » بالدال المهملة . والصواب ما فى سيرة ابن هشام . وفى بنى مخزوم : « بنو عائذ بن عمران بن مخزوم » (بالذال المعجمة) رهط آل المسيب ، وفى بنى مخزوم أيضاً : « بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » (بالباء والدال المهملة) ، وهم رهط آل السائب . انظر الروض الأنف ٢ : ٧٦ ، ونسب قريش ٣٣٣ ثم : ٣٤٣ ، ولم أجد ما أرجح به أحدهما على الآخر .

وهذا الخبر رواه إبن إسحق فى سيرته ، ابن هشام ٢ : ٢٩٦، بلفظه ، وانظر التعليق على الخبر التالى .

(١) الأثر : ١٥٦٦١ — هذا مختصر الأثر السالف من طريق أخرى .

« يحيى بن جعفر » ، هو « يحيى بن أبى طالب » ، « يحيى بن جعفر بن الزبير قال » ، شيخ الطبرى . محدث مشهور ثقة . مضى برقم : ٢٨٤ .

و « أحمد بن أبى بكر » هو « أحمد بن القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى » ، كنيته « أبو مصعب الزهرى»، ثقة، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٦ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٣ .

و « يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم بن الأرقم المخزومى » ، روى عن أبيه ، وعمه « عبد الله ابن عثمان » . روى عنه عطاف بن خالد ، وأبو مصعب الزهرى « أحمد بن أبى بكر» ، وغيرهما . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٤٤٦ ، والكبير ٤/٢/٢٩٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٧ ، ١٧٨ ، وقال ابن أبى حاتم: « سألت أبى عنه فقال : شيخ مدنى مجهول » .

وأما قوله « وعن عمه ، عن جده » ، فكان فى المطبوعة والمخطوطة « عن عمه ، عن جده » بغير واو العطف ، وهو لا يستقيم ، بل هو خطأ محض بل الصواب أن « يحيى بن عمران » ،

١٥٦٦٢ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : أصبت سيفاً = قال : فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، نفّلنيه ! فقال : ضعه ! ثم قام فقال : يا رسول الله ، نفلنيه ! قال : ضعه ! قال : ثم قام فقال : يا رسول الله، نفلنيه ! أجعل كمن لا غَنَاء له ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضعه من حيث أخذته ! فنزلت هذه الآية : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » .(١)

١٥٦٦٣ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد قال : أخذت سيفاً من المغنم فقلت : يا رسول الله ، هب لى هذا ! فنزلت : « يسألونك عن الأنفال » .(٢)

١٥٦٦٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد فى قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : قال سعد : كنت أخذت سيفَ سعيد بن العاص بن أمية ، فأتيت رسول الله

رواه عن جده مباشرة ، ورواه مرة أخرى عن عمه « عبد الله بن عثمان » ، عن جده أيضاً .

و « عبد الله بن عثمان بن الأرقم بن الأرقم المخزومى » ، مترجم فى تعجيل المنفعة ٢٢٨ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١١٣ ، ولم يذكروا فيه جرحاً .

وهذا الخبر ، مختصر الذى قبله ، ولم أجده فى مكان آخر .

(١) الأثر : ١٥٦٦٢ — طريق أخرى لخبر سعد بن أبى وقاص ، كما بينه فى رقم : ١٥٦٥٦ .

وهو خبر صحيح الإسناد ، من طريق سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد .

وبهذا الإسناد رواه أحمد فى المسند رقم : ١٥٦٧ ، ١٦١٤ فى خبر طويل ، مضى بعضه فى شأن تحريم الخمر رقم : ١٢٥١٨ ، من تفسير الطبرى . ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ٢٨ رقم : ٢٠٨ . ورواه مسلم فى صحيحه ١٢ : ٥٣ ، ٥٤ ، ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٦ : ٢٩١ ، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥ ورواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ ١٥٠ ، من طريق زهير بن معاوية عن سماك بن حرب ، بغير هذا اللفظ

(٢) الأثر ١٥٦٦٣ مختصر الذى قبله

صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعطني هذا السيف يا رسول الله ! فسكت ، فنزلت: « يسألونك عن الأنفال » ، إلى قوله : « إن كنتم مؤمنين » ، قال: فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت : لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر ، فأعلمهم الله أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم ، ليس لهم فيه شيء . وقالوا : معنى « عن » فى هذا الموضع « من » ،(٢) وإنما معنى الكلام : يسألونك من الأنفال . وقالوا : قد كان ابن مسعود يقرأه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ الأَنفَالَ ﴾، على هذا التأويل . ١١٨/٩

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٥٦٦٤ - « إسرائيل » ، هو « إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق السبيعى » مضى مراراً كثيرة .

و « إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلى » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ١٢٩١ فى نحو هذا الإسناد .

و « مجاهد » هو « مجاهد بن جبر المكى المخزومى » ، الإمام الثقة ، روى عن سعد بن أبي وقاص وغيره الصحابة .

فهذا خبر صحيح الإسناد من إسرائيل ، إلى مجاهد .

أما « الحارث » ، فهو «الحارث بن أبي أسامه » ، وهو ثقة ، مضى برقم : ١٠٢٩٥ ، وغيره .

وأما « عبد العزيز » ، فهو « عبد العزيز بن أبان الأموى » ، من ولد « سعيد بن العاص ابن أمية » ، وهو كذاب خبيث يضع الأحاديث . مضى برقم : ١٠٢٩٥ ، وغيره ، راجع فهارس الرجال .

فمن هذا ضعف إسناده ، حتى أجد له رواية عن غير هذا الكذاب ، كما قاله أهل الجرح والتعديل .

هذا ، وقد جاء فى هذا الخبر ذكر « سعيد بن العاص بن أمية » ، مبيناً ، وكنت قلت فى التعليق على رقم : ١٥٦٥٩ أن « سعيد بن العاص بن أميه » مات مشركاً قبل يوم بدر ، فلذلك لم يصح عندنا قوله فى ذلك الخبر « قتلت سعيد بن العاص » . أما فى هذا الخبر ، فإنه مستقيم ، لأنه قال: « أخذت سيف سعيد بن العاص » ، فسيفه بلا ريب كان مشهوراً معروفاً عن سعد بن أبي وقاص ، وكان عند ولده المقتول ببدر « العاص بن سعيد بن العاص » ، وظاهر أنه كان معه يقاتل به يوم بدر فقتل وهو معه ، فأخذه سعد بن أبي وقاص . ومع ذلك يظل أمر الاختلاف فى قتل « العاص ابن سعيد بن العاص » قائماً كما هو ، أقتله على بن أبي طالب ، كما قال أصحاب السير والمغازى ، أم قتله سعد بن أبي وقاص ، كما دل عليه الخبر الصحيح عنه . راجع التعليق على رقم : ١٥٦٥٩ . وانظر الروض الأنف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ وذكر هذا الاختلاف .

(٢) انظر « عن » بمعنى « من » فيما سلف ١ : ٤٤٦ ، تعليق : ٦ .

١٥٦٦٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش قال : كان أصحاب عبد الله يقرأونها : ﴿ يَسْأَلُونَكَ الْأَنفَالَ ﴾ .

١٥٦٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هى فى قراءة ابن مسعود : ﴿ يَسْأَلُونَكَ الْأَنفَالَ ﴾ .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، قال : « الأنفال » ، المغانم ، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، ليس لأحد منها شىء، ما أصاب سرايا المسلمين من شىء أتوه به ، فمن حبس منه إبرة أو سِلْكاً فهو غُلول .[1] فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها ، قال الله : يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لى جعلتها لرسولى ، ليس لكم فيها شىء = « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » ، ثم أنزل الله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] . ثم قسم ذلك الخُمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن سمى فى الآية .[2]

١٥٦٦٨ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : نزلت فى المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرًا . قال : واختلفوا ، فكانوا أثلاثاً . قال : فنزلت : « يسألونك

---

(١) فى المخطوطة « فمن حبسه منه » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وهو مطابق لما فى البيهقى .
و « الغلول » ، هى الخيانة فى المغنم ، والسرقة من الغنيمة .

(٢) الأثر : ١٥٦٦٧ — هذا الإسناد ، سلف بيانه برقم ١٨٣٣ ، ٨٤٧٢ ، وأنه إسناد منقطع . لأن « على بن طلحة » لم يسمع من ابن عباس التفسير
وهذا الخبر ، رواه البيهقى من هذه الطريق نفسها ، فى السنن الكبرى ٦ ٢٩٣ ، مطولا .

عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، وملَّكه الله رَسوله ، يقسمه كما أراه الله.[1]

١٥٦٦٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر ، فنزلت : « يسألونك عن الأنفال ».[2]

١٥٦٧٠ — . . . . قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يسألونك عن الأنفال »، قال : يسألونك أن تنفّلهم .

١٥٦٧١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا حماد بن زيد قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة فى قوله : « يسألونك عن الأنفال »، قال : يسألونك الأنفال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبرَ فى هذه الآية عن قوم سألوا رَسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يُعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله، وأنه جعلها لرسوله .

وإذا كان ذلك معناه ، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها = وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله

---

(١) فى المطبوعة : « فقسمه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٦٦٩ — « عباد بن العوام الواسطى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد . مضى برقم : ٥٤٣٣ .

و « الحجاج » ، هو « الحجاج بن أرطاة النخعى » ، مضى برقم : ٣٢٩٩ ، ٣٩٦٠ ، ٤٢٤٦ ، ٩٦٣١ ، ١٠١٣٨ ، وهو ثقة ، إلا أنه كان يدلس عن « عمرو بن شعيب » ، وقال محمد بن نصر : « الغالب على حديثه الإرسال والتدليس وتغيير الألفاظ » ، واشترطوا فى حديثه التصريح بالسماع . وهذا مما لم يصرح فيه بالسماع .

فهذا خبر ضعيف ، لهذه العلة .

و « عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص » ، أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال أبو زرعة : « إنما سمع أحاديث يسيرة ، وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها »، وهو ثقة فى نفسه ، وأحاديثه « عن أبيه عن جده » ، محتملة ، ولكنهم لم يدخلوها فى صحاح ما خرجوا

السيف الذى ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه = وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش .

* * *

واختلفوا فيها : أمنسوخة هى أم غير منسوخة ؟

فقال بعضهم : هى منسوخة . وقالوا : نسخها قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] ، الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : كانت الأنفال لله وللرسول ، فنسختها : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ .

١٥٦٧٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : أصاب سعد ابن أبى وقاص يوم بدر سيفاً ، فاختصم فيه وناسٌ معه . فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم منهم ، فقال الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، الآية ، فكانت الغنائم يومئذ للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، فنسخها الله بالخُمس .

١٥٦٧٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى سليم مولى أم محمد ، عن مجاهد فى قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : نسختها : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾.(١)

---

(١) الأثر : ١٥٦٧٤ — « سليم مولى أم محمد » ، لم أجده ، والذى يروى عن مجاهد ، ويروى عنه ابن جريج ، فهو « سليم ، أبو عبيد الله مولى أم على » ، مضى برقم : ٤٣٠٥ ، وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٢٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢١٣ ، وهو من كبار أصحاب مجاهد ، ذكره ابن حبان فى الثقات .

١٥٦٧٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة = أو: عكرمة وعامر = قالا: نسخت الأنفال: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾.

* * *

وقال آخرون: هي محكمة، وليست منسوخة. وإنما معنى ذلك: «قل الأنفال لله»، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة = وللرسول، يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه.

* ذكر من قال ذلك:

١٥٦٧٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال، قال ابن زيد في قوله: «يسألونك عن الأنفال»، فقرأ حتى بلغ: «إن كنتم مؤمنين»، فسلّموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا، ويضعانها حيث أرادا، فقالوا: نعم! ثم جاء بعد الأربعين: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية، [سورة الأنفال: ٤١]، ولكم أربعة أخماس. وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: «وهذا الخمس مردود على فقرائكم»، يصنع الله ورسوله في ذلك الخمس ما أحبّا، ويضعانه حيث أحبّا. ثم أخبرنا الله بالذي يجب من ذلك. ثم قرأ الآية: ﴿ لِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الحشر: ٧]. ١١٩/٩

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جعل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه صلى الله عليه وسلم، يُنفِّل من شاء، فنفَّل القاتل السَّلَب وجعل للجيش في البَدْأة الربع، وفي الرجعة الثلث بعد الخمس.[1] ونفَّل

---

(١) «البدأة»، ابتداء سفر الغزو، و «الرجعة» القفول منه. وكان إذا نهضت سرية من جملة العسكر المقبل على العدو، فأوقعت بطائفة من العدو، فما غنموا كان لهم الربع، ويشركهم

قوماً بعد سُهْمَانهم بعيرًا بعيرًا فى بعض المغازى . فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ينفِّل على ما يرى مما فيه صلاحُ المسلمين ، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنّوا بسُنته فى ذلك .

وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ ، لاحتمالها ما ذكرتُ من المعنى الذي وصفت . وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادثُ حكمٍ بخلافه ، ينفيه من كل معانيه ، أو يأتى خبرٌ يوجب الحجةَ أن أحدهما ناسخٌ الآخرَ .[١]

* * *

وقد ذكر عن سعيد بن المسيب : أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأويلاً منه لقول الله تعالى : « قل الأنفال لله والرسول » .

١٥٦٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد ابن عمرو قال : أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شىء ، فقال : إنكم أرسلتم إلى تسألونى عن الأنفال ، فلا نَفَل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد بينا أن للأئمة أن يتأسَّوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله ، فينفِّلوا على نحو ما كان ينفل ، إذا كان التنفيل صلاحاً للمسلمين .

* * *

سائر العسكر فى ثلاثة أرباع ما غنموا . وإذا فعلت ذلك عند عود العسكر ، كان لهم من جميع ما غنموا الثلث ، لأن الكرة الثانية أشق عليهم ، والخطر فيها أعظم . وذلك لقوة الظهر عند دخولهم ، وضعفه عند خروجهم . وهم فى الأول أنشط وأشهى للسير والإمعان فى بلاد العدو ، وهم عند القفول أضعف وأفتر وأشهى للرجوع إلى أوطانهم ، فزادهم لذلك .

(١) انظر مقالته أبي جعفر فى « النسخ » فيما سلف فى فهارس الموضوعات ، وفهارس النحو والعربية وغيرهما .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فخافوا الله،أيها القوم ، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه ، وأصلحوا الحال بينكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله : « وأصلحوا ذات بينكم » .

فقال بعضهم : هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ، وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اختلفوا فى الغنيمة : أن يردّ ما أصابوا منها بعضُهم على بعض .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، قال : كان نبى الله ينفّل الرجل من المؤمنين سَلَب الرجل من الكفار إذا قتله ، ثم أنزل الله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، أمرهم أن يردّ بعضهم على بعض .

١٥٦٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفّل الرجل على قدر جِدِّه وغَنَائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر ، وملأ الناسُ أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ! فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم »، ليردّ أهل القوة على أهل الضعف .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أن يردوا » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

وقال آخرون : هذا تحريج من الله على القوم ، ونهىٌ لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٨٠ — حدثني محمد بن عمارة قال، حدثنا خالد بن يزيد = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = قالا ، حدثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد فى قول الله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، قال: حَرَّج عليهم .

١٥٦٨١ — حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « فاتقوا الله أصلحوا ذات بينكم » ، قال : هذا تحريجٌ من الله على المؤمنين ،أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم = قال عباد ، قال سفيان : هذا حين اختلفوا فى الغنائم يوم بدر .

١٥٦٨٢ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم»، أى لا تَسْتَبُّوا . ٩/١٢٠

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث « البين » .

فقال بعض نحويي البصرة : أضاف « ذات » إلى « البين » ، وجعله «ذاتاً» ، لأن بعضَ الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضاً يذكر ، نحو « الدار » و « الحائط » ، أنث « الدار » وذكر « الحائط » .

* * *

وقال بعضهم : إنما أراد بقوله : « ذات بينكم » ، الحال التى للبين ، فقال : وكذلك « ذات العشاء » ، يريد الساعة التى فيها العشاء ، قال : ولم يضعوا مذكرًا لمؤنث ، ولا مؤنثاً لمذكر ، إلا لمعنى .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى القولين بالصواب ، للعلة التى ذكرتها له .

* * *

وأما قوله : « وأطيعوا الله ورسوله » ، فإن معناه : وانتهوا ، أيها القوم الطالبون الأنفال ، إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم ، فقد بين لكم وجوهه وسبله = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم من عند ربكم ، كما :—

١٥٦٨٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » ، فسلموا لله ولرسوله ، يحكمان فيها بما شاءا ، ويضعانها حيث أرادا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه فى كتابه من حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن هو الذى إذا ذكر الله وَجِل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره ، خوفاً منه ، وفَرَقاً من عقابه ، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها ،(١) وأيقن أنها من عند الله ، فازداد بتصديقه بذلك ، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك ، تصديقاً . وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إيَّاهم إيماناً (٢) = « وعلى ربهم يتوكلون » ، يقول : وبالله يوقنون ، فى أن قضاءه فيهم ماضٍ ، فلا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه . (٣)

* * *

(١) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف ص : ٢٥٢ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « زيادة الإيمان » فيما سلف ٧ : ٤٠٥ .

(٣) انظر تفسير « الوكتل » فيما سلف ١٢ : ٥٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٨٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : المنافقون ، لا يدخل قلوبهم شىء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشىء من آيات الله ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلّون إذا غابوا ، ولا يؤدُّون زكاة أموالهم . فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، فأدوا فرائضه = « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ، يقول تصديقاً = « وعلى ربهم يتوكلون » ، يقول : لا يرجون غيره .

١٥٦٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : فَرِقت .

١٥٦٨٦ — . . . . قال ، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن السدى : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» ، قال: إذا ذكر الله عند الشىء وجِلَ قلبه .

١٥٦٨٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، يقول : إذا ذكر الله وَجِل قلبه .

١٥٦٨٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وجلت قلوبهم » ، قال : فرقت .

١٥٦٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وجلت قلوبهم » ، فرقت .

١٥٦٩٠ — . . . . قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان قال : سمعت السدى يقول فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : هو الرجل يريد أن يظلم = أو قال : يهمّ بمعصية = أحسبه قال : فينزع عنه .

١٥٦٩١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى الدرداء فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : الوجل فى القلب كإحراق السَّعَفة ،(١) أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى ! قال : إذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله ، فإن الدعاء يذهب بذلك .

١٥٦٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : فرقًا من الله تبارك وتعالى ، ووَجلاً من الله ، وخوفاً من الله تبارك وتعالى .

١٢١/٩

* * *

وأما قوله : « زادتهم إيماناً » ، فقد ذكرت قول ابن عباس فيه .(٢)

* * *

وقال غيره فيه ، ما : —

١٥٦٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ، قال : خشية .

١٥٦٩٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » ، قال : هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نَعْتَهم ووصفهم ، فأثبت صِفَتَهم .

* * *

---

(١) « السعفة » (بفتحتين) ورق جريد النخل إذا يبس .

(٢) يعنى رقم : ١٥٦٨٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها ، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه ، من زكاة وجهاد وحج وعمرة ، ونفقةٍ على من تجب عليهم نفقته ، فيؤدُّون حقوقهم = « أولئك » ، يقول : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال(١) = « هم المؤمنون » ، لا الذين يقولون بألسنتهم : « قد آمنا » ، وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقاً ، لا يقيمون صلاة ، ولا يؤدُّون زكاة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس : « الذين يقيمون الصلاة » ، يقول : الصلوات الخمس = « ومما رزقناهم ينفقون » ، يقول : زكاة أموالهم(٢) = « أولئك هم المؤمنون حقًّا » ، يقول : برئوا من الكفر . ثم وصف الله النفاق وأهله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ : إلى قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ ، [سورة النساء : ١٥٠ ، ١٥١] فجعل الله المؤمن مؤمناً حقًّا ، وجعل الكافر كافراً حقًّا ، وهو قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [سورة التغابن : ٢] .

---

(١) انظر تفسير « إقامة الصلاة » ، و « الرزق » ، و « النفقة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (رزق) ، (نفق) .

(٢) انظر تفسير « حقا » فيما سلف من فهارس اللغة (حقق) .

١٥٦٩٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أولئك هم المؤمنون حقًّا » ، قال : استحقُّوا الإيمان بحق ، فأحقه الله لهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « لهم درجات » ، لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم = « درجات » ، وهى مراتب رفيعة .[١]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه « الدرجات » التى ذكر الله أنها لهم عنده ، ما هى ؟

فقال بعضهم : هى أعمال رفيعة ، وفضائل قدّموها فى أيام حياتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٩٧ — حدثنى أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد: « لهم درجات عند ربهم » ، قال: أعمال رفيعة .[٢]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مراتب فى الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٩٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(٤) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ١٢ : ٢٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) الأثر : ١٥٦٩٧ — « أبو يحيى القتات » ، ضعيف ، مضى برقم : ١٢١٣٩ .

سفيان، عن هشام ، عن جبلة، عن عطية ، عن ابن محيريز : « لهم درجات عند ربهم » ، قال : الدرجات سبعون درجة ، كل درجة حُضْرُ الفرس الجواد المضمَّر سبعين سنة .[1]

* * *

وقوله : « ومغفرة » ، يقول : وعفو عن ذنوبهم ، وتغطية عليها [2]= « ورزق كريم » ، قيل : الجنة = وهو عندى : ما أعد الله فى الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنىء العيش .[3]

١٥٦٩٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق، عن هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة : « ومغفرة » ، قال : لذنوبهم = « ورزق كريم » ، قال : الجنة .

* * *

(١) الأثر ١٥٦٩٨ – « سفيان » هو ، الثورى .
و « هشام » هو : « هشام بن حسان القردوسى » ، مضى برقم : ٢٨٣٧ ، ٧٢٨٧ ، ٩٨٣٧ ، ١٠٢٥٨ .
و « جبلة » هو « جبلة بن سحيم التيمى » ، مضى برقم : ٣٠٠٣ ، ١٠٢٥٨ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « هشام بن جبلة » ، وهو خطأ صرف .
وأما « عطية » ، فلا أعرف من يكون ، وأنا فى شك منه .
و « ابن محيريز » ، هو : « عبد الله بن محيريز الجمحى » ، مضى برقم : ٨٧٢٠ ، ١٠٢٥٨ .
وهذا الخبر ، روى مثله فى تفسير غير هذه الآية ، فيما سلف برقم : ١٠٢٥٨ قال : « حدثنا على بن الحسين الأزدى ، قال حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن هشام بن حسان ، عن جبلة ابن سحيم ، عن ابن محيريز » ، ليس فيه « ابن عطية » هذا الذى هنا .
و « الحضر » (بضم فسكون) ، ارتفاع الفرس فى عدوه .
و « المضمر » ، هو الذى أعد للسباق والركض .
(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .
(٣) انظر تفسير « كريم » فيما سلف ٨ : ٢٥٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الجالب لهذه « الكاف » التى فى قوله : « كما أخرجك » ، وما الذى شُبِّه بإخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق .

فقال بعضهم : شُبِّه به فى الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله . وقالوا : معنى ذلك : يقول الله : وأصلحوا ذات بينكم ، فإن ذلك خير لكم ، كما أخرج الله محمداً صلى الله عليه وسلم من بيته بالحقِّ، فكان خيراً له .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين * كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، الآية ، أى : إن هذا خيرٌ لكم ، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كما أخرجك ربك ، يا محمد ، من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم يكرهون القتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم . ١٢٢/٩

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) فى المطبوعة ، والمخطوطة « كان خيراً له » ، بغير فاء ، والصواب ما أثبت ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »، قال : كذلك يجادلونك فى الحق .

١٥٧٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، كذلك يجادلونك فى الحق ، القتال .

١٥٧٠٣ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، قال : كذلك أخرجك ربك .[1]

١٥٧٠٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أنزل الله فى خروجه = يعنى خروج النبي صلى الله عليه وسلم = إلى بدر ، ومجادلتهم إياه فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون» ، لطلب المشركين ، «يجادلونك فى الحق بعد ما تبين» .

* * *

واختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعض نحويى الكوفيين : ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضى لأمره فى الغنائم ، على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون .[2]

* * *

وقال آخرون منهم : معنى ذلك: يسألونك عن الأنفال مجادلة ، كما جادلوك يوم بدر فقالوا : « أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالاً فنستعد له » .

* * *

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، ولعل الصواب : «قال : كذلك يجادلونك» ، وهو ما تدل عليه الآثار السالفة عن مجاهد .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٣ .

وقال بعض نحويي البصرة. يجوز أن يكون هذا «الكاف» في «كما أخرجك»، على قوله: «أولئك هم المؤمنون حقًّا»، «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق». وقال: «الكاف» بمعنى «على».[1]

* * *

وقال آخر منهم[2]: هي بمعنى القسم. قال: ومعنى الكلام: والذي أخرجك ربّك.[3]

* * *

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال: معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين = لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهاً، وجدالهم في لقاء العدو وعند دنوّ القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض، مع قرب أحدهما من الآخر، أولى من تشبيهه بما بَعُد عنه.

* * *

وقال مجاهد في «الحق» الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه: هو القتال.

١٥٧٠٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «يجادلونك في الحق»، قال: القتال.

١٥٧٠٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

---

(١) في المطبوعة: «وقيل: الكاف ..»، كأنه قول آخر، والصواب ما في المخطوطة. ولعل قائل هذا هو الأخفش. لأنه الذي قال: «الكاف بمعنى: على»، وزعم أن من كلام العرب إذا قيل لأحدهم: «كيف أصبحت»، أن يقول: «كخير»، والمعنى: على خير.

وانظر تفسير «كما» فيما سلف ٣ : ٢٠٩، في قوله تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولا» [سورة البقرة ١٥١]

(٢) في المطبوعة «وقال آخرون». جمعاً، وأثبت ما في المخطوطة، وهو الصواب، وقائل ذلك هو أبو عبيدة معمر بن المثنى

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٠ ، ٢٤١

١٥٧٠٧ - حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

• • •

وأما قوله : « من بيتك » ، فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح : « كما أخرجك ربك من بيتك » ، المدينة ، إلى بدر .

١٥٧٠٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، قال : من المدينة إلى بدر .

• • •

وأما قوله : « وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » ، فإن كراهتهم كانت ، كما :-

١٥٧١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله ابن عباس ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم ، ندب إليهم المسلمين ،[1] وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ،[2] فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفّلكموها ! فانتدب الناس ، فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .[3]

١٥٧١١ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » ، لطلب المشركين .

• • •

(١) « ندب الناس إلى حرب أو معونة ، فانتدبوا » ، أي : دعاهم فاستجابوا وأسرعوا إليه .

(٢) « العير » ، (بكسر العين) : القافلة . وكل ما امتاروا عليه من إبل وحمير وبغال ، فهي عير . وكانت قافلة تجارة قريش إلى الشام .

(٣) الأثر : ١٥٧١٠ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله: « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين » .

فقال بعضهم : عُنِى بذلك أهلُ الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كانوا معه حين توجَّه إلى بدر للقاء المشركين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى لقاء القوم ، وقال له سعد بن عبادة ما قال ، وذلك يوم بدراً ، أمرَ الناس فتعبَّوْا للقتال ،[1] وأمرهم بالشوكة ، وكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون * يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينتظرون » . ١٢٣/٩

١٥٧١٣ — حدثنى ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر القومَ = يعنى أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم = ومسيرَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عرف القوم أن قريشاً قد سارت إليهم ، وأنهم إنما خرجوا يريدون العيرَ طمعاً فى الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، إلى قوله : « لكارهون » ، أى كراهيةً للقاء القوم، وإنكارًا لمسير قريش حين ذُكِروا لهم .[2]

* * *

وقال آخرون : عُنِى بذلك المشركون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

(١) « عبى الجيش » و « عبأه » بالهمز ، واحد . و « تعبوا للقتال » و « تعبأوا » ، تهيأوا له .
(٢) الأثر : ١٥٧١٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٦٥٥ .

قوله : « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، قال : هؤلاء المشركون ، جادلوه فى الحق [١]= « كأنما يساقون إلى الموت »، حين يدعون إلى الإسلام = « وهم ينظرون » ، قال : وليس هذا من صفة الآخرين ، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

١٥٧١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنى عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أخى الزهرى ، عن عمه قال : كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العِير .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحق ، من أن ذلك خبرٌ من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو ، وكان جدالهم نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : « لم يُعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم ، وإنما خرجنا للعير » . ومما يدلّ على صحته قولُه[٣] : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ ، فى ذلك الدليلُ الواضح لمن فهم عن الله ، أنّ القوم قد كانوا للشوكة كارهين ، وأن جدالهم كان فى القتال ، كما قال مجاهد ، كراهيةً منهم له = وأنْ لا معنى لما قال ابن زيد ، لأن الذى قبل قوله : « يجادلونك فى الحق » ، خبرٌ عن أهل الإيمان ، والذى يتلوه

---

(١) فى المطبوعة : « جادلوك » ، وأثبت الصواب الجيد من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٧١٥ — « يعقوب بن محمد الزهرى » ، مضى قريباً برقم ١٥٦٥٤ ، وهو يروى عن ابن أخى الزهرى مباشرة ، ولكنه روى عنه هنا بالواسطة .

« عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبى عبيد الدراوردى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٦٧٦ .

و « ابن أخى الزهرى » ، هو « محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى » ، ثقة ، متكلم فيه ، روى له الجماعة . يروى عن عمه « ابن شهاب الزهرى » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « على صحة قوله » ، والصواب ما أثبت .

خبرٌ عنهم ، فأن يكون خبرًا عنهم ، أولى منه بأن يكون خبرًا عمن لم يجرِ له ذكرٌ .

* * *

وأما قوله : « بعد ما تبين » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : بعد ما تبين أنك لا تصنع إلاّ ما أمرك الله به .

* * *

وقال آخرون : معناه : يجادلونك فى القتال بعد ما أمرت به .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٧ — روى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .[١]

* * *

وأما قوله : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، فإن معناه : كأن هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدوّ، من كراهتهم للقائهم إذا دعوا إلى لقائهم للقتال، « يساقون إلى الموت » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، أي كراهةً للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم .[٢]

* * *

(١) الأثر : ١٥٧١٧ — هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة ، لم يذكر نصاً ، وكأن صواب العبارة : « رواه الكلبى ، . . » .

(٢) الأثر : ١٥٧١٨ — سيرة بن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو جزء من الخبر السالف رقم : ١٥٧١٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: واذكروا ، أيها القوم = « إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ، يعنى إحدى الفرقتين ،[1] فرقة أبى سفيان بن حرب والعِير ، وفرقة المشركين الذين نَفَروا من مكة لمنع عيرهم .

* * *

وقوله : « أنها لكم » ، يقول : أن ما معهم غنيمة لكم = « وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم » ، يقول : وتحبون أن تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة = يقول : ليس لها حدٌّ ،[2] ولا فيها قتال = أن تكون لكم . يقول : تودُّون أن تكون لكم العيرُ التى ليس فيها قتال لكم ، دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم ، الذين فى لقائهم القتالُ والحربُ .

* * *

وأصل « الشوكة » ، من « الشوك » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٩ — حدثنا على بن نصر ، وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة، عن عروة : أن أبا سفيان أقبل ومن معه من رُكبان قريش مقبلين من الشأم ،[3] فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ندب أصحابه ، وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم . فخرجوا ١٢٤/٩

(١) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) « الحد » (بفتح الحاء) هو : الحدة (بكسر الحاء) ، والبأس الشديد ، والنكاية .

(٣) الركبان » و « الركب » ، أصحاب الإبل فى السفر ، وهو اسم جمع لا واحد له .

لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبيرُ قتالٍ إذا رأوهم . وهي التي أنزل الله فيها[1] : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » .[2]

١٥٧٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا،[3] عن عبد الله بن عباس ، كُلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفِّلكموها ! فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً . وكان أبو سفيان يستيقن حين دنا من الحجاز ويتحسس الأخبار ،[4] ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على

---

(١) في المطبوعة : « وهي ما أنزل الله » ، وفي المخطوطة : « وهي أنزل الله » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري .

(٢) الأثر : ١٥٧١٩ — « علي بن نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي » ، الثقة الحافظ ، شيخ الطبري ، روى عنه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والبخاري ، في غير الجامع الصحيح . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٠٧ .

و « عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث العنبري » ، شيخ الطبري . ثقة ، مضى برقم : ٢٣٤٠ .

وأبوه : «عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر ، بإسناده هذا في التاريخ ٢ : ٢٦٧ ، مطولا مفصلا ، وهو كتاب من عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان . وكتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان كتاب طويل رواه الطبري مفرقاً في التاريخ، وسأخرجه مجموعاً في تعليق على الأثر ١٦٠٨٣ .

(٣) القائل « من علمائنا . . . » إلى آخر السياق ، هو محمد بن إسحق .

(٤) في المطبوعة ، وفي تاريخ الطبري ، وفي سيرة ابن هشام : « وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس » ، ليس فيها « يستيقن » ، وليس فيها واو العطف في « يتحسس » ، ولكن المخطوطة واضحة ، فأثبتها .

أموال الناس ،[١] حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : « إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك » ![٢] فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغِفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرَّض لها في أصحابه . فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .[٣] وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له « ذَفِرَان»، فخرج منه،[٤] حتى إذا كان ببعضِه ، نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قريش . فقام أبو بكر رضوان الله عليه ، فقال فأحسن . ثم قام عمر رضي الله عنه ، فقال فأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض إلى حيث أمرك الله ، فنحن معك، والله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، سورة المائدة : ٢٤ ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ! فوالذي بعثك بالحق، لئن سرت بنا إلى بَرْك الغِماد = يعني : مدينة الحبشة[٥] = لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا، ثم دعا له بخير. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا عليّ

وكان في المطبوعة : « يتجسس » بالجيم ، وإنما هي بالحاء المهملة ، و « تحسس الخبر » ، تسمعه بنفسه وتبحثه وتطلبه .

(١) في المطبوعة : « تخوفا من الناس » ، وفي سيرة ابن هشام : « تخوفاً على أمر الناس » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري .

(٢) « استنفر الناس » ، استنجدهم واستنصرهم ، وحثهم على الخروج للقتال .

(٣) عند هذا الموضع انتهى ما في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وسيصله بالآتي في السيرة بعد ٢ : ٢٦٦ ، وعنده انتهى الخبر في تاريخ الطبري ٢ : ٢٧٠ ، وسيصله بالآتي في التاريخ أيضاً ٢ : ٢٧٣ .

وانظر التخريج في آخر هذا الخبر .

(٤) في السيرة وحدها « فجزع فيه » ، وهي أحق بهذا الموضع ، ولكني أثبت ما في المطبوعة والمخطوطة والتاريخ . و « جزع الوادي » ، قطعه عرضاً .

(٥) « برك الغماد » ، « برك » (بفتح الباء وكسرها) ، و « الغماد » ، (بكسر الغين وضمها » . قال الهمداني : « برك الغماد » ، في أقاصي اليمن (معجم ما استعجم : ٢٤٤) .

أيها الناس != وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عَدَدَ الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا : «يا رسول الله ، إنا برآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا ،(١) نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا» ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نُصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ،(٢) وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم = قال : فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال : فقد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخُضناه معك ،(٣) ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ،(٤) إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ،(٥) لعلّ الله أن يريك منا ما تَقَرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله ! فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشّطه ذلك . ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ،(٦) والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم غداً .(٧)

---

(١) «الذمام» و «الذمة» ، العهد والكفالة والحرمة .

(٢) فى المطبوعة «خاف أن لا تكون الأنصار» ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى . و «يتخوف» ساقطه من المخطوطة .

و «دهمه» (بفتح الهاء وكسرها) : إذا فاجأه على غير استعداد .

(٣) «استعرض البحر ، أو الخطر» : أقبل عليه لا يبالى خطره . وهذا تفسير الكلمة ، استخرجته ، لا تجده فى المعاجم .

(٤) فى المطبوعة : «أن يلقانا عدونا غداً» ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وهذا هو الموافق لما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٥) «صدق» (بضمتين) جمع «صدوق» ، مجازه : أن يصدق فى قتاله أو عمله ، أى يجد فيه جداً ، كالصدق فى القول الذى لا يخالطه كذب ، أى ضعف .

(٦) قوله فى آخر الجملة الآتية «غداً» ، ليست فى سيرة ابن هشام ولا فى التاريخ ، ولكنها ثابتة فى المخطوطة .

(٧) الأثر : ١٥٧٢٠ — هذا الخبر ، روى صدر منه فيما سلف : ١٥٧١٠ ، وهو فى

١٥٧٢١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أن أبا سفيان أقبل فى عير من الشأم فيها تجارة قريش ، وهى اللَّطيمة ،[1] فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت ، فاستنفر الناس ، فخرجوا معه ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً . فبعث عيناً له من جُهَينة ،حليفًا للأنصار ،يدعى« ابن أريقط »،[2] فأتاه بخبر القوم. وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عايه وسلم ، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم ، فبعث رجلاً من بنى غِفار يدعى ضمضم بن عمرو ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش ، فأخبره الله بخروجهم ، فتخوف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا : «إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا»! فأقبل على أصحابه فاستشارهم فى طلب العِير ، فقال له أبو بكر رحمة الله عليه : إنىّ قد سلكت هذا الطريق ، فأنا أعلم به ، وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد فشاورهم ، فجعلوا يشيرون عليه بالعير . فلما أكثر المشورة ، تكلم سعد ابن معاذ، فقال: يا رسول الله ، أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك ، وتعود فتشاورهم ، فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك ، وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الأنصار ! أنت رسول الله ، وعليك أنزل الكتاب ، وقد أمرك الله بالقتال ، ووعدك النصر ، والله لا يخلف الميعاد ، امض لما أمرت به ، فوالذى بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ! ثم قام المقداد بن الأسود الكندى فقال : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

١٢٥/٩

سيرة ابن هشام مفرق ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ثم ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
وفى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٧٠ ثم ٢ : ٢٧٣ ، ثم تمامه أيضاً فى : ٢٧٣ .

(١) «اللطيمة» ، هو الطيب ، و «لطيمة المسك» ، وعاؤه ، ثم سموا العير التى تحمل الطيب والعسجد ، ونفيس بز التجار : «اللطيمة» .

(٢) فى المطبوعة : «ابن الأريقط» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فَقَاتِلَا إِنَّا هَـٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ،[سورة المائدة : ٢٤]، ولكنا نقول : أقدم فقاتل ، إنا معك مقاتلون ! ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقال : إن ربى وعدنى القوم ، وقد خرجوا ، فسيروا إليهم ! فساروا .

١٥٧٢٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : الطائفتان ، إحداهما : أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم ، والطائفة الأخرى : أبو جهل معه نفر من قريش . فكره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يلقوا العير ، وأراد الله ما أراد .

١٥٧٢٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ،قال: أقبلت عير أهل مكة = يريد: من الشأم[1] = فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير . فبلغ ذلك أهل مكة ، فسارعوا السير إليها ، لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين ، فكانوا أن يلقوا العير أحبَّ إليهم ، وأيسر شوكة ، وأحضر مغنماً . فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكة فى القوم .

١٥٧٢٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : أرادوا العير . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الأول ، فأغار

(١) فى المخطوطة : « يريد الشأم » ، وما فى المطبوعة هو الصواب .

كُرْز بن جابر الفهرى يريد سَرْح المدينة حتى بلغ الصفراء ،[1] فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره ، فسبقه كرز بن جابر . فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأقام سَنَتَه . ثم إن أبا سفيان أقبل من الشأم فى عير لقريش ، حتى إذا كان قريباً من بدر ، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى إليه : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين ، وهم يومئذ ثلثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم سبعون ومئتان من الأنصار ، وسائرهم من المهاجرين . وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم ،[2] فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة ، فنفرت قريش وغضبت .

١٥٧٢٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : كان جبريل عليه السلام قد نزل فأخبره بمسير قريش وهى تريد عيرها ، ووعده إما العيرَ وإما قريشاً ، وذلك كان ببدر ، وأخذوا السُّقاة وسألوهم ، فأخبروهم ، فذلك قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، هم أهل مكة .

---

(١) « السرح » ، المال يسام فى المرعى ، من الأنعام والماشية ترعى . و « الصفراء » . قرية فويق ينبع ، كثيرة المزارع والنخل ، وهى من المدينة على ست مراحل ، وكان يسكنها جهينة والأنصار ونهد .

(٢) هكذا جاء فى المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجد مكاناً ولا شيئاً يقال له « البطم » ، وأكاد أقطع أنه تحريف محض ، وأن صوابه ﴿ بإِضَم ﴾ . و « إضم » واد بجبال تهامة ، وهو الوادى الذى فيه المدينة . يسمى عند المدينة « قناة » ، ومن أعلى منها عند السد يسمى « الشظاة » ، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى « إضما » . وقال ابن السكيت : « إضم » ، واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر ، وأعلى إضم « القناة » التى تمر دوين المدينة . و « إضم » من بلاد جهينة .

والمعروف فى السير أن أبا سفيان فى تلك الأيام ، نزل على ماء كان عليه مجدى بن عمرو الجهنى ، فلما أحس بخبر المسلمين ، ضرب وجه عيره ، فساحل بها ، وترك بدراً بيسار . فهو إذن قد نزل بأرض جهينة ، و « إضم » من أرضهم ، وهو يفرغ إلى البحر ، فكأن هذا هو الطريق الذى سلكه . ولم أجد الخبر فى مكان حتى أحقق ذلك تحقيقاً شافياً .

١٥٧٢٦ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، إلى آخر الآية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهم يريدون يعترضون عِيرًا لقريش . قال : وخرج الشيطان في صورة سُرَاقة بن جعشم، حتى أتى أهل مكة فاستغواهم ، وقال : إنّ محمداً وأصحابه قد عرَضوا لعيركم ! وقال : لا غالبَ لكم اليوم من الناس من مثلكم ، وإنّي جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله ! فخرجوا، ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه ! وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عيناً للقوم ، فأخبره بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدكم العير أو القوم ! فكانت العير أحبّ إلى القوم من القوم ، كان القتال في الشوكة ، والعير ليس فيها قتال ، وذلك قول الله عز وجل: « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : « الشوكة » ، القتال ، و « غير الشوكة » ، العير .

١٢٦/٩

١٥٧٢٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أبي حبيب ، عن أبي عمران ، عن أبي أيوب قال : أنزل الله جل وعز : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » ، فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا ، طابت أنفسنا : و « الطائفتان » ، عِير أبي سفيان ، أو قريش .[1]

---

(١) الأثر : ١٥٧٢٧ - « يعقوب بن محمد الزهري » ، سلف قريباً رقم : ١٥٧١٥ .
و « عبد الله بن وهب المصري » ، الثقة ، مضى برقم ٦٦١٣ ، ١٠٣٣٠ .
و « ابن لهيعة » ، مضى الكلام في توثيقه مراراً .
و « ابن أبي حبيب » ، هو « يزيد بن أبي حبيب المصري » ، ثقة مضى مراراً كثيرة .
و « أبو عمران » هو : « أسلم أبو عمران » ، « أسلم بن يزيد التجيبي » ، روى عن أبي أيوب ، تابعي ثقة ، وكان وجيهاً بمصر . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٥ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٠٧ .
وسيأتي في هذا الخبر بإسناد آخر ، في الذي يليه .
ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٧٣ ، ٧٤ مطولا ، وقال : « رواه الطبراني ، وإسناده حسن » .

١٥٧٢٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم أبى عمران الأنصارى = أحسبه قال : قال أبو أيوب = : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قالوا : « الشوكة » القوم ، و« غير الشوكة » العير ، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين ، إما العير وإما القوم ، طابت أنفسنا .[١]

١٥٧٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنى يعقوب بن محمد قال ، حدثنى غير واحد فى قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، إن « الشوكة » ، قريش .

١٥٧٢٩ م — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، هى عير أبى سفيان ، ودّ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم ، وأن القتال صُرِف عنهم .

١٥٧٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، أى : الغنيمة دون الحرب .[٢]

* * *

وأما قوله : « أنها لكم » ، ففتحت على تكرير « يعد » ، وذلك أن قوله : « يعدكم الله » ، قد عمل فى « إحدى الطائفتين » .

فتأويل الكلام : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ، يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ، كما قال : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ ،[٣] [سورة محمد : ١٨]

* * *

(١) الأثر : ١٥٧٢٨ — « أسلم ، أبو عمران الأنصارى » ، هو الذى سلف فى الإسناد السابق ، وسلف تخريجه .

(٢) الأثر : ١٥٧٣٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو تابع الأثرين السالفين ، رقم : ١٥٧١٣ ، ١٥٧١٨ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٤ ، وزاد « فأن ، فى موضع نصب كما نصب الساعة » .

قال : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، فأنث « ذات » ، لأنه مرادٌ بها الطائفة.[1] ومعنى الكلام : وتودون أن الطائفة التي هى غير ذات الشوكة تكون لكم ، دون الطائفة ذات الشوكة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه[2] = « بكلماته » ، يقول : بأمره إياكم ، أيها المؤمنون ، بقتال الكفار ، وأنتم تريدون الغنيمة ، والمال[3] = وقوله : « ويقطع دابر الكافرين » ، يقول : يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ الله .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « دابر » ، وأنه المتأخر ، وأن معنى : « قطعه » ، الإتيان على الجميع منهم .[4]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٣١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته » ، أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم ، هذا خيرٌ لكم من العير .

---

(١) انظر ما قاله آنفاً فى « ذات بينكم » ص : ٣٨٤ .

(٢) انظر تفسير « حق » فيما سلف من فهارس اللغة (حقق) .

(٣) انظر تفسير « كلمات الله » فيما سلف ١١ : ٣٣٥ ، وفهارس اللغة (كلم) .

(٤) انظر تفسير « قطع الدابر » ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤/١٢ : ٥٢٣، ٥٢٤ .

١٥٧٣٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين»، أى : الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين ، كيما يحق الحق ، كيما يُعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعزّ الإسلام ، وذلك هو « تحقيق الحق » = « ويبطل الباطل » ، يقول: ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ، ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار .[٢]

١٥٧٣٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » ، هم المشركون .

* * *

وقيل : إن « الحق » فى هذا الموضع ، الله عز وجل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ويبطل الباطل » ، حين تستغيثون ربكم = فـ« إذْ » من صلة « يبطل » .

* * *

(١) الأثر : ١٥٧٣١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٣٠ .

(٢) انظر تفسير « المجرم » فيما سلف ص: ٧٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ومعنى قوله: « تستغيثون ربكم » ، تستجيرون به من عدوكم ، وتدعونه للنصر عليهم = « فاستجاب لكم » ، يقول : فأجاب دعاءكم ،[١] بأنى ممدكم بألف من الملائكة يُرْدِف بعضهم بعضاً ، ويتلو بعضهم بعضاً .[٢] ١٢٧/٩

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الأخبار بذلك :

١٥٧٣٤ — حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار قال ، حدثنى سماك الحنفى قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر ، ونظرَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدّتهم، ونظر إلى أصحابه نَيِّفاً على ثلثمئة، فاستقبل القبلة ، فجعل يدعو يقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تَهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض! » ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ،[٣] ثم قال : كفاك يا نبى الله ، بأبى وأمى ، مناشدتَك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنىّ ممدكم بألف من الملائكة مردفين » .[٤]

---

(١) انظر تفسير « استجاب » فيما سلف ص : ٣٢١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإمداد » فيما سلف ١ : ٣٠٧ ، ٧/٣٠٨ : ١٨١ .

(٣) « التزمه » ، احتضنه أو اعتنقه .

(٤) الأثر : ١٥٧٣٤ — « عكرمة بن عمار اليمامى العجلى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٤٩ ، ٢١٨٥ ، ٨٢٢٤ ، ١٣٨٣٢ .

و « سماك الحنفى » ، هو « سماك بن الوليد الحنفى » ، « أبو زميل » ، ثقة . مضى برقم : ١٣٨٣٢ .

وهذا الخبر ، رواه مسلم فى صحيحه ١٢ : ٨٤ — ٨٧ ، مطولا من طريق هناد بن السرى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة .

١٥٧٣٥ - حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قال: لما اصطفَّ القوم، قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره! ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال: يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبداً!

١٥٧٣٦ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم ربنا أنزلت على الكتاب، وأمرتنى بالقتال، ووعدتنى بالنصر، ولا تخلف الميعاد! فأتاه جبريلُ عليه السلام، فأنزل الله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، [سورة آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].(١)

١٥٧٣٧ - حدثنى أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى إسحق، عن زيد بن يُثَيْع قال: كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: اللهم انصر هذه العصابة، فإنك إن لم تفعل لن تعبد فى الأرض! قال: فقال أبو بكر: بعضَ مناشدتك مُنْجِزُك ما وعدك.(٢)

ورواه أحمد فى مسنده رقم: ٢٠٨، ٢٢١، من طريق أبى نوح قراد، عن عكرمة ابن عمار. مطولا.

وروى بعضه أبو داود فى سننه ٣ : ٨٢.

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير، مختصراً، من طريق محمد بن بشار، عن عمر بن يونس اليمامى، عن عكرمة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه من حديث عمر، إلا من حديث عكرمة بن عمار، عن أبى زميل».

ورواه أبو جعفر الطبرى فى تاريخه، من هذه الطريق نفسها ٢ : ٢٨٠.

(١) الأثر: ١٥٧٣٦ - هذا الخبر لم يذكره أبو جعفر فى تفسير آية سورة آل عمران ٧ : ١٧٣ - ١٩٠.

(٢) الأثر: ١٥٧٣٧ - «أبو إسحق»، هو الهمدانى السبيعى، وكان فى المطبوعة: «ابن إسحق» غير ما فى المخطوطة، فأساء.

١٥٧٣٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره، فأنزل الله عليه الملائكة.

١٥٧٣٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: «إذ تستغيثون ربكم»، قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥٧٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «إذ تستغيثون ربكم»، أي: بدعائكم، حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم = «فاستجاب لكم»، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه.[1]

١٥٧٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي صالح قال: لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النِّشدة يدعو،[2] فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، بعض نِشْدَتك، فوالله ليفيَنَّ الله لك بما وعدك!

* * *

وأما قوله: «أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين»، فقد بينا معناه.[3]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

و «زيد بن يثيع الهمداني»، ويقال: «... أثيع» و «أثيل». آخره لام. روى عن أبي بكر الصديق، وعلي، وحذيفة، وأبي ذر، وعنه أبو إسحق السبيعي فقط. ذكره ابن حبان في الثقات، مترجم في التهذيب، وابن سعد: ١٥٥، والكبير ٢/١/٣٧٣، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٧٣ في «زيد بن نفيع الهمداني»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، ولكن العجب أنه كان هنا في المطبوعة والمخطوطة، «زيد بن نفيع» أيضاً.

و «يثيع» بالياء، والثاء، مصغراً، هكذا ضبط. وقال ابن دريد في كتاب الاشتقاق: ٢٤٩: «يثيع» «يفعل» من «ثاع، يثيع»، إذا اتسع وانبسط.

(١) الأثر: ١٥٧٤٠ — سيرة ابن هشام ٢: ٣٢٢، ٣٢٣، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٥٧٣١، وليس في سيرة ابن هشام «معه»، في آخر الخبر.

(٢) «النشدة» (بكسر فسكون) مصدر: «نشدتك الله»، أي سألتك به واستحلفتك.

(٣) انظر ما سلف ص: ٤٠٩.

١٥٧٤٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » ، يقول : المزيد ، كما تقول : « ائت الرجل فزده كذا وكذا » .

١٥٧٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أحمد بن بشير ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « مردفين » ، قال : متتابعين .(١)

١٥٧٤٤ — . . . . قال ، حدثني أبي، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، [عن أبيه] ، عن ابن عباس ، مثله .(٢)

١٥٧٤٥ — حدثني سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا محمد بن الصلت قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ممدكم بألف من الملائكة مردفين » ، قال : وراء كل ملك ملك .(٣)

١٥٧٤٦ — حدثني ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيي بن المهلب ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « مردفين » ، قال : متتابعين .(٤)

١٥٧٤٧ — . . . . قال ، حدثنا هانئ بن سعيد، عن حجاج بن أرطاة،

---

(١) الأثر : ١٥٧٤٣ — « أحمد بن بشير الكوفي » ، مضى برقم ٧٨١٩ ، ١١٠٨٤ .
و « هرون بن عنترة بن عبد الرحمن » ، مضى مراراً كثيرة آخرها : ١١٠٨٤ .
وأبوه « عنترة بن عبد الرحمن » ، مضى أيضاً ، انظر رقم ١١٠٨٤ .

(٢) الأثر : ١٥٧٤٤ . زيادة « عن أبيه » بين القوسين ، هو ما أرجح أنه الصواب ، وأن إسقاطها من الناسخ . انظر الإسناد السالف .

(٣) الأثر : ١٥٧٤٥ — « سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدي » ، مضى برقم : ٣٠٠٢ ، ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « أبو كدينة » ، « يحيى بن المهلب البجلي » ، مضى برقم : ٤١٩٣ ، ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « قابوس بن أبي ظبيان الجنبي » ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وأبوه « أبو ظبيان » ، هو : « حصين بن جندب الجنبي » ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .

(٤) الأثر : ١٥٧٤٦ — انظر رجال الأثر السالف .

عن قابوس قال : سمعت أبا ظبيان يقول : « مردفين » ، قال : الملائكة ، بعضهم على إثر بعض .(١) ١٢٨/٩

١٥٧٤٨ — . . . . قال ، حدثنا المحاربى، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « مردفين » ، قال : بعضهم على إثر بعض .

١٥٧٤٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٧٥٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « مردفين » ، قال : ممدِّين = قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : « مردفين » ، « الإرداف » ، الإمداد بهم .

١٥٧٥١ — حدثنى بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « بألف من الملائكة مردفين» ، أى : متتابعين .

١٥٧٥٢ — حدثنا [محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور] قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بألف من الملائكة مردفين » ، يتبع بعضهم بعضاً .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٧٤٧ — « هانئ بن سعيد النخعى » ، شيخ ابن وكيع ، سلف برقم : ١٣١٥٩ ، ١٣٩٦٥ ، ١٤٨٣٦ .

(٢) الأثر : ١٥٧٥٢ — صدر هذا الإسناد خطأ لاشك فيه . وهو كما وضعته بين القوسين ، جاء فى المطبوعة . أما المخطوطة ، فهو فيها هكذا : « حدثنا محمد بن عبد الله قال ، حدثنا محمد ابن ثور قال ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا أحمد بن المفضل . . . » ، وهو خلط لا ريب ، وهما إسنادان .

فالإسناد الأول ، هو : « حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد ثور ، عن معمر . . . » ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

والإسناد الثانى ، وهو هذا كما يجب أن يكون :

« حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل . . . » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٥٧٣٨ .

وظاهر أنه قد سقط تمام إسناد « محمد بن عبد الأعلى » .

١٥٧٥٣ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « مردفين »، قال: « المردفين »، بعضهم على إثر بعض، يتبع بعضهم بعضاً.

١٥٧٥٤ — حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « بألف من الملائكة مردفين »، يقول: متتابعين، يوم بدر.

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك.

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة: ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾، بنصب الدال.

* * *

وقرأه بعض المكيين وعامة قرأة الكوفيين والبصريين: ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾.

* * *

وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك، ويقول [فيما ذكر عنه]: هو من « أردف بعضهم بعضاً ».

* * *

وأنكر هذا القول من قول أبى عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال: إنما « الإرداف »، أن يحمل الرجل صاحبه خلفه. قال: ولم يسمع هذا فى نعت الملائكة يوم بدر.

* * *

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها.

فقال بعض البصريين والكوفيين: معنى ذلك إذا قرئ بالكسر: أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضاً، على لغة من قال: « أردفته ». وقالوا: العرب تقول: « أردفته ». و « رَدِفته »، بمعنى « تبعته »، و « أتبعته »، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر:(١)

---

(١) هو: حزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، من قدماء الشعراء فى الجاهلية. و « حزيمة » بالحاء المهملة المفتوحة، وكسر الزاى، هكذا ضبطه فى تاج

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا (٤)

العروس ، وقال : « وحزيمة بن نهد » فى قضاعة . وهو فى كتب كثيرة « خزيمة بن نهد » ، أو « خزيمة بن مالك بن نهد » (اللسان : ردف) . وقد قرأت فى جمهرة الأنساب لابن حزم : ٤١٨ ، أن « نهد بن زيد » ، ولد « خزيمة » و « حزيمة » ، فهذا يقتضى التوقف والنظر فى ضبطه ، وأيهما كان صاحب القصة والشعر . وإن كان الأرجح هو الأول .

(١) الأغانى ١٣ : ٧٨ ، معجم ما استعجم : ١٩ ، سمط اللآلئ : ١٠٠ ، شرح ديوان أبي ذؤيب : ١٤٥ . المعارف لابن قتيبة : ٣٠٢ ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٠ ، جمهرة الأمثال : ٣١ ، الأمثال للميدانى ١ : ٦٥ ، اللسان (ردف) ، (قرظ) .

وسبب هذا الشعر : أن حزيمة بن نهد كان مشئوماً فاسداً متعرضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، (وهو أحد القارظين المضروب بهما المثل) ، فاجتمع قومه وقومها فى مربع ، فلما انقضى الربيع ، ارتحلت إلى منازلها فقيل له : يا حزيمة : لقد ارتحلت فاطمة ! قال : أما إذا كانت حية ففيها أطمع ! ثم قال فى ذلك :

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا
ظَنَنْتُ بِهَا ، وَظَنُّ المرءِ حُوبٌ وَإِنْ أَوْفَى ، وَإِنْ سَكَنَ الحَجُونا
وَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ هُمُومِى هُمُومٌ تُخْرِجُ الشَّجَنَ الدَّفِينَا
أَرَى ٱبْنَةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَتْ فَحَلَّتْ جَنُوبَ الحَزْنِ ، يا شَحَطاً مُبِينا !

فبلغ ذلك ربيعة ، فرصدوه ، حتى أخذوه فضربوه . فمكث زماناً ، ثم إن حزيمة قال ليذكر ابن عنزة : أحب أن تخرج حتى نأتى بقرظ . فمرا بقليب فاستقيا ، فسقطت الدلو ، فنزل يذكر ليخرجها . فلما صار إلى البئر ، منعه حزيمة الرشاء ، وقال : زوجنى فاطمة ! فقال : على هذه الحال ، اقتساراً ! أخرجنى أفعل ! قال : لا أخرجك ! فتركه حتى مات فيها . فلما رجع وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : فارقنى ، فلست أدرى أين سلك ! فاتهمته ربيعة ، وكان بينهم وبين قومه قضاعة فى ذلك شر ، ولم يتحقق أمر فيؤخذ به ، حتى قال حزيمة :

فَتَاةٌ كَأَنَّ رُضَابَ العَبِيرِ بِفِيهَا ، يُعَلُّ بِهِ الزَّنْجَبِيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَا عَلَى حُبِّهَا ، فَتَبْخَلُ إِنْ بَخِلَتْ أَوْ تُنِيلُ

فعندئذ ، ثارت الحرب بين قضاعة وربيعة .

قال أبو بكر بن السراج فى معنى بيت الشاهد : « إن الجوزاء تردف الثريا فى اشتداد الحر ، فتتكبد السماء فى آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فيتفرق الناس فى طلب المياه ، فتغيب عنه محبوبته ، فلا يدرى أين مضت ، ولا أين نزلت » . وانظر أيضاً شرحه فى الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٠ ، ١٣١ .

قالوا : فقال الشاعر : « أردفت » ، وإنما أراد « رَدِفت» ، جاءت بعدها ، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا .

وقالوا : معناه إذا قرئ « مردَفين » ، أنه مفعول بهم ، كأن معناه : بألف من الملائكة يُرْدِف الله بعضهم بعضاً . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، إذا كسرت الدال : أردفت الملائكة بعضها بعضاً = وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأ : ﴿ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ، بكسر الدال ، لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضاً ، ومتتابعين= فى إجماعهم على ذلك من التأويل ، الدليلُ الواضحُ على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال ، بمعنى : أردف بعض الملائكة بعضاً . ومسموعٌ من العرب : « جئت مُرْدِفاً لفلان » ، أى : جئت بعده .

وأما قول من قال : معنى ذلك إذا قرئ « مردَفين » بفتح الدال : أن الله أردفَ المسلمين بهم = فقولٌ لا معنى له ، إذ الذكر الذى فى « مردفين » من الملائكة دون المؤمنين . وإنما معنى الكلام : أن يمدكم بألف من الملائكة يُرْدَف بعضهم ببعض . ثم حذف ذكر الفاعل ، وأخرج الخبر غير مسمًّى فاعلُه فقيل : « مردَفين » ، بمعنى مردَفٌ بعض الملائكة ببعض .

ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله ، وجب أن يكون فى « المردفين » ذكر المسلمين ، لا ذكر الملائكة . وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤١ .

وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى ، وهى ما : —

١٥٧٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، قال عبد الله بن يزيد ﴿مُرَدِّفِينَ﴾ و ﴿مُرِدِّفِينَ﴾ و ﴿مُرُدِّفِينَ﴾، مثقّل(١) على معنى : « مُرْتَدِفين ».

١٥٧٥٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ، حدثنى عبد العزيز بن عمران ، عن الزمعى ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن على رضى الله عنه قال : نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ، ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم، وأنا فيها .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾ ١٢٩/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يجعل الله إردافَ الملائكة بعضها بعضاً وتتابعها بالمصير إليكم ،أيها المؤمنون ، مدداً لكم = « إلا بشرى » لكم ،أى : بشارة

(١) ضبطها القرطبى فى تفسيره ٧ : ٣٧١ .

(٢) الطبرى : ١٥٧٥٦ — «عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى» ، الأعرج ، يعرف « بابن أبى ثابت » ، كان صاحب نسب وشعر ، ولم يكن صاحب حديث ، وكان يشتم الناس ويطعن فى أحسابهم . قال البخارى « منكر الحديث ، لا يكتب حديثه » ، وقال ابن أبى حاتم : « منكر الحديث جداً » . مضى برقم : ٨٠١٢ .

و « الزمعى » ، هو « موسى بن يعقوب الزمعى القرشى » ، ثقة ، متكلم فيه مضى برقم : ٩٩٢٣ ، وكان فى المطبوعة هناك « الربعى » ، وهى فى المخطوطة غير منقوط ، وهذا صوابه ، وهو الذى يروى عن أبى الحويرث .

و « أبو الحويرث » هو : « عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصارى الزرقى » ، ثقة ، متكلم فيه حتى قالوا : « لا يحتج بحديثه » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٨٤ .

و « محمد بن جبير بن مطعم » ، ثقة تابعى مضى برقم : ٩٢٦٩ .

وهو إسناد ضعيف جداً .

لكم ، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم[١] = « ولتطمئن به قلوبكم » ، يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم ، وتوقن بنصر الله لكم[٢] = « وما النصر إلا من عند الله » ، يقول : وما تنصرون على عدوكم ، أيها المؤمنون ، إلا أن ينصركم الله عليهم ، لا بشدة بأسكم وقواكم ، بل بنصر الله لكم ، لأن ذلك بيده وإليه ، ينصر من يشاء من خلقه = « إن الله عزيز حكيم » ، يقول : إن الله الذى ينصركم ، وبيده نصرُ من يشاء من خلقه = « عزيز » ، لا يقهره شيء ، ولا يغلبه غالب ، بل يقهر كل شيء ويغلبه ، لأنه خلقه = « حكيم » ، يقول : حكيم فى تدبيره ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه ، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل.[٣]

* * *

وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ، ما :—

١٥٧٥٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى ابن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : ما مدّ النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غيرُ ألف من الملائكة مردفين ، وذكر « الثلاثة » و « الخمسة» بشرى ، ما مدُّوا بأكثر من هذه الألف الذى ذكر الله عز وجل فى « الأنفال » ، وأما « الثلاثة » و « الخمسة » ، فكانت بشرى .

* * *

وقد أتينا على ذلك فى « سورة آل عمران » ، بما فيه الكفاية .[٤]

* * *

---

(١) انظر تفسير « البشرى » فيما سلف ص : ٣٠٣، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ٥ : ٤٩٢/٩ : ١٦٥/١١ : ٢٢٤ .

(٣) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٤) انظر ما سلف ٧ : ١٧٣ — ١٩٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ⑪ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولتطمئن به قلوبكم »، « إذ يغشيكم النعاس » ، ويعنى بقوله : « يغشيكم النعاس » ، يلقى عليكم النعاس [١] = « أمنة » يقول : أماناً من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم ، وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل .

* * *

١٥٧٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله قال : النعاس فى القتال ، أمنة من الله عز وجل ، وفى الصلاة من الشيطان .[٢]

١٥٧٥٩ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى فى قوله : « يغشاكم النعاس أمنة منه » ،[٣] عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله بنحوه ، قال : قال عبد الله ، فذكر مثله .

١٥٧٦٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله ، بنحوه .

* * *

(١) انظر تفسير « يغشى » فيما سلف ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦/١٢ : ٤٣٦ : ٤٨٣ .
= وتفسير « النعاس » فيما سلف ٧ : ٣١٦ .

(٢) الأثر : ١٥٧٥٨ — انظر هذا الخبر بإسناد آخر فيما سلف رقم : ٨٠٨٣ .

(٣) قوله : « يغشاكم النعاس » قراءة أخرى فى الآية ، وسأثبتها كما جاءت فى المخطوطة بعد .

و « الأمنة » مصدر من قول القائل : « أمنت من كذا أَمَنَة ، وأماناً ، وأَمْناً » وكل ذلك بمعنى واحد .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٦١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أمنة منه » ، أماناً من الله عز وجل .

١٥٧٦٢ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أمنة » ، قال : أمناً من الله .

١٥٧٦٣ — حدثنى يونس قال ، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قوله : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » ، قال : أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أحد . فقرأ : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٥٤] .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » ،

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ ﴾ ، بضم الياء وتخفيف الشين ، ونصب « النعاس » ، من : « أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم » .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ ، بضم الياء وتشديد الشين ، من : « غشّاهم الله النعاس فهو يغشّيهم » .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين : ﴿ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ ﴾ ، بفتح الياء ورفع « النعاس » ، بمعنى : « غشيهم النعاس فهو يغشاهم » .

---

(١) انظر تفسير « أمنة » فيما سلف ٧ : ٣١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فى « آل عمران » : ﴿ يَغْشَى طَآئِفَةً ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمْ ﴾ ، على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، لإجماع جميع القرأة على قراءة قوله : « وينزل عليكم من السماء ماء » ، بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عز وجل ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك « يغشيكم » ، إذ كان قوله : « وينزل » ، عطفاً على « يغشى » ، ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد .

* * *

وأما قوله عز وجل : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » ، فإن ذلك مطرٌ أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنِبين على غير ماء . فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر . فذلك ربطه على قلوبهم ، وتقويته أسبابهم ، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء ،(١) فلبَّدها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها ، توطئةً من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه ، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم . ١٣٠/٩

* * *

وبمثل الذى قلنا تتابعت الأخبار عن [أصحاب] رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم من أهل العلم .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « على رملة هشاء » ، ولا أصل لذلك فى اللغة ، كلام لا يقال . وهو فى المخطوطة سيء الكتابة قليلا ، صواب قراءته ما أثبت . و « الرملة الميثاء » ، اللينة السهلة . قد تسوخ فيها الرجل قليلا .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، والأخبار الآتية تدل على صحة ذلك . وكان فى المخطوطة أمام هذا السطر حرف (ط) دلالة على الخطأ والشك .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

١٥٧٦٤ — حدثنا هرون بن إسحق قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن حارثة ، عن على رضى الله عنه قال : أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر[١] = يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر = فانطلقنا تحت الشجرة والحَجَف نستظل تحتها من المطر ،[٢] وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض! » ، فلما أن طلع الفجر ، نادى : « الصلاةَ ، عبادَ الله! » ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال .[٣]

١٥٧٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، وأبو خالد ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب : « ماء ليطهركم به » ، قال : طش يوم بدر .

١٥٧٦٦ — حدثنى الحسن بن يزيد قال ، حدثنا حفص ، عن داود ، عن سعيد ، بنحوه .[٤]

---

(١) « الطش » ، المطر القليل ، وهو فوق « الرذاذ » .

(٢) فى المطبوعة : « تحت الشجر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب جيد .
= و « الحجف » (بفتحتين) جمع « حجفة » . وهى الترس ، يكون من الجلود ليس فيه خشب ولا عقب ، وهو مثل « الدرقة » .

(٣) الأثر : ١٥٧٦٤ — « هرون بن إسحق الهمدانى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٣٠٠١ ، ١٠٨٧٣ .
و « مصعب بن المقدام الخثعمى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٩١ ، ٣٠٠١ ، ١٠٨٧٣ ، وغيرها .
و « إسرائيل » هو « إسرائيل بن يونس بن إسحق السبيعى » ، ثقة حافظ ، مضى مراراً كثيرة .
و « أبو إسحق » ، هو جد « إسرائيل » ، « أبو إسحق السبيعى » ، مضى مراراً .
و « حارثة » هو « حارثة بن مضرب العبدى » ، من ثقات التابعين ، مضى برقم : ٢٠٥٧ ، ٨٥٩٧ .
وهو خبر صحيح الإسناد ، خرجه السيوطى مختصراً بغير هذا اللفظ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه . الدر المنثور ٣ : ١٧١ .

(٤) الأثر : ١٥٧٦٦ — « الحسن بن يزيد » ، لم أجد فى شيوخ أبى جعفر ، وفيمن

١٥٧٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن أبي عدى، وعبد الأعلى، عن داود ، عن الشعبي ، وسعيد بن المسيب ، قالا : طش يوم بدر .

١٥٧٦٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، وسعيد بن المسيب فى هذه الآية : « ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان »، قالا : طشٌ كان يوم بدر ، فثبَّت الله به الأقدام .

١٥٧٦٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » الآية ، ذكر لنا أنهم مُطِروا يومئذ حتى سال الوادى ماءً ، واقتتلوا على كثيب أعفر ،(١) فلبَّده الله بالماء ، وشرب المسلمون وتوضأوا وسقوْا ، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان .

١٥٧٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم = يعنى : حين سار إلى بدر= والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دَعْصَة ،(٢) فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُجْنِبين ! فأمطر الله عليهم مطرًا شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت

روى عن حفص بن غياث ، من يقال له « الحسن بن يزيد » ، وأرجح أنه : « الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى » ، شيخ أبي جعفر ، نسبه إلى جده ، وقد مضى برقم : ٩٣٧٣ ، ١٢٨٥١ .

(١) « الأعفر » ، الرمل الأحمر .

(٢) « رملة دعصة » ، هكذا جاء فى التفسير ، فى المخطوطة والمطبوعة ، وفى ابن كثير ، وضبطته بفتح الدال ، لأنى رجوت أن يكون صفة ، كقولهم : « الدعصاء » ، وهى أرض سهلة فيها رملة تحمى عليها الشمس ، فتكون رمضاؤها أشد من غيرها ، قال :

وَالْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الدَّعْصَاءِ بِالنَّارِ

ولكن كتب اللغة لم تذكر « دعصة » ، هذه . وفى بعض الأخبار الأخرى « رملة دهسة » . و « الدهس » ، و « الدهاس » ، أرض سهلة لينة يثقل فيها المشى .

الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدوابّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام فى خمسمئة من الملائكة مجنِّبةً ، وميكائيل فى خمسمئة مجنبةً .(١)

١٥٧٧١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » إلى قوله : « ويثبت به الأقدام » ، وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه ، فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون مجنبين مُحْدِثين ، حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله من السماء ماء حتّى سال الوادى ، فشرب المسلمون ، وملأوا الأسقية ، وسقوا الرِّكاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله فى ذلك طهوراً ، وثبت الأقدام . وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رَملة ، فبعث الله عليها المطر ، فضربها حتى اشتدّت ، وثبتت عليها الأقدام .

١٥٧٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر فنزلوا عليه ، وانصرف أبو سفيان وأصحابه تِلْقاء البحر ، فانطلقوا . قال : فنزلوا على أعلى الوادى ، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم فى أسفله ، فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يُجْنِب فلا يقدر على الماء ، فيصلى جُنُباً ، فألقى الشيطان فى قلوبهم فقال : كيف ترجون أن تظهروا عليهم ، وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء ! . قال : فأرسل الله عليهم المطر ، فاغتسلوا وتوضأوا وشربوا ، واشتدّت لهم الأرض ، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم ،(٢) فاشتدّت لهم من المطر ، واشتدُّوا عليها .

١٣١/٩

(١) « المجنبة » (بتشديد النون مكسورة) ، هى الكتيبة التى تأخذ إحدى ناحيتى الجيش ، « المجنبة اليمنى » ، و « المجنبة اليسرى » ، وهى : « الميمنة » و « الميسرة » .

(٢) « البطحاء » ، تراب لين مما جرته السيول ، وهو « الأبطح » ، يكون فى مسيل الوادى .

١٥٧٧٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : غلب المشركون المسلمين فى أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين ،وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحَزَن ، فقال : تزعمون أن فيكم نبيًّا ،وأنكم أولياء الله ، وقد غلبتم على الماء ، وتصلون مُجْنبِين محدثين! قال : فأنزل الله عز وجل ماء من السماء ، فسال كل وادٍ ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبتت أقدامهم ، وذهبت وسوسة الشيطان .

١٥٧٧٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ماء ليطهركم به » ، قال : المطر ، أنزله عليهم قبل النعاس = «رجز الشيطان » ، قال: وسوسته . قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ،[1] وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

١٥٧٧٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ماء ليطهركم به » ، أنزله عليهم قبل النعاس ، طبّق بالمطر الغبار ، ولبّد به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام .

١٥٧٧٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ماء ليطهركم به » ، قال : القطر = « ويذهب عنكم رجز الشيطان » ، وساوسه . أطفأ بالمطر الغبار ، ولبد به الأرض ،[2] وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم .

١٥٧٧٧ — حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) فى المخطوطة : « وابسب به » غير منقوطة ، كأنها « وأنبهت به» ، بالبناء للمجهول ، والذى فى المطبوعة جيد ، وقريب أن يكون قد حرفه الناسخ .

(٢) فى المخطوطة : « تطق بالمطر الغبار ، وبدت به الأرض » ، وهو محرف ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « رجز الشيطان » ، وسوسته .

١٥٧٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » ، قال : هذا يوم بدر ، أنزل عليهم القطر = « وليذهب عنكم رجز الشيطان » ، الذى ألقى فى قلوبكم : ليس لكم بهؤلاء طاقة ! = « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

١٥٧٧٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ، إلى قوله : « ويثبت به الأقدام » ، إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأ ، وصلوا محدثين مجنبين ، فألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزَن ، ووسوس فيها : إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأن محمداً نبي الله ، وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجنبين ! فأمطر الله السماء حتى سال كل واد ، فشرب المسلمون وملأوا أسقيتهم ،[١] وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبت الله به الأقدام . وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ، ولا يمشى فيها الماشى إلا بجَهد . فضربها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت فيها الأقدام .

١٥٧٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ، أى : أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون ، = « وينزل عليكم من السماء ماء » ، للمطر الذى أصابهم تلك الليلة ،[٢] فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وخلَّى سبيل المؤمنين إليه = « ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ، ليذهب عنهم شك

(١) فى المخطوطة : « وبلوا أسقيتهم » . كأنها تقرأ « وبلوا » ، والذى فى المطبوعة جيد ، قد مضى مثله فى الأخبار .

(٢) فى المطبوعة : « ونزل عليكم من السماء المطر الذى أصابهم . . . » ، وفى المخطوطة « ونزلت عليكم من السماء المطر الذى أصابهم . . » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام وهو الجيد .

الشيطان ، بتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ،[١] حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبقوا إليه عدوهم .[٢]

١٥٧٨١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم ذكر ما ألقى الشيطان فى قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال : « إذ يغشيكم النعاسَ أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ، حين تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض .

١٥٧٨٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا داود بن أبى هند قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب = وقال مرة : قرأ = « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهِّركم به » ،[٣] فقال سعيد : إنما هى : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطْهِرَكُمْ بِهِ﴾ . قال : وقال الشعبى : كان ذلك طشًّا يوم بدر . ١٣٢/٩

* * *

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ، أن مجاز قوله : « ويثبت به الأقدام » ، ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم ، فيثبتون لعدوهم .[٤]

---

(١) « استجلاد الأرض » : من « الجلد » (بفتحتين) ، وهى الأرض الصلبة ، يعنى أنها صارت أرضاً صلبة غليظة ، بعد أن كانت رملة ميثاء لينة .

و « استجلدت الأرض » ، مما لم تذكره معاجم اللغة ، وهو عريق فصيح .

(٢) الأثر : ١٥٧٨٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٤٠ .

وكان فى المطبوعة : « الذى سبق » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى سيرة ابن هشام ، وهو الصواب .

(٣) فى المطبوعة كتب « ليطهركم بها » ، غير ما فى المخطوطة ، ولا أدرى من أين جاء بها ، ولم أجد قراءة كهذه القراءة ، بل المعروف أن قراءة عامة القرأة « ليطهركم به » بتشديد الهاء مكسورة ، من « طهر » مضعفاً ، وأن سعيد بن المسيب ، قد انفرد بقراءة « ليطهركم » ، كما ضبطتها ، بضم الياء ، وسكون الطاء وكسر الهاء . من « أطهر » ، وهى قراءة شاذة . انظر شواذ القراءات لابن خالويه : ٤٩ ، وتفسير أبى حيان ٤ : ٤٦٨ .

(٤) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٤٢ .

وذلك قولٌ خِلافٌ لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحَسْبُ قولٍ خطأً أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا ، وقد بينا أقوالهم فيه ، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابّهم .[١]

* * *

وأما قوله : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنّى معكم » ، أنصركم[٢] = « فثبتوا الذين آمنوا » ، يقول : قوُّوا عزمهم ، وصححوا نياتهم فى قتال عدوهم من المشركين.[٣]

* * *

وقد قيل : إن تثبيت الملائكة المؤمنين ، كان حضورهم حربهم معهم .

* * *

وقيل : كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم .

* * *

وقيل : كان ذلك بأن الملك يأتى الرجلَ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت هؤلاء القوم = يعنى المشركين = يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن !(٤) فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك ، فتقوى أنفسهم . قالوا : وذلك كان وحى الله إلى ملائكته .

* * *

وأما ابن إسحق فإنه قال بما :—

١٥٧٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فثبتوا الذين آمنوا » ، أى : فآزروا الذين آمنوا .[٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « تثبيت الأقدام » فيما سلف ٥ : ٧/٣٥٤ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

* * *

هذا ، وقد أغفل أبو جعفر هنا إفراد تفسير « يذهب عنكم رجز الشيطان » و « وليربط على قلوبكم » .

وانظر تفسير « الرجز » فيما سلف : ص: ١٧٩، تعليق :٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ٣ : ٥/٢١٤ : ٣٥٣ .

(٣) انظر تفسير «التثبيت» فيما سلف ٥ : ٢٧٢/٧/٣٥٤، ٢٧٣، ومادة (ثبت) فى فهارس اللغة.

(٤) « الانكشاف » ، الانهزام .

(٥) الأثر :١٥٧٨٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٥٧٨٠.

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ⑫

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : سأَرْعَبُ قلوب الذين كفروا بى ، أيها المؤمنون ، منكم ، وأملأها فرقاً حتى ينهزموا عنكم[1] = « فاضربوا فوق الأعناق ».

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فوق الأعناق » .

فقال بعضهم : معناه : فاضربوا الأعناق .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « فاضربوا فوق الأعناق » ، قال : اضربوا الأعناق .

١٥٧٨٥ — . . . . قال ، حدثنا أبى، عن المسعودى ، عن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لم أبعث لأعذِّب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق وشدِّ الوَثَاق .

١٥٧٨٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فاضربوا فوق الأعناق » ، يقول : اضربوا الرقاب .

* * *

واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول : « رأيت نفس فلان » ، بمعنى : رأيته . قالوا : فكذلك قوله : « فاضربوا فوق الأعناق » ، إنما معناه : فاضربوا الأعناق .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فاضربوا الرؤوس .

(١) انظر تفسير « إلقاء الرعب » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة : « فاضربوا فوق الأعناق » ، قال : الرؤوس .

* * *

واعتلّ قائلوا هذه المقالة بأن الذى « فوق الأعناق » ، الرؤوس . قالوا : وغير جائز أن تقول « فوق الأعناق » ، فيكون معناه : « الأعناق » . قالوا : ولو جاز ذلك ، جاز أن يقال[1] : « تحت الأعناق » ، فيكون معناه : « الأعناق » . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب ، وقلبٌ لمعانى الكلام .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضربوا على الأعناق ، وقالوا : « على » و « فوق » معناهما متقاربان ، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر .[3]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين ، مُعَلِّمَهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف : أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدى والأرجل . وقوله « فوق الأعناق » ، محتمل أن يكون مراداً به الرؤوس ، ومحتمل أن يكون مراداً له : من فوق جلدة الأعناق ،[4] فيكون معناه : على الأعناق . وإذا احتمل ذلك ، صحّ قولُ من قال ، « معناه : الأعناق . وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا من التأويل ، لم يكن لنا أن نوجّهه إلى بعض معانيه دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها . ولا حجة تدلّ على خصوصه ، فالواجب أن يقال : إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم ، أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدراً .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولو جاز ذلك كان أن يقال » ، وهو فاسد ، صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقلب معانى الكلام » ، وصواب السياق ما أثبت .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٢ .

(٤) فى المطبوعة حذف « من » ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة .

وأما قوله: «واضربوا منهم كل بنان»، فإن معناه: واضربوا، أيها المؤمنون، من عدوكم كل طَرَف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم.

* * *

و «البنان» جمع «بنانة»، وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك قول الشاعر:[1]

أَلاَ لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنِّي بَنَانَةً ... وَلاَقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حَاذِرَا[2] ١٢٣/٩

---

(١) هو العباس بن مرداس السلمى.

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٢، اللسان (بنن)، ولم أجده فى مكان آخر. وقال أبو عبيدة بعد البيت: «يعنى أبا ضب، رجلا من هذيل، قتل هريم بن مرداس وهو نائم، وكان جاورهم بالربيع».

وقد روى أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى ١٣ : ٦٦ (ساسى)، عن أبى عبيدة، أن هريم ابن مرداس كان مجاوراً فى خزاعة، فى جوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد. فالذى قاله أبو عبيدة هنا مضطرب، وهو زيادة بين قوسين فى النسخة المطبوعة، فأخشى أن لا تكون من قول أبى عبيدة.

وأما «أبو ضب» الرجل من هذيل، فهو شاعر معروف من بنى لحيان، من هذيل، له شعر فى بقية أشعار الهذليين وأخبار، انظر رقم : ١٣، ١٤ من الشعر. وجاء أيضاً فى البقية من شعر هذيل ٤٣، ما نصه: «وقال عباس بن مرداس، وأخواله بنو لحيان»:

لاَ تَأْمَنَنْ بِالعَادِ وَالخِلْفِ بَعْدَهَا ... جِوَارَ أُنَاسٍ يَبْتَنُونَ الحَصَائِرَا

ذكر «جواراً» كان فى بنى لحيان، فأجابه رجل من بنى لحيان، يذكر عقوقه أخواله، ويتهدده بالقتل.

جَزَى اللهُ عَبَّاساً عَلَى نَأْىِ دَارِهِ ... عُقُوقاً كَحَرِّ النَّارِ يَأْتِى المَعَاشِرَا

فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ يُقَالَ: ابْنُ أُخْتِهِ! ... لَعَقَّرْتُهُ، إِنِّى أُصِيبُ المَفَاقِرَا

فِدًى لأَبِى ضَبٍّ تِلاَدِى، فَإِنَّنَا ... تَكِلْنَا عَلَيْهِ دَاخِلاً وَمُجَاهِرَا

وَمَطْعَنَهُ بِالسَّيْفِ أَحْشَاءَ مَالِكٍ ... بِمَا كَانَ مِنِّى أَوْرَدُوهُ الجَرَائِرَا

فقد ذكر فى هذا الشعر «أبا ضب»، ومقتله «مالكا». ولم أقف بعد على «مالك» هذا، ولكنى أظن أن شعر عباس هذا، يدخل فى خبر مقتل «مالك» الذى قتله «أبو ضب»، لا فى خبر مقتل أخيه «هريم بن مرداس»، فذاك خبر معروف رجاله.

يعني بـ « البنانة » واحدة « البنان » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٨ — حدثنا أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : كل مفصِل .

١٥٧٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه ، عن عطية : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : المفاصل .

١٥٧٩٠ — . . . . قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : كل مفصل .

١٥٧٩١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة : « واضربوا منهم كل بنان »، قال : الأطراف. ويقال : كل مفصل .

١٥٧٩٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس: « واضربوا منهم كل بنان »، يعنى : بالبنان، الأطراف .

١٥٧٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : الأطراف .

١٥٧٩٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « واضربوا منهم كل بنان » ، يعنى : الأطراف .

* * *

وقوله « حاذرا » ، أى : مستعداً حذراً تيقظاً . وقال شمر : « الحاذر » ، المؤدى الشاك السلاح ، وفى شعر العباس بن مرداس ما يشعر بذلك :

وَإِنِّى حاذِرٌ أُنْمِى سِلاَحِى إلى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ مَنِيعِ

وكان فى المطبوعة : « قطعت منه بنانة » ، فأفسد الشعر إفساداً ، إذ غير الصواب المحض الذى فى المخطوطة ، متابعاً خطأ الرواية المحرفة فى لسان العرب .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ⁽١٣⁾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك بأنهم » ، هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق وضرب كل بنانٍ منهم ، جزاءٌ لهم بشقاقهم الله ورسوله ، وعقاب لهم عليه .

* * *

ومعنى قوله : « شاقوا الله ورسوله » ، فارقوا أمرَ الله ورسوله وعصوهما ، وأطاعوا أمرَ الشيطان .[1]

* * *

ومعنى قوله : « ومن يشاقق الله ورسوله » ، ومن يخالف أمرَ الله وأمر رسوله ففارق طاعتهما[2] = « فإن الله شديد العقاب » ، له . وشدة عقابه له : فى الدنيا ، إحلالُه به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم ، وفى الآخرة ، الخلودُ فى نار جهنم = وحذف [illegible] من الكلام ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ⁽١٤⁾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذا العقابُ الذى عجلته لكم ، أيها الكافرون المشاقّون لله ورسوله ، فى الدنيا ، من الضرب فوق الأعناق منكم ، وضرب

---

(١) انظر تفسير « الشقاق » فيما سلف ٣ : ١١٥ ، ١١٦ ، ٨/٣٣٦ : ٣١٩/ ٩ : ٢٠٤ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وفارق » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

كل بنان ، بأيدى أوليائى المؤمنين ، فذوقوه عاجلاً ، واعلموا أن لكم فى الآجل والمعاد عذابَ النار .[١]

* * *

ولفتح « أن » من قوله : « وأن للكافرين » ، من الإعراب وجهان :

أحدهما : الرفع ، والآخر : النصبُ .

فأما الرفع ، فبمعنى : ذلكم فذوقوه ، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار= بنية تكرير « ذلكم » ، كأنه قيل : ذلكم الأمر ، وهذا .

وأما النصب : فمن وجهين : أحدهما : ذلكم فذوقوه ، واعلموا ، أو : وأيقنوا أن للكافرين = فيكون نصبه بنية فعل مضمر ، قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا [٢]

بمعنى : وحاملاً رمحاً .

والآخر : بمعنى : ذلكم فذوقوه ، وبأن للكافرين عذاب النار = ثم حذفت « الباء » ، فنصبت .[٣]

* * *

(١) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ١٢ : ٤٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) مضى البيت مراراً وتخريجه ، انظر آخرها ما سلف ١١ : ٥٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « إذا لقيتم الذين كفروا » فى القتال = « زحفاً » ، يقول : متزاحفاً بعضكم إلى بعض = و « التزاحف » ، التدانى والتقارب[1] = « فلا تولوهم الأدبار » ، يقول : فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم[2] = « ومن يولهم يومئذ دبره » ، يقول : ومن يولهم منكم ظهره = « إلا متحرفاً للقتال » ، يقول : إلا مستطرداً لقتال عدوه ، يطلب عورةً له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه = « أو متحيزاً إلى فئة » أو : إلا أن يوليهم ظهره متحيزًا إلى فئة ، يقول : صائرًا إلى حَيِّز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ،[3] ويرجعون به إليهم معهم .[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة » ، قال : « المتحرف » ، المتقدم من أصحابه ليرى غِرَّة من العدوّ فيصيبها . قال ، و « المتحيز » ، الفارّ إلى

(١) هذا الشرح لقوله : « التزاحف » ، لا تجده فى معاجم اللغة ، فيقيد .

(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

=وتفسير « الدبر » فيما سلف ٧ : ١٠٩ ، ١١٠ / ١٠ : ١٧٠ .

(٣) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ٩ : ٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المطبوعة : « يرجعون به معهم إليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره وأصحابه . قال الضحاك : وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أن لا يفروا. وإنما كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام وأصحابه فئتَهم .[1]

١٣٤/٩

١٥٧٩٦ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة » ، أما « المتحرف » ، يقول : إلا مستطرداً يريد العودة = « أو متحيزاً إلى فئة » ، قال : « المتحيز » ، إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة ، ولا يُعذَر الناس وإن كثروا أن يُوَلُّوا عن الإمام .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم » ، هل هو خاص فى أهل بدر ، أم هو فى المؤمنين جميعاً ؟

فقال قوم : هو لأهل بدر خاصة ، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه ، فأما اليومَ فلهم الانهزام .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٩٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي نضرة فى قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذاك يوم بدر ، ولم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحاز أحدٌ لم ينحز إلا إلى[2] = قال أبو موسى : يعنى : إلى المشركين .

١٥٧٩٨ — حدثنا إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد ، عن داود ، عن

---

(١) فى المطبوعة : حذف « وأصحابه » ، تحكماً .

(٢) وقف على قوله : « إلى » ، كأنه يشير بيده إلى الفئة الأخرى ، والتى فسرها أبو موسى ، وهو ابن المثنى ، بقوله : يعنى : إلى المشركين .

أبى نضرة ، عن أبى سعيد قوله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، ثم ذكر نحوه = إلاّ أنه قال : ولو انحازوا إلى المشركين ، ولم يكن يومئذ مسلم فى الأرض غيرهم .

١٥٧٩٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن مفضل قال ، حدثنا داود ، عن أبى نضرة ، عن سعيد قال : نزلت فى يوم بدر : «ومن يولهم يومئذ دبره » .

١٥٨٠٠ — حدثنا ابن المثنى وعلى بن مسلم الطوسى = قال ابن المثنى : حدثنى عبد الصمد = وقال على : حدثنا عبد الصمد = قال ، حدثنا شعبة ، عن داود ، يعنى ابن أبى هند ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : يوم بدر = قال أبو موسى : حدثت أن فى كتاب غندر هذا الحديث : عن داود ، عن الشعبى ، عن أبى سعيد .

١٥٨٠١ — حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال ، حدثنا على بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : إنما كان ذلك يوم بدر ، لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأما بعد ذلك ، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض . (١)

١٥٨٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبى نضرة : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : هذه نزلت فى أهل بدر .

١٥٨٠٣ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال :

---

(١) الآثار : ١٥٧٩٧ — ١٥٨٠١ — « دواد » هو « ابن أبى هند » مضى مراراً .

و « أبو نضرة » هو « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٤٦٦٤ .

و « أبو سعيد » ، هو أبو سعيد الخدرى ، صاحب رسول الله .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٧ ، من طريق شعبة ، عن داود بن أبى هند ، بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

كتبت إلى نافع أسأله عن قوله : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، أكان ذلك اليوم ، أم هو بعد ؟ قال : وكتب إلىّ : « إنما كان ذلك يوم بدر » .

١٥٨٠٤ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : إنما كان الفرار يوم بدر ، ولم يكن لهم ملجأ يلجأون إليه . فأما اليوم ، فليس فرارٌ .

١٥٨٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : كانت هذه يوم بدر خاصة ، ليس الفرار من من الزحف من الكبائر .

١٥٨٠٦ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : كانت هذه يوم بدر خاصة .

١٥٨٠٧ — . . . . قال ، حدثنا روح بن عبادة ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : نزلت فى أهل بدر .

١٥٨٠٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذلكم يوم بدر .

١٥٨٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذلك يوم بدر . فأما اليوم ، فإن انحاز إلى فئة أو مصر = أحسبه قال : فلا بأس به .

١٥٨١٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن عون قال : كتبت إلى نافع : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : إنما هذا يوم بدر .

١٥٨١١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة قال ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب قال : أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النارَ . قال : « ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزًا إلى

فئة فقد باء بغضب من الله » ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾، [سورة آل عمران : ١٥٥]. ثم كان حنين ، بعد ذلك بسبع سنين فقال: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾، [سورة التوبة : ٢٥]: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾، [سورة التوبة : ٢٧].

١٥٨١٢ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد : أن عمر رحمة الله عليه بلغه قتل أبي عبيد فقال : لو تحيز إلىّ ! إنْ كنتُ لَفِئَةً ! (١) ١٣٥/٩

١٥٨١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم قال ، حدثني قيس بن سعد قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾، [سورة الأنفال : ٦٦]. قال: وليس لقوم أن يفرُّوا من مثليهم . قال ونسخت تلك إلاّ هذه العِدّة .(٢)

١٥٨١٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

---

(١) الأثر : ١٥٨١٢ — « أبو عبيد بن مسعود الثقفي » ، صحابي ، وهو صاحب يوم الجسر المعروف بجسر أبي عبيد . وكان عمر لما ولي الخلافة ، عزل خالد بن الوليد عن العراق والأعنة ، وولى أبا عبيد بن مسعود الثقفي سنة ١٣ . ولما وجه يزدجر جموعه إلى جيش أبي عبيد ، عبر أبو عبيد الجسر في المضيق ، فاقتتلوا قتالا شديداً، وأنكى أبو عبيد في الفرس، وضرب أبو عبيد مشفر الفيل ، فبرك عليه الفيل فقتله . واستشهد من المسلمين يومئذ ألف وثمانمئة ، ويقال أربعة آلاف ، ما بين قتيل وغريق . انظر الاستيعاب : ٦٧١ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٦٧ — ٧٠ . وانظر الأثر رقم : ١٥٨١٤ ، ١٥٨١٥ .

وفي كثير من الكتب « أبو عبيدة » في هذا الخبر ، وهو خطأ .

وكان في المطبوعة هنا : « لو تحيز إلى لكنت له فئة » ، غير ما في المخطوطة بلا أمانة ولا معرفة .

(٢) الأثر : ١٥٨١٣ — « قيس بن سعد المكي » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٤٣ ، ٩٤١٣ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « قيس بن سعيد » ، وهو خطأ .

سليمان التيمى ، عن أبى عثمان قال : لما قتل أبو عبيد ، جاء الخبر إلى عمر فقال : يا أيها الناس ، أنا فئتكم .(١)

١٥٨١٥ — . . . . قال ابن المبارك : عن معمر وسفيان الثورى وابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة كل مسلم .

* * *

وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عام فى كل من ولى الدبر عن العدو منهزماً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨١٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : أكبر الكبائر الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عز وجل يقول : « ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب عندى ، قولُ من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت فى أهل بدر ، وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين ، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو ، أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرفٍ لقتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاّهم الدبر بعد الزحف لقتالٍ منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده ، إلاّ أن يتفضل عليه بعفوه .

وإنما قلنا هى محكمة غير منسوخة ، لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا

---

(١) الأثر : ١٥٨١٤ — « أبو عثمان » ، مجهول ، روى عن أنس بن مالك ، ومعقل ابن يسار . روى عنه « سليمان التيمى » ، قال ابن المدينى : « لم يرو عنه غيره ، وهو مجهول » مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤٠٨ .

وغيره :[١] أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ، وله فى غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر يقطع العذر، أو حجة عقل. ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزًا إلى فئة ».

* * *

وأما قوله : « فقد باء بغضب من الله »، يقول : فقد رجع بغضب من الله[٢] = « ومأواه جهنم »، يقول : ومصيره الذى يصير إليه فى معاده يوم القيامة جهنم[٣] = « وبئس المصير »، يقول : وبئس الموضع الذى يصير إليه ذلك المصير.[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش : فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون، أنتم، ولكن الله قتلهم.

* * *

وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم. ففى ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله فى أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها.

---

(١) انظر ما قاله فى « النسخ »، فى فهارس الموضوعات، وفى فهارس اللغة والنحو وغيرها.

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ١٠ : ٢١٦، تعليق : ٢، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير « مأوى » فيما سلف ١٠ : ٤٨١، تعليق : ٣، والمراجع هناك.

(٤) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٩ : ٢٠٥، تعليق : ٥، والمراجع هناك.

وكذلك قوله لنبيه عليه السلام : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، فأضاف الرميَ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين ، والمسبِّب الرمية لرسوله .

فيقال للمنكرين ما ذكرنا[1] : قد علمتم إضافة الله رَمْيِ نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد ،[2] كان من الله تسبيبه وتسديده ، [3] ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذفُ والإرسال ، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة : من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا فى أحدهما قولاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨١٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « فلم تقتلوهم » ، لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا: « قتلت »، وهذا : «قتلت» = « وما رميت إذ رميت» ، قال : لمحمد حين حَصَبَ الكفار .

٩/١٣٦

١٥٨١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٥٨١٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «المسلمين ما ذكرنا» ، وهو خطأ صرف ، وظاهر أن كاتب النسخة التى نقل عنها ناسخ المخطوطة ، قد وصل «راء» المنكرين بالياء والنون ، ولم يضع شرطة الكاف كعادتهم ، فقرأها خطأ ، ونقلها خطأ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ذلك » بغير واو ، والكلام لا يستقيم بغيرها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بتسبيبه » ، وهو خطأ من الناسخ ، صوابه ما أثبت بغير باء فى أوله ، كما يدل عليه السياق .

قتادة : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، قال : رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر .

١٥٨٢٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : ما وقع منها شيء إلاّ في عين رجل .

١٥٨٢١ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا قال: هذه مصارعهم ! ووَجد المشركون النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذه قريش قد جاءت بجَلَبَتها وفخرها ، تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني ! » . فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثا في وجوههم ، فهزمهم الله عز وجل .(١)

١٥٨٢٢ — حدثنا أحمد بن منصور قال، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز بن عمران قال ، حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة ، عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر، سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طَسْت ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٨٢١ — « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة ، مضى : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ ، ١٣٥١٨ ، ١٥٧١٩ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه ٢ : ٢٦٨ في أثناء خبر طويل ، قد مضى بعضه برقم : ١٥٧١٩ ، وهو من كتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان ، ورواه أبو جعفر مفرقاً في التاريخ ، سأخرجه مجموعاً في تخريج الأثر رقم : ١٦٠٨٣ .

وكان في المطبوعة هنا : « قد جاءت بخيلائها وفخرها » ، وهو تصرف قبيح . وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في التاريخ .

و « الجلبة » ، هو اختلاط الناس إذ تجمعوا ، وصاح بعضهم ببعض يذمره ويستحثه ، كالذي يكون في اجتماع الجيوش .

(٢) الأثر : ١٥٨٢٢ — « أحمد بن منصور بن سيار بن المبارك الرمادي » ، شيخ الطبري ، ثقة مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، ١٠٥٢١ .

١٥٨٢٣ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس، ومحمد بن كعب القرظي قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه من تراب فرمى بها في وجوه القوم، وقال: «شاهت الوجوه!»، فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»، الآية، إلى: «إن الله سميع عليم».

١٥٨٢٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وما رميت إذ رميت»، الآية، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث.

و «يعقوب بن محمد الزهري»، مختلف فيه، وهو صدوق، ولكن لا يبالي عمن حدث. مضى برقم: ٢٨٦٧، ٨٠١٢، ١٥٦٥٤، ١٥٧١٤.

و «عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الزهري»، الأعرج، يعرف بابن أبي ثابت. ضعيف، كان صاحب نسب، لم يكن من أصحاب الحديث. مضى برقم: ٨٠١٢، ١٥٧٥٦.

و «موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي القرشي»، ثقة، متكلم فيه، وقال أحمد: «لا يعجبني حديثه»، وقال أبو داود: «له مشايخ مجهولون». مضى برقم: ٩٩٢٣، ١٥٧٥٦.

و «يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي القرشي»، روى عنه ابن أخيه «موسى بن يعقوب». مترجم في الكبير ٣٤٦/٢/٤، وابن أبي حاتم ٢٧٦/٢/٤، ولم يذكرا فيه جرحاً.

و «أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي»، كان من علماء قريش. ثقة. مترجم في التهذيب، والكنى للبخاري: ١٣، وابن أبي حاتم ٣٤١/٢/٤.

وهذا خبر ضعيف الإسناد، لضعف «عبد العزيز بن عمران الزهري»، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٣٢، وقال: «غريب من هذا الوجه»، فقصر في بيان إسناده.

بيد أن الهيثمي ذكره في مجمع الزوائد ٦ : ٨٤، وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن»، فلعله إسناد غير هذا، فإنه قد ضعف عبد العزيز بن عمران في هذا الباب مراراً كثيرة.

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٧٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه.

١٥٨٢٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلى : « أعطنى حصاً من الأرض»، فناوله حصى عليه تراب، فرمى به وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلاّ دخل فى عينيه من ذلك التراب شيء، ثم رَدِفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، (١) فذكر رميةَ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ».

١٥٨٢٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »، قال : هذا يوم بدر، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات، فرمى بحصاة فى ميمنة القوم، وحصاة فى ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال : « شاهت الوجوه ! »، وانهزموا، فذلك قول الله عز وجل : « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ».

١٥٨٢٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال : يا رب، إن تَهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبداً ! فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ! فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها فى وجوههم، فمامن المشركين من أحد إلا أصابَ عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولّوا مدبرين.

١٥٨٢٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : قال الله عز وجل فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم : «ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى»، أى : لم يكن ذلك برميتك، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله.(٢)

* * *

(١) « ردفه » (بفتح فكسر) : اتبعه ودهمه.

(٢) الأثر : ١٥٨٢٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣، وهو تابع الأثر السالف رقم :

وروى عن الزهرى فى ذلك قول خلاف هذه الأقوال ، وهو ما : —

١٥٨٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى : « وما رميت إذ رميت » ، قال : جاء أبي بن خلف الجمحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، فقال : « آلله محيي هذا ، يا محمد ، وهو رميم ؟ » ،وهو يفتُّ العظم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يحييه الله، ثم يميتك ، ثم يدخلك النار ! قال : فلما كان يوم أحد قال : والله لأقتلن محمداً إذا رأيته ! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .(١)

١٣٧/٩

* * *

١٥٧٨٣ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، أغفل ذكر « وما رميت إذ رميت » ، وأتى ببقية الآية . وكان فى المخطوطة « حين هزمهم » ، بغير ذكر لفظ الجلالة ، فغيرها فى المطبوعة فقال : « فهزمتهم » . وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(١) أخشى أن يكون فى هذا الموضع من التفسير نقص ، فإنى وجدت ابن كثير (٤ : ٣٢) قد ذكر فى تفسير هذه الآية ما نسبه إلى ابن جرير ، وهذا نصه بترتيبه وتعليقه :

« وههنا قولان آخران غريبان جدًّا :

أحدها : قال ابن جرير : حدثنى محمد بن عوف الطائى ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثنا عبد الرحمن بن جبير :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر ، دعا بقوس ، فأُتِيَ بقوسٍ طويلة ، وقال : جيئونى بقوس غيرها . فجؤوه بقوسٍ كَبْداء ، فرمى النبيّ صلى الله عليه وسلم الحصن ، فأقبل السهم يهوى حتى قتل ابن أبى الحقيق ، وهو فى فراشه ،فأنزل الله :«وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ».

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ،ولعله اشتبه عليه، أو أنه أراد أن الآيه تعم هذا كله ، وإلا فسياق الآية فى سورة الأنفال فى قصة بدرٍ لا مَحالة ، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم ، والله أعلم .

والثانى : روى ابن جرير أيضاً ، والحاكم فى مستدركه ، بإسناد صحيح إلى سعيد

. . . .

ابن المسيّب والزهرى أنهما قالا : أنزلت فى رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ أُبَىَّ بن خلفٍ بالحربة فى لَأْمَته ، فخدشه فى تَرْقُوَته ، فجعل يتدأدأ عن فرسه مراراً . حتى كانت وفاتُه بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليمَ ، موصولاً بعذابِ البرزخ ، المتصل بعذاب الآخرة .

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا ، ولعلهما أرادَا أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة ، كما تقدم ، والله أعلم » .

قلت : والخبر الأول منهما ، رواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٤ من طريق « صفوان ابن عمرو ، عن عبد العزيز بن جبير » ، وقوله : « عبد العزيز » ، خطأ ، صوابه ما فى تفسير ابن كثير .

ثم إن السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٧٥ ، خرج هذين الخبرين منسوبين إلى ابن جرير أيضاً ، وزاد نسبته الأول منهما إلى ابن أبى حاتم . وذكر الثانى وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

ثم زاد السيوطى فى الدر المنثور هذا الخبران ، أنقلهما أيضاً بنصهما منه :

الأول : « أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عن سعيد بن المسيّب قال : لما كان يوم أُحُد ، أخذ أُبَىٌّ بن خلفٍ يركض فرسه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترض رجالٌ من المسلمين لأُبَىّ بن خلف ليقتلوه . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : استأخروا ! فاستأخَرُوا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حربته فى يده فرمى بها أُبَىّ بن خلف ، وكسر ضِلَعاً من أضلاعه ، فرجع أُبَىّ بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً ، فاحتملوه حين وَلَّوا قافلين ، فطفقوا يقولون : لا بأس ! فقال أُبَىّ حين قالوا له ذلك : والله لو كانت بالناس لقتلتهم! ألم يقلْ : إنِّى أقتلك إن شاء الله؟ فانطلق به أصحابه يَنْعَشُونه حتى مات ببعض الطريق ، فدفنوه . قال ابن المسيب : وفى ذلك أنزل الله تعالى : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ الآية » .

الثانى : « وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، عن الزهرى فى قوله : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ . قال : حيث رمَى أُبَىَّ بنَ خلف يوم أُحُدٍ بحربته ،

وأما قوله : « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً » ، فإنّ معناه : وكى ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم،[(١)] ويغنّمهم ما معهم، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .[(٢)]

* * *

وذلك « البلاء الحسن » ، رمى الله هؤلاء المشركين ، ويعنى بـ « البلاء الحسن » ، النعمة الحسنة الجميلة ، وهى ما وصفت وما فى معناه .[(٣)]

* * *

١٥٨٣٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال فى قوله : « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً » ، أى : ليعرّف المؤمنين من نعمه عليهم ، فى إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، وليشكروا بذلك نعمته .[(٤)]

* * *

وقوله : « إن الله سميع عليم » ، يعنى : إن الله سميع ، أيها المؤمنون ، لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومناشدته ربه ، ومسألته إياه إهلاكَ عدوه وعدوكم ،

فقيل له : إنْ يَكُ إلاَّ جَحْش ! قال : أليسَ قال : أما أقلَّك ؟ والله لو قالها لجميع الخلق لماتوا ! » .

فهذا كله ، يوشك أن يرجح سقوط شىء من أخبار أبى جعفر فى هذا الموضع . إلا أن تكون هذه الأخبار ستأتى فيما بعد فى غير هذا الموضع . أما فيما سلف ، فإن خبر « أبى بن خلف » قد مضى فى حديث السدى رقم : ٧٩٤٣ (ج ٧ : ٢٥٥) .

والخبر الأول رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٧ ، من طريق محمد بن فليح ، عن موسى ابن عقبة ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(١) فى المطبوعة : « ولينعم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ويثبت لهم أجور أعمالهم » ، وهو لا معنى له ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لخطأ فى نقطها .

(٣) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ص: ٨٥، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) الأثر : ١٥٨٣٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٢٨ . وفى السيرة سقط من السياق قوله : « مع كثرة عددهم » ، فيصحح هناك .

ولقيلكم وقيل جميع خلقه = « عليم » ، بذلك كله ، وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده ، وغير ذلك من الأشياء ، محيط به ، فاتقوه وأطيعوا أمرَه وأمر رسوله .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلكم » ، هذا الفعل = من قتل المشركين ، ورميهم حتى انهزموا ، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم ، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم = فعلنا الذى فعلنا = « وإنّ الله موهن كيد الكافرين » ، يقول : واعلموا أن الله مع ذلك مُضْعِف[٢] = « كيد الكافرين » ، يعنى : مكرهم ،[٣] حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق ، أو يُهْلَكوا .[٤]

* * *

وفى فتح « أن » من الوجوه ما فى قوله : ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ، [سورة الأنفال : ١٤] ، وقد بينته هنالك .[٥]

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قرأة قوله : « موهن » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين : ﴿مُوَهِّنُ﴾ بالتشديد ، من : « وهّنت الشيء » ، ضعّفته .

* * *

---

(١) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) انظر تفسير « الوهن » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ ، ٩/٢٦٩ : ١٧٠ .

(٣) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص: ٣٢٢، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المخطوطة : « ويهلكوا » ، وصواب السياق ما أثبت .

(٥) انظر ما سلف ص ٤٣٤ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ مُوهِنُ ﴾ ، من « أوهنته ، فأنا موهنه » ، بمعنى : أضعفته .

* * *

قال أبو جعفر : والتشديد فى ذلك أعجبُ إلىّ ، لأن الله تعالى ذكره كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، عقداً بعد عقْدٍ ، وشيئاً بعد شىء . وإن كان الآخرُ وجهاً صحيحاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يعنى : أن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم ، وأظلم الفئتين ، وتستنصروه عليه ، فقد جاءكم حكم الله ، ونصرُه المظلوم على الظالم ، والمحق على المبطل .[١]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٣١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

---

(١) انظر تفسير « الاستفتاح » و « الفتح » فيما سلف ٢ : ٢٥٤/١٠ : ٤٠٥ ، ٤٠٦/١٢ ، ٥٦٣ .

١٥٨٣٢ — . . . . قال ، حدثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

١٥٨٣٣ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يعنى بذلك المشركين : إن تستنصروا فقد جاءكم المدد .

١٥٨٣٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن ابن عباس قوله : « إن تستفتحوا » ، قال : إن تستقضوا القضاء = وإنه كان يقول : « وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوانعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً » ، قلت : للمشركين ؟ قال : لا نعلمه إلا ذلك[1] .

١٥٨٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : كفار قريش فى قولهم : « ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه » ! ففُتح بينهم يوم بدر .

١٥٨٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٨٣٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : استفتح ١٣٨/٩ أبو جهل فقال : « اللهم » = يعنى محمداً ونفسه = « أيُّنا كان أفجرَ لك ، اللهم وأقطعَ للرحم ، فأحِنْه اليوم » ![2] قال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .

١٥٨٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : استفتح

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، « لا نعلم » ، والجيد ما أثبت .

(٢) يقال : « أحانه الله » ، أهلكه . و « الحين » (بفتح فسكون) : الهلاك ، أو هو أجل الهلاك على التحقيق .

أبو جهل بن هشام فقال : « اللهم أيُّنا كان أفجر لك وأقطعَ للرحم ، فأحنه اليوم ! » يعنى محمداً عليه الصلاة والسلام ونفسه . قال الله عز وجل : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، فضربه ابنا عفراء : عوف ومعوِّذ ، وأجهزَ عليه ابن مسعود .

١٥٨٣٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العدوى ، حليف بنى زهرة : أن المستفتح يومئذ أبو جهل ، وأنه قال حين التقى القوم : « أينا أقطعُ للرحم ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحِنْه الغداة »! فكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله فى ذلك : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية .[1]

١٥٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية ، يقول : قد كانت بدرٌ قضاءً وعِبْرةً لمن اعتبر .

---

(١) الأثر : ١٥٨٣٩ — « عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى » ، مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ورأسه زمن الفتح ، ودعا له . وقال أبو حاتم : « رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير » ، وقال البخارى فى التاريخ : « عبد الله بن ثعلبة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مرسل ، إلا أن يكون عن أبيه ، وهو أشبه » . مترجم فى الإصابة ، والتهذيب ، وأسد الغابة ، والاستيعاب : ٣٤١ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٩ .

وهذا الخبر سيأتى من طريق ابن إسحق ، عن الزهرى ، برقم : ١٥٨٤٦ ، ١٥٨٤٨ ، ومن طريق صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، رقم : ١٥٨٤٧ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٤٣١ ، ٤من طريق يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق ، عن الزهرى ، وص : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، عن الزهرى .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٨ من طريق يزيد بن هرون ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى = ثم من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وهذا الإسناد الثانى الذى ذكره الحاكم ، لم أجده فى المسند ، و« إبراهيم بن سعد » يروى عن « صالح بن كيسان » ، وعن « الزهرى » ، وعن « ابن إسحق » .

١٥٨٤١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا : « اللهم انصر أعز الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين »! فقال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يقول : نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٨٤٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » إلى قوله : « وأن الله مع المؤمنين » ، وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرَهم ، وأن أهلَ العير ، أبا سفيان وأصحابه ، أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم ، فقال أبوجهل : « أينا كان خيرًا عندك فانصره » ! وهو قوله : « إن تستفتحوا » ، يقول : تستنصروا .

١٥٨٤٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستفتحوا العذاب ، فعُذِّبوا يوم بدر. قال : وكان استفتاحهم بمكة، قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، [سورة الأنفال: ٣٢]. قال : فجاءهم العذاب يوم بدر . وأخبر عن يوم أحد : « وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » .

١٥٨٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية قال : قال أبو جهل يوم بدر : « اللهم انصر أهدى الفئتين ، وخير الفئتين وأفضل » فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ،

١٥٨٤٥ — . . . . قال، حدثنا عبد الأعلى، عن معمر ، عن الزهرى : أن أبا جهل هو الذى استفتح يوم بدر وقال : « اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه ، فأحِنْه اليوم » ! فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .

١٥٨٤٦ — . . . . قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق ،

عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير : أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهمّ أقطعنا لرحمه ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » . وكان ذلك استفتاحاً منه ، فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية .(١)

١٥٨٤٧ — . . . . قال ، حدثنا يحيي بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال : كان المستفتح يوم بدر أبا جهل ، قال : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .(٢)

١٥٨٤٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، حليف بنى زهرة قال : لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، فكان هو المستفتح على نفسه =(٣) قال ابن إسحق : فقال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، لقول أبى جهل : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، قال : « الاستفتاح » ، الإنصاف فى الدعاء .(٤)

١٥٨٤٩ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان وغيره قال : أبو جهل يوم بدر : « اللهم انصر أحب الدينين إليك ، ديننا العتيق ، أم دينهم الحديث » ! فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، إلى قوله : « وأن الله مع المؤمنين » . ١٣٩/٩

* * *

(١) الأثر : ١٥٨٤٦ — انظر تخريج الأثر رقم : ١٥٨٣٩ ، والخبرين التاليين .
(٢) الأثر : ١٥٨٤٧ — انظر تخريج الآثار السالفة ، والذى سيليه .
(٣) قوله : « على نفسه » ، ليست فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ . وانظر تخريج الخبر ، بعد .
(٤) الأثر : ١٥٨٤٨ — هما خبران ، أولهما إلى قوله : « المستفتح على نفسه » ، رواه ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٨٠ ، وسائر الخبر ، رواه فى سيرته ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر : ١٥٨٣٠ .
وانظر تخريج الأثر رقم : ١٥٨٣٩ .

وأما قوله : « وإن تنتهوا فهو خير لكم » ، فإنه يقول : « وإن تنتهوا » ، يا معشر قريش ، وجماعة الكفار ، عن الكفر بالله ورسوله ، وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به = « فهو خير لكم » ، فى دنياكم وآخرتكم [١] = « وإن تعودوا نعد » ، يقول : وإن تعودوا لحربه وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين = « نعد » ، أى : بمثل الوقعة التى أوقعت بكم يوم بدر .

* * *

وقوله : « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت »، يقول : وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدى أوليائى وهزيمتكم ، ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسبْيكم وهزمكم [٢] = « فئتكم شيئاً ولو كثرت » ، يعنى : جندهم وجماعتهم من المشركين ،[٣] كما لم يغنوا عنهم يوم بدر ، مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين ، شيئاً = « وأن الله مع المؤمنين » ، يقول جل ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ، ينصرهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « وإن تنتهوا فهو خير لكم » ، قال : يقول لقريش = « وإن تعودوا نعد » ، لمثل الوقعة التى أصابتكم يوم بدر = « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » ، أى : وإن كثر عددكم فى أنفسكم لن يغنى عنكم شيئاً . وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .[٥]

* * *

(١) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ٢٠ : ٥٦٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف ٧ : ١٣٣

(٣) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ص : ٤٣٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٤٢٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) الأثر : ١٥٨٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٤٨ ، فى القسم الثانى منه .

وقد قيل : إن معنى قوله : « وإن تعودوا نعد » ، وإن تعودوا للاستفتاح ، نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول لا معنى له ، لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه ، إظهارَ دينه وإعلاءَ كلمته ، من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه ، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك : « إن تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد » ، لأن الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ، [سورة الحج : ٣٩] ، استفتح المشركون أو لم يستفتحوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تعودوا نعد » ، إن تستفتحوا الثانية ، نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم = « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » ، محمد وأصحابه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأن الله مع المؤمنين » .

ففتحها عامة قرأة أهل المدينة بمعنى : ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله لمع المؤمنين =[1] فعطف بـ « أن » على موضع « ولو كثرت » ، كأنه قال : لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين . ويكون موضع « أن » حينئذ نصباً على هذا القول .[2]

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت ، على : « وأنّ الله موهن كيد الكافرين » ، « وأن الله مع المؤمنين » ، عطفاً بالأخرى على الأولى .

* * *

وكان فى المطبوعة و « إن الله مع المؤمنين ينصرهم » ، وفى المخطوطة مثله إلا أن فيها « أنصرهم » ، وأثبت نص ما فى سيرة ابن هشام ، والذى فى المخطوطة بعضه سهو من الناسخ وعجلة .

(١) فى المطبوعة : « مع المؤمنين » بغير لام ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأنا فى شك منه .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٧ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ ﴾ ، بكسر الألف ، على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله : ﴿ وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من كسر « إن » للابتداء ، لتقضِّى الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله : « وأن الله مع المؤمنين » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « أطيعوا الله ورسوله » ، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه = « ولا تولوا عنه » ، يقول : ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه[2] = « وأنتم تسمعون » أمرَه إياكم ونهيه ، وأنتم به مؤمنون ، كما : —

١٥٨٥٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » ، أى : لا تخالفوا أمره ، وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « عما يقضى قوله » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) الأثر : ١٥٨٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٠ .

وكان فى المطبوعة هنا « وتزعمون أنكم مؤمنون » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى سيرة ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا ، أيها المؤمنين ، فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا : « قد سمعنا » ، بآذاننا ٩/١٤٠ = « وهم لا يسمعون » ، يقول : وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به ، لإعراضهم عنه ، وتركهم أن يُوعُوه قلوبهم ويتدبروه . فجعلهم الله ، إذ لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم ،[١] بمنزلة من لم يسمعها . يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أنتم فى الإعراض عن أمر رسول الله ، وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعونه بآذانكم ، كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ، ويقولون : « قد سمعنا » ، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لا يسمَعُها .[٢]

* * *

وكان ابن إسحق يقول فى ذلك ما :—

١٥٨٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، أى : كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويُسِرُّون المعصية .[٣]

١٥٨٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « فجعلهم الله لما لم ينتفعوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « وهم لاستماعها والاتعاظ بها » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وإنما هو إسقاط من الناسخ فى كتابته . وكان فى المطبوعة : « كمن لم يسمعها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٨٥٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٢ .

عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وهم لا يسمعون » ، قال : عاصون .

١٥٨٥٥ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وللذى قال ابن إسحق وجه ، ولكن قوله : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون»، فى سياق قَصَص المشركين ، ويتلوه الخبر عنهم بذمّهم، وهو قوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ ، فلأن يكون ما بينهما خبرًا عنهم ، أولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنّ شر ما دبّ على الأرض من خلق الله عند الله ،[١] الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه ، [٢] فيعتبروا به ويتعظوا به، وينكُصون عنه إن نطقوا به،[٣] الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

(١) انظر تفسير « دابة » فيما سلف ٣ : ٢٧٥/١١ : ٣٤٤ .
(٢) انظر تفسير « الصم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ – ٣٣١/٣ : ٣١٥/١٠ : ٤٧٨/ ١١ : ٣٥٠ .
(٣) انظر تفسير « البكم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ – ٣٣١/٣ : ٣١٥/١١ : ٣٥٠ .

١٥٨٥٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن شر الدواب عند الله » ، قال : « الدواب » ، الخلق .

١٥٨٥٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، عن عكرمة قال: وكانوا يقولون :« إنا صم بكم عما يدعو إليه محمد ، لا نسمعه منه ، ولا نجيبه به بتصديق ! » فقتلوا جميعاً بأحد ، وكانوا أصحابَ اللواء .

١٥٨٥٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الصم البكم الذين لا يعقلون » ، قال : الذين لا يتّبعون الحق .

١٥٨٥٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن شر الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ، وليس بالأصم في الدنيا ولا بالأبكم ، ولكن صمّ القلوب وبُكمها وعُميها ! وقرأ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ، [سورة الحج : ٤٦].

* * *

واختلف فيمن عني بهذه الآية .

فقال بعضهم : عُني بها نفرٌ من المشركين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال ، قال ابن عباس : « الصم البكم الذين لايعقلون » ، نفرٌ من بني عبد الدار ، لا يتبعون الحق .

١٥٨٦١ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « الصم البكم الذين لا يعقلون » ، قال : لا يتبعون الحق = قال، قال ابن عباس : هم نفرٌ من بني عبد الدار .

١٥٨٦١ م — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن

ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

وقال آخرون : عُنِى بها المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ، [أى : المنافقون الذين نُهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بُكمٌ عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون] ، لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتِّباعة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال بقول ابن عباس : وأنه عُنِى بهذه الآية مشركو قريش ، لأنها فى سياق الخبر عنهم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٨٦٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٣ . والذى بين القوسين سقط من ناسخ المخطوطة بلا شك ، لأن إسقاطه يجعل الخبر غير مطابق للترجمة ، لأنه عندئذ لا ذكر فيه للمنافقين . هذا فضلا عن أن أبا جعفر ينقل تفسير ابن إسحق فى سيرته بنصه فى كل ما مضى ، فلا معنى لاختصاره هنا اختصاراً مخلا ، فثبت أن ذلك من الناسخ فزدته من السيرة .

أما الجملة التى أثبتها الناسخ ، وهى الخارجة عن القوسين . فكانت فى المخطوطة : « . . . من النعمة والساعة » ، الأولى خطأ ، صوابها ما أثبت .

فجاء الناشر ، ولم يفهم معنى للكلام ، فجعله هكذا : « . . . من النعمة والسعة » ، فصار خلطاً لا خير فيه ، ولا معنى له . ورددته إلى الصواب والحمد لله .

و « التباعة » ، (بكسر التاء) ، مثل « التبعة » (بفتح التاء وكسر الباء) : ما فيه إثم يتبع به صاحبه . يقال : « ما عليه من الله فى هذا تبعة ولا تباعة » ، أى : مطالبة يطلب بإثمها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفى معناها .

فقال بعضهم : عنى بها المشركون . وقال : معناها : أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمنوا به ، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١/٩ ١٥٨٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قوله : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم » ، لقالوا : ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا ﴾ ، [سورة يونس : ١٥] ، ولقالوا : ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠٣] ، ولو جاءهم بقرآن غيره = « لتولوا وهم معرضون » .

١٥٨٦٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » ، قال : لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ، ما انتفعوا بذلك ، ولتولوا وهم معرضون .

١٥٨٦٥ — وحدثنى به مرة أخرى فقال : « لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم » ، بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ، ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بها المنافقون . قالوا : ومعناه ما :—

١٥٨٦٦ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » ، لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ،(١) ولكن

---

(١) فى المطبوعة : « الذى قالوه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، مطابقاً لما فى السيرة

القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ،[١] ما وفَوا لكم بشيء مما خرجوا عليه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن جريج وابن زيد ، لما قد ذكرنا قبل من العلة ، وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.[٣]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرًا ، لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره ، حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه منه ، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم ، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون . ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا ، لتولوا عن الله وعن رسوله ،[٤] وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه ،[٥] معاندون للحق بعد العلم به .[٦]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « إذا دعاكم لما يحييكم » .

فقال بعضهم : معناه : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان .

---

(١) كانت هذه الجملة الآتية فى المخطوطة والمطبوعة هكذا : « فأوفوا لكم بشر مما خرجوا عليه » ، وهو لا معنى له . وصوابها ما أثبت من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٥٨٦٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٦٢ .

(٣) انظر ص : ٤٦١ .

(٤) انظر تفسير « التولى » فيما سلف ١٢ : ٥٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « . . . دلهم على حقيقته » ، وفى المخطوطة : « . . . دلهم على حجته » ، وهذا صواب قراءتها .

(٦) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٣٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، قال: أمّا «ما يحييكم»، [(١)]فهو الإسلام، أحياهم بعد موتهم، بعد كفرهم.

* * *

وقال آخرون: للحق.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فى قول الله: «لما يحييكم»، قال: الحق.

١٥٨٦٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٥٨٧٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: «إذا دعاكم لما يحييكم»، قال: الحق.

١٥٨٧١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال، حدثنا عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد فى قوله: «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، قال: للحق.

* * *

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى ما فى القرآن.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٧٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «أما يحييكم»، بإسقاط «ما» والجيد إثباتها.

قوله : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، قال : هو هذا القرآن ، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة فى الدنيا والآخرة .[1]

* * *

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو .

ذكر من قال ذلك :

١٥٨٧٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، أى : للحرب الذى أعزكم الله بها بعد الذل ، وقوّاكم بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم.[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : استجيبوا لله وللرسول بالطاعة ، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق . وذلك أن ذلك إذا كان معناه ، كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفى الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب . أما فى الدنيا ، فبقاء الذكر الجميل ،[3] وذلك له فيه حياة . وأما فى الآخرة ، فحياة الأبد فى الجنان والخلود فيها .[4]

* * *

وأما قول من قال : معناه : الإسلام ، فقول لا معنى له . لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، فلا وجه لأن يقال للمؤمن : استجب لله وللرسول إذا دعا إلى الإسلام والإيمان .[5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الحياة والعفة » ، وهى فى المخطوطة كما أثبتها غير منقوطة « الثاء » ، ثم زاد ناشرها أيضاً فأسقط من الكلام « والنجاة » ، وهذا من أسوأ العبث وأقبحه .

(٢) الأثر : ١٥٨٧٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٦٦ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيقال الذكر الجميل » ، وهو لا معنى له . صوابه ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف ص : ٤٠٩ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « إذا دعاك » ، وأثبت ما فى المخطوطة

وبَعْدُ ، ففيها :—

١٤٢/٩ ١٥٨٧٤ — حدثنا أحمد بن المقدام العجلى قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُبيّ وهو يصلى فدعاه : أىْ أُبَىّ! فالتفت إليه أُبىّ ولم يجبه . ثم إن أُبيًّا خفف الصلاة، ثم انصرف إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليك ، أىْ رسول الله ! قال : وعليك ، ما منعك إذ دعوتك أن تجيبنى ؟ قال : يا رسول الله ، كنت أصلى ! قال : أفلم تجد فيما أوحى إلىّ : « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »؟ قال : بلى، يا رسول الله ! لا أعود .(١)

---

(١) الأثر : ١٥٨٧٤ — سيأتى من طريق أخرى فى الذى يليه .

« أحمد بن المقدام بن سليمان العجلى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٨٦١ .

و « يزيد بن زريع العيشى » ، ثقة حافظ مضى مراراً ، برقم : ١٧٦٩ ، ٢٥٣٣ ، ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٨ ، وغيرها .

و « روح بن القاسم التميمى الطبرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٦١٣ .

و « العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٢١ ، ١٤٢١٠ .

وأبوه : « عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة . مضى برقم : ١٤٢١٠ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٢ : ٤١٢ ، ٤١٣ ، من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن العلاء بن عبد الرحمن . عن أبيه ، بنحوه ، مطولا .

ورواه الترمذى فى « فضائل القرآن، باب ماجاء فى فضل الفاتحة » ، من طريق عبد العزيز ابن محمد الدراوردى ، عن العلاء ، بنحوه مطولا ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح. وفى الباب عن أنس بن مالك » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

ثم انظر حديث البخارى (الفتح ٨ : ١١٩ ، ٢٣١) ، وهو حديث أبى سعيد بن المعلى ، بنحو هذه القصة عن أبى بن كعب . وقد فصل الحافظ ابن حجر هناك الكلام فيه ، وخرج حديث أبى بن كعب . وانظر أيضاً الموطأ : ٨٣ ، خبر مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب : أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز ، أخبره : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبى بن كعب وهو يصلى . . . » بغير هذا السياق ، وماقاله فيه الحافظ ابن حجر ، وابن كثير فى تفسيره ، حيث أشرنا إلى موضعه .

١٥٨٧٥- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو قائم يصلي ، فصرخ به[فلم يجبه، ثم جاء]، [1]فقال : يا أبيّ ، ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ أليس الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ؟ قال أبي : لا جرَم يا رسول الله ، لا تدعوني إلا أجبتُ وإن كنت أصلي! [2]

• • •

= ما يُبيِن عن أن المعنيّ بالآية، هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم . لأن أبيًّا لاشك أنه كان مسلماً في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) هذا الذي بين القوسين ، ليس في المخطوطة ، زاده ناشر المطبوعة ، لا أدري من أين ؟ وفي الخبر سقط لاشك فيه ، ولكني لم أجد الخبر بنصه هذا .

(٢) الأثر : ١٥٨٧٥ - إسناد آخر للخبر السالف . وقد خرجته هناك .

« خالد بن مخلد القطواني » ، ثقة من شيوخ البخاري، وأخرج له مسلم» مضى مراراً ، برقم : ٢٢٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ ، وغيرها .

و « محمد بن جعفر بن أبي كثير الزرقي » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٢٢٠٦ ، ٨٣٩٧ .

١٥٨٧٦ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : بين الكافر أن يؤمن ، وبين المؤمن أن يكفر .[1]

١٥٨٧٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أحمد = قالا ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرازق قال ، حدثنا الثورى = ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

١٥٨٧٨ — حدثنى أبو زائدة زكريا بن أبى زائدة قال، حدثنا أبو عاصم، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٥٨٧٩ — حدثنى أبو السائب وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

١٥٨٨٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « يحول بين المرء وقلبه » ، يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله .

١٥٨٨١ — . . . . قال ، حدثنا حفص، عن الأعمش ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان .

١٥٨٨٢ — حدثنا بن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد ابن سليمان، وعبد العزيز بن أبى روّاد ، عن الضحاك فى قوله : « يحول بين المرء

---

(١) الأثر : ١٥٨٧٦ — « عبد الله بن عبد الله الرازى » ، « أبو جعفر الرازى » ، قاضى الرى ، ثقة ، لا بأس به . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٩٢ .

وهو غير « أبى جعفر الرازى التميمى » ، « عيسى بن ماهان » .

وقلبه » ، قال : يحول بين الكافر وطاعته ، وبين المؤمن ومعصيته .

١٥٨٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، بنحوه .

١٥٨٨٤ — . . . . قال ، حدثنا المحاربى، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : يحول بين المرء وبين أن يكفر ،[1] وبين الكافر وبين أن يؤمن .

١٥٨٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا عبد العزيز بن أبى روّاد ، عن الضحاك بن مزاحم : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين الكافر وبين طاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله .

١٥٨٨٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا ابن أبى رواد ، عن الضحاك ، نحوه .

١٥٨٨٧ — وحدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ، فذكر نحوه .

١٥٨٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن منهال قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عبد العزيز بن أبى رواد يحدث ، عن الضحاك ابن مزاحم فى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن ومعصيته .

١٥٨٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» ، يقول : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، ويحول بين الكافر وبين الإيمان . ١٤٣/٩

١٥٨٩٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، ويحول بين المؤمن وبين معصيته .

---

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « يحول بين المرء » ، ولو ظننت أنها : « يحول بين المؤمن » ، لكان فى الذى سلف ما يرجحه .

١٥٨٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

١٥٨٩٢ — . . . قال، حدثنا أبى ، عن ابن أبى روّاد ، عن الضحاك : « يحول بين المرء وقلبه » ، يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، وبين المؤمن وبين معصيته .

١٥٨٩٣ — . . . قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، يحول بين المؤمن والمعاصى ، وبين الكافر والإيمان .

١٥٨٩٤ — . . . قال ، حدثنا عبيدة ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بينه وبين المعاصى .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يحول بين المرء وعقله ، فلا يدرى ما يّعمل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٩٥ — حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال، حدثنا عبد المجيد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المرء وعقله .

١٥٨٩٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، حتى يتركه لا يعقل .

١٥٨٩٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٨٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال :

هو كقوله : « حالَ » ، حتى تركه لا يعقل .[1]

١٥٨٩٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن حميد ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : إذا حال بينك وبين قلبك ، كيف تعمل ؟

١٥٩٠٠ — . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد: « يحول بين المرء وقلبه »، قال : يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيراً .

* * *

وقال آخرون : معناه : يحول بين المرء وقلبه ، أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه قريب من قلبه ، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرَّه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : هى كقوله : ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾، [سورة ق : ١٦] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى ذلك أن يقال : إن ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « قال : هى يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل » ، غير ما فى المخطوطة كل التغيير ، لأنه لم يفهمه ، وهذا من أسوأ التصرف وأقبحه وأبعده من الأمانة . وإنما أراد أن « يحول » مضارعاً ، بمعنى « حال » ماضياً ، ولذلك قال « حتى تركه لا يعقل » . فانظر أى فساد أدخله الناشر بلا ورع !

خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وأنه يحولُ بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب أن يُدرك به شيئاً من أيمان أو كفر ، أو أن يَعِي به شيئاً ، أو أن يفهم، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أن « الحول بين الشيء والشيء » ، إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه فى شيء أن يدركه أو يفهمه ،[1] لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع اللهُ قلبَه إدراكَه سبيلٌ .

وإذا كان ذلك معناه ، دخل فى ذلك قول من قال: « يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان » ، وقول من قال : « يحول بينه وبين عقله » ، وقول من قال : « يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه » ، لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ما مُنِع إدراكه به ، على ما بيَّنتُ .

غير أنه ينبغى أن يقال : إن الله عم بقوله: « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخصص من المعانى التى ذكرنا شيئاً دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعانى ، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له .

* * *

وأما قوله : « وأنه إليه تحشرون » ، فإن معناه : واعلموا ، أيها المؤمنون ، أيضاً ، مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه : أنّ الله الذى يقدر على قلوبكم ، وهو أملك بها منكم ، إليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة ،[2] فيوفّيكم جزاء أعمالكم ، المحسنَ منكم بإحسانه، والمسىءَ بإساءته ، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم، فيوجب ذلك سَخَطَه، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه .

١٤٤/٩

* * *

(١) انظر تفسير « المرء » فيما سلف ٢ : ٤٤٦/٩ ٤٣٠

(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص ٢٣ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : « اتقوا » ، أيها المؤمنون = « فتنة » ، يقول : اختباراً من الله يختبركم ، وبلاء يبتليكم[١] = « لا تصيبن » ، هذه الفتنة التى حذرتكموها[٢] = « الذين ظلموا » ، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله إما أجْرام أصابوها ، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها . يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية ، أو يأتوا مأثمًا يستحقون بذلك منه عقوبة .[٣]

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين عُنوا بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا الحسن بن أبى جعفر قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : نزلت فى على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، رحمة الله عليهم .

١٥٩٠٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال قتادة : قال الزبير ابن العوام : لقد نزلت ، وما نرى أحداً منا يقع بها . ثم خُلِّفْنا ، فى إصابتنا خاصة.[٤]

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ١٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ٢ : ٩٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخصوص » فيما سلف ٢ : ٦/٤٧١ : ٥١٧ .

(٤) فى المطبوعة : « ثم خصتنا فى إصابتنا خاصة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو فيها غير منقوط ، وظننت أن صواب نقطها ما أثبت . يعنى : أنهم بقوا بعد الذين مضوا ، فإذا هى فى إصابتهم خاصة

١٥٩٠٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة قال ، حدثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن : أن الزبير بن العوام قال : نزلت هذه الآية : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، وما نظننا أهلها ، ونحن عُنِينا بها .[1]

١٥٩٠٦ — . . . . قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الصامت بن دينار ، عن ابن صهبان قال : سمعت الزبير بن العوام يقول : قرأت هذه الآية زماناً ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .[2]

١٥٩٠٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : هذه نزلت فى أهل بدر خاصة ، وأصابتهم يوم الجمل ، فاقتتلوا .

١٥٩٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن السدى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » ، قال : أصحاب الجمل.

١٥٩٠٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرُّوا المنكر بين أظهرهم ، فيعمَّهم الله بالعذاب .

---

(١) الأثر : ١٥٩٠٥ — « زيد بن عوف القطعى » ، « أبو ربيعة » . ولقبه « فهد » ، متكلم فيه ، ضعيف ، مضى برقم : ٥٦٢٣ ، ١٤٢١٥ ، ١٤٢١٨ .

(٢) الأثر : ١٥٩٠٦ — « الصلت بن دينار الأزدى » « أبو شعيب » ، « المجنون » . متروك لا يحتج بحديثه . مترجم فى التهذيب . والكبير ٢/٢/٣٠٥ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٣٧ . وميزان الاعتدال ١ : ٤٦٨ .

و « ابن صهبان » هو « عقبة بن صهبان الحدانى الأزدى » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣١٢ ، ولم أجدهم ذكروا له رواية عن الزبير بن العوام ، ولكنه روى عن عثمان ، وعياض بن حمار ، وعبد الله بن مغفل ، وأبى بكرة الثقفى ، وعائشة

١٥٩١٠ — . . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : هي أيضاً لكم .

١٥٩١١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »، قال : « الفتنة » ، الضلالة .

١٥٩١٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن المسعودي ، عن القاسم قال : قال عبد الله : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول : ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة الأنفال : ٢٨]، فليستعذ بالله من مُضِلاَّت الفتن .[1]

١٥٩١٣ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خُوِّفنا بها = يعني قوله: « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

* * *

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك .

فقال بعض نحويي البصرة : « اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا » ، قوله : « لا تصيبن » ، ليس بجواب ، ولكنه نهي بعد أمرٍ . ولو كان جواباً ما دخلت « النون » .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا » ، أمرهم ثم نهاهم . وفيه طرَفٌ من الجزاء ،[2] وإن كان نهياً . قال : ومثله قوله :

---

(١) الأثر : ١٥٩١٢ — انظر الأثر التالي رقم : ١٥٩٣٤ ، ونصه : « فمن استعاذ منكم ، فليستعذ . . » ، وكأنه الصواب .

(٢) في المطبوعة : « ومنكم ظرف من الجزاء » ، فجاء الناشر بكلام غث لا معنى له . وفي المخطوطة : « ومنه طرف » ، وصواب قراءته ما أثبت ، مطابقاً لما في معاني القرآن للفراء .

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾ ، [سورة النمل : ١٨] ، أمرهم ثم نهاهم ، وفيه تأويل الجزاء .[١]

وكأن معنى الكلام عنده : اتقوا فتنة ، إن لم تتقوها أصابتكم .

وأما قوله : « واعلموا أن الله شديد العقاب » ، فإنه تحذير من الله ، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله : « واتقوا فتنة » . يقول : اعلموا ، أيها المؤمنون ، أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه ، وخالف أمره فأثم به .[٢]

القول في تأويل قوله ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾

١٤٥/٩

* * *

قال أبو جعفر : وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناصحة . يقول : أطيعوا الله ورسوله ، أيها المؤمنون ، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ، ولا تخالفوا أمره وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة ، فإن الله يهوّنه عليكم بطاعتكم إياه ، ويعجّل لكم منه ما تحبون ، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم ،[٣] وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم ،[٤] تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا

---

(١) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٤٠٧ .

(٢) انظر تفسير « شديد العقاب » فيما سلف من فهارس اللغة (شدد) ، (عقب) .

(٣) انظر تفسير « القليل » فيما سلف ١ : ٣٢٩/٨ : ٤٣٩ ، ٥٧٧/٩ : ٣٣١ .

(٤) انظر تفسير « المستضعف » فيما سلف ١٢ : ٥٤٢/١٣ : ٧٦ ، ١٣١ .

جميعكم [١] = « فآواكم » ، يقول : فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم [٢] =« وأيدكم بنصره » ، يقول : وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر[٣] = « ورزقكم من الطيبات »، يقول : وأطعمكم غنيمتهم حلالاً طيباً [٤] =« لعلكم تشكرون »، يقول : لكى تشكروه على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم.[٥]

* * *

واختلف أهل التأويل فى «الناس» الذين عنوا بقوله : « أن يتخطفكم الناس » .

فقال بعضهم : كفار قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » ، قال : يعنى بمكة ، مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة .

١٥٩١٥ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى = أو قتادة ، أو كلاهما [٦] = « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون » ، أنها نزلت فى يوم بدر ، كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم الله وأيدهم بنصره .

---

(١) انظر تفسير « الخطف » فيما سلف ١ : ٣٥٧ .

(٢) وانظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ٢ : ٣١٩ ، ٥/٣٢٠ : ٦/٣٧٩ : ١١/٢٤٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٤) انظر تفسير « الرزق » فيما سلف من فهارس اللغة (رزق) .
= و « الطيبات» فيما سلف منها (طيب) .

(٥) فى المطبوعة : « لكى تشكروا » ، وفى المخطوطة : « لكى تشكرون » ، ورجحت ما أثبت .

(٦) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « أو كلاهما » ، وهو جائز

١٥٩١٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل عُنى به غيرُ قريش .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٩١٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنى أبى قال ، سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله عز وجل : « تخافون أن يتخطفكم الناس » ، قال : فارس .

١٥٩١٨ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبدالكريم قال، حدثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول، وقرأ : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس »: و« الناس » إذ ذاك، فارس والروم .

١٥٩١٩ — . . . . قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض » ، قال: كان هذا الحى من العرب أذلَّ الناس ذلاًّ ،وأشقاهُ عيشاً ، وأجوعَه بطوناً،[1] وأعراه جلوداً ، وأبينَه ضلالاً، [مكعومين ، على رأس حجر ، بين الأسدين فارس والروم ، ولا والله ما فى بلادهم يومئذ من شىء يحسدون عليه] .[2] من عاش منهم عاش شقيًّا ، ومن مات منهم رُدِّىَ فى النار، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلاً ،[3] حتى جاء الله بالإسلام ،

---

(١) فى المطبوعة : « بطوناً » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هذه الجملة بين القوسين لابد منها ، فإن الترجمة أن فارس والروم هما المعنيان بهذا . وقد أثبتها من رواية الطبرى قبل ، كما سيأتى فى التخريج . وإغفال ذكرها فى الخبر ، يوقع فى اللبس والغموض .

(٣) قوله : « أشر منهم منزلا » لم ترد فى الخبر الماضى ، وكان مكانها : « والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الأرض كانوا أصغر حظاً ، وأدق فيها شأناً ، منهم » .

فمكَّن به فى البلاد ، ووسَّع به فى الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس . فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر ، وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « عُنى بذلك مشركو قريش » ، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدَّهم عليهم يومئذ ، مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين .

* * *

وأما قوله : « فآواكم » ، فإنه يعنى : آواكم المدينة ، وكذلك قوله : « وأيدكم بنصره » ، بالأنصار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فآواكم » ، قال : إلى الأنصار بالمدينة = « وأيدكم بنصره » ، وهؤلاء أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم بنصره يوم بدر .

١٥٩٢١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات »، يعنى المدينة .

* * *

(١) الأثر : ١٥٩١٩ — مضى هذا الخبر بإسناده مطولا فيما سلف رقم : ٧٥٩١ ، ومنه اجتلبت الزيادة والتصحيح .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « لا تخونوا الله » ، وخيانتهم الله ورسوله ، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمانَ فى الظاهر والنصيحةَ ، وهو يستسرُّ الكفر والغش لهم فى الباطن ، يدلُّون المشركين على عورتهم ، ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم .(١)

٩/١٤٦

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية ، وفى السبب الذى نزلت فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى منافق كتب إلى أبى سفيان يطلعه على سرِّ المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٢ — حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال ، حدثنا شبابة بن سوّار قال ، حدثنا محمد المُحْرِم قال : لقيت عطاء بن أبى رباح فحدثنى قال ، حدثنى جابر بن عبد الله : أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه واكتموا ! قال : فكتب رجل من المنافقين إلى أبى سفيان : « إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذركم » ! فأنزل الله عز وجل : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ٩ : ١٩٠ .

(٢) الأثر : ١٥٩٢٢ — « القاسم بن بشر بن معروف » ، شيخ الطبرى ، مضى رقم : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١ .

وقال آخرون: بل نزلت فى أبى لبابة، فى الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة.[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهرى قوله: « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، قال : نزلت فى أبى لبابة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى حلقه: إنه الذّبح = قال الزهرى : فقال ، أبو لبابة: لا والله ، لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتّى أموتَ

و « شبابة بن سوار الفزارى » ، ثقة ، مضى مراراً : ٣٧ ، ٦٧٠١ ، ١٠٠٥١ ، وغيرهما .

و « محمد المحرم » ، هو : « محمد بن عمر المحرم » ، وقد ترجم صاحب لسان الميزان لثلاثة : « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير المكى » (ج ٥ : ٢١٦) ، و « محمد بن عمر المحرم » ج (٥ : ٣٢٠) و « محمد المحرم » (ج ٥ : ٤٣٩) ، وقال هم واحد ، وأن « محمد بن عمر » صوابه : « محمد ابن عمير » منسوباً إلى جده . و « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، مضى برقم : ٧٤٨٤ .

وترجم البخارى فى الكبير ١/١/١٤٢ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى المكى » ، عن عطاء ، وليس بذاك الثقة . ولم يذكر أنه « محمد المحرم » .

ثم ترجم أيضاً فى الكبير ١/١/٢٤٨ « محمد المحرم » ، عن عطاء والحسن ، منكر الحديث . فكأنهما عنده رجلان .

وترجم ابن أبى حاتم ٣/٢/٣٠٠ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، وضعفه ، ولم يذكر أنه « محمد المحرم » .

ثم ترجم « محمد بن عمر المحرم » ، روى عن عطاء ، روى عنه شبابة ، وقال : « ضعيف الحديث ، واهى الحديث » ، ولم يذكر أنه الذى قبله .

وترجم الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣ : ٧٧ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، ويقال له : « محمد المحرم » .

ثم ترجم فى الميزان ٣ : ١١٣ « محمد بن عمر المحرم » ، عن عطاء ، وعنه شبابة ، وضعفه ، ولم يذكر أنه الذى قبله .

وترجم عبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف : ١١٧ ، « محمد بن عبيد بن عمير المحرم » ، عن : « عطاء عن بن أبى رباح » .

والظاهر أن الذى قاله الحافظ فى لسان الميزان ، من أن هؤلاء جميعاً واحد ، هو الصواب إن شاء الله ، من أنهم جميعاً رجل واحد .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن المحرم » ، غير ما كان فى المخطوطة بزيادة « بن » بينهما .

وهذا خبر ضعيف جداً ، لضعف « محمد المحرم » ، وهو متروك الحديث . وقد ذكر الخبر ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٤٣ ، ٤٤ ، ثم قال : « هذا حديث غريب جداً ، وفى سنده وسياقه نظر » .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى أبى لبابة ، الذى كان من أمره » ، والسياق يقتضى زيادة « فى » كما أثبتها .

أو يتوب الله علىّ ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشيًّا عليه ، ثم تاب الله عليه . فقيل له : يا أبا لبابة ، قد تِيبَ عليك ! قال : والله لا أحُلُّ نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يَحُلّنى . فجاءه فحله بيده . ثم قال أبو لبابة : إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب ، وأن أنخلع من مالى ! قال : يجزيك الثلث أن تصدَّق به .(١)

١٥٩٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا إسمعيل بن أبى خالد قال : سمعت عبد الله ابن أبى قتادة يقول : نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، فى أبى لبابة .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى شأن عثمان رحمة الله عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يونس ابن الحارث الطائفى (٣) قال ، حدثنا محمد بن عبيد الله بن عون الثقفى ، عن المغيرة ابن شعبة قال : نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رحمة الله عليه : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » ، الآية .

* * *

(١) الأثر : ١٥٩٢٣ — خبر أبى لبابة بن عبد المنذر الأنصارى ، حين فعل ذلك يوم بنى قريظة ، وعرف أنه خان الله ورسوله ، فى سيرة ابن هشام ٣ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، وفى غيره . ثم إنه لما عرف ذلك ارتبط فى سارية المسجد ، وقال : « لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت » .

ورواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٥ ، وروى بعضه مالك فى الموطأ : ٤٨١ .

(٢) الأثر : ١٥٩٢٤ — « عبد الله بن أبى قتادة الأنصارى » . تابعى ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ١٥٩٢٥ — « يونس بن الحارث الطائفى الثقفى » ، ضعيف ، إلا أنه لا يتهم بالكذب ، وقال ابن معين : « كنا نضعفه ضعفاً شديداً » . وقال أحمد : « أحاديثه مضطربة » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٠٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٣٧ ، وضعفه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته = وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة = وجائز أن تكون نزلت فى غيره ، ولا خبر عندنا بأىّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته .

فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » ، قال : نهاكم أن تخونوا الله والرسول ، كما صنع المنافقون .

١٥٩٢٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تخونوا الله والرسول» الآية ، قال : كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين .

* * *

واختلفوا فى تأويل قوله : « وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

فقال بعضهم : لا تخونوا الله والرسول ، فإن ذلك خيانة لأمانتكم وهلاك لها .

و « محمد بن عبيد الله بن سعيد » ، « أبو عون الثقفى » ، ثقة ، مضى برقم : ٧٥٩٥ ، ١٣٩٦٥ ، ١٥٦٥٩ .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن عبد الله بن عون الثقفى » ، ومثله فى المخطوطة . إلا أنه قد يقرأ « محمد بن عبيد الله » ، والصواب ما أثبت ، لأن يونس بن الحارث الطائفى ، يروى عن أبى عون الثقفى ، و « أبو عون » اسم جده « سعيد » لا « عون » .

و « أبو عون الثقفى » ، لا أظنه روى عن المغيرة بن شعبة ، فالمغيرة مات سنة خمسين ، ويقال قبلها . والمذكور فى ترجمته أنه يروى عن « عفان بن المغيرة بن شعبة » ، فهذا إسناد منقطع على الأرجح عندى .

وقوله : « نزلت فى قتل عثمان » ، يعنى أن حكمها يشمل فعل عثمان رضى الله عنه ، فإنه قتل خيانة لله ولرسوله ، وخيانة للأمانة ، إذ نقض القتلة بيعة له فى أعناقهم ، رحم الله عثمان وغفر له .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم .

١٥٩٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، أى : لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل قوله : « وتخونوا أماناتكم »، فى موضع نصب على الصرف ،[٢] كما قال الشاعر :[٣]

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[٤]

ويروى : « وتأتِى مثله » .[٥]

١٤٧/٩

* * *

وقال آخرون : معناه : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،

---

(١) الأثر : ١٥٩٢٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « على الظرف » ، وفى المخطوطة : « على الطرف » ، والصواب ما أثبت . وانظر معنى « الصرف » فيما سلف من فهارس المصطلحات .
وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٨ .

(٣) هو المتوكل الليثى ، وينسب لغيره .

(٤) سلف البيت ، وتخريجه ١ : ٣/٥٦٩ : ٥٥٢ .

(٥) يعنى على غير النصب .

عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم »، يقول : « لا تخونوا »، يعني : لا تنقصوها .

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا، التأويل : لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « الأمانة » التي ذكرها الله في قوله : « وتخونوا أماناتكم ».

فقال بعضهم : هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وتخونوا أماناتكم »، و« الأمانة » ، الأعمال التي أمن الله عليها العباد = يعني الفريضة . يقول : « ولا تخونوا » ، يعني : لا تنقصوها .

١٥٩٣٢ — حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله » ، يقول : بترك فرائضه = « والرسول » ، يقول : بترك سننه وارتكاب معصيته = وقال مرة أخرى : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، و« الأمانة » ، الأعمال

وقال آخرون : معنى « الأمانات » ، ههنا ، الدّين . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وتخونوا أماناتكم » ، دينكم = « وأنتم تعلمون » ، قال : قد فعل ذلك

المنافقون، وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الإيمان . وقرأ: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [سورة النساء : ١٤٢]. قال : هؤلاء المنافقون ، أمنهم الله ورسوله على دينه ،فخانوا ، وأظهروا الإيمان وأسرُّوا الكفر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : يا أيها الذين آمنوا ، لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه ، لا تنقصوهما = «وتخونوا أماناتكم» ، وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمَها لكم = «وأنتم تعلمون » ، أنها لازمة عليكم ، واجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واعلموا، أيها المؤمنون ، أنما أموالكم التي خوّلكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم ، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها ، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها[1]= « وأن الله عنده أجر عظيم »، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، فى أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها فى الدنيا . وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها ، تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم .[2]

* * *

١٥٩٣٤ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا المسعودي ،

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٤٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

عن القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود فى قوله : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، قال : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضِلاَّت الفتن.[1]

١٥٩٣٥ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة »، قال « فتنة » ، الاختبار، اختبارُهم . وقرأ: ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم = « يجعل لكم فرقاناً » ، يقول : يجعل لكم فصلاً وفرْقاً بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين ، بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم[2] = « ويكفر عنكم سيئاتكم » ، يقول : ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه[3] = « ويغفر لكم » ، يقول : ويغطيها فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها[4] = « والله ذو الفضل العظيم » ، يقول : والله الذى يفعل ذلك بكم ، له

---

(١) الأثر : ١٥٩٣٤ — انظر الأثر السالف رقم : ١٥٩١٢ ، والتعليق عليه .

(٢) انظر تفسير « الفرقان » فيما سلف ١ : ٩٨ ، ٩٩/٣ : ٦/٤٤٨ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) انظر تفسير « التكفير » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) .
= وتفسير « السيئات » فيما سلف من الفهارس (سوأ) .

(٤) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله . وإنّ فعله جزاءٌ منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها ، حتى استحقّ من ربه الجزاء الذي وعدَه عليها .(١)

* * *

٩/١٤٨ وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله : « يجعل لكم فرقاناً » .

فقال بعضهم : مخرجاً .

* * *

وقال بعضهم : نجاة .

* * *

وقال بعضهم : فصلاً .

* * *

= وكل ذلك متقارب المعنى ، وإن اختلفت العبارات عنها ، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

* ذكر من قال : معناه : المخرج .

١٥٩٣٦ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٣٧ - . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٣٨ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٣٩ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « فرقاناً » ، قال مخرجاً في الدنيا والآخرة

---

(١) انظر تفسير « الفضل » ، فيما سلف فهارس اللغة (فضل)

(٢) يعني ما سلف : ٩٨ ، ٩٩

١٥٩٤٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، قال : « الفرقان » ، المخرج .

١٥٩٤٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فرقاناً » ، يقول : مخرجاً .

١٥٩٤٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٤٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ، حدثنا زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٤٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيداً يقول ، سمعت الضحاك يقول : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٤٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد، عن زهير ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : « الفرقان » ، المخرج .

* * *

* ذكر من قال : معناه : النجاة .

١٥٩٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : نجاة .

١٥٩٥٠ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ،

عن رجل ، عن عكرمة ومجاهد فى قوله : « يجعل لكم فرقاناً » ، قال عكرمة: المخرج
= وقال مجاهد : النجاة .

١٥٩٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يجعل لكم فرقاناً » ، قال : نجاة .

١٥٩٥٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يجعل لكم فرقاناً » ، يقول : يجعل لكم نجاة .

١٥٩٥٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يجعل لكم فرقاناً » ، أى : نجاة .

* * *

* ذكر من قال فصلاً .

١٥٩٥٤ — . . . .
«يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً »، قال: فرقان يفرق فى قلوبهم بين الحق والباطل ، حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان .[١]

١٥٩٥٥ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، أى : فصلاً بين الحق والباطل ، ليظهر به حقكم ، ويخفى به باطل من خالفكم .[٢]

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٩٥٤ — إسناد هذا الخبر ساقط فى المخطوطة ، جعل مكانه بياضاً نحواً من سطر ونصف ، فجاء ناشر المطبوعة ووصل الكلام دون أن يشير إلى ذلك البياض . وظاهر أنه خبر قائم برأسه ، كما وضعته .

(٢) الأثر : ١٥٩٥٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٢٩ . وكان فى المطبوعة : «يظهر» بغير لام ، وهى فى المخطوطة تقرأ هكذا وهكذا ، وأثبت نص ما فى السيرة ، باللام فى أولها .

و « الفرقان » فى كلام العرب ، مصدرٌ من قولهم : « فرقت بين الشيء والشيء أفرُق بينهما فَرْقاً وفُرْقاناً » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مذكِّرَه نعمه عليه : واذكر ، يا محمد ، إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركى قومك كى يثبتوك .(٢)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله « ليثبتوك » .

فقال بعضهم : معناه ليقيِّدوك .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٩٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، يعنى : ليوثقوك .

١٥٩٥٧ — . . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليثبتوك » ، ليوثِقوك .

١٥٩٥٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، الآية ، يقول : ليشدُّوك

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٩٨ ، ٣/٩٩ : ٦/٤٤٨ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ ، ١٣/٥٧٩ : ٢٣

وَثاقاً . وأرادوا بذلك نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة .

١٥٩٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ومقسم قالا : قالوا : « أوثقوه بالوثاق » .

١٥٩٦٠ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « ليثبتوك »، قال : « الإثبات » ، هو الحبس والوَثاق.

* * *

وقال آخرون : بل معناه الحبس .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٦١ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، سألت عطاء عن قوله : «ليثبتوك»، قال : يسجنوك = وقالها عبد الله ابن كثير .

١٤٩/٩

١٥٩٦٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قالوا : « اسجنوه » .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : ليسحروك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٦٣ — حدثني محمد بن إسمعيل البصرى المعروف بالوساوسى قال ، حدثنا عبد المجيد بن أبي روّاد ، عن ابن جريج ، عن عطاء، عن عبيد بن عمير ، عن المطلب بن أبي وَداعة : أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يأتمر به قومك ؟ قال : يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني ! فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربي ! قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيراً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أستوصي به ! بل هو يستوصي بي خيراً ! فنزلت : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » ، الآية .[1]

---

(١) الأثر ١٥٩٦٣ - « محمد بن إسماعيل البصرى » ، المعروف بـ « الوساوسى » شيخ

١٥٩٦٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ، قال له أبو طالب : هل تدرى ما ائتمروا بك ؟ قال : نعم ! قال : فأخبره ، قال : من أخبرك ؟ قال: ربى ! قال: نعم الرب ربك، استوص به خيراً ! قال: أنا استوصى به، أو هو يستوصى بى ؟[1]

* * *

الطبرى ، لم أجد النص على أنه « الوساوسى » ، والذى يروى عنه أبو جعفر فى تاريخه ، فى مواضع « محمد بن إسماعيل الضرارى » ، وهو « محمد بن إسماعيل بن أبى ضرار الرازى » ، صدوق . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٩٠ ، وذكر فى التهذيب أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى ، روى عنه ، ولم يذكروا أنه يعرف بالوساوسى .

وترجم ابن أبى حاتم لأخيه : « أحمد بن إسماعيل بن أبى ضرار الرازى» ، ١/١/٤١ ، فوجدت فى لباب الأنساب ٢ : ٢٧٣ : « الوساوسى ، عرف بها « أحمد بن إسماعيل الوساوسى البصرى » ، فدل هذا على ترجيح أن يكون « محمد بن إسماعيل بن أبى ضرار » يقال له « الوساوسى » أيضاً .

و « عبد المجيد بن أبى رواد » ، هو « عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد الأزدى »، روى عن ابن جريج وغيره . وثقه أحمد وابن معين . وغيرهما . وضعفه أبو حاتم وابن سعد . ومنهم من قال هو ثبت فى حديثه عن ابن جريج ، ومنهم من قال : روى عن ابن جريج أحاديث لا يتابع عليها . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٦٤ .

« عبيد بن عمير بن قتادة الليثى » ثقة ، مضى برقم : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ ، ٩١٨٩ ، ١٥٦٢١ .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عبيد بن عمير بن المطلب بن أبى وداعة » ، وهو خطأ لاشك فيه .

و « المطلب بن أبى وداعه السهمى القرشى » ، له صحبة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٥٨ ، ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه .

وهذا الخبر رواه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٤٦ ، ٤٧ ، وقال : « وذكر أبى طالب فى هذا ، غريب جداً ، بل منكر . لأن هذه الآية مدنية . ثم إن هذه القصة ، واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفى أو القتل، إنما كانت ليلة الهجرة سواء . وكان ذلك بعد موت أبى طالب بنحو من ثلاث سنين ، لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبى طالب ، الذى كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه » .

فلو صح ما قاله ابن كثير ، كان هذا الخبر من الأخبار التى دعتهم إلى أن يقولوا فى « عبد المجيد ابن أبى رواد » أنه روى عن ابن جريج أحاديث لا يتابع عليها . ومع ذلك فإن حجاجاً قد روى عنه مثل رواية عبد المجيد . انظر التعليق على الأثر التالى ، فإنى أذهب مذهباً غير مذهب ابن كثير فى الخبر . وانظر أيضاً رقم : ١٥٩٧٦ ، فإن ابن جريج سيقول إن هذه الآية مكية ، لا مدنية .

(١) الأثر : ١٥٩٦٤ — انظر التعليق على الأثر السالف . سلف ما قاله ابن كثير فى نقد هذا الخبر . والذى دفعه أن يقول ما قال ، من أنه كان ليلة الهجرة ، ما رواه ابن جرير فى الأثر

وكأنّ معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه ، كما :—

١٥٩٦٥ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس = قال وحدثنى الكلبى ، عن زاذن مولى أم هانئ ، عن ابن عباس : أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل ،[1] فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم منى رأىٌ ونصحٌ .[2] قالوا : أجل ، ادخل ! فدخل معهم ، فقال : انظروا إلى شأن هذا الرجل ،[3] والله

الذى يليه ، والذى ترجم له بقوله : « وكأن معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه ، كما حدثنى . . . » وساق خبر ائتمارهم به ليلة الهجرة .

ولكن جائز أن يكون الخبران الأولان ، فى شأن آخر ، وليلة أخرى ، بل أكاد أقطع أن الخبر الذى رواه ابن جريج ، لا علاقة له بأمر الهجرة ، وأن ابن كثير تابع الطبرى فيما ظنه ظناً .

وذلك أن ابن إسحق وغيره ، رووا أن أشراف قريش اجتمعوا يوماً فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، وزعموا أنهم صبروا منه على أمر عظيم . فبينا هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول . فعرف الغضب فى وجهه صلى الله عليه وسلم . فلما مر بهم الثانية ، غمزوه بمثلها ، ثم مر الثالثة ، ففعلوا فعلتهم ، فوقف ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فاستكانوا ورفأوه بأحسن القول رهبة ورغبة . فلما كان الغد ، اجتمعوا فى الحجر فقال بعضهم لبعض : « ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه » . فبينا هم كذلك ، طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : « أنت الذى تقول كذا وكذا؟ » ، لما كان من عيب آلهتهم ، فيقول : « نعم ، أنا الذى أقول ذلك » ، فأخذ بعضهم بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ! (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٩ ، ٣١٠) ، وانظر الخبر التالى رقم : ١٥٩٧٤ ، والتعليق عليه .

وكان هذا قبل الهجرة بزمان طويل ، فى حياة أبى طالب . فكأن هذا الخبر ، هو الذى قال عبيد بن عمير فى روايته عن المطلب بن أبى وداعة أنه ائتمار قومه به . فإذا صح ذلك، لم يكن لما قال ابن كثير وجه ، ولصح هذا الخبر لصحة إسناده .

(١) فى المخطوطة : « فى صورة جليل » ، وفوق « جليل » حرف (ط) دليلا على الخطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، مطابقاً لما فى سيرة ابن هشام .

(٢) « لن يعدمكم » ، أى : لا يعدوكم ويخطئكم منى رأى ونصح .

(٣) فى المطبوعة : « فى شأن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ليوشكن أن يُواثبكم فى أموركم بأمره .[1] قال : فقال قائل : احسبوه فى وَثاق ، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ! قال : فصرخ عدوُّ الله الشيخ النجدى فقال : والله ، ما هذا لكم برأى ![2] والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ! قالوا : فانظروا فى غير هذا . قال : فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره فى غيركم . فقال الشيخ النجدى : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذَ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ، ثم استعرَض العرب ، لتجتمعن عليكم ، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم ! قالوا : صدق والله ! فانظروا رأياً غير هذا ! قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ! قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً وَسيطاً شابًّا نَهْداً،[3] ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل ،[4] واسترحنا وقطعنا عنا أذاه . فقال الشيخ النجدى : هذا والله الرأى ، القولُ ما قال الفتى ، لا أرى غيره ! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمعون له، قال: فأتى جبريل النبيَّ

---

(١) فى المطبوعة : « أن يواتيكم فى أموركم » ، وهو لا معنى له ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « رأى » بغير باء ، والصواب من المخطوطة .

(٣) « الوسيط » : حسيباً فى قومه ، من أكرمهم حسباً ونسباً ومجداً . وكان فى المطبوعة « وسطا » ، والصواب ما فى المخطوطة . و « غلام نهد » : كريم ، ينهض إلى معالى الأمور . وأصل « النهد » : المرتفع .

(٤) « العقل » ، الدية .

صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة « الأنفال » ، يذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، وأنزل فى قولهم : « تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء » : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ ، [سورة الطور : ٣٠]. وكان يسمى ذلك اليوم: «يوم الزحمة » ، للذى اجتمعوا عليه من الرأى .[١]

١٥٩٦٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،[٢] حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة ومقسم فى قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، قالا : تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فلما أصبحوا رأوا عليًّا رحمة الله عليه ، فردَّ الله مكرهم . ٩/١٥٠

١٥٩٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنى أبى ، عن عكرمة قال : لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، أمر علىَّ بن أبى طالب فنام فى مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فإذا رأوه نائماً حسبوا أنه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه . فلما أصبحوا ثاروا إليه وهم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هم بعلىّ ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال :

---

(١) الأثر : ١٥٩٦٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ — ١٢٨ ، وإسناده هناك « قال ابن إسحق ، فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد بن جبير أبى الحجاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما » ، ثم ساق الخبر بغير هذا اللفظ .

ومما اعترض به على هذا الخبر أن آية « سورة الطور » ، آية مكية فى سورة مكية ، نزلت قبل الهجرة بزمان ، وسياق ابن إسحق للآية بعد الخبر ، يوهم أنها نزلت ليلة الهجرة ، أو بعد الهجرة ، وهذا لا يكاد يصح .

(٢) سقط من المطبوعة : « محمد » وكتب « بن عبد الأعلى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

لا أدرى ! قال : فركبوا الصعب والذَّلول فى طلبه .(١)

١٥٩٦٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال ، أخبرنى عثمان الجزرىّ : أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق = يريدون النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم: بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات على رحمه الله على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ،(٢) وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتّى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم . فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا عليًّا رحمة الله عليه، ردّ الله مكرهم ،فقالوا ، أين صاحبك ؟ قال : لا أدرى! فاقتصُّوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ومرُّوا بالغار ، رأوا على بابه نسج العنكبوت ، قالوا : لو دخل ههنا لم يكن نَسْجٌ على بابه ! فمكث فيه ثلاثاً .(٣)

---

(١) « الصعب » من الإبل ، هو الذى لم يركب قط ، لأنه لا ينقاد لراكبه ، ونقيضه « الذلول » ، وهو السهل المنقاد . مثل لركوب كل مركب فى طلب ما يريده المرء ، سهل المركب أو صعب .

(٢) فى المخطوطة ، سقط من الناسخ « الليلة » ، وزادتها المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٥٩٦٨ — « عثمان الجزرى » ، يقال له : « عثمان المشاهد » . روى عن مقسم ، روى عنه معمر ، والنعمان بن راشد . قال أبو حاتم : « لا أعلم روى عنه غير معمر ، والنعمان » . وسئل عنه أحمد فقال : « روى أحاديث مناكير ، زعموا أنه ذهب كتابه » . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٧٤/١/٣ .

وكان فى المطبوعة : « عثمان الجريرى » ، والمخطوطة ، كما أثبتها ، غير أنه غير منقوط .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده برقم : ٣٢٥١ ، وقال أخى : « فى إسناده نظر ، من أجل عثمان الجزرى ، كالإسناد ٢٥٦٢ » ، وقد استظهر هناك أن « عثمان الجزرى » هو « عثمان بن ساج » ، ولكن ما قاله ابن أبى حاتم ، يرجح أن « عثمان الجزرى » ، غير « عثمان بن ساج » .

وقد وجدت بعد فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٧ ، هذا الخبر ، بنحوه ثم قال : « رواه أحمد والطبرانى ، وفيه « عثمان بن عمرو الجزرى » ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ولا أزال أشك فى أن « عثمان الجزرى » ، غير « عثمان بن عمرو بن ساج » .

١٥٩٦٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، قال : اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت الأنصار ، وفَرِقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه .[١] فجاء إبليس فى صورة رجل من أهل نجد ، فدخل معهم فى دار الندوة ، فلما أنكروه قالوا : من أنت ؟ فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا ! قال : أنا رجل من أهل نجد ، أسمع من حديثكم وأشير عليكم ! فاستحيَوْا ، فخلَّوْا عنه . فقال بعضهم : خذوا محمداً إذا اضطجع على فراشه ،[٢] فاجعلوه فى بيت نتربص به ريبَ المنون = و« الريب » ، هو الموت ، و« المنون » ، هو الدهر = قال إبليس : بئسما قلت ! تجعلونه فى بيت ، فيأتى أصحابه فيخرجونه ، فيكون بينكم قتال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال : أخرجوه من قريتكم ! قال إبليس : بئسما قلت ! تخرجونه من قريتكم ، وقد أفسد سفهاءكم ، فيأتى قرية أخرى فيفسد سفهاءهم ، فيأتيكم بالخيل والرجال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال أبو جهل = وكان أولاهم بطاعة إبليس = : بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش ، فنخرج منهم رجلاً ، فنعطيهم السلاح ، فيشدُّون على محمد جميعاً فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً ، فليس لهم إلا الدية ! قال إبليس : صدق ، وهذا الفتى هو أجودكم رأياً ! فقاموا على ذلك . وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنام على الفراش ، وجعلوا عليه العيون . فلما كان فى بعض الليل ، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار ، ونام على بن أبى طالب على الفراش ، فذلك حين يقول الله : « ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » = و« الإثبات » ، هو الحبس والوثاق = وهو قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

---

(١) « فرقوا » ، خافوا وفزعوا .

(٢) فى المطبوعة : « إذا اصطبح على فراشه » ، لا أدرى من أين جاء بها !

مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء: ٧٦] ، يقول : يهلكهم . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، لقيه عمر فقال له : ما فعل القوم ؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وكذلك كان يُصنع بالأمم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخِّروا بالقتال .

١٥٩٧٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ليثبتوك أو يقتلوك » ، قال : كفار قريش ، أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة .

١٥٩٧١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٩٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : فعلوا ذلك بمحمد .

١٥٩٧٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك»، الآية ، هو النبي صلى الله عليه وسلم، مكروا به وهو بمكة . ١٠١/٩

١٥٩٧٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » إلى آخر الآية ، قال : اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : اقتلوا هذا الرجل . فقال بعضهم: لا يقتله رجل إلا قُتل به ! قالوا : خذوه فاسجنوه ، واجعلوا عليه حديداً . قالوا : فلا يدعكم أهل بيته ! قالوا : أخرجوه . قالوا : إذاً يستغوى الناس عليكم . (١)

(١) « يستغوى الناس » ، أي : يدعوهم إلى التجمع. يقال : « تغاووا عليه حتى قتلوه » ، إذا تجمعوا وتعاونوا في الشر . والأجود عندي : « يستعوى » (بالعين المهملة) . يقال : « استعوى فلان جماعة » ، إذا نعق بهم إلى الفتنة . ويقال : « تعاوى بنو فلان على فلان » و « تغاووا »

قال : وإبليس معهم فى صورة رجل من أهل نجد ، واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستلم، أن يجتمعوا عليه فيغمُّوه ويقتلوه،[١] فإنه لا يدرى أهله من قتله ، فيرضون بالعقل ، فنقتله ونستريح ونعقِله ! فلما أن جاء يطوف بالبيت ، اجتمعوا عليه فغمُّوه ، فأتى أبو بكر فقيل له ذاك ، فأتى فلم يجد مدخلاً . فلما أن لم يجد مدخلاً قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، [سورة غافر : ٢٨] . قال : ثم فرَّجها الله عنه . فلما أن حطّ الليل،[٢] أتاه جبريل عليه السلام فقال، من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان. فقال: لا ، نحن أعلم بهم منك ، [٣] يا محمد ، هم ناموس ليل ! [٤] قال : وأخِذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام ، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدَّم أحدهم إلى جبريل فكحَلَه ثم أرسله ، فقال: ما صورته يا جبريل ؟ قال : كُفِيتَه يا نبي الله!

(بالغين المعجمة) ، إذا تجمعوا عليه . و « استغوى القوم » ، استغاث بهم . وأصله من « العواء » ، عواء الكلب ، فتجاوبه كلاب الحى .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيعموه » بالعين المهملة ، ولها وجه ضعيف عندى ، وصوابها بالغين المعجمة . يقال : « غم الشيء يغمه » ، إذا علاه وغطاه وستره حتى لا فرجة فيه ، ومنه قول النمر بن تولب ، يصف اجتماع المقاتلة فى الحرب :

زَبَنَتْكَ أَرْكَانُ العَدُوِّ، فَأَصْبَحَتْ أَجَأٌ وَحَيَّةُ مِنْ قَرَارِ دِيَارِهَا
وَكَأَنَّهَا دَقَرَى ، تَخَايَلَ نَبْتُهَا أُنُفٌ يَغُمُّ الضَّالَ نَبْتُ بِحَارِهَا

ومنه قيل للغمة « غمة » ، وقيل : « سحاب أغم » ، لا فرجة فيه . وانظر بعد ذلك صفة اجتماعهم عليه صلى الله عليه وسلم بأبى هو وأمى ، وأن أبا بكر لم يجد مدخلا ، وقوله أيضاً : « ثم فرجها الله عنه » . فكل هذا يدل على صواب قراءتها كما أثبتها . وهذه الصفحة من المخطوطة ، يكاد أكثرها يكون غير منقوط .

(٢) فى المطبوعة : « فلما أن كان الليل » ، غير ما فى المخطوطة ، وكان فيها « فلما أن حبط » وصواب قراءتها إن شاء الله ما أثبت . و « حط الليل » ، نزل وأطبق .

(٣) فى المخطوطة : « فقال : فلان وفلان وفلان ، فقال لا . فقال جبريل عليه السلام : نحن أعلم بهم منك . . . » ، أخشى أن يكون سقط من الكلام شيء ، والذى فى المطبوعة اجتهاد من الناشر ، تركته على حاله .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « هو ناموس ليل » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

و « الناموس » دويبة أغبر ، كهيئة الذرة ، تلكع الناس وتلسعهم . وقولهم : « هم ناموس ليل » ، يعنى حقارتهم وقلة شأنهم .

ثم قدَّم آخر، فنقر فوق رأسه بعصاً نقرة ثم أرسله ، فقال: ما صورته يا جبريل؟ فقال : كُفِيته يا نبي الله ! ثم أتى بآخر فنقر فى ركبته ، فقال : ما صورته يا جبريل ؟ قال : كفيته ! ثم أتى بآخر فسقاه مَذْقة ،[1] فقال : ما صورته يا جبريل ؟ قال : كفيته يا نبي الله ! وأتى بالخامس ،[2] فلما غدا من بيته ، فمرّ بنبّال فتعلق مِشْقَص برداثه،[3] فالتوى فقطع الأكحل من رجله .[4] وأما الذى كحلت عيناه ، فأصبح وقد عمى. وأما الذى سقى مَذْقةً ، فأصبح وقد استسقى بطنه. وأما الذى نقر فوق رأسه، فأخذته النقبة = و«النقبة»، قرحة عظيمة[5] = = أخذته فى رأسه . وأما الذى طعن فى ركبته ، فأصبح وقد أقعد . فذلك قول الله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

١٥٩٧٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، أى : فمكرت بهم بكيدى المتين ، حتى خلّصك منهم .[6]

---

(١) « المذقة » ، الطائفة من اللبن الممزوج بالماء .

(٢) لم يذكر ما فعل جبريل عليه السلام بالخامس ، وإن كان قد ذكر ما آل إليه أمره ، فأخشى أن يكون سقط من الكلام شيء .

(٣) فى المطبوعة « مر » حذف الفاء ، وهو صواب ، فأثبتها من المخطوطة . و « المشقص » ، نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض .

(٤) « الأكحل » ، عرق الحياة ، ويقال له : « نهر البدن » ، وهو عرق فى اليد ووسط الذراع ، وفى كل عضو منه شعبة ، لها اسم على حدة ، إذا قطع لم يرقأ الدم .

(٥) فى المطبوعة : « النقدة » ، فى الموضعين . وأما المخطوطة ، فالأولى، يوشك أن يكتبها « النقبة » إلا أنه يزيد فى رأس الباء ، ثم كتب بعد « النقدة » ولم أجد فى القروح ما يقال له : « نقدة » .

و « النقبة » (بضم فسكون) أول بدء الجرب ، ترى الرقعة مثل الكف بجنب البعير أو وركه أو بمشفره ، ثم تتمشى فيه حتى تشربه كله ، أى تملؤه كله . فلعل هذه هى المرادة هنا .

(٦) الأثر : ١٥٩٧٥ — سيرة ابن هشام ١ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٥٥ .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « فكرت لهم » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام ، وهى أجود .

١٥٩٧٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا » ، قال : هذه مكية = قال ابن جريج ، قال مجاهد : هذه مكية .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : واذكر ، يا محمد ، نعمتى عندك ، بمكرى بمن حاول المكرَ بك من مشركى قومك ، بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من وطنك ، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم ، فامض لأمرى فى حرب من حاربك من المشركين ، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم ، ولا يَرْعَبَنَّك كثرة عددهم ، فإن ربّك خيرُ الماكرين بمن كفر به ، وعبد غيره ، وخالف أمره ونهيه .

* * *

وقد بينا معنى « المكر » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آياتِ كتاب الله الواضحةَ لمن شرح الله صدره لفهمه[٣] = « قالوا » ، جهلاً منهم ، وعناداً للحق ، وهم يعلمون أنهم كاذبون فى قيلهم = « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ،

---

(١) الأثر : ١٥٩٧٦ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٥٩٦٤ . كأنه يعنى أن هذه الآية ، معنى بها أمر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . والقطع بأن هذه الآية أو اللواتى تليها آيات نزلت بمكة ، أمر صعب ، لا يكاد المرء يطمئن إلى صوابه ، والاعتراض على ذلك له وجوه كثيرة لا محل لذكرها هنا .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ ، ٥٧٩/١٣ : ٣٣ ، ٤٩١ .

(٣) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف ص : ٣٨٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

الذى تُتْلى علينا = « إن هذا إلا أساطير الأولين »، يعنى : أنهم يقولون: ما هذا القرآن الذى يتلى عليهم إلاّ أساطير الأولين .

* * *

و« الأساطير » جمع « أسطر » ، وهو جمع الجمع ، لأن واحد « الأسطر » « سطر » ، ثم يجمع « السطر »، « أسطر » و « سطور » ، ثم يجمع « الأسطر » « أساطير » و « أساطر » .[1]

وقد كان بعضُ أهل العربية يقول : واحد « الأساطير »، « أسطورة » .

* * *

وإنما عنى المشركون بقولهم : « إن هذا إلاّ أساطير الأولين » ، إنْ هذا القرآن الذى تتلوه علينا، يا محمد، إلاّ ما سطَّره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم! كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بنى آدم ، وأنه لم يوحِه الله إليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٧٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا»، قال : كان النضر بن الحارث يختلف تاجرًا إلى فارس ، فيمرّ بالعِباد وهم يقرأون الإنجيل ويركعون ويسجدون .[2] فجاء مكة ، فوجد محمداً صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد ، فقال النضر : « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا! »، للذى سَمِع من العباد . فنزلت : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد ١٠٢/٩

(١) انظر تفسير « الأساطير » فيما سلف ١١ : ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٢) « العباد » ، قوم من قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية قبل الإسلام ، فأنفوا أن يسموا بالعبيد ، فقالوا : « نحن العباد » ، ونزلوا بالحيرة . فنسب إلى « العباد » ، ومنهم عدى بن زيد العبادى الشاعر .

سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » ، قال : فقص ربُّنا ما كانوا قالوا بمكة ، وقص قولهم إذ قالوا: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك »، الآية .

١٥٩٧٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان النضر بن الحارث بن علقمة ، أخو بنى عبد الدار ، يختلف إلى الحيرة ، فيسمع سَجْعَ أهلها وكلامهم . فلما قدم مكة ، سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فقال : « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إنْ هذا إلاّ أساطير الأولين »، يقول: أساجيع أهل الحيرة .[1]

١٥٩٧٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرًا: عقبةَ بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله، قال المقداد : يا رسول الله ، أسيرى! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول ! فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقال المقداد : أسيرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أغْنِ المقداد من فضلك ! فقال المقداد: هذا الذى أردت ! وفيه أنزلت هذه الآية: « وإذا تتلى عليهم آياتنا » ، الآية .

١٥٩٨٠ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرًا: المطعم بن عدىّ، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط . قال : فلما أمر بقتل النضر ، قال المقداد بن الأسود: أسيرى ، يا رسول الله! قال: إنه كان يقول فى كتاب الله وفى رسوله ما كان يقول ! قال: فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أغْنِ المقداد من فضلك! وكان المقداد أسر النضر.[2]

---

(١) « الأساجيع » جمع « أسجوعة»، ما سجع به الكاهن وغيره . وانظر ما سلف رقم ١٣١٥٧ .

(٢) الأثر ١٥٩٨٠ — هكذا جاء فى رواية هذا الخبر « المطعم بن عدى » ، مكان

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واذكر ، يا محمد ، أيضاً ما حلّ بمن قال : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، إذ مكرت بهم ، فأتيتهم بعذاب أليم[1] = وكان ذلك العذاب ، قتلُهم بالسيف يوم بدر .

* * *

وهذه الآية أيضاً ذكر أنها نزلت فى النضر بن الحارث .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٨١ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، قال : نزلت فى النضر بن الحارث .[2]

١٥٩٨٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

« طعيمة بن عدى » ، وكأنه ليس خطأ من الناسخ ، لأن ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥١ ، قال : « وهكذا رواه هشيم ، عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشية ، عن سعيد بن جبير أنه قال : المطعم بن عدى ، بدل طعيمة . وهو غلط ، لأن المطعم بن عدى لم يكن حياً يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : لو كان المطعم بن عدى حياً ، ثم سألنى فى هؤلاء النتنى ، لوهبتهم له ! يعنى الأسارى ، لأنه كان قد أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف » .

وانظر التعليق على رقم : ١٥٩٨١ .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « مكرت لهم » ، وليست بشىء .

(٢) الأثر : ١٥٩٨١ — « أبو بشر » ، هو « جعفر بن إياس » ، « جعفر بن أبى وحشية » ، مضى مراراً كثيرا . وكان فى تعليق ابن كثير ، الذى نقلته فى التعليق على الخبر السالف « جعفر بن أبى دحية » ، وهو خطأ محض .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قال : قول النضر بن الحارث = أو : ابن الحارث بن كَلَدَة .

١٥٩٨٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة ، من بني عبد الدار .

١٥٩٨٤ — . . . . قال ، أخبرنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قال : هو النضر بن الحارث بن كلدة .

١٥٩٨٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : قال رجل من بني عبد الدار يقال له النضر ابن كلدة : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، فقال الله : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ، [سورة ص : ١٦] ، وقال : ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٤] ، وقال : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة المعارج : ١ ، ٢] . قال عطاء : لقد نزل فيه بضعَ عشرة آية من كتاب الله .

١٥٩٨٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : فقال = يعني النضر بن الحارث = : اللهم إن كان ما يقول محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو

١٠٣/٩

---

(١) الأثر : ١٥٩٨٢ — في المطبوعة : « النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة » . والصواب ما في المخطوطة ، لأن الاختلاف في نسبة هكذا : « النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار » أو : « النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار » انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ . وقد غير ما في المخطوطة بلا حرج ولا ورع .

ائتنا بعذاب أليم ! قال الله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ .

١٥٩٨٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية ، قال : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

١٥٩٨٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية ، قال : قال ذلك سُفَّهُ هذه الأمة وجهلتها ،[1] فعاد الله بعائدته ورحمته على سَفَهَة هذه الأمة وجهلتها .[2]

١٥٩٨٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر غِرَّة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » ، أى : ما جاء به محمد = « فأمطر علينا حجارة من السماء » ، كما أمطرتها على قوم لوط = « أو ائتنا بعذاب أليم » ، أى : ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا .[3]

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « هو » فى الكلام .

فقال بعض البصريين : نصب « الحق » ، لأن « هو »، والله أعلم، حُوِّلت

---

(١) فى المطبوعة : « سفهة هذه الأمة » ، غير ما فى المخطوطة ، طرح الصواب المحض يقال : « سفيه » ، والجمع « سفهاء » و « سفاه » (بكسر السين) و « سفه » ، بضم السين وتشديد الفاء المفتوحة . والذى فى كتب اللغة أن « سفاه » و « سفه » ، و « سفائه » جمع « سفيهة » . وسيأتى فى المخطوطة بعد قليل « سفهه » ، وكأنها جائزة أيضاً .

(٢) هكذا فى المخطوطة أيضاً « سفهة » ، فتركتها على حالها . انظر التعليق السالف . وكأنه إتباع لقوله « جهلة » ، وهذا من خصائص العربية .

(٣) الأثر : ١٥٩٨٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٧٥ .

وكان فى المطبوعة : « ثم ذكر غيرة قريش » ، وهو لا معنى له ، صوابه من المخطوطة وابن هشام . يعنى : اغترارهم بأمرهم ، وغفلتهم عن الحق .

زائدة فى الكلام صلةَ توكيدٍ ، كزيادة « ما » ، ولا تزاد إلا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر ، وليس هو بصفة ، لـ « هذا » ، لأنك لو قلت : « رأيت هذا هو » ، لم يكن كلاماً . ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، نحو قوله : ﴿وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف : ٧٦] و﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [سورة المزمل : ٢٠] .

لأنك تقول : « وجدته هو وإياى » ، فتكون « هو » صفة .[1] وقد تكون فى هذا المعنى أيضاً غير صفة ، ولكنها تكون زائدة ، كما كان فى الأول . وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعدها ، إن كان ما بعدها ظاهراً أو مضمراً فى لغة بنى تميم ، يقولون فى قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، « ولكن كانوا هم الظالمون » ،[2] و « تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظم أجراً » ،[3] كما تقول : « كانوا آباؤهم الظالمون » ، جعلوا هذا المضمر نحو « هو » و « هما » و « أنت » زائداً فى هذا المكان ، ولم تجعل مواضع الصفة ، لأنه فصْلٌ أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفةً لما قبله ، ولم يحتج إلى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر .

* * *

وكان بعض الكوفيين يقول : لم تدخل « هو » التى هى عماد فى الكلام ،[4] إلا لمعنى صحيح . وقال : كأنه قال : « زيد قائم » ، فقلت أنت : « بل عمرو هو القائم » ، فـ « هو » لمعهود الاسم ، و « الألف واللام » لمعهود الفعل ،[5] [« والألف واللام »] التى هى صلة فى الكلام ،[6] مخالفة لمعنى « هو » ، لأن دخولها وخروجها واحد

(١) « الصفة » ، هو « ضمير الفصل » ، وانظر التعليق التالى رقم : ٤ .

(٢) فى المطبوعة : « هم الظالمين » ، خالف المخطوطة وأساء .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « هو خيراً » ، ولا شاهد فيه ، صوابه ما أثبت .

(٤) « العماد » ، اصطلاح الكوفيين ، والبصريون يقولون : « ضمير الفصل » ، ويقال له أيضاً : « دعامة » و « صفة » . انظر ما سلف ٢ : ٣١٢ ، تعليق ٢ ، ثم ص ٣١٣ ، ٣٧٤ / ثم ٧ : ٤٢٩ ، تعليق : ٢ .

(٥) « الفعل » ، يعنى الخبر .

(٦) ما بين القوسين ، مكانه بياض فى المخطوطة ، ولكن ناشر المطبوعة ضم الكلام بعضه

فى الكلام . وليست كذلك « هو ». وأما التى تدخل صلة فى الكلام ، فتوكيدٌ شبيه بقولهم: « وجدته نفسَه »، تقول ذلك، وليست بصفة « كالظريف » و « العاقل ».[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، أى : وأنت مقيم بين أظهرهم . قال : وأنزلت هذه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة . قال : ثم خرجَ النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فاستغفر من بها من المسلمين ، فأنزل بعد خروجه عليه ، حين استغفر أولئك بها : « وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون » . قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم، فعذّب الكفار .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فأنزل الله عليه:

إلى بعض . وأثبت ما بين القوسين استظهاراً ، وكأنه الصواب إن شاء الله . وقوله : « صلة » ، أى : زيادة ، انظر تفسير ذلك فيما سلف ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤/٥٤٨ : ٥/٢٨٢ : ٤٦٠ ، ٧/٤٦٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(١) انظر مبحث ضمير « العماد » فى معانى القرآن للفراء ١ : ٥٠ — ٥٢ ، ١٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .

وما سلف من التفسير ٢ : ٣١٢ ، ٧/٣١٣ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وغيرها فى فهارس مباحث العربية والنحو وغيرهما .

« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . قال : فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون = يعنى بمكة = فلما خرجوا أنزل الله عليه : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه » . قال: فأذن الله له فى فتح مكة ، فهو العذاب الذى وعدهم .

١٥٩٩١ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبى مالك فى قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعنى : من بها من المسلمين = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، يعنى مكة ، وفيهم الكفار .[1]

١٥٩٩٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك فى قول الله : « وما كان الله ليعذبهم » ، يعنى أهل مكة = « وما كان الله معذبهم » ، وفيهم المؤمنون يستغفرون ، يُغفر لمن فيهم من المسلمين . ١٠٤/٩

١٥٩٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسماعيل الرازى ، وأبو داود الحفرى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال: بقية من بقى من المسلمين منهم . فلما خرجوا قال : « وما لهم ألا يعذبهم الله » .[2]

١٥٩٩٤ — . . . . قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : أهل مكة .

---

(١) فى المطبوعة : « وفيها الكفار » ، أما المخطوطة فتقرأ : « بغير مكة ، وفيهم الكفار » ، ولعل ما فى المطبوعة أولى بالإثبات .

(٢) الأثر : ١٥٩٩٣ — « إسحق بن إسماعيل الرازى » هو « حبويه ، أبو يزيد » سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣١١ .

١٥٩٩٥ — . . . . وأخبرنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : المؤمنون من أهل مكة = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، قال : المشركون من أهل مكة .

١٥٩٩٦ — . . . . قال ، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : المؤمنون يستغفرون بين ظهرانَيْهم .

١٥٩٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة ، حتّى أخرجك والذين آمنوا معك .

١٥٩٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : لم يعذب قريةً حتّى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ، ويلحقه بحيث أُمِر = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني المؤمنين . ثم عاد إلى المشركين فقال : « وما لهم ألا يعذبهم الله » .

١٥٩٩٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : يعني أهل مكة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم ، يا محمد ، حتى أخرجك من بينهم = « وما كان الله معذبهم » ، وهؤلاء المشركون ، يقولون : « يا رب غفرانك ! » ، وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول . قالوا : وقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، في الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٠ — حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن عباس : إن المشركين كانوا يطوفون

بالبيت يقولون: «لبيك، لبَّيك، لا شريك لك »، [١] فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: « قَدْ ، قَدْ ! »، [٢] فيقولون: « إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك »، [٣] ويقولون : « غفرانك ، غفرانك! » ، فأنزل الله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . فقال ابن عباس : كان فيهم أمانان: نبيّ الله ، والاستغفار . قال : فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتقون » ، قال : فهذا عذاب الآخرة . قال : وذاك عذاب الدنيا . [٤]

١٦٠٠١ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا » الآية . فلما أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : « غفرانك اللهم! » ، فأنزل الله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » إلى قوله : « لا يعلمون » .

١٦٠٠٢ — حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كانوا يقولون = يعني المشركين = : والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ، ولا يعذّب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها ! وذلك من قولهم، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر له جَهالتهم وغِرَّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، كما أمطرتها على قوم لوط . وقال : حين نعَى

---

(١) في المطبوعة : « لبيك ، لا شريك لك لبيك » ، غير ما في المخطوطة .

(٢) « قد ، قد » ، أي حسبكم ، لا تزيدوا . يقال : « قدك » ، أي حسبك ، يراد بها الردع والزجر .

(٣) في المطبوعة ، زاد زيادة بلا طائل ، كتب : « فيقولون : لا شريك لك ، إلا شريك هو لك » .

(٤) الأثر ١٦٠٠٠ — « أبو زميل » هو : « سماك بن الوليد الحنفي اليمامي » ، مضى برقم : ١٣٨٣٢ ، ١٥٧٣٤

عليهم سوء أعمالهم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، أى : لقولهم : [« إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا » = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، وإن كنت بين أظهرهم] ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون[١] = « وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، أى : من آمن بالله وعبده ، أى : أنت ومن تبعك .[٢]

١٦٠٠٣ — حدثنا الحسن بن الصباح البزار . . . . قال ، حدثنا أبو بردة ، عن أبي موسى قال : إنه كان قبلُ أمانان، قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة .[٣]

١٦٠٠٤ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يونس ٩/١٠٥

(١) كانت هذه الجملة هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « أى بقولهم ، وإن كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون . . . » ، أسقط من الكلام ما لابد منه وحرف . فأثبت الصواب بين الأقواس ، وفى سائر العبارة ، من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٠٠٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٨٩ .

(٣) الأثر : ١٦٠٠٤ — « الحسن بن الصباح البزار » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٤٤٤٢ ، ٩٨٥٧ .

وهذا الإسناد قد سقط منه رواة كثيرون ، وكان فى المخطوطة « بردة » فجعلها الناشر « أبو بردة » ، وأصاب وهو لا يدرى .

وهذا الخبر روى مثله مرفوعاً الترمذى فى سننه فى تفسير هذه السورة ، وهذا إسناده : « حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله على أمانين لأمتى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » .

ثم قال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن إبراهيم يضعف فى الحديث » .

أما خبر الطبرى ، فلا شك أنه خبر موقوف على أبي موسى الأشعرى .

وكان فى المطبوعة : « إنه كان فيكم أمانان » ، غير ما فى المخطوطة ، وصواب قراءته ما أثبت .

ابن أبي اسحق ، عن عامر أبي الخطاب الثورى قال : سمعت أبا العلاء ويقول : كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أَمَنَتَان ، فذهبت إحداهما وبقيت الأخرى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، الآية .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يا محمد ، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أى : لو استغفروا .[2] قالوا : ولم يكونوا يستغفرون ، فقال جل ثناؤه إذ لم يكونوا يستغفرون : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عُذِّبوا . وكان بعض أهل العلم يقول : هما أمانان أنزلهما الله : فأما أحدهما فمضى ، نبيُّ الله . وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم ، الاستغفارُ والتوبةُ .

١٦٠٠٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال الله لرسوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ، ولو استغفروا وأقرُّوا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ؟ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام ؟

١٦٠٠٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال يقول : لو استغفروا لم أعذبهم .

---

(١) الأثر : ١٦٠٠٥ — « عامر ، أبي الخطاب الثورى » ، لم أجد له ذكر ، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن لو استغفروا » ، وكأن الصواب ما أثبت .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذبهم وهم يُسلمون . قالوا : و « استغفارهم » ، كان فى هذا الموضع ، إسلامَهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٨ – حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال ، حدثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة فى قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : سألوا العذاب ، فقال : لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ، ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون فى الإسلام .

١٦٠٠٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وأنت فيهم » ، قال : بين أظهرهم = وقوله : « وهم يستغفرون » ، قال : يُسلمون .

١٦٠١٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، بين أظهرهم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : وهم يسلمون[1] = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون » ، قريش ، « عن المسجد الحرام » .[2]

١٦٠١١ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا محمد ابن عبيد الله ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : بين أظهرهم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »، قال : دخولهم فى الإسلام .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من الله الدخول فى الإسلام.

---

(١) فى المخطوطة : « وهم مسلمون » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) كان فى المطبوعة سياق الآية بلا فصل ، وهو قوله : « قريش »، التى اثبتها من المخطوطة . وكان فى المخطوطة « وهم مسلمون يعذبهم الله » ، بياض بين الكلامين ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ

• ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يقول : ما كان الله سبحانه يعذب قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم . ثم قال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار . ثم قال : « وما لهم ألا يعذبهم الله »، فعذبهم يوم بدر بالسيف .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : وما كان الله معذبهم وهم يصلُّون .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني : يصلُّون ، يعني بهذا أهل مكة .

١٦٠١٤ — حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد في قول الله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : يصلون .

١٦٠١٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »، يعني أهل مكة . يقول : لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد . ثم قال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني : يؤمنون ويصلون . ١٥٦/٩

١٦٠١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : وهم يصلون .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون.

قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ».

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيي بن واضح ، عن الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال فى « الأنفال»: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، فنسختها الآية التى تليها: « وما لهم ألا يعذبهم الله »، إلى قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فقوتلوا بمكة ، وأصابهم فيها الجوع والحَصْر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى فى ذلك بالصواب، قولُ من قال: تأويله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم ، لأنى لا أهلك قرية وفيها نبيها = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرُّون عليه ، فهم للعذاب مستحقون = كما يقال : « ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلىّ »، يراد بذلك: لا أحسن إليك، إذا أسأت إلىّ، ولو أسأت إلىّ لم أحسن إليك ، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلىّ . وكذلك ذلك = ثم قيل: « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، بمعنى : وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به ،[1] وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام ؟

وإنما قلنا: «هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب» ، لأن القوم = أعنى مشركى مكة = كانوا استعجلوا العذاب ، فقالوا : « اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، فقال الله لنبيه : « ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ،

(١) انظر تفسير « مالك » فيما سلف ٥ : ٣٠١ ، ٩/٣٠٢ : ٧ .

وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم ، وهم يصدون عن المسجد الحرام؟ » . فأعلمه جل ثناؤه أن الذى استعجلوا من العذاب حائق بهم ونازل،[1] وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم . ولا وجه لإيعادهم العذابَ فى الآخرة ، وهم مستعجلوه فى العاجل ، ولا شك أنهم فى الآخرة إلى العذاب صائرون . بل فى تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر ، الدليلُ الواضحُ على أن القول فى ذلك ماقلنا .

وكذلك لا وجه لقول من وجَّه قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، إلى أنه عُنى به المؤمنين ، وهو فى سياق الخبر عنهم ، وعما الله فاعل بهم . ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضَّى ، وعلى ذلك [كُنِـىَ] به عنهم ،[2] وأن لا خلاف فى تأويله من أهله موجودٌ .

وكذلك أيضاً لا وجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، الآية ، لأن قوله جل ثناؤه : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، خبرٌ ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ان الذين استعجلوا العذاب حائق بهم » ، وفى المخطوطة كما أثبته إلا أنه كتب مكان « حائق » « حاق » ، وهو سهو .

(٢) فى المطبوعة : « وعلى أن ذلك به عنوا ، ولا خلاف فى تأويله » ، وفى المخطوطة ، كما أثبته ، إلا أنه سقط منه [كنى] كما أثبته بين القوسين . وإن كنت أظن فى الكلام سقطاً .

هذا وقد ذكر أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٥٤ ، هذا الرأى ، ثم قال : « جعل الضميرين مختلفين ، وهو قول حسن ، وإن كان محمد بن جرير قد أنكره ، لأنه زعم أنه لم يتقدم للمؤمنين ذكر ، فيكنى عنهم . وهذا غلط ، لأنه قد تقدم ذكر المؤمنين فى غير موضع من السورة .

فإن قيل : لم يتقدم ذكرهم فى هذا الموضع .

فالجواب : أن فى المعنى دليلا على ذكرهم فى هذا الموضع . وذلك أن من قال من الكفار : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، إنما قال ذلك مستهزئاً ومتعنتاً . ولو قصد الحق لقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له = ولكنه كفر وأنكر أن يكون الله يبعث رسولا بوحى من الله ، أى : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأهلك الجماعة من الكفار والمسلمين . فهذا معنى ذكر المسلمين ، فيكون المعنى : كيف يهلك الله المسلمين؟ فهذا المعنى : « ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » يعنى المؤمنين = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، يعنى الكافرين » .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « أن » فى قوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله » .

فقال بعض نحويى البصرة : هى زائدة ههنا ، وقد عملت كما عملت « لا » وهى زائدة ، وجاء فى الشعر :[1]

لَوْ لَمْ تَكنْ غَطَفَانُ لاَ ذُنُوبَ لَهَا إِلَىَّ ، لاَمَ ذَوُو أَحْسَابِهَا عُمَرَا[2]

* * *

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال : لم تدخل « أن » إلا لمعنى صحيح ، لأن معنى : « وما لهم » ، ما يمنعهم من أن يعذبوا . قال : فدخلت « أن » لهذا المعنى ، وأخرج بـ « لا » ، ليعلم أنه بمعنى الجحد ، لأن المنع جحد . قال : و « لا » فى البيت صحيح معناها ، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبراً .[3] وقال : ألا ترى إلى قولك : « ما زيد ليس قائماً » ، فقد أوجبت القيام ؟ قال : وكذلك « لا » فى هذا البيت .[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله = « إن أولياؤه » ،[5] يقول : ما ١٠٧/٩

---

(١) هو الفرزدق .

(٢) سلف البيت وتخريجه ٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وروايته هناك : « إذن للام ذوو أحسابها » ، وقد فسرته هناك ، وزعمت أن « الذنوب » بفتح الذال بمعنى : الحظ والنصيب عن الشرف والحسب والمروءة .

أما رواية البيت كما جاءت هنا ، وفى الديوان ، توجب أن تكون « الذنوب » جمع « ذنب » . فهذا فرق ما بين الروايتين والمعنيين .

(٣) يعنى بقوله : « خبراً » ، أى : إثباتاً .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٣ - ١٦٦ ، وما سلف من التفسير ٥ : ٣٠٠ - ٣٠٥ .

(٥) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

أولياء الله = « إلا المتقون »، يعني : الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه[1] = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أنّ أولياء الله المتقون ، بل يحسبون أنهم أولياء الله .

* * *

وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » ، هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٠١٩ — حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إن أولياؤه إلاّ المتقون » ، مَن كانوا ، وحيث كانوا .

١٦٠٢٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٢١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتقون » ، الذين يحرّمون حرمته ،[2] ويقيمون الصلاة عنده ، أى : أنت = يعنى النبي صلى الله عليه وسلم = ومن آمن بك = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » .[3]

* * *

(١) وتفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة مكان : « يحرمون حرمته » ، « يخرجون منه » ، وهذا من عجائب التحريف من طريق الاختصار ! ! ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٦٠٢١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٠٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألاّ يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه ويعبدونه ، ولم يكونوا لله أولياء ، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام ، وهم لا يصلون فى المسجد الحرام= « وما كان صلاتهم عند البيت » ، يعنى بيت الله العتيق= « إلاّ مُكاء » ، وهو الصفير .

* * *

يقال منه : « مكا يمكو مَكوًا ومُكاءً » وقد قيل : إن « المكو » أن يجمع الرجل يديه ، ثم يدخلهما فى فيه ، ثم ويصيح . ويقال منه : « مَكت است الدابة مُكاء » ، إذا نفخت بالريح . ويقال : « إنه لايمكو إلااستٌ مكشوفة » ، ولذلك قيل للاست : « المَكْوة » ، سميت بذلك ،[1] ومن ذلك قول عنترة :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ[2]

وقول الطِّرِمَّاح :

(١) تمامه سياقه أن يقال : « سميت بذلك لصفيرها » .

(٢) من معلقته المشهورة الغالية . سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، والمعانى الكبير : ٩٨١ ، واللسان (مكا) وبعد البيت :

سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ

« الحليل » ، الزوج ، و « الغانية » : البارعة الحسن والجمال ، استغنت بجمالها عن التجمل . « مجدلا » ، صريعاً على الجدالة ، وهى الأرض . و « الفريصة » ، لحمة عند نغض الكتف فى وسط الجنب ، عند منبض القلب ، وهما فريصتان ، وهى التى ترعد عند الفزع ، فيقال للفزع : « أرعدت فرائصه » ، وإصابة الفريصة مقتل . و « الأعلم » ، الجمل المشقوق الشفة العليا . خرج إليه هذا القتيل ، مدلا بقوته وشبابه ، يحفزه أن ينال إعجاب صاحبته الغانية الجميلة به إذا قتل عنترة ، فلم يكد حتى عاجله بالطعنة التى وصف ما وصف من اتساعها كشدق البعير الأعلم .

فَنَحَا لِأُولاَهَا بِطَعْنَةِ مُحْفَظٍ تَمْكُو جَوَانِبُهَا مِنَ الإِنْهَارِ [١]

بمعنى : تصوّت .

* * *

وأما « التصدية » ، فإنها التصفيق ، يقال منه : « صدّى يصدّى تصدية » ، و « صفّق » ، و « صفّح » ، بمعنى واحد .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن موسى بن قيس ، عن حجر بن عنبس : « إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، التصفير = و « التصدية » ، التصفيق .[٢]

١٦٠٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، « المكاء » ، التصفير = و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٢٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، والمعانى الكبير : ٩٨٣ ، وهو بيت من قصيدة مدح بها خالد بن عبد الله القسرى ، ولكن هذا البيت ، مفرد وحده لا صلة له بما قبله ، وهى قصيدة ناقصة بلا شك . وشرحه ابن قتيبة فقال : « نحا » انحرف ، و « المحفظ » ، المغضب . و « تمكو » ، تصفر ، وذلك عند سيلانها . و « الإنهار » ، سعة الطعنة ، ومنه قول قيس بن الخطيم ، يصف طعنة :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلاَ الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

(٢) الأثر : ١٦٠٢٢ — « موسى بن قيس الحضرمى » ، « عصفور الجنة » ، مضى برقم : ١٦٠٢٢ .

و « حجر بن عنبس الحضرمى » ، « أبو العنبس » ، ويقال : « أبو السكن » ، قال ابن معين : « شيخ كوفى ثقة مشهور » . تابعى ، وكان شرب الدم فى الجاهلية ، وشهد مع على الجمل وصفين مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٨/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٦٦/٢/١ .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، يقول : كانت صلاة المشركين عند البيت « مكاء » = يعني الصفير = و« تصدية » ، يقول : التصفيق .

١٦٠٢٥ — حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا فضيل ، عن عطية : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : التصفيق والصفير .

١٦٠٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن قرة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر قال : « المكاء » ، التصفيق ، و « التصدية » ، الصفير . قال : وأمال ابن عمر خدّه إلى جانب .

١٦٠٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا وكيع ، عن قرة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » و « التصدية » ، الصفير والتصفيق .

١٦٠٢٨ — حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، سمعت محمد بن الحسين يحدث ، عن قرة بن خالد ، عن عطية العوفي ، عن ابن عمر قال : « المكاء » ، الصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٢٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة ، عن عطية ، عن ابن عمر في قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء »، الصفير ، و« التصدية » ، التصفيق = وقال قرة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر ، فصفر ، وأمال خده ، وصفق بيديه .

١٦٠٣٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال بكر : فجمع لي جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيراً ، كما قال له أبو سلمة .

١٥٨/٩

١٦٠٣١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « المكاء » ، الصفير ، و« التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٣٢ — . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عمر : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : تصفير وتصفيق .[1]

١٦٠٣٣ — . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، مثله .

١٦٠٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفّرون ويصفقون، فأنزل الله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٢] ، فأمروا بالثياب .

١٦٠٣٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به، يصفرون ويصفقون ، فنزلت : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » .

١٦٠٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد: « إلا مكاء »، قال: كانوا ينفخون في أيديهم، و« التصدية »، التصفيق.

---

(١) الأثر : ١٦٠٣٢ — « سلمة بن سابور » ، روى عن عطية العوفي ، وعبد الوارث مولى أنس . روى عنه أبو نعيم ، والفضل بن موسى ، وغيرهما . ضعفه ابن معين ، ووثقه ابن حبان وقال : « كان يحيى القطان يتكلم فيه ، ومن المحال أن يلحق بسلمة ما جنت يدا عطية » . أما البخاري فاقتصر على قوله « كان يحيى يتكلم في عطية » ، كأنه لا يريد استضعافه . مترجم في لسان الميزان ٣ : ٦٨ ، والكبير ٢ / ٢ / ٨٤ ، وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ١٦٣ ، وضعفه، وميزان الاعتدال ١ : ٤٠٦ ، واقتصر فقال « جرحوه »

١٦٠٣٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : «إلا مكاء وتصدية »، قال : « المكاء »، إدخال أصابعهم في أفواههم ، و« التصدية » التصفيق، يخلِطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاتَه .

١٦٠٣٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله = إلا أنه لم يقل : « صلاته » .

١٦٠٣٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « المكاء » ، إدخال أصابعهم في أفواههم ، و« التصدية » ، التصفيق . قال : نفرٌ من بني عبد الدار ، كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاتَه .

١٦٠٤٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »، قال: من بين الأصابع= قال أحمد: سقط عليَّ حرف، وما أراه إلا الخَذْف [1] = والنفخ والصفير منها ، وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يَمْكون من ناحية أبي قُبَيس .[2]

١٦٠٤١ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن سليمان قال ، أخبرنا طلحة ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير في قوله : « وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »، قال : « المكاء » ، كانوا يشبّكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك «المكاء» . قال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذى كانوا يمكون فيه نحو أبي قُبَيس .

١٦٠٤٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب

---

(١) « الخذف » ، رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الخذف » وقال : « إنه يفقأ عيناً ، ولا ينكى العدو ، ولا يحرز صيداً » .

(٢) « أبو قبيس » ، اسم الجبل المشرف على بطن مكة .

قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فى قوله : « مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » النفخ = وأشار بكفه قِبَل فيه = و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : « المكاء » ، الصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٦٠٤٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : كنا نُحَدَّث أن « المكاء » ، التصفيق بالأيدى ، و « التصدية » ، صياح كانوا يعارضون به القرآن .

١٦٠٤٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، التصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، و « المكاء » ، الصفير ، على نحو طير أبيض يقال له : « المكَّاء » يكون بأرض الحجاز ،[1] و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، صفير كان أهل الجاهلية يُعلنون به . قال : وقال فى « المكاء » ، أيضاً : صفير فى أيديهم ولعب .

* * *

---

(١) « المكاء » (بضم الميم وتشديد الكاف) ، وجمعه « مكاكى » طائر نحو القنبرة ، إلا أن فى جناحيه بلقاً . سمى بذلك ، لأنه يجمع يديه ، ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً .

وقد قيل فى « التصدية »: إنها « الصد عن بيت الله الحرام » . وذلك قول لا وجه له ، لأن « التصدية »، مصدر من قول القائل: « صدّيت تصدية » . وأما « الصدّ » فلا يقال منه : « صدَّيت »، إنما يقال منه: « صدَدْت »، فإن شدَّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل: « صدَّدْتَ تصديداً » .[1] إلا أن يكون صاحب هذا القول وجَّه « التصدية » إلى أنه من « صَدَّدت »، ثم قلبت إحدى داليه ياء ، كما يقال : « تظنَّيْتُ » من « ظننت » ، وكما قال الراجز :[2] ١٠٩/٩

* تَقَضِّيَ البَازِى إذَا البَازِى كَسَرْ *[3]

يعنى : تقضُّض البازى، فقلب إحدى ضاديه ياء ، فيكون ذلك وجهاً يوجَّه إليه .

* * *

* ذكر من قال ما ذكرنا فى تأويل « التصدية » .

١٦٠٤٩ — حدثنى أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، صدهم عن بيت الله الحرام .

١٦٠٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن سليمان قال ، أخبرنا طلحة ابن عمرو، عن سعيد بن جبير : « وتصدية » قال : « التصدية » ، صدّهم الناس عن البيت الحرام .

١٦٠٥١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وتصدية » ، قال : التصديد ، عن سبيل الله ،[4] وصدّهم عن الصلاة وعن دين الله .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « صددت تصدية » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما أثبت .

(٢) هو العجاج .

(٣) سلف البيت وتخريجه وشرحه ٢ : ١٥٧ ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٣٥ (بولاق) .

(٤) فى المطبوعة : « التصدية » ، وفى المخطوطة توشك أن تقرأ هكذا وهكذا ، ورأيت الأرجح أن تكون « التصديد » ، فأثبتها .

١٦٠٥٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : ما كان صلاتهم التى يزعمون أنها يُدْرَأ بها عنهم = « إلا مكاء وتصدية » ، وذلك ما لا يرضى الله ولا يحبّ ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به .[1]

* * *

وأما قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فإنه يعنى العذابَ الذى وعدهم به بالسيف يوم بدر . يقول للمشركين الذين قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية ، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب = « ذوقوا » ، أى : اطعموا ، وليس بذوق بفم ، ولكنه ذوق بالحس، ووجود طعم ألمه بالقلوب .[2] يقول لهم : فذوقوا العذابَ بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيدَ ربكم ، ورسالةَ نبيكم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، أى : ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل.[3]

١٦٠٥٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» ، قال : هؤلاء أهل بدر ، يوم عذبهم الله .

١٦٠٥٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، يعنى أهل بدر ، عذبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر .

---

(١) الأثر : ١٦٠٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٢١ .

(٢) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ص ٤٣٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر ١٦٠٥٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ،[١] فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوَّوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله،[٢] فسينفقون أموالهم فى ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم = « حسرة »، يقول: تصير ندامة عليهم ،[٣] لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله ، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله ، لأن الله مُعْلى كلمته ، وجاعل كلمة الكفر السفلى ، ثم يغلبهم المؤمنون ، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم ، فيعذبون فيها ، [٤] فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك ! أما الحىّ ، فحُرِب ماله وذهبَ باطلاً فى غير دَرَك نفع ، ورجع مغلوباً مقهوراً محروباً مسلوباً .[٥] وأما الهالك، فقتل وسُلب ، وعُجِّل به إلى نار الله يخلُد فيها، نعوذ بالله من غضبه .

* * *

وكان الذى تولَّى النفقةَ التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذُكر ، أبا سفيان .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الإنفاق » فيما سلف من فهارس اللغة (نفق) .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٢ : ٥٥٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٧/٢٩٥ : ١١/٣٣٥ : ٣٢٥ .

(٤) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٤٧٢ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « محزونا مسلوباً » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

« محروب » ، مسلوب المال .

١٦٠٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم » الآية ، « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » ، قال : نزلت فى أبى سفيان بن حرب . استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بنى كنانة ، (١) فقاتل بهم النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك :

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ ، مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (٢)
ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلَاثُ مِئِينَ ، إِنْ كَثُرْنَ ، فَأَرْبَعُ (٣)

١٦٠/٩ ١٦٠٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، قال : نزلت فى أبى سفيان : استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من استجاش من العرب . (٣)

---

(١) « الأحابيش » ، هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وعضل ، والديش ، من بنى الهون بن خزيمة ، والمصطلق ، والحيا ، من خزاعة . وسميت « الأحابش » ، لاجتماعها وانضمامها محالفة لقريش ، فى قتال بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . (انظر المحبر : ٢٤٦ ، ٢٦٧) و (نسب قريش : ٩) .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، طبقات فحول الشعراء : ١٨٣ ، نسب قريش : ٩ ، وغيرها .

ويعنى بقوله : « فجئنا إلى موج » ، جيش الكفار يوم أحد ، يموج موجه . وكان عدة المشركين بأحد ثلاثة آلاف . و « الحاسر » ، الذى لا درع له ، ولا بيضة على رأسه . و « المقنع » ، الدارع الذى لبس سلاحه ، ووضع البيضة على رأسه .

(٣) « نصية » ، أى : خيار أشراف ، أهل جلد وقتال . يقال : « انتصى الشىء » ، اختار ناصيته ، أى أكرم ما فيه . وكان فى المطبوعة : « ونحن نطنه » ، وهو خطأ صرف ، وهى فى المخطوطة ، كما كتبتها غير منقوطة .

وهكذا جاء الرواية فى المخطوطة : « إن كثرن فأربع » ، كأنه يعنى أنهم كانوا ثلاثمئة ، فإن كثروا فأربعمئة . وهو لا يصح ، لأن عدة المسلمين يوم أحد كانت سبعمئة . فصواب الرواية ما أنشده ابن إسحق وابن سلام .

« إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ »

(٤) « استجاش » ، طلب منه الجيش وجمعه على عدوه .

١٦٠٥٨ — . . . . قال، أخبرنا أبي ، عن خطاب بن عثمان العصفرى، عن الحكم بن عتيبة : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، قال : نزلت فى أبي سفيان . أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً .(١)

١٦٠٥٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» ، الآية ، قال : لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة أشَّبَ الناس ودعاهم إلى القتال ، (٢) حتى غزا نبيُّ الله من العام المقبل . وكانت بدر فى رمضان ، يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان . وكانت أحد فى شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع .

١٦٠٦٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال الله فيما كان المشركون ، ومنهم أبو سفيان ، يستأجرون الرجال يقاتلون محمداً بهم : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله »، وهو محمد صلى الله عليه وسلم = « فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة »، يقول : ندامة يوم القيامة وويلٌ (٣) = « ثم يغلبون » .

١٦٠٦١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ينفقون أموالهم ليصدوا

---

(١) الأثر : ١٦٠٥٨ — « خطاب بن عثمان العصفرى » ، لم أجد له ترجمة فى غير ابن أبي حاتم ١/٢/٢٨٦ ، وقال : « خطاب العصفرى » روى عن الشعبى ، روى عنه وكيع ، ومحمد بن ربيعة ، وأبو نعيم . سمعت أبي يقول ذلك . وسألته عنه فقال : « شيخ » . ولم يذكر أن اسم أبيه « عثمان » .

(٢) فى المطبوعة : « أنشد الناس » ، وهو لا معنى له . وفى المخطوطة : « أسب » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « التأشيب » ، التحريش بين القوم ، و « التأشيب » ، التجميع ، يقال : « تأشب به أصحابه » ، أى : اجتمعوا إليه وطافوا به . أراد أنه جمعهم وحرضهم على القتال .

(٣) فى المطبوعة : « وويلا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

عن سبيل الله »، الآية حتى قوله : « أولئك هم الخاسرون» ، قال : فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد .

١٦٠٦٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٦٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ،[1] [وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد . وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد ، قالوا : أو من قاله منهم : لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ،[2] ورجع فَلُّهم إلى مكة ،[3] ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ،[4] وعكرمة ابن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش ، إن محمداً قد وَتَرَكم وقتل خياركم ،[5] فأعينونا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ» ، وهو خطأ ، فقد مضى مراراً مثله . وصوابه من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام، وإنما فعلت ذلك ، لأن المطبوعة خالفت المخطوطة لخطأ فيها ، فكتب فى المطبوعة : « قالوا : لما أصابت المسلمون يوم بدر . . . » ، وكان فى المخطوطة : « قالوا : لما أصيبت قريش ، أو من قاله منهم ، يوم بدر » ، وهو غير مستقيم ، فرجح قوله : « أو من قال منهم» ، أن الناسخ قد عجل فى نقل بقية الإسناد ، وخلط الكلام فاضطرب . فلذلك أثبته بنصه من السيرة .

(٣) « الفل » (بفتح الفاء) : المنهزمون ، الراجعون من جيش قد هزم .

(٤) فى المطبوعة : « عبد الله بن ربيعة » ، خطأ محض .

(٥) « وتر القوم » ، أدرك فيهم مكروهاً بقتل أو غيره . و « الموتور » الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ! ففعلوا . قال : ففيهم ، كما ذكر عن ابن عباس ،[1] أنزل الله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم » إلى قوله : « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .[2]

١٦٠٦٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، إلى قوله : «يحشرون »، يعني النفرَ الذين مشوا إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أن يُقَوُّوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[3] ففعلوا .[4]

١٦٠٦٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عطاء بن دينار فى قول الله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم »، الآية ، نزلت فى أبي سفيان بن حرب .[5]

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك المشركون من أهل بدر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٦٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الآية ، قال : هم أهل بدر .

* * *

(١) الذى فى سيرة ابن هشام : « قال ابن إسحق ، ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم » ، ولم يسند الكلام إلى ابن عباس .

(٢) الأثر : ١٦٠٦٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ .

(٣) فى المطبوعة : « أن يعينوهم » ، وفى سيرة ابن هشام : « يقووهم بها » ، بزيادة .

(٤) الأثر : ١٦٠٦٤ سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٥٣ .

(٥) الأثر : ١٦٠٦٥ — « سعيد بن أبي أيوب مقلاص المصرى » ، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٣١٧٨ . وكان فى المخطوطة : « سعيد بن أيوب » ، وصححه ناشر المطبوعة .

و « عطاء بن دينار الهذلى المصرى » ، مضى أيضاً برقم : ١٦٠ ، ١٣١٧٨ ، بمثل هذا الإسناد .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبرَ عن الذين كفروا به من مشركى قريش ، أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله . لم يخبرنا بأىّ أولئك عَنَى ، غير أنه عم بالخبر « الذين كفروا » . وجائز أن يكون عَنَى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد = وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر = وجائز أن يكون عنى الفريقين . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب فى ذلك أن يعمّ كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش .

* * *

٩/١٦١ القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله ، إلى جهنم ، ليفرق بينهم = وهم أهل الخبث ، كما قال وسماهم « الخبيث » = وبين المؤمنين بالله وبرسوله ، وهم « الطيبون » ، كما سماهم جل ثناؤه . فميَّز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته ، وأنزل أهل الكفر نارَه .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،

---

(١) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ص : ١٦٥ ، تعليق : ٣ ، ٤ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الطيب » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

عن على ، عن ابن عباس قوله: « ليميز الله الخبيث من الطيب » ، فميَّز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

١٦٠٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال : «ليميز الله الخبيث من الطيب » ، يقول : يميز المؤمن من الكافر ، فيجعل الخبيث بعضه على بعض .

* * *

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « فيجعل الخبيث بعضه على بعض » ، فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض = « فيركمه جميعاً » ، يقول : فيجعلهم ركاماً ، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ، كما قال جل ثناؤه فى صفة السحاب : ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ ، [سورة النور : ٤٣] ، أى : مجتمعاً كثيفاً ، وكما :—

١٦٠٦٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فيركمه جميعاً » ، قال : فيجمعه جميعاً بعضه على بعض .

* * *

وقوله : « فيجعله فى جهنم » يقول : فيجعل الخبيث جميعاً فى جهنم = فوحَّد الخبر عنهم لتوحيد قوله : « ليميز الله الخبيث » ، ثم قال : «أولئك هم الخاسرون » ، فجمع ، ولم يقل : « ذلك هو الخاسر » ، فردَّه إلى أول الخبر .

ويعنى بـ « أولئك » ، الذين كفروا ، وتأويله : هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله «هم الخاسرون» ، ويعنى بقوله : « الخاسرون » ، الذين غُبِنت صفقتهم ، وخسرت تجارتهم .[1] وذلك أنهم شرَوْا بأموالهم عذابَ الله فى الآخرة ، وتعجَّلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبىّ الله والمؤمنين به ، الخزىَ والذلَّ .

* * *

(١) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١٢ : ٥٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، « للذين كفروا » ، من مشركى قومك = « إن ينتهوا » ، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله ، وقتالك وقتال المؤمنين ، فينيبوا إلى الإيمان[١] = يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم[٢] = « وإن يعودوا » ، يقول : وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر = فقد مضت سنتى فى الأولين منهم ببدر ، ومن غيرهم من القرون الخالية ،[٣] إذ طغوا وكذبوا رسلى ولم يقبلوا نصحهم ، من إحلال عاجل النِّقَم بهم ، فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك ، مثل الذى أحللت بهم .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : «فقد مضت سنة الأولين» ، فى قريش يوم بدر ، وغيرها من الأمم قبل ذلك .

١٦٠٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سلف » فيما سلف ٦ : ١٤/٨ : ١٣٨ ، ١١/١٥٠ : ٤٨ .
(٣) انظر تفسير « سنة » فيما سلف ٧ : ٢٢٨/٨ : ٢٠٩ .
(٤) فى المطبوعة : « الذين أحللت بهم » ، وفى المخطوطة سيئة الكتابة ، صوابها ما أثبت .

١٦٠٧٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٧٣ — حدثني ابن وكيع قال ،[1] حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فقد مضت سنة الأولين » ، قال : في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك .

١٦٠٧٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال في قوله : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا » ، لحربك = « فقد مضت سنة الأولين » ، أي : من قُتل منهم يوم بدر .[2]

١٦٠٧٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن يعودوا » ، لقتالك = « فقد مضت سنة الأولين » ، من أهل بدر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنّتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر ، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض = وهو « الفتنة »[3] = « ويكون الدين ١٦٢/٩

(١) في المطبوعة : « حدثنا المثنى قال ، حدثنا ابن وكيع . . . » ، وهو خطأ ظاهر ، وصوابه من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٠٧٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٦٤ .

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف : ٤٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كله لله » ، يقول : وحتّى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصةً دون غيره .[1]

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، يعنى : حتّى لا يكون شرك .

١٦٠٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة » ، قال : « الفتنة » ، الشرك .

١٦٠٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، يقول : قاتلوهم حتّى لا يكون شرك = « ويكون الدين كله لله » ، حتّى يقال : « لا إله إلا الله » ، عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وإليها دَعا .

١٦٠٧٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : حتّى لا يكون شرك .

١٦٠٨٠ — حدثنى الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، عن الحسن فى قوله : « وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة » ، قال : حتّى لا يكون بلاء .

---

(١) وتفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١٥٥ ، ٦/١٥٦ : ٢٧٣ — ٢٧٥ ، وغيرها فى فهارس اللغة (دين) .

١٦٠٨١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ، أى : لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شرك ، ويُخلع ما دونه من الأنداد .[1]

١٦٠٨٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : حتّى لا يكون كفر = « ويكون الدين كله لله » ، لا يكون مع دينكم كفر .

١٦٠٨٣ — حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه : أن عبد الملك بن مروان كتبَ إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة : « سلام عليكَ ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله . كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، أن الله أعطاه النبوة ، فنعم النبىُّ ! ونعم السيد ! ونعم العشيرة ! فجزاه الله خيراً ، وعرّفنا وجهه فى الجنة ، وأحيانا على ملته ، وأماتنا عليها ، وبعثنا عليها . وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه، لم يَبْعُدوا منه أوّلَ ما دعاهم إليه ،[2] وكادوا

---

(١) الأثر : ١٦٠٨١ — هذا نص ابن هشام فى سيرته ، من روايته عن ابن إسحق ، فأنا أكاد أقطع أن هذا الخبر ملفق من خبرين :

أولها هذا الإسناد الأول ، سقط نص خبره .

والآخر إسناد أبى جعفر إلى ابن إسحق ، وهو هذا :

« حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : . . »، ثم هذا السياق الذى هنا ، وهو نص ما فى ابن هشام .

انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « لم ينفروا منه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى التاريخ .

يسمعون له ، [١] حتى ذكر طواغيتهم . وقدم ناس من الطائف من قريش ، لهم أموال ، أنكر ذلك ناسٌ واشتدّوا عليه ، [٢] وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، [٣] إلا من حفظه الله منهم ، وهم قليل . فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنةٌ شديدة الزلزال ، [٤] فافتُتِن من افتتن ، وعصم الله من شاء منهم . فلما فُعِل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة . وكان بالحبشة ملك صالح يقال له « النجاشي » ، لا يُظلم أحد بأرضه ، [٥] وكان يُثْنَى عليه مع ذلك [صلاح] ، [٦]. وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يَتْجَرون فيها ، ومساكن لتِجَارهم ، [٧] يجدون فيها رَفاغاً من الرزق وأمناً ومَتْجَراً حسناً ، [٨] فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قُهِروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن . [٩] ومكث هو فلم يبرح . فمكث ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « وكانوا يسمعون » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق للتاريخ .

(٢) فى المطبوعة : « أنكر ذلك عليه ناس » ، زاد « عليه » ، وفى التاريخ : « أنكروا ذلك عليه » ، ليس فيه « ناس » .

(٣) فى المطبوعة : « فانعطف عنه » ، غير ما فى المخطوطة عبثاً ، وهو مطابق لما فى التاريخ . و « انصفق عنه الناس » ، رجعوا وانصرفوا . و « انصفقوا عليه » : أطبقوا واجتمعوا ، أصله من « الصفقة » ، وهو الاجتماع على الشيء . وإنما غير المعنى استعمال الحرف ، فى الأولى « عنه » ، وفى الأخرى « عليه » . وهذا من محاسن العربية .

(٤) فى المخطوطة : « شدودة الزلزال » ، وهو سهو من الناسخ .

(٥) فى المخطوطة : « لا يظلم بأرضه » ، وصححها الناشر وتصحيحه مطابق لما فى التاريخ .

(٦) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى .

(٧) قوله : « ومساكن لتجارهم » ، ليست فى التاريخ ، وفى المطبوعة : « لتجارتهم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وابن كثير .

(٨) فى المطبوعة : « رتاعاً من الرزق » ، خالف المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، وهى مطابقة لما فى التاريخ . و « الرفاغ » مصدر « رفغ » (بفتح فضم) ، وهو قياس العربية ، والذى فى المعاجم « رفاغة » . يقال : « إنه لفى رفاغة من العيش » ، و « رفاغية » (على وزن : ثمانية) : سعة من العيش وطيب وخصب . و « عيش رافغ » .

(٩) فى المطبوعة والمخطوطة : « وخافوا عليهم الفتن » ، والجيد ما أثبته من التاريخ .

سنوات ، يشتدُّون على من أسلم منهم. (١) ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومَنَعتهم .(٢) فلما رأوا ذلك ، استرخوْا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . (٣) وكانت الفتنة الأولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة ، مخافتَها ، وفراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال . فلما استُرْخى عنهم ، ودخل فى الإسلام من دخل منهم ، تُحُدِّث باسترخائهم عنهم .(٤) فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قد استُرْخِىَ عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون . فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ،(٥) وجعلوا يزدادون ويكثرون . وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. فلما رأت ذلك قريش تذامرَتْ على أن يفتنوهم ويشتدّوا عليهم ،(٦) فأخذوهم ، وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهْدٌ شديد.

١٦٣/٩

---

(١) فى التاريخ : « فكث بذلك سنوات » ، وهى أجود .

(٢) إلى هذا الموضع ، انتهى ما رواه أبو جعفر فى تاريخه ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، إلا أنه لم يذكر فى ختام الجملة « ومنعتهم » .

وقوله : « ومنعتهم » (بفتحات) : جمع « مانع » ، مثل « كافر » و « كفرة » ، وهم الذين يمنعون من يريدهم بسوء .

وانظر تخريج الخبر فى آخر هذا الأثر .

(٣) « الاسترخاء » ، السعة والسهولة . « استرخوا عنهم » ، أرخوا عنهم شدة العذاب والفتنة .

(٤) فى المطبوعة : « تحدث بهذا الاسترخاء عنهم » ، وفى المخطوطة هكذا : « تحددوا استرخاءهم عنهم » ، وأثبت الصواب من تفسير ابن كثير .

(٥) من أول قوله : « فلما رأوا ذلك استرخوا . . . » ، إلى هذا الموضع ، لم يذكره أبو جعفر فى تاريخه ، ثم يروى ما بعده ، كما سأبينه بعد فى التعليق .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « توامرت على أن يفتنوهم » ، وأثبت ما فى التاريخ . أما ابن كثير فى تفسيره فنقل : « توامروا على أن يفتنوهم » . وفى المطبوعة وحدها : « ويشدوا عليهم » ، وأثبت ما فى التاريخ وابن كثير .

و « تذامر القوم » ، حرض بعضهم بعضاً وحثه على قتال أو غيره . و « ذمر حزبه تذميراً » ، شجعه وحثه ، مع لوم واستبطاء .

وكانت الفتنة الآخرة . فكانت ثنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها = وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيباً ،[1] رؤوس الذين أسلموا ، فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم على أنّا منك وأنت منا ،[2] وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهى التى أنزل الله فيها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .[3]

١٦٠٨٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عبد الرحمن ابن أبى الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير : أنه كتب إلى الوليد : « أما بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، وعندى ،

---

(١) فى المطبوعة : « سبعون نفساً » ، وفى المخطوطة : « سبعين نعسا » ، غير منقوطة ، والصواب ما أثبته من تاريخ الطبرى ، وتفسير ابن كثير .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأعطوه على أنا منك . . » ، سقط من الكلام « عهودهم » ، أثبتها من التاريخ ، وفى تفسير ابن كثير « وأعطوه عهودهم ومواثيقهم » .

(٣) الأثر : ١٦٠٨٣ — « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، وقد سلف شرح هذا الإسناد : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ ، وغيرهما ، وهو إسناد صحيح .

وكتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان قد رواه أبو جعفر مفرقاً فى تفسيره ، وفى تاريخه ، فما رواه فى تفسيره آنفاً رقم : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ أما فى تاريخه ، فقد رواه مفرقاً فى مواضع ، هذه هى ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٧ — ٢٦٩ / ثم ٣ : ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، وعسى أن أستطيع أن ألم شتات هذا الكتاب من التفسير والتاريخ ، حتى أخرج منه كتاب عروة إلى عبد الملك كاملا ، فهو من أوائل الكتب التى كتبت عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الخبر نفسه ، مفرق فى موضعين من التاريخ ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ كما أشرت إليه فى ص : ٥٤٣ تعليق : ١ / ثم ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ونقله ابن كثير عن هذا الموضع من التفسير فى تفسيره ٤ : ٦١ ، ٦٢ .

ثم انظر التعليق على الأثر التالى .

بحمد الله ، من ذلك علم بكل ما كتبتَ تسألني عنه ، وسأخبرك إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، ثم ذكر نحوه .(١)

١٦٠٨٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : « يَسَاف » و « نائلة » ، صنمان كانا يعبدان .(٢)

* * *

وأما قوله : « فإن انتهوا » ، فإن معناه : فإن انتهوا عن الفتنة ، وهي الشرك بالله، وصارُوا إلى الدين الحق معكم (٣) = «فإن الله بما يعملون بصير » ، يقول : فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام ،(٤) لأنه يبصرهم ويبصر أعمالكم ، (٥) والأشياء كلها متجلية له ، لا تغيب عنه ، ولا

---

(١) الأثر : ١٦٠٨٤ — « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان » ، مضى برقم : ١٦٩٥ ، ٩٢٢٥ ، وقال أخي السيد أحمد أنه ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة . ثم قال : وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن ٣ : ٥٩ : « هو ثقة حافظ » .

ومن ضعف « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ابن معين قال : « ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث، ليس بشيء » . وقال أحمد : « مضطرب الحديث » ، وقال ابن المديني : « كان عند أصحابنا ضعيفاً » ، وقال ابن المديني : « ما حدث به بالمدينة فهو صحيح ، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون » . وقال أيضاً : « حديثه بالمدينة مقارب ، وما حدث به بالعراق فهو مضطرب » . وقال ابن سعد : « كان كثير الحديث ، وكان يضعف لروايته عن أبيه » .

وأبوه « عبد الله بن ذكوان » ، أبو الزناد ، ثقة ، روى له الجماعة ،

وقد روى « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ، أن الذي كتب إليه عروة ، هو « الوليد بن عبد الملك ابن مروان » ، والإسناد السالف أصح وأوثق ، أنه كتب إلى « عبد الملك بن مروان » ، فأنا أخشى أن يكون هذا الخبر مما اضطربت فيه رواية « ابن أبي الزناد » ، عن أبيه .

(٢) « إساف » (بكسر الألف وفتحها) و « يساف » (بكسر الياء وفتحها) ، واحد . وقد مضى ذلك في الخبر : ١٠٤٣٣ ، والتعليق عليه ٩ : ٢٠٨ ، تعليق : ١ .

وكان في المخطوطة هنا : « ساف ونافلة » ، وهو خطأ محض .

(٣) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ص : ٥٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

(٥) في المطبوعة : « يبصركم » ، والصواب من المخطوطة .

يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى ذلك ، فإن انتهوا عن القتال .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب ، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضاً على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه ، أيها المؤمنون ، من الإيمان بالله ورسوله ، وترك قتالكم على كفرهم ، فأبوا إلاّ الإصرار على الكفر وقتالكم ، فقاتلوهم ، وأيقنوا أنّ الله معينكم عليهم وناصركم[١] = « نعم المولى » ، هو لكم ، يقول : نعم المعين لكم ولأوليائه[٢] = « ونعم النصير » ، وهو الناصر .[٣]

* * *

١٦٠٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن تولوا » ، عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، فإن الله هو مولاكم الذى أعزكم

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف (٩ : ١٤١) ، تعليق : ... ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) انظر تفسير « النصير » فيما سلف ١٠ : ٤٨١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

ونصركم عليهم يوم بدر ، فى كثرة عددهم وقلة عددكم = «نعم المولى ونعم النصير ».[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾

٢/١٠

قال أبوجعفر : وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قَسْمَ غنائمهم إذا غنموها . يقول تعالى ذكره : واعلموا، أيها المؤمنون ، أن ما غنمتم من غنيمة .

* * *

واختلف أهل العلم فى معنى « الغنيمة » و « الفىء » .

فقال بعضهم : فيهما معنيان ، كل واحد منهما غير صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٧ — حدثنا ابن وكيع قل ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح قال : سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه » ، وهذه الآية : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [سورة الحشر : ٧] ، قال قلت : ما « الفىء » ، وما « الغنيمة » ؟ قال : إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوةً ، فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو « غنيمة » ، وأما الأرض فهو فى سوادنا هذا « فىء » .[٢]

* * *

وقال آخرون : « الغنيمة » ، ما أخذ عنوة ، و« الفىء » ، ما كان عن صلح .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان الثورى قال :

---

(١) الأثر : ١٦٠٨٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، مع اختلاف يسير فى سياقه ، وهو تابع الأثرين السالفين : ١٦٠٧٤ ، ١٦٠٨١ ، وانظر التعليق على هذا الأثر الأخير ، وما استظهرته هناك .

(٢) فى المطبوعة : « فهى فى سوادنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مستقيم .

« الغنيمة » ، ما أصاب المسلمون عنوة بقتال ، فيه الخمس ، وأربعة أخماسه لمن شهدها . و « الفىء » ، ما صولحوا عليه بغير قتال ، وليس فيه خمس ، هو لمن سمّى الله .

* * *

وقال آخرون : « الغنيمة » و « الفىء » ، بمعنى واحد . وقالوا : هذه الآية التى فى « الأنفال » ، ناسخة قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية ، [سورة الحشر : ٧] .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ، قال : كان الفىء فى هؤلاء ، ثم نسخ فى ذلك « سورة الأنفال » ، فقال : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » ، فنسخت هذه ما كان قبلها فى « سورة الأنفال » ، [1] وجعل الخمس لمن كان له الفىء فى « سورة الحشر » ، وسائر ذلك لمن قاتل عليه . [2]

* * *

١٠/٣ وقد بينا فيما مضى « الغنيمة » ، وأنها المال يوصل إليه من مال من خوّل الله مالَه أهلَ دينه ، بغلبة عليه وقهرٍ بقتال . [3]

* * *

فأما « الفىء » ، فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك ، وهو

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما كان قبلها فى سورة الحشر » ، وسيأتى على الصواب كما أثبته فى تفسير « سورة الحشر » ٢٨ : ٢٥ (بولاق) ، ويعنى بذلك أنها نسخت قوله فى أول سورة الأنفال : « يسألونك عن الأنفال » .

(٢) الأثر : ١٦٠٨٩ — سيأتى هذا الخبر مطولا فى تفسير « سورة الحشر » ٢٨ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق)

(٣) انظر تفسير « الغنيمة » فيما سلف فى تفسير « النفل » ص : ٣٦١ — ٣٨٥ .

ما ردّه عليهم منها بصلح من غير إيجاف خيل ولا ركاب. وقد يجوز أن يسمى ما ردّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم « فيئاً » ، لأن « الفيء » ، إنما هو مصدر من قول القائل: « فاء الشيء يفيء فيئاً» ، إذا رجع = و« أفاءه الله» ، إذا ردّه .[1]

غير أن الذى ردّ حكم الله فيه من الفيء بحكمه فى « سورة الحشر » ،[2] إنما هو ما وصفت صفته من الفيء ، دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب ، لعلل قد بينّتها فى كتاب: ﴿ كتاب لطيف القول ، فى أحكام شرائع الدين ﴾ ، وسنبينه أيضاً فى تفسير « سورة الحشر » ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى .[3]

* * *

وأما قول من قال : الآية التى فى « سورة الأنفال » ، ناسخةٌ الآيةَ التى فى « سورة الحشر » ، فلا معنى له ، إذ كان لا معنى فى إحدى الآيتين ينفى حكم الأخرى . وقد بينا معنى « النسخ » ، وهو نفى حكم قد ثبت بحكمٍ خلافه ، فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[4]

* * *

وأما قوله: « من شيء » ، فإنه مرادٌ به: كل ما وقع عليه اسم « شيء » ، مما خوّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين ، مما وقع عليه القَسْم ، حتى الخيط والمِخْيط ،[5] كما : —

١٦٠٩٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « فاء » فيما سلف ٤ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٢) فى المطبوعة : « . . . الذى ورد حكم الله فيه من الفيء يحكيه فى سورة الحشر » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً تاماً .

(٣) انظر ما سيأتى ٢٨ : ٢٤ — ٢٧ (بولاق) .

(٤) انظر مقالته فى « النسخ » فى فهارس النحو والعربية وغيرهما ، وفى مواضع فيها مراجع ذلك كله فى كتابه هذا .

(٥) « المخيط » ، الإبرة ، وهو ما خيط به .

سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء » ، قال : المخيط من « الشيء » .

١٦٠٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، بمثله .

١٦٠٩٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم الفضل قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم قوله : « فأن لله خمسه » ، مفتاحُ كلامٍ ،[1] ولله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإنما معنى الكلام : فإن للرسول خمسه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٩٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن عن قول الله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة .

١٦٠٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن قيس ابن مسلم قال : سألت الحسن بن محمد عن قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة .[2]

---

(١) يعنى أنه افتتاح بذكر الله تعالى ذكره ، وانظر ما سلف ٦ : ٢٧٢ ، تعليق : ٥ .

(٢) الأثران : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤ — « الحسن بن محمد » ، هو « الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب » ، وهو « الحسن بن محمد بن الحنفية » ، وهو الذى يروى عنه « قيس بن مسلم » ، لا يعنى « الحسن البصرى » .

١٦٠٩٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا، خمَّس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس فى خمسة . ثم قرأ : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول » . قال : وقوله : « فأن لله خمسه » ، مفتاح كلام ، لله ما فى السموات وما فى الأرض ، فجعل الله سهم الله وسهم الرسول واحداً .(١)

١٦٠٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن إبراهيم: « فأن لله خمسه » ، قال : لله كل شىء .

١٦٠٩٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله: « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه » ، قال : لله كل شىء ، وخُمس الله ورسوله، ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم .

١٦٠٩٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل

وهذا الخبر رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال : ١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، رقم : ٣٩ ، ٨٣٦ ، ٨٤٦ ، وسيأتى مطولا برقم : ١٦١٢١ .

(١) الأثر : ١٦٠٩٥ — « أحمد بن يونس » ، هو « أحمد بن عبد الله بن يونس التميمى » ، مضى برقم : ٢١٤٤ ، ٢٣٦٢ ، ٥٠٨٠ .

و « أبو شهاب » ، هو « عبد ربه بن نافع الكنانى » ، الحناط ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٤٢ .

و « ورقاء » ، هو « ورقاء بن عمرو اليشكرى » ، مضى برقم : ٦٥٣٤ .

و « نهشل » ، هو « نهشل بن سعيد بن وردان النيسابورى » ، ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : « ليس بقوى ، متروك الحديث ، ضعيف الحديث» ، وقال ابن حبان : « يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم ، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب » .

وقال البخارى : « أحاديثه مناكير ، قال إسحق بن إبراهيم : كان نهشل كذاباً » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١١٥ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٩٦ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٤٣ .

وانظر الخبر رقم : ١٦١٢٠ .

وكان فى المطبوعة : « فجعل سهم الله » ، غير ما فى المخطوطة وحذف ، فأثبت ما فى المخطوطة .

عليها ، ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس ، فخمس لله والرسول .

١٦٠٩٩ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا أبان ، عن الحسن قال : أوصى أبو بكر رحمه الله بالخمس من ماله ، وقال : ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه .

١٦١٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن فضيل، عن عبد الملك ، عن عطاء : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » ، قال: خمس الله وخمس رسوله واحد . كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويضع فيه ما شاء .[1]

١٠/٤

١٦١٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » ، قال : كل شيء لله، الخمس للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن لبيت الله خمسه وللرسول .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٠٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع بن الجراح ، عن أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤتى بالغنيمة ، فيقسمها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذى قبض كفه ، فيجعله للكعبة ، وهو سهم الله . ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم ، فيكون سهم

---

(١) فى المطبوعة : « ويصنع فيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقد قرأت فى كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، فى خبر آخر : « يحمل منه ويعطى ، ويضعه حيث شاء ، ويصنع به ما شاء » ص ١٤ ، ٣٢٦ ، رقم : ٤٠ ، ٨٣٧ .

للرسول ، وسهم لذى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

١٦١٠٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه، » إلى آخر الآية ، قال : فكان يُجاء بالغنيمة فتوضع ، فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم ، فيجعل أربعة بين الناس ، ويأخذ سهماً . ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم ، فما قَبَض عليه من شيء جعله للكعبة ، فهو الذى سُمِّى لله ، ويقول : لا تجعلوا لله نصيباً ، فإن لله الدنيا والآخرة ، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم : سهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم لذوى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .[1]

* * *

وقال آخرون : ما سُمِّى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، فإنما هو مرادٌ به قرابته ، وليس لله ولا لرسوله منه شيء .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٠٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة: فربع لله والرسول ولذى القربى = يعنى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم = فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئاً . والربع الثانى لليتامى ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل .[2]

* * *

(١) الأثران : ١٦١٠٢ ، ١٦٠١٣ — رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال ، من طريق حجاج ، عن أبي جعفر الرازى ، بمثل لفظ الأول . كتاب الأموال : ١٤ ، ٣٢٥ ، رقم ٨٣٥ ، ٤٠٠ .

(٢) الأثر : ١٦١٠٤ — رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، بهذا الإسناد نفسه ، وبلفظه ،

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : قوله : « فأن لله خمسه » ، « افتتاح كلام » ، وذلك لإجماع الحجة على أنّ الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم . ولو كان لله فيه سهم ، كما قال أبو العالية ، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوماً على ستة أسهم . وإنما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما دونها ، فأما على أكثر من ذلك ، فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية . وفى إجماع من ذكرت ، الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما اخترنا .

* * *

فأما من قال : « سهم الرسول لذوى القربى » ، فقد أوجب للرسول سهماً ، وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوى قرابته ، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم ، ، وقد : —

١٦١٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه » ، الآية ، قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماساً ، فكان خمس لله ولرسوله ، ويقسم المسلمون ما بقى . وكان الخمس الذى جُعل لله ولرسوله ، لرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .[1] فكان هذا الخمس خمسة أخماس : خمس لله ورسوله ، وخمس لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل .

فى كتاب الأموال ص : ١٣ ، ٣٢٥ ، رقم : ٣٧ ، ٨٣٤ ، وفى آخره تفسير « ابن السبيل » ، قال : « وهو الضعيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين » .

وانظر ما سيأتى رقم : ١٦١٢٤ ، ١٦١٢٩ .

(١) فى المخطوطة خطأ ، أسقط « رسوله » الثانية ، والكلام يقتضيها كما فى المطبوعة ، وعلى هامش المخطوطة حرف « ا » عليها ثلاث نقط ، دلالة على موضع السقط .

١٦١٠٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو خُمُس الخمس.[1]

٥/١٠ ١٦١٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، وجرير ، عن موسى ابن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .

١٦١٠٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .

١٦١٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فأن لله خمسه » ، قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله والرسول ، خمسه يضعه حيث رأى ، وخمسه لذوى القربى ، وخمسه لليتامى ، وخمسه للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

* * *

وأما قوله : « ولذى القربى » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم .

فقال بعضهم : هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحلّ لهم الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

١٦١١١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كان النبي صلى الله غليه وسلم وأهلُ

(١) الأثر : ١٦١٠٦ – « موسى بن أبي عائشة المخزومى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٤٠٨ .

و « يحيى بن الجزار العرنى » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٥ .

وكان فى المخطوطة : « يحيى الجزار » ، والصواب ما فى المطبوعة ، ولكنه يأتى فى الذى يليه فى المخطوطة على الصواب .

ورواه أبو عبيد فى الأموال ص : ١٣ ، رقم : ٣٤ ، ٣٥ ، وص : ٣٢٤ ، رقم : ٨٣١ ، ٨٣٢ .

بيته لا يأكلون الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

١٦١١٢ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : قد علم الله أنّ في بني هاشم الفقراء ، فجعل لهم الخمس مكانَ الصدقة .

١٦١١٣ — حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا إسمعيل بن أبان قال ، حدثنا الصباح بن يحيي المزني ، عن السدي ، عن أبي الديلم قال ، قال علي بن الحسين ، رحمة الله عليه ، لرجل من أهل الشأم : أما قرأت في « الأنفال » : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » الآية ؟ قال : نعم ! قال : فإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم ![1]

١٦١١٤ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة .

١٦١١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن نَجْدة كتب إليه يسأله عن ذوي القربى ، فكتب إليه كتاباً : « نزعم أنا نحن هم ، فأبى ذلك علينا قومنا » .[2]

---

(١) الأثر : ١٦١١٣ — « إسماعيل بن أبان الوارق الأزدي » ، ثقة ، صدوق في الرواية ، قال البزار : « إنما كان عيبه شدة تشيعه ، لا أنه غير عليه في السماع » ، وإما « إسماعيل بن أبان الغنوي » ، فهو كذاب ، ومضى إسماعيل الوراق برقم : ١٤٥٥٠ .

وأما « صباح بن يحيى المزني » ، فهو شيعي أيضاً ، متروك ، بل متهم ، هكذا قال الحافظ ابن حجر والذهبي . وذكره البخاري ، فقال : « فيه نظر » ، وقال أبو حاتم : « شيخ » . مترجم في لسان الميزان ٣ : ١٦٠ ، والكبير ٢/٢/٣١٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٤٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٦٢ .

وأما « أبو الديلم » ، فلم أعرف من يكون ، وهكذا أثبته من المخطوطة ، وهو في المطبوعة : « عن ابن الديلمي » ، يعني « عبد الله بن فيروز الديلمي » ، التابعي الثقة ، ولا أظن أنه يروى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وهذا إسناد هالك كما ترى .

(٢) الأثر : ١٦١١٥ — « نجدة ابن عويمر الحروري » ، من رؤوس الخوارج .

١٦١١٦ — . . . قال حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فأن لله خمسه » ، قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله وللرسول ، خمسه يضعه حيث رأى ، وخمسٌ لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

* * *

وقال آخرون : بل هم قريش كلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٧ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبرى قال : كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن ذى القربى قال : فكتب إليه ابن عباس : « قد كنا نقول : إنّا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوو قربى » .[1]

* * *

وقال آخرون : سهم ذى القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صار من بعده لولىّ الأمر من بعده .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذى القربى فقال : كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيًّا ،[2] فلما توفى جُعل لولىّ الأمر من بعده .

* * *

وقال آخرون : بل سهم ذى القربى كان لبنى هاشم وبنى المطلب خاصةً .

وكتاب ابن عباس إلى نجدة ، رواه أبو عبيد في كتاب الأموال من طرق ص : ٣٣٢ — ٣٣٥ ، رقم : ٨٥٠ — ٨٥٢ ، وانظر ما سيأتي رقم : ١٦١١٧ .

(١) الأثر : ١٦١١٧ — انظر التعليق السالف ، من طريق أبي معشر ، رواه أبو عبيد رقم : ٨٥٠ ، مطولا ، بنحوه .

(٢) « الطعمة » (بضم الطاء) : الرزق والمأكلة ، يعنى به الفيء .

ومِمّن قال ذلك الشافعي ، وكانت علته فى ذلك ما : —

١٦١١٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم قال : لما قَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذى القربى من خيبر على بنى هاشم وبنى المطلب ، مشيت أنا وعثمان بن عفان رحمة الله عليه، فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء إخوتك بنو هاشم ، لا ننكر فضلهم ، لمكانك الذى جعلك الله به منهم ، أرأيت إخواننا بنى المطلب ، أعطيتهم وتركتنا ، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ؟ فقال : إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ! ثم شبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى .[1]

٦/١٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : « سهم ذى القربى ، كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وحلفائهم من بنى المطلب » ، لأنّ حليف القوم منهم ، ولصحة الخبر الذى ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم هذين السهمين = أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذى القربى = بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بعضهم : يُصرفان فى معونة الإسلام وأهله .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : جُعل

---

(١) الأثر : ١٦١١٩ — رواه الشافعى فى الأم من طرق ، منها طريق محمد بن إسحق ، انظر الأم ٤ : ٧١ ، ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٠١ ، رقم : ٢٩٨٠ ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام فى الأموال : ٣٣١ ، رقم : ٨٤٢ .

سهم الله وسهم الرسول واحداً ، ولذى القربى ، فجعل هذان السهمان فى الخيل والسلاح. وجُعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ، لا يُعْطَى غيرَهم .(١)

١٦١٢١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن عن قول الله : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة . ثم اختلف الناس فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قائلون : سهم النبى صلى الله عليه وسلم لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم = وقال قائلون : سهم القرابة لقرابة الخليفة = واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدّة فى سبيل الله ، فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

١٦١٢٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن بن محمد ، فذكر نحوه .(٢)

١٦١٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكُرَاع والسلاح .(٣) فقلت لإبراهيم : ما كان على رضى الله عنه يقول فيه ؟ قال : كان علىٌّ أشدَّهم فيه .

١٦١٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين » الآية ، قال ابن عباس : فكانت

---

(١) الأثر : ١٦١٢٠ — هذا مطول الأثر السالف ومختصره رقم : ١٦٠٩٥ ، وقد شرحت إسناده هناك .

(٢) الأثران : ١٦١٢١ ، ١٦١٢٢ — « الحسن بن محمد بن الحنفية » ، وقد سلف شرح إسناد هذا الخبر ، كما سلف مختصراً برقم : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤ .

(٣) « الكراع » (بضم الكاف) . اسم يجمع الخيل والسلاح .

الغنيمة تقسم على خمسة أخماس : أربعة بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة : لله وللرسول ولذى القربى = يعنى : قرابة النبي صلى الله عليه وسلم = فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئاً . فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ردّ أبو بكر رضى الله عنه نصيبَ القرابة فى المسلمين ، فجعل يحمل به فى سبيل الله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا نورث ، ما تركنا صدقة .(١)

١٦١٢٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذى القربى فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تُوُفى ، حمل عليه أبو بكر وعمر فى سبيل الله ، صدقةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

* * *

وقال آخرون : سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى ولى أمر المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن ظبيان ، عن حُكَيم بن سعد ، عن على رضى الله عنه قال : يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس ، ويلى الإمام سهم الله ورسوله .(٣)

---

(١) الأثر : ١٦١٢٤ — مضى قبل صدره برقم : ١٦١٠٤ ، ومضى تخريجه هناك ، وانظر أيضاً من تمامه رقم : ١٦١٢٩ .

(٢) الأثر : ١٦١٢٥ — انظر ما سلف رقم : ١٦١١٨ ، وما سيأتى ١٦١٢٧ .

(٣) الأثر : ١٦١٢٦ — « عمران بن ظبيان الحنفى » ، فيه نظر ، كان يميل إلى التشيع ، وضعفه العقيلى ، وابن عدى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٠٠ ، ومضى برقم : ١٢١٠٠ .

و « حكيم بن سعد الحنفى » ، « أبو تحيى » ، محله الصدق . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٨٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٨٦ .

و « حكيم » ، بضم الحاء ، مصغراً . و « تحيى » بكسر التاء .

١٦١٢٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذوى القربى فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيًّا ، فلما توفى جعل لولى الأمر من بعده . (١)

* * *

وقال آخرون : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس ، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم : على اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . وذلك قول جماعة من أهل العراق . ٧/١٠

* * *

وقال آخرون : الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الغفار قال ، حدثنا المنهال بن عمرو قال : سألت عبد الله بن محمد بن على ، وعلى ابن الحسين ، عن الخمس فقالا : هو لنا . فقلت لعلى : إن الله يقول : « واليتامى والمساكين وابن السبيل » ، فقالا : يتامانا ومساكيننا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودٌ فى الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم، على ما روى عن ابن عباس : للقرابة سهم ، ولليتامى سهم ، وللمساكين سهم ، ولابن السبيل سهم ، لأن الله أوجبَ الخمس لأقوام موصوفين بصفات ، كما أوجب الأربعة الأخماس لآخرين . وقد أجمعوا أنّ حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم ، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم . فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم ، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه ، إلى غير أهل السهمان الأُخَر .

* * *

(١) الأثر : ١٦١٢٧ — مضى بلفظه ، برقم : ١٦١١٨ ، وانظر ما سلف : ١٦١٢٥ .

وأما « اليتامى » ، فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم .[١]

* * *

و « المساكين » ، هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين .[٢]

* * *

و « ابن السبيل » ، المجتاز سفرًا قد انقُطِع به ، [٣] كما : —

١٦١٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : الخمس الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين .[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون، أنما غنمتم من شيء فمقسوم القسم الذي بينته وصدِّقوا به ، إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فَرَق بين الحق والباطل ببدر ،[٥] فأبان فَلَجَ المؤمنين وظهورَهم على عدوهم ، وذلك « يوم التقى الجمعان» ، جمعُ المؤمنين وجمعُ المشركين ، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين ، وعلى غير ذلك مما يشاء = « قدير » ، لا يمتنع عليه شيء أراده .[٦]

* * *

(١) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف ٧ : ٥٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المساكين » فيما سلف ١٠ : ٥٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٨ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقوله : « انقطع به » بالبناء للمجهول ، وهو إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت ، أو عطبت راحلته ، أو فني زاده .

(٤) الأثر : ١٦١٢٩ — انظر ما سلف رقم : ١٦١٠٤ ، ١٦١٢٤ ، والتعليق عليهما .

(٥) انظر تفسير « الفرقان » فيما سلف ص : ٤٨٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦١٣٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يوم الفرقان » ، يعنى : بـ « الفرقان » ، يوم بدر ، فرّق الله فيه بين الحق والباطل .

١٦١٣١ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .(١)

١٦١٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى الليث قال، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير = وإسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير = يزيد أحدهما على صاحبه = فى قوله : « يوم الفرقان » ، يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رأسَ المشركين عُتبةُ بن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً ، والمشركون ما بين الألف والتسعمئة . فهزم الله يومئذ المشركين ، وقتل منهم زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

١٦١٣٢م — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن مقسم : « يوم الفرقان » ، قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .

١٦١٣٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عثمان الجزرى ، عن مقسم فى قوله : « يوم الفرقان » ، قال : يوم

---

(١) الأثر : ١٦١٣١ — انظر هذا الخبر بنصه فيما سلف رقم : ١٢٥ .

بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .[١]

١٦١٣٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يوم بدر ، و « بدر » ، بين المدينة ومكة .

١٠/٨

١٦١٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عون محمد بن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عبد الله بن حبيب قال ، قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كانت ليلة « الفرقان يوم التقى الجمعان » ، لسبع عشرة من شهر رمضان .[٢]

١٦١٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « يوم التقى الجمعان » ، قال ابن جريج ، قال ابن كثير : يوم بدر .

١٦١٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، أي : يوم فرقت بين الحق والباطل بقدرتي ،[٣] يوم التقى الجمعان منكم ومنهم .[٤]

---

(١) الأثر : ١٦١٣٣ « عثمان الجزري » ، مضى برقم : ١٥٩٦٨ ، وأنه غير « عثمان ابن عمرو بن ساج » . وأحاديثه مناكير .

(٢) الأثر : ١٦١٣٥ — « يحيى بن يعقوب بن مدرك الأنصاري » ، أبو طالب القاص ، مترجم في الكبير ٣١٢/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٩٨/٢/٤ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٨٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٦ ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال أبو حاتم : « محله الصدق ، لم يرو شيئاً منكراً ، وهو ثقة في الحديث ، أدخله البخاري في كتاب الضعفاء » ، قال ابن أبي حاتم : « فسمعت أبي يقول : يحول من هناك » .

و « أبو عون » ، « محمد بن عبيد الله الثقفي » ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٩٢٥ ، وكان في المطبوعة : « عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفي » ، فأفسد الإسناد كل الإفساد ، وكان في المخطوطة : « عن ابن عون ، محمد بن عبيد الله الثقفي » ، وهو خطأ هين ، صوابه ما أثبت .

(٣) في المطبوعة : « أي : يوم فرق بين الحق والباطل ببدر ، أي : يوم التقى الجمعان » ، لعب بما في المخطوطة لعباً ، فأساء وجانب الأمانة . ولم يكن في المخطوطة من خطأ إلا أنه كتب « فرق » مكان « فرقت » . والذي أثبته نص المخطوطة ، وسيرة ابن هشام .

(٤) الأثر : ١٦١٣٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم ١٦٠٨٦ .

١٦١٣٨ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » ، وذاكم يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحق والباطل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون : واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيَّنه لكم ربكم ، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله =« إذ أنتم » ، حينئذ،« بالعدوة الدنيا »، يقول : بشفير الوادى الأدنى إلى المدينة [1] = « وهم بالعدوة القصوى » ، يقول : وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادى الأقصى إلى مكة = « والركب أسفل منكم » ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٣٩ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » ، قال : شفير الوادى الأدنى ، وهم بشفير الوادى الأقصى= « والركب أسفل منكم » ، قال : أبو سفيان وأصحابه، أسفلَ منهم .

(١) « شفير الوادى » : ناحيته من أعلاه ، وهو حده وحرفه .

١٦١٤٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » ، وهما شفير الوادى . كان نبيّ الله بأعلى الوادى ، والمشركون أسفلَه = « والركب أسفل منكم » ، يعنى : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ،[1] حتى قدم بها مكة .

١٦١٤١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » ، من الوادى إلى مكة = « والركب أسفل منكم » ، أى : عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .[2]

١٦١٤٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « والركب أسفل منكم » ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشأم تجارًا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقى لهم كلهم .[3] فاقتتلوا ،[4] فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم .

١٦١٤٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦١٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) هكذا كتب هذه الجملة بين القوسين ناشر المطبوعة ، ولا أدرى ما هو . والذى فى المخطوطة : « انحدم بالعير على حوريه » هكذا ، ولم أستطع أن أجد لقراءتها وجهاً أطمئن إليه ، ولم أجد الخبر فى مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٦١٤١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٣٧ .

(٣) فى المطبوعة : « حتى التقيا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « فاقتتلوا » ، مكررة فى المخطوطة مرتين ، وأنا فى ريب من هذه الجملة كلها .

١٦١٤٥ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر منازل القوم والعير فقال : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب » ، هو أبو سفيان [1] = « أسفل منكم » ، على شاطىء البحر .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إذ أنتم بالعدوة » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدنيين والكوفيين : ﴿ بِالْعُدْوَةِ ﴾ ، بضم العين .

* * *

وقرأه بعض المكيين والبصريين : ﴿ بِالْعِدْوَةِ ﴾ ، بكسر العين .

* * *

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارىء فصيبٌ ، يُنْشَد بيت الراعى :

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَآقِيهِمَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الْجُؤْذَرُ [2]

بكسر العين من « العدوة » ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر : ٩/١٠

وَفَارِس لَوْ تَحُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَّوْا سِرَاعًا، وَمَا هَمُّوا بِإقْبَالِ [3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ، أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين ، عن ميعاد منكم ومنهم ، = « لاختلفتم فى الميعاد » ، لكثرة عدد عدوكم ، وقلة عددكم ، ولكن الله جمعكم

---

(١) فى المطبوعة : « أبو سفيان وعيره » ، زاد ما ليس فى المخطوطة .

(٢) لم أجد البيت فى مكان آخر ، وللراعى أبيات كثيرة مفرقة على هذا الوزن ، كأنه منها .

(٣) من قصيدته فى رثاء فضالة بن كلدة الأسدى ، والبيت فى منتهى الطلب ، وليس فى ديوانه ، يقول قبله :

على غير ميعاد بينكم وبينهم[1]= « ليقضى الله أمراً كان مفعولاً » ، وذلك القضاء من الله ، [2] كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر ، كما : —

١٦١٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد » ، ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، ما لقيتموهم = « ولكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولا » ، أى : ليقضى الله ما أراد بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير مَلأٍ منكم ،[3] ففعل ما أراد من ذلك بلطفه .[4]

١٦١٤٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر : إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش ،

أمْ مَنْ لِعَادِيَةٍ تَرْدِى مُلَمْلَمَةٍ كَأَنَّهَا عَارِضٌ فى هَضْبِ أَوْعَالِ
لَمَّا رأوكَ عَلَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ يَسْعَى بِبِزِّ كَمِيٍّ غَيْرِ مِعْزَالِ
وَفَارِسٍ لا يَحُلُّ القَوْمُ عُدْوَتَهُ . . . .

وهذه أجود من روايته « لو تحل » ، فالنفى هنا حق الكلام .

(١) انظر تفسير « الميعاد » فيما سلف ٦ : ٢٢٢ .

(٢) انظر تفسير « القضاء » فيما سلف ١١ : ٢٦٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « عن غير بلاء » ، وفى سيرة ابن هشام ، فى أصل المطبوعة مثله ، وهو كلام فاسد جداً . وفى مخطوطة الطبرى ، ومخطوطات ابن هشام ومطبوعة أوربا ، : « عن غير ملأ » ، كما أثبتها .

يقال : « ما كان هذا الأمر عن ملأ منا » ، أى : عن تشاور واجتماع . وفى حديث عمر حين طعن : « أكان هذا عن ملأ منكم ؟ » ، أى : عن مشاورة من أشرافكم وجماعتكم .

ثم غير ناشر المطبوعة الكلمة التى بعدها ، كتب « فعل » ، مكان « ففعل » . وكل هذا عبث وذهاب ورع .

(٤) الأثر : ١٦١٤٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤١ .

حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .[1]

١٦١٤٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمير بن إسحق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السُّقاة . قال : وَنَهَدَ الناسُ بعضهم لبعض .[2]

* * *

(١) الأثر : ١٦١٤٧ — «عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري» ، ثقة ، روى عن أبيه . وروى عنه الزهري . كان أعلم قومه وأوعاهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٤٩/٢/٢ .

و «عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري» ، ثقة ، كان قائد أبيه حين عمى ، روى عن أبيه . روى عنه ابنه عبد الرحمن ، وروى عنه الزهري . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٤٢/٢/٢ .

وكان في المخطوطة : «إنما يخرج رسول الله» ، وهو جيد عربي . ولكنه في المراجع «إنما خرج» ، فأثبته كما في المطبوعة .

وهذا الخبر جزء من خبر كعب بن مالك ، الطويل في أمر غزوة تبوك ، وما كان من تخلفه حتى تاب الله عليه .

رواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩/٦ : ٣٨٧ .

ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٨٦) .

ورواه مسلم في صحيحه من هذه الطريق ١٧ : ٨٧ .

(٢) الأثر : ١٦١٤٨ — «ابن عون» ، هو «عبد الله بن عون المزني» ، مضى مراراً .

و «عمير بن إسحق القرشي» ، لم يرو عنه غير ابن عون ، متكلم فيه . مضى برقم : ٧٧٧٦ .

وكان في المطبوعة : «عمر بن إسحق» ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وقوله : «نهد الناس بعضهم لبعض» ، نهضوا إلى القتال . يقال : «نهد القوم إلى عدوهم ولعدوهم» ، أي : صمدوا له وشرعوا في قتاله . و «نهدوا يسألونه» ، أي : شرعوا ونهضوا .

وكأن ناشر المطبوعة لم يفهمها أو لم يحسن قراءتها ، فكتب مكان «نهد» : «نظر الناس . . .» ، وهذا من طول عبثه بهذا النص الجليل ، حتى ألف العبث واستمر عليه واستمرأه .

القول فى تأويل قوله ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولكن الله جمعهم هنالك ، ليقضى أمرًا كان مفعولاً = « ليهلك من هلك عن بينة » .

* * *

وهذه اللام فى قوله : « ليهلك » مكررة على « اللام » فى قوله : « ليقضى » ، كأنه قال : ولكن ليهلك من هلك عن بينة ، جَمَعكم .

* * *

ويعنى بقوله : « ليهلك من هلك عن بينة » ، ليموت من مات من خلقه ، (١) عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره ، وعبرة قد عاينها ورآها (٢) = « ويحيى من حى عن بينة » ، يقول : وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أُثبتت له وظهرت لعينه فعلمها ، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك .

* * *

وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

١٦١٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « ليهلك من هلك عن بينة » ، [أى ليكفر من كفر بعد الحجة] ، (٣) لما رأى من الآية والعبرة ، (٤) ويؤمن من آمن على مثل ذلك . (٥)

* * *

---

(١) انظر تفسير « هلك » فيما سلف ص : ١٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « بينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، أضفتها من سيرة ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة : « من الآيات والعبر » ، وفى المخطوطة : « من الآيات والعبرة » ، وأثبت الصواب من سيرة ابن هشام .

(٥) الأثر : ١٦١٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤٦ .

وأما قوله : « وإن الله لسميع عليم »، فإن معناه : « وإن الله » ،أيها المؤمنون، = « لسميع » ، لقولكم وقول غيركم ، حين يُرى الله نبيه فى منامه ويريكم ،عدوكم فى أعينكم قليلاً وهم كثير ، ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلاً = « عليم » ، بما تضمره نفوسكم ، وتنطوى عليه قلوبكم ،حينئذ وفى كل حال .[1]

يقول جل ثناؤه لهم ولعباده : فاتقوا ربكم ، [2]أيها الناس ، فى منطقكم : أن تنطقوا بغير حق ، وفى قلوبكم : أن تعتقدوا فيها غيرَ الرُّشد ، فإن الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن الله ، يا محمد ، سميع لما يقول أصحابك ، عليم بما يضمرونه ، إذ يريك الله عدوك وعدوهم « فى منامك قليلاً » ، يقول : يريكهم فى نومك قليلاً ، فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم = ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرًا ، لفشل أصحابك فجبنوا وخاموا ،[3] ولم يقدروا على حرب القوم ، [4]ولتنازعوا فى ذلك ،[5] ولكن الله

١٠/١٠

(١) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « واتقوا » بالواو ، و « والفاء » ، هنا حق الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « فجبنوا وخافوا » ، غير ما فى المخطوطة . يقال : « خام فى القتال » ، إذا جبن ، فنكل ونكص وتراجع .

(٤) انظر تفسير « فشل » فيما سلف ٧ : ١٦٨ ، ٢٨٩ .

(٥) انظر تفسير « التنازع » فيما سلف ٧ : ٢٨٩/٨ : ٥٠٤

سلمهم من ذلك بما أراك فى منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تُجنُّه الصدور،[1] لا يخفى عليه شىء مما تضمره القلوب .[2]

* * *

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله : «إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً» ، أى : فى عينك التى تنام بها = فصيّر « المنام » ، هو العين ، كأنه أراد : إذ يريكهم الله فى عينك قليلاً .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » ، قال : أراه الله إياهم فى منامه قليلاً ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم .

١٦١٥١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦١٥٢ — . . . . وقال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦١٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » ، الآية ، فكان أول ما أراه من ذلك نعمةً من نعمه عليهم ، شجّعهم بها على عدوهم، وكفَّ بها عنهم ما تُخُوِّف عليهم من

---

(١) فى المطبوعة : « بما تخفيه الصدور » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، وهما بمعنى .
(٢) انظر تفسير « ذات الصدور » فيما سلف ٧ : ١٥٥ ، ١٠/٣٢٥ : ٩٤ .
(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٤٧ .

ضعفهم ،[1] لعلمه بما فيهم.[2]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ولكن الله سلم » .

فقال بعضهم : معناه : ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكن الله سلم »، يقول: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولكن الله سلم أمره فيهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولكن الله سلم » ، قال : سلم أمره فيهم.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن عباس ، وهو أن الله سلم القومَ = بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه = من الفشل

---

(١) فى المطبوعة : و « كفاهم بها ما تخوف . . . » ، وفى المخطوطة : « وكمها عنهم ما تخوف »، وصل الكلام ، وأثبت نص ابن هشام . وضبطه الخشنى بالبناء للمجهول .

وفى السيرة ، بعد تمام الكلام ، : « قال ابن هشام : (تخوف) ، مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحق ، ولم أذكرها » . فجاء أبو ذر الخشنى فى تعليقه على السيرة فقال : « يقال الكلمة : (تخوف) ، بفتح التاء والخاء والواو ، وقيل : كانت (تخوفت) وأصلح ذلك ابن هشام ، لشناعة اللفظ فى حق الله عز وجل » .

وهذا لا يقال ، لأن ابن هشام يصرح بأنه نسيها ولم يذكرها ، فأبدل منها غيرها ، فهو لم يغير ذلك لعلة إلا علة النسيان .

(٢) الأثر : ١٦١٥٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤٩ .

والتنازع ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم . وذلك أن قوله : « ولكن الله سلم » ، عَقِيب قوله : « ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر » ، فالذى هو أولى بالخبر عنه أنه سلمهم منه جل ثناؤه ، ما كان مخوفاً منه لو لم يُرِ نبيَّه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم فى منامه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن الله لسميع عليم » = إذ يرى الله نبيه فى منامه المشركين قليلاً ، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم فى أعينهم قليلاً وهم كثير عددهم ، ويقلل المؤمنين فى أعينهم ، ليتركوا الاستعداد لهم ، فتهون على المؤمنين شوكتهم ، كما : —

١٦١٥٦ — حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لقد قلِّلوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين؟ قال : أراهم مئة ! قال : فأسرنا رجلاً منهم فقلنا : كم هم ؟ قال : ألفاً .[1]

١٦١٥٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، بنحوه .

---

(١) الأثر : ١٦١٥٦ — « ابن بزيع البغدادى » ، هو « محمد بن عبد الله بن بزيع البغدادى » ، من شيوخ مسلم ، مضى برقم : ٢٤٥١ ، ٣١٣٠ ، ١٠٢٣٩ .
وكان فى المطبوعة : « كنا ألفاً » ، زاد « كنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

١٦١٥٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً » ، قال ابن مسعود: قللوا في أعيننا ، حتى قلت لرجل : أتُرَاهم يكونون مئة ؟ .

١٦١٥٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال ناس من المشركين : إن العيرَ قد انصرفت فارجعوا . فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ! فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم . وقال : يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ، ولكن خذوهم أخذاً ، فاربطوهم بالحبال ! = يقوله من القدرة في نفسه . ١١/١٠

* * *

وقوله : «ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً »، يقول جل ثناؤه: قلّلتكم ، أيها المؤمنون، في أعين المشركين ، وأريتكموهم في أعينكم قليلاً ، حتى يقضي الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضاً ، وإظهاركم ، أيها المؤمنون ، على أعدائكم من المشركين والظفر بهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . وذلك أمرٌ كان الله فاعلَه وبالغاً فيه أمرَه ، كما :—

١٦١٦٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ليقضي الله أمرًا كان مفعولا» ، أي : ليؤلف بينهم على الحرب ، للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته . (١)

* * *

= « وإلى الله ترجع الأمور » ، يقول جل ثناؤه : مصير الأمور كلها إليه في الآخرة ، فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم ، المحسنَ بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته .

* * *

(١) الأثر : ١٦١٦٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٥٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الايمان به ، السيرةَ فى حرب أعدائه من أهل الكفر به ، والأفعالَ التى يُرْجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم . ثم يقول لهم جل ثناؤه : « ياأيها الذين آمنوا » ، صدقوا الله ورسوله = إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال ،[1] فاثبتوا لقتالهم ، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين ، إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة منكم = « واذكروا الله كثيراً » ، يقول : وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم ، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره = « لعلكم تفلحون » ، يقول : كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم ،[2] كما :—

١٦١٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ، افترضَ الله ذكره عند أشغل ما تكونون ، عند الضِّراب بالسيوف .

١٦١٦٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة » ، يقاتلونكم فى سبيل الله = « فاثبتوا واذكروا الله كثيراً » ، اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم = « لعلكم تفلحون » .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ص : ٤٥٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ١٦٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦١٦٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ و وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : أطيعوا، أيها المؤمنون ، ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، ولا تخالفوهما فى شىء = « ولاتنازعوا فتفشلوا » ، يقول : ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم[١] = « فتفشلوا » ، يقول : فتضعفوا وتجبنوا ،[٢] = « وتذهب ريحكم » .

* * *

وهذا مثلٌ . يقال للرجل إذا كان مقبلاً ما يحبه ويُسَرّ به[٣] : « الريح مقبلةٌ عليه » ، يعنى بذلك : ما يحبه، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص :

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطَبٍ ... وَالفَضْلُ لِلقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ[٤]

(١) انظر تفسير « التنازع » فيما سلف ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفشل » فيما سلف ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « مقبلا عليه ما يحبه » ، زاد « عليه » ، وليست فى المخطوطة .

(٤) ديوانه : ٤٩ ، من أبيات قبله ، يقول :

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ ... يَالَهْفَ نَفْسِى لَوْ تَدْعُو بَنِى أَسَدِ

لاَ يَدَّعُونَ إِذَا خَامَ الكُمَاةُ ، وَلاَ ... إِذَا السُّيُوفُ بِأَيْدِى القَوْمِ كَالوَقَدِ

لَوْ هُمْ حُمَاتُكَ بِالمَحْمَى حَمَوْكَ وَلَمْ ... تُتْرَكْ لِيَوْمٍ أَقَامَ النَّاسَ فى كَبَدِ

كَمَا حَمَيْنَاكَ . . . .

والبيت الثانى من هذه الأبيات جاء هكذا فى مخطوطة الديوان : « لا يدعوا إذا حام الكماة ولا إذا .. » ، فصححه الناشر المستشرق « تدعو إذن حامى الكماة لا كسلا » ، فجاء بالغثاثة كلها فى شطر واحد . فيصحح كما أثبته . ويعنى بقوله : « لا يدعون إذا خام الكماة » ، أى : لا يتنادون بترك الفرار ، و « خام » نكص ، كما قال الآخر :

تَنَادَوْا : يَا آلَ عَمْرٍو لا تَفِرُّوا! ... فَقُلْنَا : لاَ فِرَارَ وَلاَ صُدُودَا

و « النعف » ، ما انحدر من حزونة الجبل . و « شطب » جبل فى ديار بنى أسد .

يعنى : من البأس والكثرة .[١]

* * *

وإنما يراد به فى هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم ، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل .

* * *

= « واصبروا » ، يقول : اصبروا مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتتركوه = « إن الله مع الصابرين » ، يقول : اصبروا فإنى معكم.[٢]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٦٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وتذهب ريحكم » ، قال : نصركم . قال : وذهبت ريحُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،[٣] حين نازعوه يوم أحد .

١٠/١٢

١٦١٦٤ — حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وتذهب ريحكم » ، فذكر نحوه .

١٦١٦٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد .

١٦١٦٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، قال :

---

(١) فى المخطوطة : « من الناس » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٥٥٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « أصحاب رسول الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حَدُّكم وجِدُّكم".[1]

١٦١٦٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وتذهب ريحكم » ، قال : ريح الحرب .

١٦١٦٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وتذهب ريحكم » ، قال : « الريح »،النصر ، لم يكن نصر قط إلاّ بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قِوَام .

١٦١٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تنازعوا فتفشلوا » ، أى : لا تختلفوا فيتفرق أمركم = « وتذهب ريحكم » ، فيذهب حَدُّكم[2] = « واصبروا إن الله مع الصابرين» ، أى : إنى معكم إذا فعلتم ذلك.[3]

١٦١٧٠ — حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا » ، قال : الفشل ، الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم ، فذلك « الفشل » .

* * *

(١) فى المطبوعة : « حربكم وجدكم » ، وهى فى المخطوطة توشك أن تقرأ كما قرأها ، ولكن الكتابة تدل على أنه أراد « حدكم » ، و « الحد » بأس الرجل ونفاذه فى نجدته . يقال : « فلان ذو حد » ، أى بأس ونجدة . ولو قرئت : « وحدتكم » ، كان صواباً ، « الحد » و « الحدة » (بكسر الحاء) ، واحد . وانظر التعليق التالى .

(٢) فى المطبوعة : « جدكم » ، بالجيم ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام ، وفيها « حدتكم » ، وفى مخطوطاتها «حدكم» ، وهما بمعنى ، كما أسلفت فى التعليق قبله .

(٣) الأثر : ١٦١٦٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٦٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ﴿٤٧﴾

قال أبو جعفر: وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم إلى بدر طلبَ رئاء الناس. وذلك أنهم أخبروا بفَوْت العِير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه،[1] وقيل لهم: «انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها!»، فأبوا وقالوا: «نأتى بدراً فنشرب بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث بنا العرب فيها»،[2] فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا، كما —

١٦١٧١ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثنى أبى قال، حدثنا أبان قال، حدثنا هشام بن عروة، عن عروة قال: كانت قريش قبل أن يلقاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر، قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه: إنا قد أجزنا القوم، وأن ارجعوا.[3] فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجُحفة، فقالوا: «والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا، فنقيم فيه ثلاث ليالٍ، ويرانا من غَشِينا من أهل الحجاز، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا». وهم الذين قال الله: «الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس»، والتقوا هم والنبىّ صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر،

---

(١) فى المخطوطة: «بقرب العير»، والصواب ما فى المطبوعة.

(٢) فى المطبوعة: «وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها»، زاد ما ليس فى المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة: «فارجعوا»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى التاريخ.

وتُفى صدور المؤمنين منهم .(١)

١٦١٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق = في حديث ذكره = قال ، حدثني محمد بن مسلم ، وعاصم بن عمر ،(٢) وعبد الله ابن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، عن ابن عباس قال : لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ! فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا = وكان « بدر » موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام = فنقيم عليه ثلاثًا ، وننحر الجُزُر، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمور ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدًا ، فامضوا .(٣)

١٦١٧٣ — قال ابن حميد ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، أي : لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا : « لا نرجع حتى نأتي بدرًا ، وننحر الجزر ، ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا » ، أي : لا يكونن أمركم رياءً ولا سمعة، ولا التماس ما عند الناس، وأخلصوا لله النية والحِسْبة في نصر دينكم ، ومؤازرة نبيكم ، أي : لا تعملوا إلا لله ، ولا تطلبوا غيره .(٤) ١٣/١٠

١٦١٧٤ — حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ،

---

(١) الأثر : ١٦١٧١ — هذا من كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ، الذي خرجته آنفًا من تاريخ الطبري مجموعًا برقم: ١٦٠٨٣ . وهذا القسم في تاريخ الطبري ٢ : ٢٦٩ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « عاصم بن عمرو » ، وهو خطأ ، إنما هو « عاصم بن عمر بن قتادة » ، سلف مرارًا ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ .

(٣) الأثر : ١٦١٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٢٧٦ ، من أثر طويل .

(٤) الأثر : ١٦١٧٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٦٩ . وفي لفظه اختلاف يسير .

حدثنا إسرائيل = عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، قال : أصحاب بدر .

١٦١٧٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « بطرًا ورئاء الناس » ، قال : أبو جهل وأصحابه يوم بدر .

١٦١٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله = قال ابن جريج ، وقال عبد الله بن كثير : هم مشركو قريش ، وذلك خروجهم إلى بدر .

١٦١٧٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، يعني : المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

١٦١٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، قال : هم قريش وأبو جهل وأصحابه ، الذين خرجوا يوم بدر .

١٦١٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » ، قال : كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر ، خرجوا ولهم بَغْيٌ وفخر . وقد قيل لهم يومئذ : « ارجعوا ، فقد انطلقت عيركم ، وقد ظفرتم » . قالوا : « لا والله ، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا ! » . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « اللهم إنّ قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادّك ورسولك » !

١٦١٨٠ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر المشركين وما يُطعِمُون على المياه فقال : « لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله » .

١٦١٨١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « الذين خرجوا من ديارهم بطرًا » ، قال : هم المشركون ، خرجوا إلى بدر أشرًا وبطرًا .

١٦١٨٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ولا تكونوا ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، فى العمل بالرياء والسمعة ، وترك إخلاص العمل لله ، واحتساب الأجر فيه ، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرًا ومراءاة الناس بزيّهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم[1] = « ويصدون عن سبيل الله » ، يقول : ويمنعون الناس من دين الله والدخول فى الإسلام ، بقتالهم إياهم ، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله[2] = « والله بما يعملون » ، من الرياء والصدّ عن سبيل الله ، وغير ذلك من أفعالهم = « محيط » ، يقول : عالم بجميع ذلك ، لا يخفى عليه منه شىء ، وذلك أن الأشياء كلها له متجلّية ، لا يعزب عنه منها شىء ، فهو لهم بها معاقب ، وعليها معذّب .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الرئاء » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٥٢٢ / ٨ : ٣٥٦ / ٩ : ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٥٢٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « محيط » فيما سلف ٩ : ٢٥٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

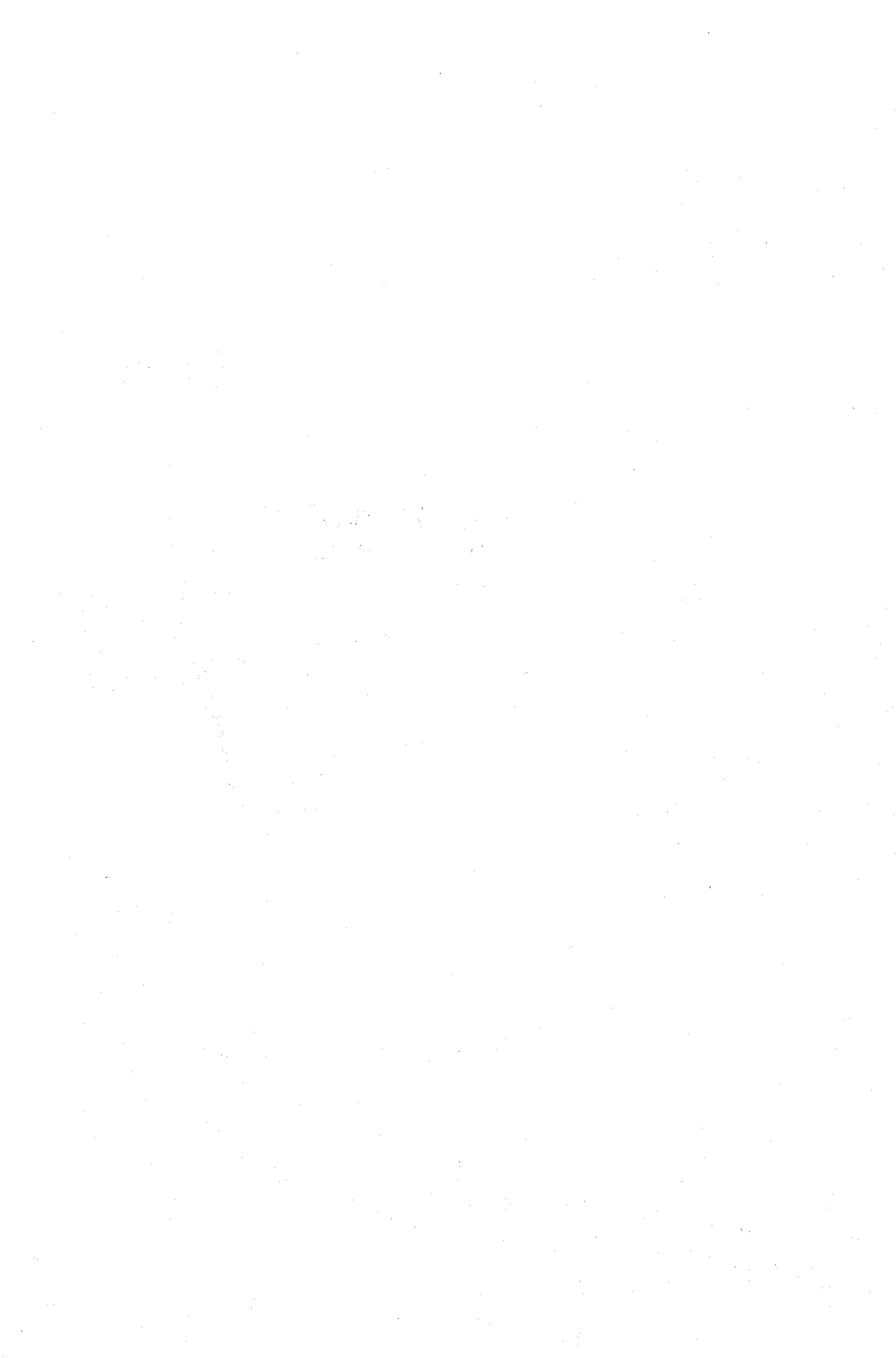
تمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الرابع عشر، وأوّله :

القول فى تأويل قوله :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

تتمة التخريج



بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة التخريج

١ – الحديث : ١٥٠٥٥ – ١٥٠٥٨ ، رواه الطبرى بأربعة أسانيد . ونزيد : أنه رواه أيضاً الترمذى فى كتاب الفتن (ج ٣ ص ٢١٣) ، من طريق سفيان ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وقد ذكر أخى السيد محمود نسبة السيوطى إياه للنسائى ، ولم أجده فيه . ولم ينسبه النابلسى فى ذخائر المواريث : ١٠٤٦١ لغير الترمذى . فإما هو فى السنن الكبرى للنسائى ، وإما أن تكون نسبته للنسائى خطأ من السيوطى أو من الناسخين ، ويكون صواب نسبته للترمذى ، وهذا الذى أرجحه .

٢ – الحديث : ١٥٠٨٨ – نسبه الحافظ ابن كثير للإمام أحمد عن أبى المثنى معاذ بن معاذ ، عن حماد بن سلمة . وهو فى المسند بهذا الإسناد : ١٢٢٨٧ (ج ٣ ص ١٢٥ طبعة الحلبى) .

٣ – الحديث : ١٥١٥٠ – هو حديث منقطع الإسناد ، لأن راوييه ثابتاً البنانى وحميداً الطويل من صغار التابعين ، لم يدركا القصة التى حكياها ، من دخول قيس بن عباد وجارية بن قدامة على علىّ بن أبى طالب . ولم يذكرا أنهما سمعاها من أحدهما . ومثل هذا يكون مرسلا عند أهل الرواية .

٤ – الحديث : ١٥٢٢٥ ، ١٥٢٢٦ – ورواه أحمد فى المسند : ٦٦٢٢ ، عن موسى بن داود ويونس بن محمد ، عن فليح ، بهذا الإسناد نحوه .

وكذلك رواه البخارى ٤ : ٢٨٧ – ٢٨٨ (فتح) ، عن محمد بن

سنان ، عن فليح ، به نحوه . ولكنه لم يذكر فى آخره رواية عطاء عن كعب الأحبار .

وكذلك رواه ابن سعد ١/٢/٨٨ ، من طريق فليح .

٥ — الحديث : ١٥٢٢٧ — « عبد العزيز بن سلمة » فى الإسناد — خطأ من الناسخين ، صوابه « عبد العزيز بن أبى سلمة » . وهو « عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون » أحد الأئمة الأعلام .

والحديث — من هذا الوجه رواه البخارى مختصراً ٨ : ٤٤٩ — ٤٥٠ (فتح)،وابن سعد ١/٢/٨٨ — كلاهما من طريق عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن هلال ، به نحوه .

٦ — الحديث : ١٥٣٥٣ — أزيد أنه رواه أيضاً ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ١٣٢ ، بتحقيقنا .

٧ — الحديث : ١٥٥٨٤ — « بشير بن جابر » فى الإسناد : محرف ، وهو فى المخطوطة غير منقوط . وصوابه « يسير بن جابر » : بضم الياء التحتية فى أوله وبالسين المهملة . ويقال فى اسمه « أسير » بضم الهمزة . وفى التقريب « يسير ، بالتصغير ، ابن عمرو ، أو ابن جابر ، الكوفى . وقيل : أصله أسير ، فقلبت الهمزة » . وله حديث آخر فى المسند : ٣٦٤٣ ، عن ابن مسعود . وهو تابعى معروف ، أخرج له الشيخان .

٨ — الحديث : ١٥٧٣٧ — هو حديث مرسل ، سواء أكان راويه « زيد بن يثيع » أم « زيد بن نفيع » ، إذ يكون رواية تابعى عن بعض قصة بدر ، لم يذكر أنه رواه عن أبى بكر أو عن غيره من الصحابة .

و « زيد بن يثيع » أو « أثيع » : تابعى معروف ، كما ترجمه أخى السيد محمود . ولكن الذى كان فى مخطوطة الطبرى ومطبوعته « زيد بن نفيع » . فهذا تابعى آخر ، ترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/٣٧١ .

وذكر أخى السيد محمود أنه ترجمه ابن أبى حاتم والبخارى، وهو كما قال. ولكن الاشتباه بين الترجمتين ، الذى كان سببه تعليق العلامة عبد الرحمن بن يحيى اليمانى على التاريخ الكبير فى ترجمة « زيد بن نفيع » — لا يسوغ تغيير الاسم فى هذا الإسناد ، بعد اتفاق المطبوعة والمخطوطة عليه ، فيكون صواب الاسم فى هذا الإسناد « زيد بن نفيع » دون تردد . وليست روايته هنا عن أبى بكر ، حتى يظن أنه « زيد بن يثيع » . بل روايته هنا مرسلة ، عن قصة أبى بكر فى غزوة بدر .

وقد ذكر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى فى تعليقه على ترجمة « زيد بن نفيع » فى التاريخ الكبير ٣٧١/١/٢ أن ابن أبى حاتم ترجمه فى الجرح ، ورجح أنه تصرف من الناسخين ، وأن صوابه « زيد بن يثيع » ! دون برهان يؤيد ما رجح . ثم صنع مثل ذلك فى كتاب الجرح والتعديل ٥٧٣/٢/١ ، جزم بأن « زيد بن نفيع » هو « زيد بن يثيع » أو « أثيع » ، قال : « وهو مشهور ، فحقه أن يذكر فى باب الياء أو فى باب الألف » !! يعنى فى حروف آباء من اسمه « زيد » .

وهذا تحكم صرف ، فإن ابن أبى حاتم ذكره فى « باب النون » : « زيد بن نفيع » ، فليس معقولاً أن يكون هذا تحريفاً من الناسخين ، لأن الناسخ يتصحف عليه الاسم مثلاً ، ولكنه لا ينقل الاسم من « باب الياء » « يثيع » إلى « باب النون » « نفيع » ، كما هو بديهى واضح .

ثم يزيد الأمر وضوحاً وتوكيداً ثبوت هذا الاسم فى أصول الطبرى « زيد بن نفيع » بالنون . ولا يكاد أحد يظن أن الناسخين تواطأ تحريفهم فى أصول الطبرى من ناحية وأصول كتاب الجرج من ناحية أخرى ، على تصحيف واحد ، ونقل الاسم من « يثيع » بالياء إلى « نفيع » بالنون ،

وشتان ما بين الكتابين وما بين ناسخيهما .

وأما أن ابن أبى حاتم لم يترجم « زيد بن يثيع » فى باب الياء أو « أثيع » فى باب الألف — فلا يدل على أن اسم « نفيع » محرف أو مصحف عن « يثيع » ، وهذا بديهى لا يكاد يشك فيه أحد .

٩ — الحديث ١٦٠٠٠ — « أبو حذيفة » : هو النهدى البصرى ، موسى بن مسعود ، مضى توثيقه مراراً .

وهذا إسناد صحيح .

والحديث رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن أبى حذيفة — بهذا الإسناد . كما نقله عنه ابن كثير ٤ : ٥٢ — ٥٣ .

وذكره السيوطى ٣ : ١٨١ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى السنن .

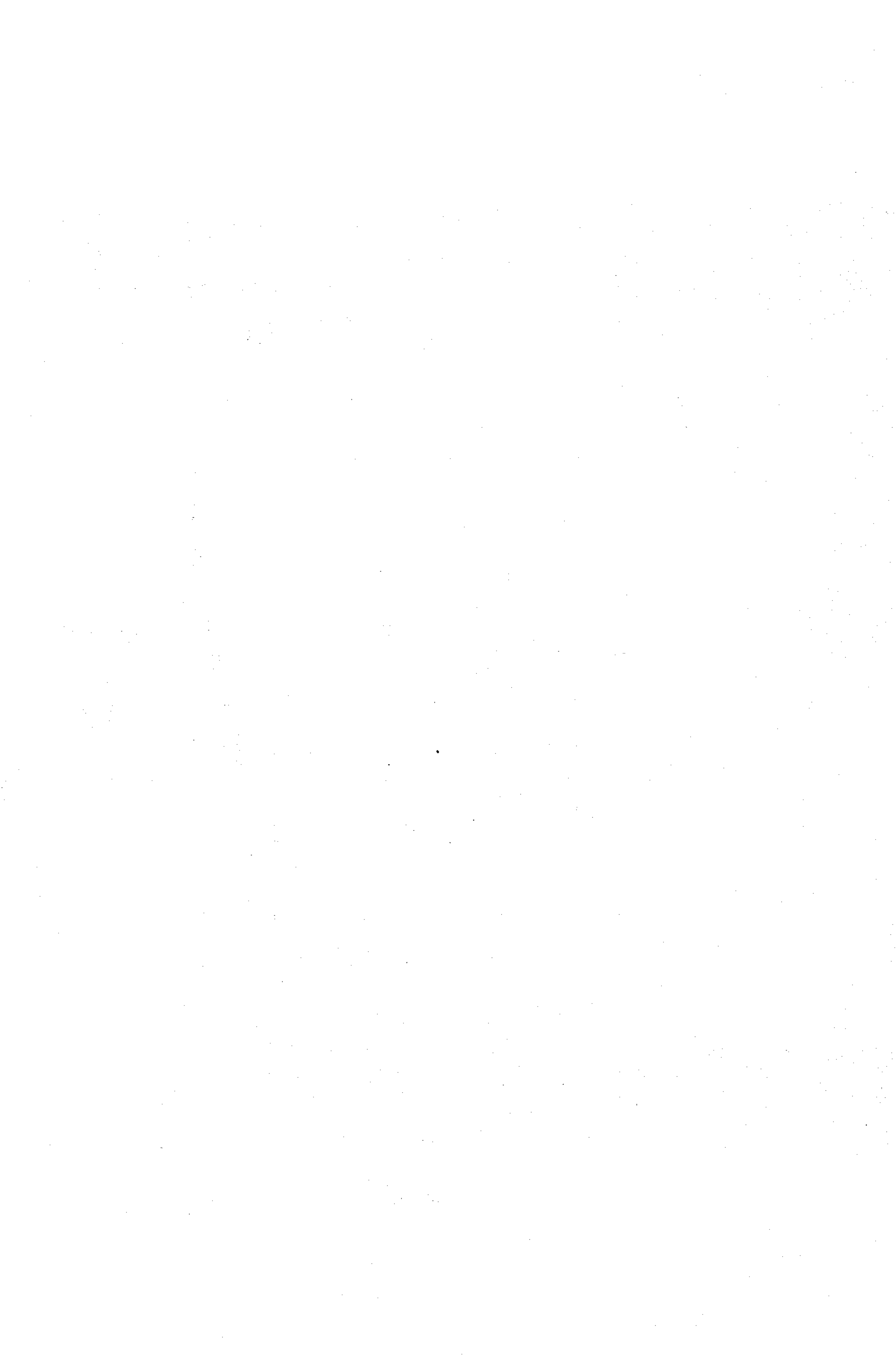
١٠— الحديثان : ١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ — هما حديثان مرسلان ، من رواية عروة بن الزبير التابعى ، عن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . وفيهما تفصيل جيد لخبر الهجرة . وهما — كما قال أخى السيد محمود — من أوائل الكتب التى كتبت عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى الخبر الأول : أن عروة كتب بذلك إلى عبد الملك بن مروان . وفى الثانى : أن الكتاب كان إلى الوليد بن عبد الملك ، والذى رجحه أخى السيد محمود أن الكتاب كان إلى عبد الملك . وهو كما قال ، لأن إسناد الأول — إلى عروة — أصح من إسناد الثانى .

١١— الحديث : ١٦١١٩ — أزيد أنه رواه أيضاً الإمام أحمد فى المسند : ١٦٨١١ (ج ٤ ص ٨١ حلبى) . وإسناده صحيح .

١٢— الحديث : ١٦١٥٦ ، ١٦١٥٧ — هما إسنادان لحديث واحد .

والإسنادان ضعيفان ، من أجل الانقطاع بين أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود وبين أبيه ، إذ لم يسمع أبو عبيدة من أبيه ، كان صغيراً لا يذكر من أبيه شيئاً . والحديث ذكره ابن كثير ٤ : ٧٣ ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم . ولم ينسبه إليه السيوطى ، بل نسبه (٣ : ١٨٩) لابن أبى شيبة ، وابن جرير ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه . فقط .

أحمد محمد شاكر



الفهارس



فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة، على أصل الاشتقاق، وعلى آخر الأصل باباً، وأوله فصلا .

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

فهرس المصطلحات

الرد على الفرق

• الردّ على المعتزلة فى خلق أفعال العباد المكتسبة ، فمن الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى : ٤٤١ ، ٤٤٢ .

مباحث العربية والنحو وغيرها

وقع خطأ فى السطر : ٧ ، « تحفيت له » والصواب « به » .

* * *

فهرس التفسير

﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾